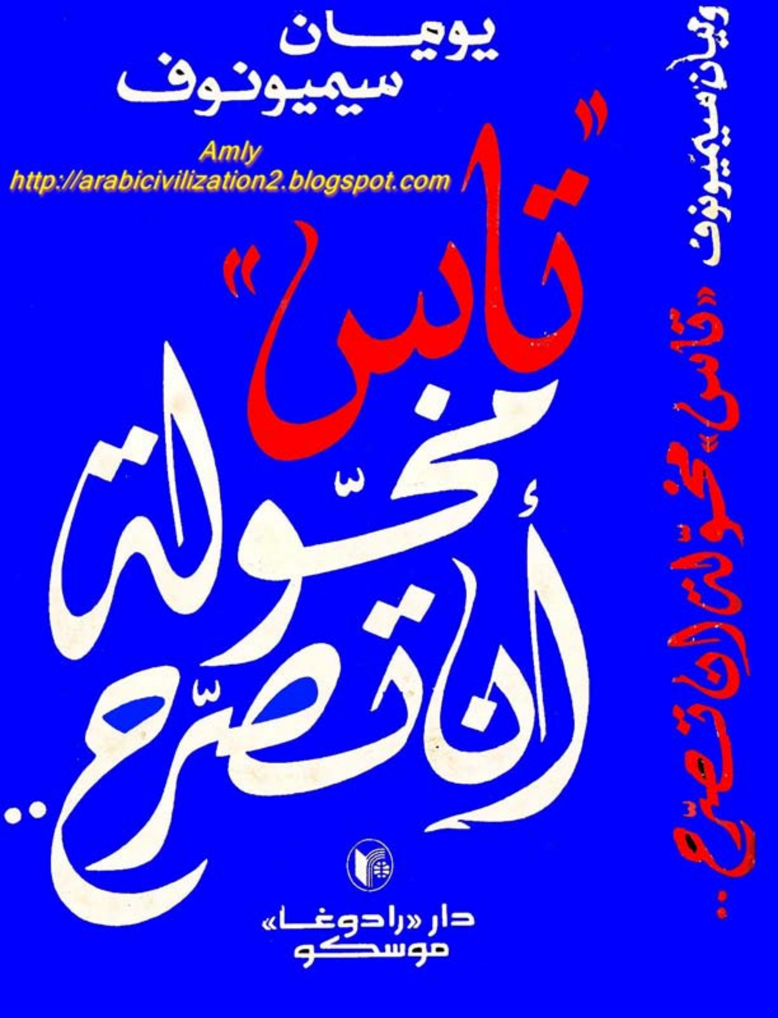


يوميان سيمونوف
Amly
http://arabicivilization2.blogspot.com
تابس مخولة أن تصرح..
دار «رادوغا» موسكو

يوليـان سيميونـوف

«تاس» مخوّلة أن تصرّح..



دار «رادوغا»
موسكو

Юлиан Семенов

ТАСС УПОЛНОМОЧЕН ЗАЯВИТЬ

На арабском языке

$С\frac{4702010200-486}{031(01)-83}$ 196—83

ملاحظة عن «المجمع الصناعى العسكرى»

— لعلمك ، يا مايكل — قال نلسون غرين باستغراق ، وهو يراقب حفيديه يتقلبان فى حوض مرصوف بتوفة حمراء مجلوبة من تركيا — ان اى احساس هو صادق كاحساس . ولكن الحكم على احساس هو شيء آخر قد يكون حقيقيا او كاذبا . . . لقد علقت فى ذاكرتى محاضرة للبروفيسور ميتشل ، كان ذلك حين كنت ما تزال طفلا ، وليس مساعد مدير وكالة المخابرات المركزية . . . كان ميتشل يقول : اذا بدا مجذاف غاطس فى الماء مكسورا ، فان هذا الاحساس فى هذه الحال ، صادق ، لان هذا هو بالذات ما يحسه الرائى . ولكن اذا راح الرائى ، بتأثير ذلك ، يؤكد على ان المجذاف مكسور بالفعل ، فان هذا الحكم كاذب . . . اخطاء الناس ، يا عزيزى مايكل ، لا تتمثل فى الاحاسيس الكاذبة — دعها جانبا ، هذه الاحاسيس ، بل فى الحكم الكاذب .

قلص نلسون غرين عينيه الصغيرتين كقطرتى ماء كانتا مختفيتين تحت حاجبين سرى فيهما الشيب . فكان السكرتيرون وكتاب الاختزال فى اجتماعات مجلس المراقبة التابع لشركته «ورلدز دايموندز» لا يعرفون قط هل ان هذا العجوز ينظر ، ام هو نائم مفتوح العينين .

ابتسم مايكل ويلش :

— يعنى ان احساسى بأن الفراولة التى قدمت الينا الآن تفوح برائحة اعشاب تكساس هو احساس صادق ؟

— ليس هذا احساسا ، بل حكم ، يا مايكل ، وحكم كاذب . اذ لا يمكن ان تفوح الفراولة التى قدمت لنا بروائح اعشاب تكساس ، لان الطقس ما يزال باردا هناك ، بل انها تفوح برائحة افريقيا . والآن يتعين عليّ ان ارسل الطائرة الى لويسبورغ ، وليس الى ناغونيا ، وهذا شيء سيىء ، لان الفراولة هناك اغلى بسبعة

واربعين سنتا ، والمسافة ابعد بمئة وتسعين كيلومترا ، وهذا وقود زائد ، وهو يكلف نقودا .

سأل ويلش : — وستفلس ؟

— ممكن — رد غرين بنفس لهجته — فالانهيار يبدأ من السنت وليس من المليون .

— بأى مقدار يمكن ان تؤثر فى البنتاغون ؟

رشف غرين جرعة من الشاى المطعم بالياسمين ، وسأل بسخرية :

— اتقصد ارسال الفراولة على طائراتهم للنقل ؟ أظن من الممكن ان اؤثر . ولكن فى اى موضوع ؟ هل لديك افكار ؟

— توجد . ولكننى بحاجة الى مساندة البنتاغون .

— سنحل هذه المسألة . ووزارة الخارجية ؟ تناقشت معهم فى ارائك ؟

— ما زال الوقت مبكرا . يجب اشراكهم فى الدور الاخير ، والا فمن الممكن ان تتسرب المعلومات . دبلوماسيونا اخذوا يكثرون الشرب . . . داء المهنة هو تليف الكبد ، فقد تتبعت تقارير الاطباء ، بشكل انتقائى ، فى ثلاث من سفاراتنا : سبعون بالمائة من الموظفين مصابون بامراض الكبد المزمنة . . .

— لا حاجة الى المراوغة ، يا مايكل . فانت تعرف جيدا أن بعض الفتيان اللطيفين فى وزارة الخارجية ليسوا دون اكتراث بمصالحى . فلو فقدت فى ناغونيا حوالى ثلاثمائة مليون او شيئا من هذا القبيل ، فانهم فقدوا مئات الالاف . وهذه ، بالنسبة لهم ، فلوس . . .

— نلسون ، صدقنى ان اشراك وزارة الخارجية لم يحن وقته بعد . فلو نقوم بما نخطط . . .

قاطعه غرين :

— لا تجادل الشيخ . فان للسفير الموفد بمهام خاصة اسهما فى شركتى ، وسيشهد بما يملون عليه فى سكرتاريتى . فلا ترفض ، يا مايكل ، فان ذلك غير حصيف . والافضل ان تذكر مخططاتكم ، فقد اكون نافعا لكم ، على الاقل كمستشار .

— مخططات ممتعة . عندنا عميل فى موسكو ، شخصية واسعة الاطلاع للغاية . ومعنى ذلك اننا لا نخطط فى الظلام ، فان لنا امكانية

التحرك بحساب ، عارفين ما يمكن ان يصدر من الكريملين من تحرك مقابل . فاهم ؟ لم يكن لنا من قبل مثل هذا العميل قط ، يا نلسون ، ولهذا فانا واثق من النجاح .

— اضرب على الخشب .

وضرب ويلش على راسه ، وقال :

— احسن نوع . . . مثل خشب الارز . . . اذن ، ما دام لنا مثل الرجل ، فان الامر يقتضى توجيه الضربة باسرع وقت ممكن . كنا نفشل دائما لاننا كنا لا نملك احكاما ، بل مجرد احاسيس .

— عودة لا بأس بها الى ما بدأنا به — لاحظ غرين — انا احب التمام فى كل شيء . واعلى شكل للتمام هو الدائرة . ماذا علي ان اتحدث مع البنتاغون ؟

— من الضرورى ان يحول الاسطول نحو سواحل ناغونيا ، فى اليوم والساعة التى تبدأ فيه عملياتنا . من الضرورى ان يكون الطيران مهيئا لانزال المظليين الى هناك — الف مظلى ، لا اكثر ، لان ذوى القبعات الخضر يجيدون العمل بدقة واحكام . وهذا كل شيء .

— اذا كنت قد فهمتك بشكل صحيح ، فان الاسطول والطيران سندخلهما فى المرحلة الاخيرة ؟ عملية الترهيب ، أليس كذلك ؟

— نعم .

— وسفير المهمات الخاصة الذى يهمنى امره شخصيا ، هل سيُشرك على الفور ؟

— ما كنت اود ذلك ، يا نلسون ، ولكن لو الححت . . .

— شكرا . ومتى يمكن ان يحدث ذلك ؟

— خلال اسبوعين او ثلاثة .

— والادارة تموّل المشروع ؟

— انت تعرفهم . . . اشحاء .

— طيب ، انا مستعد ان اساهم فى عملية وكالة المخابرات المركزية بمليون او مليون ونصف — قال نلسون غرين فى هزء — بل وبمليونين . فان الميل الى التعاون مع الكريملين واضح جدا . فهنا . . . اتفاقية الحد من الاسلحة الذرية رقم ٢ . . . وعلى هذا اظن ان الضرب فى ناغونيا عمل سديد . هل تريد المزيد من الفراولة ؟

– بكل سرور . ولكن فراولــة ناغونيـــا تلذ لى اكثر – a propos . . . *

ستيبانوف

«يبدو جورج غريسو فى الصور الفوتوغرافية طويل القامة جدا . وهذا غير صحيح – انه ربع القامة ، نحيف جدا ، ولكنه قليل الحركة رغم ذلك . يدير رأسه بحذر ، وكأنما يخشى ان يرى شيئا مروّعا .

وعندما اخبرت جورج غريسو بانطباعى هذا ، اجاب متغلبا ببطء على ثقل غير معلوم وغير مرئى :

– انطباعك صحيح ، لاننى قبل عام فقط تعلمت المشى من جديد . واية حركة حادة لا تسبب لى الالم فحسب ، بل اخشى ان انزل المستشفى بعدها ، وفى الظروف الراهنة ليس لى الحق فى ذلك .

واخبرنى لماذا تعلم المشى من جديد قبل عام فقط .

– اثناء حرب الانصار ، وحين لم يعد احد يشك فى انتصار الشعب اذ كنا نهاجم العاصمة باندفاع ، بعث لى الاسقف فرناندس رسالة يقترح فيها الالتقاء فى قريتى الاصلية ، مبديا استعداده للذهاب اليها لوحده ، فى اى وقت ، ومحاولة الاتفاق على تسليم السلطة الينا على مراحل .

ناقشنا هذه المسألة فى اجتماع المكتب ، فان فرناندس على اية حال ، كان يلتزم موقف الحياد فى الماضى ، وهذا موقف لا يليق تماما براعى كنيسة مسيحية مدعوة الى ان تقف الى جانب المهضومى الحقوق والمنكودين . ومع ذلك فقد الححت على اللقاء ، فقد تصورت ان فرناندس لا بد ان يتذكر طفولته ، وكيف انه هو الآخر كان يتجرع كأس الهوان الى ان نقله ، هو زنجى صغير ، رجال الارسالية الى روما .

هيأ اخى هوليو كتيبة الحراسة ، واعاد توزيعهـــا قرب مكان

* بالمناسبة (بالفرنسية) . المعرب .

اللقاء ، فقد كنا ندرك ان المستعمرين يعرفون بهذه الرسالة ، ومن الممكن توقع كل شىء منهم ، حتى ولو سلّمنا بأن فرناندس كان مخلصا فى رغبته فى التوصل الى سلام .

وكان مخلصا ، كما تبين .

الا انه مجموعة من رجال الكوماندوس اُنزلت فى قريتى ليلا ، قبل حوالى ساعتين من خروج كتيبة هوليو من الاحراش . جمع الكوماندوس كل اهل القرية ، وسألوهم عن اصغر واحد منهـــم ، فذكروا لهم روسيتا المولودة حديثا ، فاخذوها وطعنوها بالحراب على مرأى من الناس . وبعد ذلك ساقوا نصف اهل القرية الى الغابة ، وقالوا للباقين : لو انهم اشاروا بكلمة واحدة الى انهم على مقربة ، فان جميع الرهائن السبعين سيقتلون .

فقالوا : «استقبلوا اولئك الذين يأتون اليكم ، ودعوهم يتكلمون واتركوهم ينصرفون ، وعندئذ سنعيد ذويكم سالمين . اما اذا خرقتم الامر ، واعترفتم باننا كنا هنا ، فسنقتل الجميع . لقد رأيتم بانفسكم باننا قادرون على ان نفعل ذلك ، والطفلة الوليدة لم تتألم ، لانها لم تكن تعى اى شىء . . .» .

عند ذاك صرخت ام روسيتا بان الطفل يشعر بكل شىء ، الا انهم اغلقوا فمها ، وطعنوا صدرها بحربة قصيرة حادة ، وساقوا الرهائن الى الغابة .

حين خرج هوليو من الاحراش ، لم ينصب مواقع الحراسة فى القرية ، لان فرناندس حذره قائلا : «ان السلطات تضمن أمن لقائنا ، اذا بقيت قواتكم فى مواقعهـــا ، وفى هذه الحال فقط سيتركوننى اجتاز اطواق الحراسة فى الطرق» .

طبيعى ان كل عائلتى ، وحتى اقاربى البعيدين كانوا من بين الرهائن . تصوّر السذج هؤلاء انهم بتنفيذهم امر المستعمرين – التزموا الصمت وسنعيد ذويكم – سينقذون حياة اطفالى وامـــى واختى . ولا حيلة لنا فى ذلك ، فان قومنا طيبون ومروّعون ، بينما التعهد بالصمت قواه دم روسيتا وأمها .

نعم ، انا افهم ، انك تسقط وضعنا على تاريخ حربكم ، ولكن خذ بالحسبان ، ارجوك ان الناس فى روسيا فى ذلك العهد كانوا متعلمين ، يطالعون الكتب ، ويشاهدون الافلام ، وبالتالى ، فقد

كانوا قادرين على التمييز بين الابيض والاسود . فقد اجتاز الناس فى بلادكم مدرسة الوطنية ، وكانت لهم تجربة العمل والكفاح . وماذا تريد من شعبى الذى لم يكن يعرف قط ما هى الدولة ، دولته ؟ !

باختصار جاء فرناندس ، وتقابلنا ، وجرى كل شىء بشكل طبيعى . وكان من الممكن لاقتراحاته ان تكون اساسا للمفاوضات . وضعنا تصريحا مشتركا ، انا وهو ، ولا احد غيرنا ، فهو الذى طلب ذلك ، وبعد ذلك انسل رجال الكوماندوس خلسة الى القرية . وكنت غير مزوّد حتى بسلاح ، فقد اشترط ان تكون مفاوضات سلمية .

. . . . فى البداية اخذوا يعذبون فرناندس . طلبوا منه مجرد ان يعترف : «تسلمت نقودا من الشيوعيين وامرونى بأن اقوم بتحريض الناس على الشغب والعصيان» . ورفض ما يتصدقون به عليه : الحياة . تصرف الاسقف فرناندس بكرامة ، رغم انهم احرقوا كعبيه بالجمر ، وغرزوا الابر المحمية تحت اظافره .

ثم تحولوا اليّ . ربطوا يدي ورجلي ، وعلقونى على شجرة . فكنت كالغاطس يلقى نفسه من صخرة عالية الى البحر . ولكننى كنت قويا جدا ، وكنت قادرا على تحمل هذا التعذيب الذى كان يسمونه «السنونو» ، وقد ادركوا اننى استطيع ان اصمد طويلا . عندئذ جلبوا أمى ، وعروها ، وقالوا انهم سيحرقونها فى الحال ، على مرأى منى ، اذا لم انبذ قضيتى ، ولا ادل على الطريق الذى يمكن ان يوصل الى مقر قيادتنا بين الادغال . وما كان فى وسعى ان اذكر لهم . لا بد انك تفهمنى . ولزمت الصمت . عند ذاك القوا امى ارضا ، وسكبوا البنزين عليها . فقلت لهم ان كل واحد منهم سيدفع حياته ثمنا لهذه الوحشية . عرضت عليهم ان يعدمونى افظع اعدام ، فانا عدوكم ، وليست امراة عجوز . اجابوا ان العجوز اولدت قطاع طرق لا قلب لهم ، ما دام الابن مستعد ان يضحى بأمه على مذبح افكار سخيفة . وبعدها القوا عود ثقاب على امى ، رحت اصارع واصرخ ، بينما كانت امى تتوسل اليّ : «ولدى ، ولدى . انت تحطم نفسك ، لا داعى !» .

نهض جورج غريسو من وراء الطاولة ببطء ، واتجه الى دولاب ، وفتحه ، واخرج منه بعض الصور الفوتوغرافية . وقال :

— هاك ، انظر . هذه امى . التقطوا صورتها ، وهى فى شيخوختها . عندما كانت شابة لم تكن تعرف ما هو التصوير . لم نر الصور الا قبل عشرة اعوام ، ولاول مرة . بينما الآن اتكلم بالتلفون . . .

(ما كان غريسو بحاجة الى ان يتباهى بالتلفون . مجرد انه لم يستطع ان يواصل كلامه ، كما اننى – واعترف بهذا – لم اطق الاستماع اكثر) .

— على اية حال ، اريد ان اتم قصتى – تابع غريسو بعد ان نظف حنجرته – مهم جدا ان اروى كل شىء ، لان الناس فى الاقطار الاخرى سيفهمون ، عند ذاك ، لماذا حاربنا سبعة اعوام فقدنا فيها اخوانا وآباء وامهات ، ولماذا سنواصل القتال الآن حتى آخر رجل . لقد دفعنا فى سبيل حريتنا اكثر بكثير من ان نتنازل عنها بسهولة وبدون معركة مستميتة . اريد ان يعرف الجميع ذلك . وانا لهذا السبب ملزم على ان اقص عليك . . .

اشعل سيكارة ، وشرب شيئا من الماء ، وتابع قوله :

— وبعد ذلك جلبوا ابنى فاليريو . فعروه ايضا ، والاصح ، لم يعروه ، بل نزعوا عنه قميصه ، وكان هدية منى له ، وكان فخورا جدا بقميصه الكاكى هذا المخاط من سترة زوجتى . صرخ صراخا قويا ، ومد اليّ ذراعيه قائلا : «بابا ، انقذنى ! انقذنى ، يا بابا !» .

راح الاسقف فرناندس يلعن السفاحين ، وعندئذ افرغ فيه احد رجال الكوماندوس صلية من بندقيته الاوتوماتيكية . بينما ضرب رجل آخر فاليريو باخمص بندقيته ، وسكب عليه البنزين – بعد ان كان بلا نفس ، – وطوى ركبته ، واوقد قداحته .

سمع هوليو صوت الصلية ، فاندفع الى القرية . وآخر ما اتذكره بندقية اوتوماتيكية مصوبة الى بطنى . كان رجل الكوماندوس يدغدغنى بها ، ويمررها على جلدى ، كنصل من العشب ، ويردد طوال الوقت : «هيا ، اضحك ، اضحك ، يا جورج ، فان لك ضحكة مرحة ، يا بو نظارة» . ثمضغط على الزناد ، ولم افق على نفسى الا بعد شهرين ، فى المستشفى . وبعد ثلاثة اشهر دخل رجال المقاومة ناغونيا . لهذا السبب ترانى استدير ببطء ، وامشى بهذه

الصعوبة . خسارة ، بالطبع ، ان يكون الرجل عاجزا وهو فى سن السادسة والثلاثين . ولكننى احسن الرمى ، كما كنت فى السابق ، والقلم يطيعنى كما كان فى السابق .

ابتسم بطيبة ابتسامة مريرة معوجة قليلا ، ابتسامة انسان عرف الموت ، ثم ختم كلامه قائلا :

– انا مستعد للاجابة عن كل اسئلتك المتعلقه بالوضع فى البلاد . سوى أننا سنؤجل ذلك الى الاسبوع القادم . فأنا الآن ساسافر الى الحدود بالطائرة . جلب اوهانو الى هناك جميع رجال عصاباته ، فالآن ستُحل مسألة تتعلق بكيان دولتنا ، اى قضية المستقبل ، فى ميدان القتال . يبدو لى ان ما من قوة تستطيع ان تمنع ماريو اوهانو الذى تقف وراءه وكالة المخابرات المركزية وبكين من مهاجمة وطننا . يبدو لى ايضا انه من المستحيل الوصول الى النهاية بالطريقة البرلمانية . ومع ذلك ، فأنا مستعد للتفاوض معه ، ومرة اخرى ، بلا سلاح . سأذهب الى التفاوض معه بهدوء ، لانه فى استطاعته ان يقتلنى انا وحدى ، وهذا ليس بالشىء الرهيب . سأموت من اجل الوطن . اعذرنى على الحماس ، ولكننى لا اتحدث الا بما اشعر به ، فكل كلمة اخرى ستبدو زائفة .

دميترى ستيبانوف – المراسل الخاص
من ناغونيا تلفونيا .

الى المحرر : ارجو عدم تعريض المادة للحذف . لا حاجة الى «الاشفاق» على القارئ بتحاشى وصف الفظاعة التى عاناها غريسو . افضل الا ينشر اى شىء على ان ينشر مائة سطر مشذب مهذب . ساغادر الى الوطن فى السبت القادم . السلام للجميع . د . س .»

. . . قرأ السفير ريبورتاج ستيبانوف ، وسأله :

– هل من المعقول ان يدا سترتفع لحذفه ؟

– واى حذف ، يا الكسندر الكسييفيتش .

– بم تفسر ذلك ؟

– بطبعنا . بالنعومة ، ربما ، والادق ، بالمجاملة ، وهى احيانا اسوأ من السرقة . . . هل شاهدت البرامج التلفزيونية ضد المدمنين على الخمور ؟

– لم يتسن لى ذلك ، يا دميترى يوريفيتش .

– انصحك بان تشاهدها . بدلا من ان يعدوا للشاشة قصة ليباتوف «الفأر الرمادى» ، وهى قصة تحكى كيف تحطمت موهبة ، او تصوير فيلم يعرض كيف مات مودست موسورغسكى ، نعرض منوما مغناطيسيا على الشاشة ، وينتظر المتفرجون الاعيب السحر ، وما من الاعيب . انه ينوم المدمنين على الخمور فى عيادة طبية ، ومع ذلك فهل هو ينومهم حقا ؟ لا ندرى ، ما نزال نحتاج الى برهان . و«لا» القاسية هنا افضل من «ربما» المائعة . . .

– حيرة . . . الدعاية هى احد اشكال السياسة . والقسوة هنا شىء خطير .

– هل تقصد السياسة الخارجية ؟ انا موافق . ولكننى اتحدث عن المبدأ ، عما يحذفونه وما يخشونه . طيب ، غلبتنى الشكوى قليلا ، وكفى . ما المتوقع ، يا الكسندر الكسييفيتش ؟

– اخشى ان يكون غريسو على حق . فان اوهانو لن يقدم على المفاوضات ، اذ ليس له ما يقدمه . فهو عميل ، صنيعة . لا ينتظر منه غير شىء واحد : اثارة الفتنة . ولب الموضوع كله : متى ؟ فلو ان لغريسو نصف عام على الاقل كفسحة من الوقت فلا خوف من اوهانو ولا من عشرة من امثال اوهانو . . . موضوع موجع ، على ما يبدو ، قلة الوقت هذه ، لا بالنسبة لهذا الرجل ، بل بالنسبة للبلاد . . . ومع ذلك فأنا لا افهم الامريكان مهما حاولت . اعتقد انهم يرتكبون حماقة مع اوهانو . هم ، هنا ، يتصرفون كمحللين ، بالشكل المحض . «المثلث شكل ذو ثلاث زوايا» وهذا كل شىء . ولكن هذا درجة واطئة من التفكير ، ولا افق له . والتفكير التركيبى يختلف عن هذا التفكير ، التحليلى ، بأنه يدخل بالتأكيد وصفاما ، ولو مجردا من صيغة مفهوم الموضوع ، الا انه ، مع ذلك ، يساعد على فهم الموضوع بشكل أوسع ، ومقدما : «المستقيم هو اقصر خط بين نقطتين» . . . بدون هذه الابجدية الفلسفية فانهم سيرتكبون حماقة . عليهم ان يفكروا اوسع ، حقا ؟ ! عندئذ لن يحصل نزاع هنا . وعلى هذا فان ريبورتاجك قد استهدف التركيب العزيز على قلبى . وانت تساعد على فهم السبب الذى يدفع الناس المحليين الى صمود مستميت . اما القول بالبداهة فلا يعنى شيئا فى عصرنا .

ان الذى سينتصر هو من يقدم معلومات افضل . والمعلومات يجب ان لا تخرج من العقل فقط ، بل ومن القلب ايضا . . . متى تنوى السفر الى موسكو ؟

– يوم السبت ، يا الكسندر الكسييفيتش . . . ولكن ليس لفترة طويلة . سأنهي اشغالى خلال ثلاثة او اربعة ايام .

– وستلتقى بالمحرر ؟

– بالتاكيد .

– بلغه تحيتى . سأحبر له رسالة صغيرة ، تأييدا لك ، يا دميترى يوريفيتش .

«سرى جدا .
موسكو ، الكرملين .

ترجو حكومة ناغونيا تقديم مساعدة اقتصادية عاجلة . نحن محاطون بدول فيها تكتلات ضالعة مع الصين وامريكا اعلنت الحصار الاقتصادى علانية . يوجد خطر عدوان عسكرى مباشر . اذا لم نتلق معونة سوفييتية فان مصير ثورتنا مقضي عليه .

جورج غريسو – رئيس الوزراء» .

«سرى للغاية .
موسكو .

بعد اطلاعى على الوضع فى الموقع ارى ان المستشارين الثلاثة الذين جاءوا معى لا يتمكنون من تقديم المساعدة الفعالة ، لان الاستعمار خلّف هنا تركة من القفر الثقافى التام . اذ من الناحية العملية لا يوجد فى ناغونيا مهندسون ، ولا اطباء ، ومهندسون زراعيون ، ودعكم عن الضباط . وتحرشات الرجعية فى كل مكان ، وفى كل ساعة . واذا كنا ننوى تقديم المساعدة لبلاد اربعون بالمائة من سكانها مرضى بالسل ، وسبعون بالمائة بالتراخوما ، وثمانية وتسعون بالمائة اميون فمن الضرورى ان يوفد الى هنا عاجلا ، ثلثمائة او خمسمائة ، على اقل تقدير ، من المستشارين لا يلازمون سفارتنا ، بل يعملون فى الميناء ، ويعلّمون تشغيل الجرارات ، ويقدمون المعونة فى تنظيم الاعانة الطبية . لا توجد اماكن لاسكان

المستشارين ، لان اصحاب الفنادق السابقين خربوا جميع المجارى ، والكهرباء معطلة ، وخزانات البنزين خالية .

اليشين

سفير الاتحاد السوفييتى فى ناغونيا» .

«سرى للغاية .

بكين .

الروس بدأوا بنقل المستشارين الى ناغونيا . بناء على توصيتنا طلب الجنرال ماريو اوهانو مساعدة عسكرية من سفارة الولايات المتحدة فى لويسبورغ مباشرة. العمل جار فى التهيئة لقيام الحمّالين بمقاطعة تفريغ الارساليات السوفييتية ، والظاهر انه سيأتى بنتائج ملموسة فى غضون الاسابيع القريبة القادمة . نحتاج الى ثلثمائة الف دولار لمساندة ابابا الموالى لنا وهو عقيد فى القوة الجوية لناغونيا .

سفير جمهورية الصين الشعبية فى ناغونيا
دو لين» .

«وكالة المخابرات المركزية للولايات المتحدة الامريكية .

الاستعدادات لعملية «المشعل» قد تمت عمليا . ومع ذلك من الممكن الافتراض ، حسب معلومات واردة من مصادر موثوقة ، بأن انشاء التشكيلات العسكرية لناغونيا سيتم قبل العملية المعنية بوقت كبير . ومن الممكن فى هذه الحالة ستجابه العملية ، لدى القيام بها ، عددا من المصاعب ذات الطابع التنظيمى ، من مثل : ضرورة مظليينا ، واشراك الوحدات الخاصة . كما ان مصادرنا تتوقع ان يقدم الروس لناغونيا فى اقرب وقت دفعة كبيرة من سيارات الشحن ، والآلات الزراعية ، مما يؤثر بشكل محسوس فى امكانيتنا دعم حالة عدم الاستقرار الاقتصادى هناك . واستنادا الى الاهمية الاستراتيجية لعملية «المشعل» أرى من المفيد الاستفسار من العميل «لبيب» عن نطاق الارساليات الروسية المقبلة ، مما يتيح لنا التحديد بدقة طابع عمليتنا ، وموعد تنفيذها .

روبرت لورنس عميل ومم المقيم فى
لويسبورغ» .

من خطاب السفير الامريكى للمهمات الخاصة :

العدالة الاجتماعية والديموقراطية والقانون والنظام هى وحدها ما يسعى اليه اولئك الوطنيون فى ناغونيا بزعامة الجنرال اوهانو ، الذين يتعرضون للمعاملة غير الانسانية من طرف حكومة غريسو . ان بلادى لم تتدخل قط ، ولا تنوى التدخل فى الشؤون الداخلية للدول الاخرى ، ومع ذلك فلا يسعنى الا ان اقول من هذا المنبر الرفيع ان الرأى العام فى الولايات المتحدة الامريكية يتابع بانتباه تطور الاحداث فى هذا البلد الافريقى . وفى الوقت ذاته لا اساس من الصحة مطلقا للشائعات الرائجة فى صحافة اقطار الكتلة السوفييتية الزاعمة بأن للولايات المتحدة الامريكية اتصالات مع بكين للقيام بعمل تخريبى ضد حكومة ناغونيا الحالية ، انها اختلاق كاذب . . .

وتيرة

٤٥٢٢٥ ٦٦١٦٧ ٨٥٤٤١ ٩٦٥٥١ ٨١٧١٣ . . .

ابتسم قسطنطينوف لبانوف من قسم فك الشفرة ، قد وضع جدول الارقام امامه .

– كم مرة ارسلوها اليه فى هذا الشهر بالمجموع ؟

– مرات لا تصدق كليا وانها المرة الرابعة . ولكن لماذا «اليه» وبهذه الحتمية ؟ ربما «اليها» ؟

– خسارة لوكانت «اليها» . على كل حال الجزاء واحد . ولكن هناك الكثير من النبرات الرجولية فى هذه الارقام . الا تلاحظ ؟

– «نبرات رجولية فى الارقام» . تعريف ممتع . وهو دقيق ، بالمناسبة ، ايها الرفيق الجنرال .

– اذن ، فانت تعتقد ان هذه البرقيات اللاسلكية لا يمكن ان تفك رموزها الا بشفرتها ؟

– هاك ، انظر .

ووضع بانوف الورقة التى رسمت عليها نقاط وارقام وشرطات غامضة .

– تشبه المستقبلين الايطاليين الاوائل – قال قسطنطينوف

ناهضا وتوجه الى مكتبه . اليوم كان يقوم بالخفارة فى دائرة مكافحة التجسس . يوم السبت ، من الممكن الاشتغال فى الاوراق ، وانجاز كل ما تراكم خلال الاسبوع .

كانت على الطاولة فى مكتبه آخر برقية مرسلة من ناغونيا موضوعة فى ملف احمر ، تعلن ان خبيرين سوفييتين قد اصيبا اليوم ليلا بنيران الانفصاليين من جماعة اوهانو ، وارسلا الى المستشفى فى حالة خطيرة .

كما كان هناك ملف ازرق للوثائق ذات الاهمية الخاصة ، وفيه رسالة من السفارة السوفييتية فى ناغونيا .

سلافين

كرر ستيبانوف باقتناع :

– القتال يمكن ان يندلع فى اقرب وقت . وسيكون رهيبا

سأل سلافين :

– تظن ان اوهانو سيقدم دون تبصر بالعواقب ؟

– لا يوجد مخرج آخر له ، يا فيتالى .

– ولكنه يوجد لاسياده .

– وهل انت واثق من انهم يستطيعون السيطرة عليه حتى النهاية ؟

– بالتأكيد.

– اما أنا فلا .

– والسبب ؟

– فى عام ثلاثة وثلاثين كان طواغيت المال يؤمنون بأنهم سيستطيعون السيطرة على الفوهرر . فبماذا انتهى الامر ؟ ان اوهانو هتلر افريقى .

– كان لهتلر فولاذ ونحاس وفحم . فماذا عند اوهانو ؟

– ناغونيا نقطة رئيسية فى جنوب افريقيا . واذا اطيح بغريسو فسيضطر الاسياد الى التزلف الى هذا الوغد .

– ولماذا تعجلت الاقلاع من هناك بهذا الشكل ؟

– لاقدم فيلما ، واذا كانت هناك تعديلات وجب اجراؤها بعجالة حتى لا اؤخر معمل طبع الافلام . . .
– خرج من بين يديك فيلم ؟
– نعم ، كما اظن . وبعد غد سأطير عائدا .
– احسدك .
– قال «استاذ المواقف المتأزمة» – قال ستيبانوف بضحكة ساخرة ، والقى جسمه على ظهر الكرسى .
كان الجو هنا ، فى دار الادباء ، صاخبا ، لاول مرة فى هذه السنة قدمت «الاكروشكا» * . واشاع بعضهم ان ادارة المطعم عقدت اتفاقا مع «دار الصحفيين» وسيجرى من الآن فصاعدا ، بمساعدتها ، جلب السراطين وبيرة البراميل الجيدة ، ولهذا فقد كانت الحيوية بين المترددين باستمرار ، ملحوظة بشكل خاص ، شرهة ، اذا صح ان يقال .
– لم يعقدوا اتفاقا – قال ستيبانوف مغضنا قسمات وجهه ، وقدم السلاطة لسلافين – لن يقدموا بيرة «بيلزن» ، ولا سراطين روستوف . فى الحياة يجب الاستمتاع بما بين يديك .
– لهجة المناكدة اياها ؟
– لا ، بل ابحث عن الحقيقة .
نصحه سلافين قائلا :
– التزم بالزهد . الزهد مفيد جدا للرجل المبدع .
– اهوه – وضحك ستيبانوف بتهكم ، وصب الفودكا فى الاقداح – الزهد هو تحديد النفس ، وكل تحديد ، حتى ولو كان باسم الحرية ، هو شكل من اشكال العبودية .
– لا يمكنك ان تغلب انجلز بالجدل ، يا ميتيا : الحرية هى معرفة الضرورة . مصبوبة بالبرنز ، فلا تمسها ، يا عزيزى . . .
– اما تزال تأخذنى مأخذ الجد ؟
– كفّ عن كتابة الكتب ، وساعتبرك متبطلا اعتياديا من جلاّس الموائد . . .
– لا اعدك . الكف عن الكتابة يعنى الموت ، بينما انا احب الحياة كثيرا .

* حساء بارد من الكفاس والسجق والخيار المقطع . **المعرب** .

– اسمع ، ماذا لو طلبت قدحا من النبيذ ؟
– ولكن هذه فودكا انها احسن .
– انا افهم ذلك عقليا ، يا ميتيا ، سوى ان جسمى لا يتقبل . انا لا اشرب الفودكا الا بحكم الضرورة التى تفرضها الخدمة .
– هل أنت منافق انضباطى ؟
ضحك سلافين ضحكة ساخرة مقتضبة .
– لا ، مطلقا . انا لاعب تنس ، يا ميتيا ، لاعب تنس .
– اسمع ، يا فيتالى ، هل من الممكن اغاظتك ؟
– غير ممكن .
– ابداً ؟
– ابداً .
– انت رجل واثق بنفسك .
– واثق ، هذا ما كنت سأقوله ، يا ميتيا ، واثق . اما ما يخص التحديد والحرية ، فقد قرأت مفهوما حاذقا جدا للفيلسوف المثير للفضول بونالد * ان الانسان غير حر من الولادة ، كما يؤكد ، والذنب فى ذلك على الطبيعة لانها هى محددنا الرئيسي . والانسان لا يستطيع ان يكون حرا الا فى حالة بذل الجهود القصوى فى هذا المجال . اليس صحيحا ؟ ولكن هناك استنتاجا ممتعا : كن نشيطا ، وعندئذ تستطيع ان تدخل فى شركة تجارية او انشائية ، وتصير حرا بفضل تلك الحقوق التى احرزتها هذه الشركة . كن امينا لشركتك وستجمع ثروة . كن تقيا وستساعدك الكنيسة على كل الاصعدة . واذا صرت غنيا او تقيا ، فستصير من النبلاء ، وذلك يعطيك امتيازات رفيعة .
– مخطط رائع . موضوع للوصوليين .
– انت عملى زاحف ، يا ميتيا . انا لا اعرف لماذا يقرأ الشغيلة كتبك . انت لم تسمعنى حتى النهاية .
– ليس انت ، ولكن بونالد .

* بونالد (١٧٥٤ – ١٨٤٠) – شخصية سياسية فرنسية ، وكاتب اجتماعى وفيلسوف مثالى . **الناشر** .

– الجديد هو قديم جيد منسي . واذا كنت قد استطعت تذكر هذا ، فمعناه بالضبط اننى اعدت للمعاصر قديما منسيا . تلك هى المشاركة فى التاليف .

– شاطر !

– وهكذا . . . حوّل بونالد مخططه تحويلا رائعا . ان اكليل الحرية ، اى النبالة ، ما هو الا حاجز وقائى من المجتمع الذى حلم بونالد بانشائه . وما دمت نبيلا ، فمعنى ذلك ان المعدن سريع الزوال يجب ان لا يهمك من الآن فصاعدا . وتضع النبالة حاجزا امام عامى نشيط فى تعطشه للثراء الدائم . وبدون هذا الحاجز يمكن ان تنشأ بلوتوقراطية * . فان لقب النبيل ، كوسام على جمع الثروة ، يلزم صاحب اللقب تحديد نفسه . فان النبالة هى آخر حد للثراء . وبعد احراز النبالة يجب ان يُنظر الى الثروة كهدف . هل تفهم ؟ وكان بونالد يخوّف المجتمع بطريقة ظريفة : «اذا قضيتم على النبالة ، فان سعى العامى النشيط الى الثروة لن يكون له هدف ، ولا حدود . ستكون الثروة بحد ذاتها هى الهدف . وعندئذ ستظهر الارستقراطية . الارستقراطية ، لا النبالة» .

اصغى ستيبانوف باهتمام ، بل وحتى دفع عنه صحن «الاوكروشكا» .

– ولكن كُلْ ، يا ميتيا ، كُلْ – وتنهد سلافين – يجب ان تكون للاديب شهية الذئب .

– اذا كانت للاديب شهية الذئب ، فمعنى ذلك انه يعمل فى مكتب للدعاية ، ويقرأ اشعاره وقصصه ، وترك الكتابة . عندما كنت فى اسبانيا قلت لزملائى ان الكاتب عندنا يتقاضى اجرا على كل كلمة يلقيها ، ويوفد فى سفرات ابداعية ، ويعطى تذاكر للاقامة فى دور الابداع مجانا ، فلم يصدقونى . قائلين : «الاحمر يقوم بدعاية ، هذا غير ممكن» . . . يعنى . . . يجب ان يعانى الكاتب من القرحة ، يا فيتالى ، ويتعذب من ضعف القلب والبواسير ، عندئذ فقط يستطيع ان يقدر فرحة الابداع الشاقة .

– قبل مدة قصيرة تحدثت مع رسام ، شاب غاية فى الامتاع ،

* سلطة اصحاب الثراء . **المعرب** .

حانق ، يحطم كل شيء ، مثل فيل فى حانوت . انه مجدد لوحات . يعمل على الايقونات . . . وكان قد اهدى لى رسم ايقونة فى عيد ميلادى ، وكان يجب ان يجدد . وجاء الرسام ، ونظر ، وتنهد ، واخذه معه ، وجدده تجديدا رائعا . فشكرت ، وقلت له لماذا لا تشتغل فى رسوم الايقونات ، توقف شعر رأسه كالقنفذ ، وقال : «لا وجود لرسم الايقونات بدون ايمان» . فما رأيك فى هذه النغمة ؟

– ان مجدد اللوحات هذا يتكلم هراء . رسم الايقونات هو انبعاثنا . كان لنا رسم عظيم ، هو الايقونات . ويجب ان ينظر اليه كفن قومى . الايمان هنا ، كما يبدو لى ، قد لعب دورا ثانويا . فى ذلك العهد كانت الفكرة القومية روح الفنانين ، لاننا كنا نعيش تحت النير . وبهذه المناسبة ، من هنا جاء الدور الخاص للاديرة الروسية . كانت تتميز عن اديرة الاقطار الاخرى بدورها الاستثنائى فى الحفاظ على الثقافة القومية .

– لا تهبط الى الصوفية القومية ، يا ميتيا – وضحك سلافين ضحكة ساخرة مرة اخرى . – اسمع ، مَنْ هذه المرأة ؟

التفت ستيبانوف – كانت فتاة طويلة واسعة العينين تقف قرب منضدة البار ، وترشف القهوة من قدح صغير مزين باحرف مذهبة ثلاثة «دما» * .

– لا اعرف .

– جميلة ، ها ؟

– جدا .

– كم عمرها ، كما تظن ؟

– الشبان الآن لا تحزر اعمارهم . نحن ، اهل الخمسين ، نبدو فى الحال : الكرش ، والصلعة ، والتعب فى العينين ، اما هؤلاء . . .

– تحسدهم ؟

– نعم .

– اما انا فلا . انا فخور بعمرى . ان تعيش نصف قرن ، بمثابة ان تحصل على وسام ، حقا . . . طيب ، ما الفرق بين اديرتنا والاديرة الاخرى ؟

* تعنى الدار المركزية للادباء . **المعرب** .

– الرحابة . فى ايطاليا يفصل الدير عن الآخر خمسون كيلومترا كحد اقصى . اما اديرتنا فمفصولة بعضها عن بعض بالف كيلومتر ، ولكنها حفظت فى داخلها بذرة الفكرة القومية ، وضع الروح الهادئ .

– كنت تحصل فى الماركسية على درجة ممتاز دائما ؟

– دائما .

– انا ايضا ، ولكننى لا اوافقك .

– ولم ؟

– الوضع شىء مبهم جدا . وضع اية طبقة ؟ او هو وضع اقليم ؟ او جيش ؟ او موظفين ؟ او فلاحين ؟ لا يجوز ان تطيّب كل شىء بنكهة واحدة .ان الفكرة القومية الموحدة هى دائما فى خدمة فئة ، يا ميتيا ، الفئة السائدة .

– نحن نعود ثانية الى مشكلة الزهد . ان السيطرة ، او بالعبارة الاخرى ، التحديد الملازم لمفهوم المجتمع هو بمثابة الضامن لكيان الدولة .

– وهل انا اناقش فى ذلك ؟ اسأل فقط : اية دولة ؟ الملكية سقطت ، وانا لا اعنى عندنا فقط ، بسبب ضعفها ، رغم انها كانت ايضا نظام دولة . لقد ولدت حريتنا على انقاض فكرة الدولة القديمة المستندة الى روح الاستثناء القومى . نعم ، نعم ، هذا بالذات ! كانت الاقوام الاخرى تعاب فى كل شىء . انت تقول : ان رسم الايقونات هو نتيجة الطمأنينة التامة ، ووضوح الهدف . كان ذلك عهد ازمة ، حين كان هناك غزو تترى ، ولكن ذرى الفن – لاحظ بنفسك – وليدة وضع انتقالى طويل . الحرب تولّد فن ملصقات رائعا . والفلسفة لا يمكن ان تولد تحت هدير المدفعية . الحرب هى الرغبة فى البقاء لمواصلة المعركة فى الغد . السلام هو حين يعيش الناس لكى يفكروا . العقل هو اساس التشخّص ، ما دام هو بالذات يخلق الشخصية . ان روسيا فى عهد روبلوف وفيوفان غريك * قدمت للعالم من الشخصيات المتفردة اكثر مما قدمت فى العهود التالية وفى ذلك حل اللغز ، كما يبدو . من المضحك ان تطالب

* رساما الايقونات الروسيان المشهوران عملا فى النصف الثانى من القرن الرابع عشر وبداية القرن الخامس عشر . **الناشر** .

الطبيعة بأن تقسم كل شىء قسمة متساوية . انا انظر الى انتاجنا السينمائى من بعيد . الجميع يطلبون منه الروائع : اطلع ، يا لمقم ! ولكن ذلك شىء مضحك ! عندما كانت السينما فنا جديدا ولد تشابلن ، وايزنشتاين ، وكلير ، والاخوان فاسيليف ، ودوفتشنكو ، وهيشهوك ، ولكنها ، فيما بعد ، صارت واقعا ، والآن اضحت تلفزيونا ، يا ميتيا ! يعنى يجب انتظار التكديس الجديد من النوعيات غير المشهودة ، وعندئذ تتحقق ثورة جديدة فى السينما . ثم : حتى فى البداية قدمت السينما عشرين او ربما ثلاثين من الروائع ، ولكنها الآن صناعة ، سيل ، خطة ! وكيف تطلب من سيل صفات عهد النهضة ؟ يجب الانتحاء ناحية ، والتطلع منها ، وعندئذ ستفهم انه اليوم ايضا يوجد غودار ، وكوراسافا وكرامر ، وفيلليني ، وتاركوفسكى ، وبيتر اوستينوف ، وانتونيونى ، وابولادزه ، واخيرا نيكيتا ميخالكوف . هذا يكفى ! لا ينبغى ذكر المزيد ، هذا سخاء كثير !

– انا لا افهم ما الذى تريد ان تدحضه ؟

– انت لا تستطيع ان تفهم ، لانك مبنى على افكارك الخاصة . اسمع ، من هذا العجوز ؟

– انه العم مينيا ، خفيرنا .

– له وجه المسيح .

– انه هو . بالمناسبة ، كان يلعب فى سباق الخيول .

– اذن ، فلا تيأس انت ايضا . الطريق الى القدسية يمر عبر الاثم . . . هل تدعونى على بوزه ؟

– ادعوك .

ادار ستيبانوف رأسه ، وبحث بعينيه عن النادلة بيلوتشكا . وفى تلك اللحظة اطل المشرف لينظر فى القاعة الصغيرة المرّضبة من الشرفة .

وسأل :

– هل الرفيق سلافين موجود هنا ؟ انه مطلوب على التلفون على عجل .

قال سلافين :

– لا وقت للبوزة . مع السلامة ، يا ميتيا .

نظر قسطنطينوف بمعاناة الى سلافين وهو يدخل ، وقال مؤكدا :

– هل تسبنى لاننى اكتشفتك ؟

– بالطبع .

– لا تغضب ، وهاك اقرأ – ومد قسطنطينوف له رسالة من لويسبورغ – جاءت قبل لحظة .

– اشارة حول النزول الوشيك لسكان الكوكب الآخر فى منطقة هدف عسكرى ؟ – قال سلافين بضحكة ساخرة ، وهو يتناول نظارته – او معلومات عن برود فى الشمس ؟

– انه بلاغ لا اهمية له ، اذا اخذنا بنظر الاعتبار ولعك بالمخططات على النطاق الكوكبى . . .

قرأ سلافين الرسالة سريعا ، ورفع عينيه . تجمع جلد رأسه الاصلع البيضوى غضونا على يافوخه ، وكان هذا يحدث فى اللحظات الحادة ، حين كان يجب اتخاذ قرار فورى .

نظر الى قسطنطينوف متسائلا .

– بصوت مسموع – قال هذا – هاتها ، لاقراها مرة اخرى بصوت مسموع .

لبس قسطنطينوف النظارة ذات الاطار الثقيل ببطء . وصار وجهه – رغم ما فى ذلك من غرابة – اكثر شبابا (عندما منح رتبة جنرال قال القدامى مازحين : «سن الخامسة والاربعين ليست سن جنرال فى الوقت الحاضر ، ما زال صبيا . فى ايامنا فقط كانوا يعطون النجمة فى سن الثلاثين») وبدأ يقرأ :

«فى كانون الاول من العام الماضى ، وفى غرفة فى «هيلتون» لويسبورغ اتفق امريكيان احدهما يدعى جون مع روسى على طريقة العمل مع موسكو ، واعطاء المعلومات عن «جار» ما . للروسى وجه ممتلىء ، ويتحدث بالبرتغالية والانجليزية بشكل جيد ، ابن الكلبة . . . ليكن فى هذه الرسالة حتفى ، ولكن لا اقوى على السكوت بعد الآن» .

نظر قسطنطينوف الى سلافين . كانت ضحكة ترف فى عينيه .

– هيا – ختم قوله – هل لك استعداد للتعليق ، يا فيتالى فسفولودفيتش ؟

– الرسالة من روسى ، هذا واضح .

– اين لمحت هذا الوضوح ؟

– تعبير موفق : ابن الكلبة .

– هل تظن ان وكالة المخابرات المركزية ما كان فى وسعها ان تستشير اللغويين ، اذا كانت تدير لعبة ؟

ضحك سلافين :

– الذين يحضرون لاعادة طبع «المعجم اللغوى» لدال ، يتحاشون الاتصالات . يخافون «اوبخسس» * . فان كل مجلد يساوى ، فى السوق السوداء ، مائة روبل . ولكن دال وحده يثبت التعاريف العلمية لشتائمنا . لا ، ولكن لماذا دبّت بك البهجة بهذا الشكل ؟

– لاننى قررت ان اجازف .

– بم ؟

قرب قسطنطينوف الورقة ، وخط رقم «١» سميكا واحاطه بدائرة ، ورفع عينيه الى سلافين :

– دعنا نبدأ من اول البداية . . . برقيات لاسلكية ترد الى موسكو الى عميل لم يكشف ، ترد غالبا ، وفى المدة الاخيرة غالبا جدا . وفك الشفرة – وهو عمل مفهوم – لا يستجيب لها . وتظل افتراضات بانوف افتراضات ، على الاخص واننا لا نستطيع قراءتها . فمع ذلك اسائل نفسى : اين تقع احمى نقطة فى العالم ؟

– اظنها ناغونيا ، لا ؟

– موافق . وبالتالى ، فاذا لم تكن هذه الرسالة لعبة ، ولا محاولة لاثارة الشبهات حول احد رجالنا العاملين فى لويسبورغ فاننا سنطرح على انفسنا سؤالا آخر : اين اقوى موقع لوكالة المخابرات المركزية فى افريقيا ؟

– فى لويسبورغ بالذات .

– صحيح تماما ، فى لويسبورغ . وكم كيلومترا تبعد لويسبورغ عن حدود ناغونيا ؟

* الكلمة مكونة من الحروف الروسية الاولى ل«قسم مكافحة اختلاس الملكية الاشتراكية ، والمضاربة» . المعرب .

– حوالى سبعين .
– اذن .
وكتب قسطنطينوف رقم «٢» واحاطه ايضا بدائرة اكثر سمكا . وقال :
– والآن دعنا ننظر فى الموقع الثالث . لنفرض ان كل حمى البرقيات المتسارعة من المركز الاوربى لوكالة المخابرات المركزية مرتبطة بتأزم الوضع فى ناغونيا . لنفرض ، حسنا ؟
قال سلافين موافقا :
– لنفرض .
– اذن ، اذا قررنا المجازفة ، وقلنا ان وكالة المخابرات المركزية لا تهتم بلويسبورغ بقدر ما تهتم ب«الجار» ، اى بناغونيا ، فمعنى ذلك انهم يدبرون هناك شيئا جديا للغاية ؟
– انا موافق على هذا النوع من التناول ، رغم اعتقادى بأن هناك مجازفة ، على اية حال .
– طيب ، اتفقنا . لنجازف ونقل ان وكالة المخابرات المركزية تستعد لشىء فى ناغونيا ، ولهذا تلح بالسؤال على عميلها فى موسكو بهذا الشكل . فى الماضى كانت فى ناغونيا صواريخ باليستية ذات رؤوس نووية ، موجهة عليّ وعليك . والآن لا وجود لها هناك . وعلى هذا النحو فان فقدان ناغونيا بالنسبة لحلف «الناتو» ضربة ساحقة . انا اعتقد انهم مستعدون لكل شىء فى سبيل استعادة ناغونيا .
نظر قسطنطينوف الى سلافين بتفرس وتوقع ، وقد اختفت الابتسامة من عينيه .
قال سلافين :
– والآن يجب ان نفكر ماذا يحّضرون فى ناغونيا ؟
– اما انا فافكر الآن فى مستوى عميل وكالة المخابرات المركزية . هل تدرك ما هو مستواه ، اذا كانت وكالة المخابرات المركزية تشغّله بعمليتها على صعيد السياسة الخارجية ؟ انت تدرك بالضبط كل جدية «ضربتهم الافريقية» . محاولة اخرى للنسور لتأليب الامريكان علينا ، واعاقة الانفراج ، وخلق ازمة جديدة ، ووضع العالم على حافة كارثة . مَنْ المنتفع من هذا ؟

الامريكيون ؟ لا . نحن ؟ لا ، على وجه الخصوص . اصحاب الصناعات العسكرية ؟ نعم . وكالة المخابرات المركزية ؟ بلا شك . اذن ، وفقا لصحة هذا الافتراض ، فان صاحب الرسالة من لويسبورغ على حق ؟ يعنى ان وكالة المخابرات المركزية على وشك ان تبدأ عمليتها التالية ؟ يعنى ان وكالة المخابرات المركزية استمالت احد رجالنا فى «هيلتون» ؟ وان هذا الرجل عاد الى موسكو ؟ وله اذن بالوصول الى الوثائق السرية . اين ؟ فى اية وزارة ؟
اخرج قسطنطينوف سيغارا من جيب سترته ، ورفع غلاف السيلفان ، واشعله ببطء واستمتاع ، ومّص نفسا عميقا حلوا مرا ، وانتهى الى القول :
– اذن يجب حل المسألة : على اى شىء نستطيع القبض على الجاسوس ؟ على جمع المعلومات ؟ أم على نقلها ؟ هل هناك شبكة تعمل ؟ ام الجاسوس يعمل بمفرده ؟
– يلزمنا ، على ما يبدو ، ان نبدأ بالتدقيق فى بعض الذين كانوا يعملون فى لويسبورغ ؟
– ولكن اذا افترضنا أنها شبكة وجب ان ندقق ايضا فى الذين يعملون هناك الآن . ثم نمهل كل من ليس له اذن للوصول الى الوثائق السرية جدا . ونركز على الذين يعرفون كثيرا ، هنا وهناك .
– ولكن البرقيات اللاسلكية ترد الى موسكو . يا قسطنطين ايفانوفيتش . فما معنى توجيه البرقيات الى موسكو ، اذا كان عميلهم يقيم فى لويسبورغ ؟
– يعنى انت تستبعد فرضية وجود شبكة ؟ لنفرض ان وكالة المخابرات المركزية تتلقى المعلومات التمهيدية فى لويسبورغ ، ولكنها تطلب من رجلها فى موسكو اثباتها . هل تنفى هذا الاحتمال ؟
– لا – اجاب سلافين فى تفكير – لا انفيه .
رفع قسطنطينوف السماعة ، وادار رقم تلفون الفريق فيدوروف . وقال :
– بيتر غيورغيفيتش ، انا مع سلافين منكبان هنا على برقية لاسلكية جديدة . وعلى رسالة . رسالة تشغل البال . هل نبلغ بها يوم الاثنين أم . . . طيب . نحن فى الانتظار .
ووضع قسطنطينوف السماعة .

— «بغ» سيأتى من البيت الريفى . استدع رجالك ، وسنتهيأ لرفع الاقتراحات . ثم تعال نثير قضية جرمية . اتصل بالمدعى العام . هذا كل شىء فى الوقت الحاضر .

قسطنطينوف

اثناء الفطور نظرت ليدا ، زوجة قسطنطينوف ، الى زوجها بتساؤل ، وبشىء من التكدر – بعد ان تكلم مع سلافين بالتلفون ، وعيَّن وقتا فى حلبة التنس : السابعة والخامسة والاربعين .

لاحظ قسطنطينوف كيف نهضت ليدا من المقعد ، فابتسم لها بحنان ، وبشىء من السخرية ، وبذلك التفاهم منذ البداية بأن «يعطى لكل شىء حقه» والذى يغيظ احيانا ، ولكنه يلزم ، دائما ، ان يعامل احدهما الآخر باحترام ، دون ان ينزلق الى المماحكة المنزلية التى تقتل الحب فى الزواج .

جلبت ليدا القهوة ، وقربت الجبنة لزوجها .

— هل تريد كعكا ؟ عندنا كعك «افسانويه» * . . .

— لا ، على الاطلاق ، كم سعرات حرارية فيه ؟ كثير . وليس لى الحق فى ان اجور عليك بسمنتى المبكرة .

— المبكرة ؟ — وابتسمت — ماذا سيحصل للانسانية ، اذا سيقترب معدل طول العمر من مائتى سنة ؟

اكمل قسطنطينوف شرب القهوة ، ووضع القدح جانبا . فهمت ليدا انه يركز ذهنه الآن ، فان عشرين سنة تعايش فيها انسانا ستجعلك تعرفه ، حتى دون كلماته ، بل مما سلف منه .

كما فهم هو ايضا ، بدوره ، انها ستنهض فى اللحظة التالية ، ولهذا وضع يده على اصابعها ، وقال :

— لم انس . هل ستسجلين ، ام ستتذكرين ؟

— هل من المعقول انك لحقت ان تقرأ ؟

— بالطبع . المسألة ، يا ليدوشا ** ، هى ان المخطوطة لا

* كعك من عجينة الشعير . **المعرب** .

** صيغة التحبب من ليدا . **المعرب** .

تنفع فى شىء . انها ادب ممل ، وكما كان يقول العظماء ، ان لكل ادب الحق فى البقاء ،ما عدا المضجر .

— هذه ابجدية يا كوستيا * ، وقد لجأت اليك لتساعدنى فى ايجاد مبرر للرفض .

— وهل انت على حق فى رفضه ؟

— يعنى ؟ بالطبع ، لى الحق .

— هذا سيىء جدا ، اذا كان «بالطبع» . اعترف اننى اخاف من هذه السلطة غير المحدودة للمحرر . وماذا لو ان صاحبك المؤلف سيشنق نفسه ؟ ام انك لم تفطنى الى عبقرية مؤلف ؟

— ولكننا راجعناها نحن الاثنين .

— انا متذوق . قارئ .

— اصعب مهنة ، بالمناسبة . ثم ان القارئ الحالى اشرف بكثير من بعض النقاد . فهؤلاء يحاولون التخمين ، يثنون على واحد ، ويطيحون بآخر ، ولكن تخمينهم يجرى ليس فى قاعات المطالعة ومكتبات بيع الكتب ، بل . . .

— سيىء جدا .

— كوستيا ، يا عزيزى ، انا اعرف احسن منك كم ذلك سيىء ، ولهذا رجوتك ان تقرأ هذه المخطوطة .

هز قسطنطينوف كتفيه :

— مخطط محدد ، وليس ادبا . مدير سيىء ، ومنظم حزبى جيد . ومبتدع كانوا يقرعونه فى البداية ، وبعد ذلك منحوه وساما ، وسكير وحيد فى الورشة كلها . . . ولم هذا الكذب ؟ لو كان فى كل ورشة سكير واحد ،لاوقدت شموعا فى الكنيسة . ان اية رغبة فى نيل اعجاب الاخرين – ايا كانوا – هى شكل من انعدام النزاهة . وبعد ذلك نتنبه فجأة ،ونرسل الآهات : «من اين ظهر مزوقو الواقع جدد ؟ !» هل من المعقول ان احدا اجبر صاحبك المؤلف على الكذب ؟ يتدافع بكوعيه ، وينسل الى مائدة الادب – لا تجوز المضاربة بهذا الشكل ، حقا . . . ان الادب الحقيقى هو حين يفتح الانسان روحه . واذا كان الامر كذلك ، فان صنعته ستختفى . اما

* صيغة التحبب من قسطنطين . **المعرب** .

هنا فنوع من التجميع الموظـــب : مسرحى ، ومجادل ، ووراو ، وخطيب . ولكل صفة مهنية من هذه لا يمكن ان توضع الا علامة «سيبى» . وفى عصرنا ، عصر تدفق المعلومات ، لا يصح ان يكون المرء ممحورا على ذاته ، فالافكار تشيع فى الهواء ، او يجب ان يكون ممحورا عبقريا على ذاته .

– هل تصفحت مطالعات المتخصصين على مخطوطته ؟

– قرأتها . ولكن ماذا يعنى ؟ ان هؤلاء رعاة الادب قد يكتبون حتى فى الجرائد ، اما الكتاب فسوف يرسل الى معمل الورق ، ولكن حتى هذا لا يخيف جدا . المصيبة انه قد يحصل فجأة هبوط فى الحقيقة الادبية . وذلك يثير قلقا . هذا ما يبدو لى ، على اية حال .

– لو قدمت هذه الخلاصة فسيقولون لى انها توبيخ .

– صحيح . فلِمَ يحول الادب الى برلمان «اسندنى واسندك ، وسيكون ائتلافنا اقوى» . لا حاجة الى هذه الطريقة ، ان ذلك هـو تآكل العملية الادبية من داخلها .

– سيظهر لدي اعداء كثيرون ، اذا وقفت هذا الموقف الحاد .

– وليكن ، يجب ان تدافعى على موقفك . لو كنت انا فى مكانك لما اقدمت على تسوية اتنازل فيها . هل لديك اسئلة اخرى ؟ – وابتسم – شكرا ، انا ذاهب لاخسر مع سلافين .

. . . تأخر سلافين خمس دقائق . كان قسطنطينوف يتدرب عند حائط ، فقال ملاحظا :

– الدقة من آداب الملوك ، يا فيتالى فسفولودوفييتش .

– ولكنى لست ملكا ، يا قسطنطين ايفانوفيتش ، ما انا الا عقيد ، ويمكننى ان اتاخـر . . . اختناق سيارات كان فى شارع كوتوزوفيسكى .

عندما تبادلا جانبى الحلبة ، قال سلافين فى استغراق :

– هلتدرى اية افكار اوحى لى بها هذا الاختناق ؟

– هل تريد ان تلهينى بالكلام عن اللعب فلا احصل على اية نقطة ؟

– بالطبع . ولكننى فكرت ، فى الحقيقة ، كيف تغير سرعة زمننا نفسية الانسان . من قبل كان قسم تنظيم حركة المرور عندنا

يستجيب على الفور لاقل زيادة فى السرعة ، يستجيب كصارع الثيران ، اما الآن فيحثون السواق : «سر !» ، حتى على المنطقة الفاصلة يجعلونه يسير ، فقط الا ينشأ اختناق ، اى ضياع الوقت . يعجبنى هذا كثيرا . وانت ؟

– فى ساعات الزحام يحثونهم ، ولكن حاول ان تزيد السرعة فى النهار . قبضة مصارع الثيران بقيت على حالها . تغيرُ النفسية بعيد بعد السماء السابعة . إلعب ! دورك !

– ألخص اذن ، – واخفى قسطنطينوف النظارة فى جيبه ، واتكأ على ظهر المقعد ، وأجال بصره فى ضباط مكافحة التجسس الذين استدعاهم ، وهم سلافين ، وغميريا ، وتروخين ، وبروسكورين ، وكونوفالوف – سنضطلع بالعمل فى اكتشاف العميل الذى توجه اليه البرقيات اللاسلكية وفق الاتجاهات التالية : اولا : قسم بروسكورين يضع قائمة لكل المنظمات التى لها علاقة بارساليات الآلات الزراعية والادوية ومعدات المحطات الكهربائية الى ناغونيا . ثانيا : مجموعة كونوفالوف تراقب رجال وكالة المخابرات المركزية المكشوفين فى السفارة – جميع اتصالاتهم وخطوط تنقلاتهم يجب ان تحلل فى ضوء المعلومات التى سنتلقاها بعد ان ينفذ البند الاول . ثالثا : يسلم الرفيق سلافين رئاسة قسمه الى غميريا ، ويطير الى لويسبورغ . سيتعين عليه استجلاء الوضع على الحدود مع ناغونيا ، ومقدار قوة اوهانو ، ويكتشف من هو صاحب الرسالة . وبعد ذلك . . .

علّق سلافين قائلا : – اذا يتسنى ذلك .

– وبعد ذلك – تابع قسطنطينوف ، وكأنه لم يسمعه – وفى حالة تيقن سلافين من انه امام رجل مخلص ، وليس مدسوسا سيطلع مكاتبنا المجهول هذا على صور افراد الجالية السوفييتية .

قال سلافين :

– ايجار الغرفة فى هيلتون اربعون دولارا . ويجب ان اقيـــم هناك ، وهناك حتما ، لان مكاتبنا ، كما يبدو لى ، واذا لم يكن فى الامر لعبة ، يعمل فى هيلتون ، وعلى الاكثر فى المقهى او المطعم .

قال قسطنطينوف :

– أظن كفى تفكيرا فرضيا .

قال سلافين :
– اذن ، فالمختبر ايضا يعانى من التفكير الفرضى . فقد ارسل لى العاملون فيه خلاصة فحصهم للرسالة : هناك آثار زيت ، وما زالت هناك رائحة جبنة رخيصة . . .
– وماذا لوكانت الرسالة قد كتبت على مائدة الفطور ؟ – استفسر قسطنطينوف – فى غرفة الفندق ؟
– عندئذ كانت ستعلق فيها رائحة مربى الفرولة – وابتسم سلافين منتصرا – نادرا ما يقدمون جبنة فى الفطور ، ثم لو كانت الطبخة من فعل الاولاد من وكالة المخابرات المركزية لطلبوا «هام اند ايغس» * . الجبنة الرخيصة تقدم فى بارات «مكدونالد» . انها الآن موزعة فى كل انحاء العالم .

. . . وصل قسطنطينوف وسلافين الى مطار شيريميتييفو ليلا . كانت فى الجو رائحة الشيح ، وبدا وكأن الزيزان على وشك ان تبدأ زنزنتها فى الحقول .
سأل قسطنطينوف :
– هل نشرب قهوة ؟
– بكل سرور .
جلسا الى مائدة صغيرة . كان الناس قلائل كانت نادلتان صغيرتان تتحدثان عن ان الوقت ما يزال مبكرا للسفر الى الساحل عند ريغا . امطار . والبحر بارد ، رغم ان الرمل يلحق ان يجف خلال يوم ، وهو ناعم ، رقيق ، ومن الممكن التمشى على البلاج ، واستنشاق رائحة الصنوبر الشذية ، وتلويح البشرة بالشمس هناك افضل من الجنوب ، ويستمر اطول . . .
نظر قسطنطينوف الى سلافين ، وابتسم ، ودنا منه ، وهمس :
– ممتع . سنلعب الآن لعبة تنس . وعلى العموم ، لن يكون هناك مغلوب . كلانا يجب ان يكون غالبا . . .
سأل سلافين :
– هل تسمى برقيات الشفرة المقبلة بالتنس ؟

* لحم خنزير مقدد مع البيض : بالانجليزية «تلفظا» . **المعرب** .

– بالضبط . ولا تغضب ، كما هى عادتك ، اذا لا انصحك فى شىء ما بالحاح .
قال سلافين مدققا :
– تمنعنى ، بصريح القول . ولكننى سازعل ، على اية حال .
وضعت النادلة القهوة امامهما ، وسألت :
– الى اين ستطيران ؟
– الى بلغاريا – اجاب سلافين – البحر صار دافئا هناك .
– ومقابل ذلك الرمل قليل – قالت النادلة – والرمل الدافىء اهم من البحر ، والتدفؤ به يكفى لفصل الشتاء كله ، الدفء يبلى . . . فى العام الماضى استرحت فى رومانيا ، جميل ، بالطبع ، ولكن حالة الرمل ليست على ما يرام ، حصى . . .
نظر قسطنطينوف فى اثرها ، وهزّ رأسه ، وقال فى استغراق :
– الزمن ، على اية حال ، مقولة مذهلة للغاية ، يا فيتالى فسفولودوفيتش . . . هل تحس بالطمأنينة ؟
– رمل البلاج الدافىء ، ورائحة الصنوبر . جميل . ولكن ما علاقة مقولة الزمن هنا ؟ لا أرى رابطة .
– على مهلك ، انا استطيع ان اوضّح ، اذا اردت .
– تفضل .
– قبل ستين عاما كان شيئان غير ممكنين . . . بل واقل من ستين . . . قبل ثلاثين عاما كان مثل هذا لا يصدق : نادلة تسافر الى الخارج للاستجمام ، واللجنة الاستثنائية اداة للانفراج .
– هل تعنى انه قبل ثلاثين عاما كان الامر يتطلب اقتناص قطاع الطرق ، وحد الاسنان على جماعة فلاسوف وبانديرا ؟
– وانت تقول «لا أرى رابطة» . . . لقد قصدت ذلك بالضبط . اما الآن فسلافين يسافر الى لويسبورغ ، ويقتنص جاسوسا يساعد مؤامرة ضد الهدوء ، يقال ان الرمل هناك حار ، ولكن لا يوجد صنوبر ، بل نخيل . . . انا احس بالفخر دائما ، يا فيتالى فسفولودوفيتش ، فقد بدأنا من الصفر ، والآن ، ونحن ندافع عن امننا ، نساعد ناغونيا الصغيرة . . . اذا لا يبدأ الرمى هناك ، فان الهدوء سيظل هناك ، كما فى بدء الخليقة ، والبحر ، والرمل .
كان صوت المذيعة ناعسا ، متعبا قليلا .

— يرجى من المسافرين الى لويسبورغ التوجه لركوب الطائرة . . .

قال سلافين ، وهو ينهض :

— المتحدثة فتاة شقراء فى السابعة والعشرين ، زرقاء العينين ، لها شامة على الخد .

— وفى صوتها طمأنينة — انتهى قسطنطينوف الى القول — رغم ان شامتها على حنكها ، وعيناه خضروان ، بلا شك .

سلافين

كان زميل سلافين فى لويسبورغ شابا فى نحو الخامسة والثلاثين يدعى ايغور فاسيليفيتش ، وقد نطق بلقب عائلته مدورا كالكعكة : «دولوف» .

— على العموم ، لم يتوجه اليّ احد حتى الآن لطلب المعونة — كان دولوف يقص بصوت أغن ، ناظرا من حين لآخر الى يافوخ سلافين المدبب . كانا يسيران على ساحل المحيط ، وكانت الشمس بيضاء متلظية ، وتحرق بلا رافة ، وتزغلل الابصار . — مرة واحدة جاءت زوجة القومندان ، فقد تخيلت انها ملاحقة .

— حين يتخيل المرء يجب ان يرسم علامة الصليب .

— ومع ذلك فقد دققنا فى الامر .

— طيب ، هذا مفهوم ، آمل ان لا يكون دالاس هو الذى كان يتتبعها ؟

فاستفهم دولوف عابسا :

— دالاس ؟

— نعم ، الن دالاس .

وفهم دولوف ، وضحك . وكانت ضحكته طافحة ، مرسلا رأسه قليلا الى الوراء ، كالحسون قبيل ان يصدح . كما ان عينيه كانتا مثل عينى الحسون ايضا ،صغيرتين ثاقبتين سوداوين ، جاحظتين قليلا .

— بخصوص بارامونوف ، كل شىء قد تكشف بعد رحيله الى الوطن .

— تابع دولوف قوله . — جاء استدعاء من المحكمة ، ولكن اثره قد اختفى .

— هل كنت فى المحكمة ؟

— نعم ، فدحرجونى الى تنظيم مرور المنطقة . وهؤلاء لزموا الصمت «لا نعرف شيئا ،و لا نتذكر احدا» .

— وبارامونوف نفسه لم يقل شيئا عن هذا ؟

— لم يقل شيئا لاحد .

— ماذا كان يشتغل ؟

— ميكانيكى الكراج . ميكانيكى ممتاز ، بالمناسبة . ركّب على سيارة «الفولغا» العائدة لزوتوف كاربوراتور «فيات» . وهى الآن تطير كقمر صناعى . تسير بمائة وخمسين كيلومترا همسا .

— كيف ؟ — اندهش سلافين . — لماذا همسا ؟

— اقصد تنطلق بهدوء ، وبدون توتر .

— على كل حال تعبير موفق : همسا — وافقه سلافين . — يعبر بدقة كبيرة عن زيادة السرعة بيسر وبلا اجهاد . مفهوم هذا . وبخصوص جواسيس وكالة المخابرات المركزية هنا ، هل تعرف شيئا ؟ الا يتسللون الى احد من جماعتنا ؟

— يوجد هنا شخص يثير الاهتمام ، هو جون هليب ، تاجر ، اذا صح القول . يتردد عليه زوتوف كثيرا جدا .

— من ؟

— اندريه اندرييفيتش زوتوف ،مهندس فى بناء البواخر ، لقد ذكرته لك . وقد نبهته الى ان من المحتمل ان تكون لهليب ارتباطات برجال المخابرات ، ولكنه اكتفى بأن ضحك ، وقال : «عملك يرى فى كل شخص رجلا من وكالة المخابرات المركزية» .

— محق فى سخريته . وكيف هو كرجل ؟ هل لديك اعتراضات عليه ؟

— لا ، يتكلم على المكشوف ، ويشتم ، ولكننى واثق من انه نظيف .

— وماذا يشتم ؟

— يشتم ما نشتمه جميعا ، والفرق فقط فى مقدار علو الصوت :

نشتم تغافلنا ، الافراط فى التوجس ، والتكاسل ، وتضخم الملاكات ، والبيروقراطية .

– محب الحقيقة ؟

– انت تضع فى هذه الكلمة معنى سلبيا ؟

– وهل هذا ممكن ؟ – قال سلافين مندهشا . – بالمناسبة ، مَنْ يراقب وصول الارساليات الى ناغونيا فى الوقت المحدد ؟

– زوتوف ، هنا ، فى لويسبورغ بواخرنا المتجهة الى ناغونيا تتزود بكل شيء لازم فى رحلتها . ففى ناغونيا لا شيء تقريبا ، فان المستعمرين عمليا فككوا الموانىء .

– هل هو هنا منذ مدة طويلة ؟

– هذه هى السنة الثالثة . وفى الشهور السبعة الاخيرة يعيش لوحده . فقد غادرت زوجته الى موسكو . وقبل فترة قصيرة طار هو ايضا الى موسكو .

– هل لانها لم تتحمل الطقس هنا ؟

– لا ، ليس هذا السبب . . . شيء تحطم بينهما ، على ما يبدو . يقال انها كانت على علاقة عاطفية مع دوبوف ، وهو ، بالمناسبة ، صديق زوتوف ، واقتصادى ايضا ، حائز على درجة مرشح فى العلوم . . .

– حبذا لو نعرف على اية طائرة عاد زوتوف .

– ابسط من البسيط . هناك طائرتان فى الاسبوع . الجمعة ، والثلاثاء .

– ولماذا لاتقول الثلاثاء والجمعة ؟ – استفسر سلافين . كان يحب طرح الاسئلة الاختبارية ، فانها تساعده على فهم رد فعل محدثه . بعضهم تظل تتحدث ساعة معه ، وهو جامد كالخشبة ، والبعض ما ان تنظر اليه ، حتى ترى من عينيه انه فهم .

اجاب دولوف :

– لان الجمعة نقطة اوثق للحساب – ومن بعدها يأتى يوما العطلة الاسبوعية * .

– بالمناسبة ، هل لديكم حلبات تنس ؟

* فى الاتحاد السوفييتى يوجد يومان للعطلة الاسبوعية . **المعرب** .

– فى «هيلتون» .

– فى اى مكان منه ؟ انا لم الاحظ .

– فى القبو . وفيه مكيف هواء . غطاء رائع .

– هل تلعب ؟

– بل انا من المشجعين .

– مَنْ تشجع ؟

– الآن اشجع القنصل البولونى . ومن قبل كنت اشجع زوجة زوتوف . انها لاعبة ماهرة .

– قل لى : هل زوتوف يلتقى بهليب منذ زمان ؟

– منذ زمان . تعارفا بعد حوالى ثلاثة اشهر من وصول زوتوف . نعم ، مرت على تعارفهما سنتان ونصف ، لا اقل . وهليب لا يفوت اى حفلة استقبال من حفلاتنا ، وهو معروف للكثيرين منا .

– هل زوتوف يتكلم بالانجليزية ؟

– وبالاسبانية والبرتغالية . رجل متعلم .

لاحظ سلافين كالمؤكد :

– انه يعجبك .

كان دولوف قد ادرك ان الاستفسار عن زوتوف لم يطرح عرضا ، ومع ذلك فقد دفع رأسه الى الوراء كالحسون ، وثبت فى سلافين عينين كالخرزتين ، واجاب :

– نعم ،انه يعجبنى .

– لطيف انك لم تقل : «ليس لنا اعتراضات عليه» ، شاطر . هل زوتوف يشرب ؟

– لا ، ولكنه يعرف يشرب .

كرر سلافين :

– يعنى يشرب .

– لا ، انه يعرف يشرب – كرر دولوف باصرار . – قد يشرب كثيرا ، ولكنك لن تراه سكران . انه بالطبع ، ليس بالهادئ الوديع ، وانا احكم فقط من خلال تصرفه فى حفلات الاستقبال .

– هل اتخذ عشيقة بعد سفر زوجته ؟

– اظن انهم قد اعطوك معلومات غير صحيحة عنه ، يا فيتالى فسفولودوفيتش .

– لم استق المعلومات عنه الا منك ، يا ايغور . لم اعرف عنه شيئا من قبل . كيف يقضى اوقات فراغه ؟

– يتنقل فى البلاد . وعنده مكتبة طريفة .

– هل من السهل الحصول على كتبنا هنا ؟

– الآن صعب . الجميع ادركوا ان الكتاب الجيد لا يمكـــن الحصول عليه فى موسكو ، فهم لا يشترونه الا من هنا . عنده كتب كثيرة عن الفن ، عن فن الرسم المحلى .

– بالمناسبة ، هل فتح المتحف هنا ؟ وهل يمكن شراء الكتب عن فن رسم افريقيا ؟

– لم يفتح المتحف . والكتب عن رسامى افريقيـا تصدر فى باريس ولندن . الا تريد ان تتحدث معه ؟

– اتحدث بالتأكيد . ولكن ليس رأسا . طيب ؟

– بالطبع انت اكثر بصرا ، يا فيتالى فسفولودوفيتش .

– الآن اسمع ، يا ايغور . . . الم يلتق احد من جماعتنا فى «هيلتون» بمهاجرين روس ؟ ربما طلب احد منهم الفودكا ، مثلا ، او تذكارا ، او اسطوانات . . .

– لا يعمل فى «هيلتون» من البيض غير ستة ، يـــا فيتالى فسفولودوفيتش . والبقية افريقيون . انا اعرف ان الذى يعمل فى «البار» رجل ابيض ، فرنسى ، يدعى جاقوب ، جاسوس ، ابـــن الكلبة . يخدم الجميع ، انه شاب على درجة من الجاذبية لا تصدق ، ثم عندهم رئيس ندل ابيض ايضا ، يدعى ليندون ويليامس . . . ولا اعرف غيرهما ، حقا . . .

– هل انت وهليب تتبادلان التحية فى حفلات الاستقبال ؟

– بالطبع .

– متى ينتظر ان تقام عندنا حفلة كوكتيل او استقبال ؟

– يوم السبت .

– حبذا لو تأكدت من ان الدعوة قد ارسلت الى هليب .

– حسنا ، هل انت ستطلب ذلك ؟

– ولماذا ؟ اقوم بماكنت اقوم به فى الماضى . وصلـت الى هنا ، لاننى كنت مراسلا حربيا فى الجبهة . . . اهتمّ انت بذلك . حسنا ؟ وعرفنى بهليب .

- ولكنه يعرف من انا .

- واى شىء فى ذلك ؟ ممتاز .

– ممتاز ممتاز ، ولكننى اظن انه قد يحدس مهنتك الحالية . ويثيرون ضجة فى الصحف .

– دعهم ، اذن ، لا يتحرشون برجالنا سواء فى الوطن او هنا ، ل الخارج . عندئذ ما كنت سأتى الى هنا – قال سلافين بحدة – هم البادئون ، وهم الذين ينسلون الى القضايا التى تدخل فى صلاحيـة امن الدولة . دعهم لا يتحرشون برجالنا – كرر سلافين – وعندئذ سنظل فى موسكو .

– بهذه الصراحة أوضح له ؟

وابتسم دولوف .

– ولم لا ؟ وما الداعى الى الابهام ؟ فى السرية ايضا يجـــب التزام حد معين .

– لنجرب .

– بالمناسبة ، الم يكـن بارامونوف يحضر حفلات الاستقبال قط ؟

– لا ، يا فيتالى فسفولودوفيتش ، فهو ليس دبلوماسيا . . .

– والمصادفة الا تستثنى ؟

– تستثنى – اجاب دولوف باقتناع ، وتنهد – لا سيما فى نظام حساباتنا ، كل زجاجة محسوبة .

. . . لم تعجب دولوف اسئلة سلافين ، اذا قلنا الحقيقة ، فان الاسئلة المباشرة ، بدون مداورة ، تبدو وكأنها مبرمجة .

ومع ذلك فقد اعجبت سلافين اجوبة دولوف . فقد كان يحـــب الذين يحسنون الدفاع عن وجهة نظرهم ، رغم انه كان من الافضل لدولوف – وهنا يتوقف الامر كثيرا على نبرة الحديث – ان يتوافق مع زائر عابر ، لا سيما من مثل هذه الرتبة والمستوى .

«المركز .

ماذا عرفتم عن بارامونوف ؟ هل اخبر احدا بحقيقـــة احتجاز الشرطة له ؟ واذا اخبر ، فما هو بالضبط ؟ هل توجد فى المركز

معلومات عن المهاجرين الروس فى لويسبورغ ؟ حسب معلوماتي يعيش هنا حوالى اربعين شخصا .

سلافين» .

«الى سلافين .

المعلومات عن المهاجرين الروس ضئيلة جدا ، بالنظر لعدم وجود ناد للمهاجرين فى لويسبورغ . حسب معلومات غير مؤكدة يقيم فى لويسبورغ شخص يدعى خرينوف فيكتور كوزميتش (كيريلوفيتش) من رجال فلاسوف السابقين ، اشترك فى المعركة من اجل فروتسلاف (بريسلاو) . مكان اقامته بالضبط غير معروف ، ومع ذلك ، فحسب معلومات يرجع تاريخها الى ثلاثة اعوام خلت ، كان يستأجر غرفة فى فندق قرب محطة القطار . ومعروف ايضا انه كان يقيم فى كيل فى وقت ما ، ويرتزق بلعب البليارد ، وكان يكنى بـ«الى الوسط من الجانبين» . وبما انه ليس لدينا معلومات عما اذا كان قد انضم الى فلاسوف اختيارا ، ام انه اضطر الى ذلك ، فعليك ان تلتزم الحد الاقصى من الحذر ، اذا اردت تدبير لقاء معه . ليست لدينا معلومات عن ارتباطاته برجال المخابرات ، ولكن من المعروف انه كان يشترك فى اعمال النهب فى كيل .

المركز» .

قسطنطينوف

صفّ بروسكورين امام قسطنطينوف على المكتب الكبير من خشب الجوز الداكن عشر اوراق طبعت عليها اسماء وزارات او مصالح حكومية لها علاقه بالارساليات الى ناغونيا بطريقة او باخرى .

عاين قسطنطينوف الاوراق بسرعة ، وقال بشيء من الانزعاج :

– من الممكن اكثر تاكيدا ؟

هزّ بروسكورين كتفيه :

– قمت بالحذف . الدائرة تتقلص . ولا يبقى غير بضعة اشخاص .

– كم منهم يحق لهم الوصول الى الوثائق السرية ؟

– اثنا عشر .

– هل المعلومات المثبّتة جاهزة ؟

– نعم .

– هل هناك شيء يثير الارتباك ؟

– ليست لى شبهات عن اى واحد منهم .

– شبهات ؟ تساءل قسطنطينوف . – لا يمكن ان تكون شبهات عن الناس السوفييتيين . اما حقائق ، اما لا شيء .

– انطلقت من منطلقاتنا الحالية .

– وبخصوص المنطلقات فهى دائمية . اين المعلومات عن هؤلاء الناس ؟

– تروخين يعيد طبعها .

– متى سيفرغ ؟

– عند فترة الغداء ، على ما اظن .

رفع قسطنطينوف رأسه الى بروسكورين ، وكرر :

– انا اسأل : متى سيفرغ ؟

– فى الساعة الرابعة عشرة تماما .

– شكرا .

رنّ احد التلفونات السبعة . حدس قسطنطينوف اى واحد منها دون ان يخطأ ، ورفع سماعته :

– نعم ، انا سامع . مرحبا . اذن ؟ تعال على الفور .

وضع السماعة ، ونظر الى جهاز التلفون بسهوم ، ثم التفت الى بروسكورين :

– هل مرّ بارامونوف فى قائمتك ؟

– الذى اخبر عنه فيتالى فسفولودوفيتش ؟

– هو بالذات .

– نعم .

– ولكنه غير موجود فى الدائرة المقلّصة ؟

– لا . فانت قلت انهم ، على اكثر الاحتمالات ، يطلبون من العميل معلومات ذات طابع سياسى .

– صحيح . ولكن قد يكون بارامونوف ناقل معلومات . اين يشتغل الآن ؟

– فى مؤسسة «تصليح البواخر الدولى» .
– وظيفته ؟
– مدير كراج السيارات .
– ما هى مهمة «تصليح البواخر الدولى» ؟
– لم اتثبت من ذلك بعد .
– يمكن تقديم جواب تقريبى ، لا ؟
هزّ بروسكورين كتفيه :
– انا متردد . لاننى اعرف موقفك من الاجوبة التقريبية .
– صحيح ، على العموم . حاول ارجوك ان توضح ذلك بسرعة لان المراقبة الخارجية – بعد شفرة سلافين – حصلت على اشارات تثير المخاوف الشديدة حول بارامونوف . سيأتون اليّ مع التقرير . هل تستطيع ان تستوضح خلال ربع ساعة ؟
– ساحاول ، ولكن الافضل خلال نصف ساعة .
– طيب . فى هذه الحال تثبّت ارجوك هل ان بارامونوف يساعد احدا من الرؤساء بتصليح سيارة على صعيد شخصى ، كما يقال . هل غيّر لاحد كاربوراتور ، وابدل لآخر عجلة . مفهوم ؟ التقط سلافين مثلا تفصيليا ، فحلله . خلال نصف ساعة كما اتفقنا .

كان تقرير المراقبة موضوعا بجفاف ، كما يقتضى ، وبدون اية تأثر ، مجرد حقائق .

«ميخائيل ميخائيلوفيتش بارامونوف ، من مواليد ١٩٢٩ ، روسى ، متزوج ، ليس له اقارب فى الخارج ، خرج فى الساعة ١٢,٤٧ من «تصليح البواخر الدولى» ، وتأكد مما حوله ، متظاهرا بشد رباط حذائه ، وانتظر حتى ركب جميع الركاب فى الباص ، وقفز اليه آخرهم ، قبيل ان ينغلق الباب . قطع محطتين ، ونزل ، وتأكد مما حوله ثانية ، متوقفا قرب واجهة حانوت «مياه معدنية» ، وانخطف الى الداخل قبل دقيقة من خروج البائع بيافطة «فترة غداء» . لم يتصل بغير البائع ، وشرب قدح ماء معدنى لا غير . وبعد ان استقل بارامونوف باصا دون تأكد ، عاد الى «تصليح البواخر الدولى» ، وقضى فى الكراج كل الوقت حتى نهاية العمل ، وهو يطلي باللون الفضي سيارة «جيغولى» تحمل رقم الدولة ٢١ – ٧٢» .

رفع قسطنطينوف بصره الى العقيد كونافالوف . وكان هذا كان يتوقع هذه النظرة ، فاخرج من الملف على الفور ورقة اخرى عليها نص طبع دون حواش تقريبا ، وقدمه الى الجنرال صامتا .
استغرق قسطنطينوف فى القراءة :
«تسيزين غريغورى غريغوريفيتش من مواليد ١٩٣٥ البائع فى حانوت «مياه معدنية» العائد لمبيعات المواد الغذائية لحى سفيردلوف ، روسى ، لا حزبى ، متزوج ، له فى الخارج اقارب من جهة الام ، قدم الى المحكمة على تقصيره ، وحكم سنة بأعمال الكدح الاصلاحية فى مكان عمله» .
– اين يقيم اقرباؤه ؟ – استفهم قسطنطينوف ، وهو يظن ان كونوفالوف ما يزال غير قادر على ان يجيب – المهلة قصيرة ، وسأل ذلك بمجرد تهامس ، ومثل هذا النوع من التهامس يدل على الاحترام ، ولا يكدر ابدا .
الا ان كونوفالوف الاشيب ، المدوّر ، المائل الى الامام قليلا ، اخرج الورقة التالية بحركة فقير هندى ، واخذ يقرأ :
– العم ، تسيزين مارك فيدوروفيتش يقيم فى اوتاوا ، ويعمل حمالا فى مجزرة ، والعمة ، تسيزينا مارتا غينريخوفنا عاملة تنظيف فى فندق .
– كيف حط بهما المقام هناك ؟
– بعد الحرب . ساقهما الالمانى * .
ولاحظ قسطنطينوف فى داخله فى الحال : «هذه عبارة مشترك فى الحرب . اما نحن فكنا سنقول غير ذلك : «ساقهما الفاشيون» . وفى هذه الصغيرة اللغوية يكمن معنى هائل» .
– هذه شهادة اخرى ، فارجو ان تتطلع عليها ، ايها الرفيق الجنرال .
– متى لحقت . كان الوقت لا يكفى .
– آه ، يا قسطنطين ايفانوفيتش ، لاجل هذه يدفعوننى الى التقاعد ، ويقولون اننى استحث الشباب اكثر من اللازم .

---

* اثناء الحرب كان الناس السوفييتيون البسطاء يقولون «الالمانى» بالمفرد ، وهم يقصدون الجمع . وفعل ساق يستخدم للماشية . **المعرب** .

– سنطلع الى التقاعد سوية – اعلن قسطنطينوف ، وانصدم فى الجملة الاولى من الشهادة :

«جيغولى» الحاملة رقم الدولة ٢١ – ٧٢ عائدة الى المواطنة فينتر اولغا فيكتوروفنا ، من مواليد ١٩٤٢ ، يهودية ، لا حزبية ، لا اولاد لها ، زوجها زوتوف اندريه اندرييفيتش يعمل فى لويسبورغ» .

نهض قسطنطينوف من مكتبه مندفعا ، وفتح الخزانة الحديدية ، وتصفح الاوراق التى تركها بروسكورين ، ووضع واحدة منها جانبا ، وانكب عليها ، ونفث من سيغار منطفىء ، واشعله ثانية ، ولم يلحظ حتى كيف ان لهب القداحة احرق اوراق التبغ البنية من الجانب الايسر ، وسأل كونوفالوف :

– أليس عندك شيء آخر عن فينتر ؟

– لا قطعا ، ايها الرفيق الجنرال .

– شكرا ، يا تروفيم بافلوفيتش .

– هل تأذن لى بالانصراف ؟

– نعم ، تفضل . سنهتم بفينتر .

وكانت الاسس لذلك : ان اولغا فيكتوروفنا فينتر الباحثة الاقدم فى معهد احوال السوق الخارجية كان مسموحا لها بالوصول الى الوثائق السرية ، المتعلقة ، بوجه خاص ، بالوضع فى ناغونيا ، لان موضوع اطروحتها لنيل درجة مرشح فى العلوم كان مخصصا لتغلغل الاحتكارات المتعددة الجنسيات الى القارة الافريقية .

طلب قسطنطينوف :

– اذا لا يصعب عليك ، حاول ان تستحصل لى اطروحتها .

. . . بعد نصف ساعة عاد بروسكورين .

نظر قسطنطينوف اليه من تحت نظارته .

– مهمة مؤسسة «تصليح البواخر الدولى» هى التفاوض بشأن تصليح بواخرنا التجارية التى تقوم برحلات عالمية . ولها علاقات عمل مع جمهورية المانيا الديموقراطية ، وبريطانيا العظمى ، وجمهورية المانيا الاتحادية ، ويوغوسلافيا ، وفرنسا . ومدير المؤسسة ، يروخين ، لا يملك سيارة لاستعماله الشخصى ، الا ان مساعد المدير ، المسؤول عن الرحلات الافريقية ، شارغين يفغينى

نيكيفوروفيتش يملك سيارة «فولغا» . وبارامونوف يتعهدها شخصيا ، ويقوم بالاجراءات الوقائية ، وقد حصل لها على اطارات مسننة ، على ما يبدو .

– هذا كل شيء ؟

– لا . ليس كل شيء . رغم ان شارغين ليس له سماح فى الوصول الى الوثائق السرية ، الا انه ، مع ذلك ، غالبا ما يتردد على وزارة التجارة الخارجية . فان اخاه شارغين ليوبولد نيكيفوروفيتش مجهز بسماح ، ويشتغل بمشتريات التكنيك ، وقد سافر الى الخارج غير مرة ، وطار الى لويسبورغ ثلاث مرات . وكان من بين المشتركين فى المباحثات جون هليب ، الذى تهتم انت فيه .

– نحن – صحّح له قسطنطينوف – نحن نهتم به ، وانت من بيننا . يجب تشديد المراقبة على بارامونوف ، كما اعتقد . اما تسيزين فيجب ان ندرسه دراسة جيدة . مَنْ يستطيع ان ينشغل به ؟

– اظن ، غريتشايف .

– لماذا ؟

– هل لديك اعتراض على تكليفه بهذا ؟

– لا . دعه ينظر فيه . ولكن ، بالطبع ، باعلى قدر من الدقة .

– حسنا .

– هل اولغا فينتر فى «الدائرة المقلصة» ؟

– نعم . ولكن انوي حذفها ، يا قسطنطين ايفانوفيتش . انها امراة ذربة اللسان ، حادة ، الا انها ، حسب اراء جميع من يعرفونها ، طيبة للغاية .

– وماذا تستطيع ان تقول عن زوجها ؟

– رجالى لم يدرسوا زوجها .

– لعلك تعرف ان زوجها زوتوف . وهو يقيم فى لويسبورغ ، ويشتغل ، بشكل خاص ، فى مسألة الارساليات الى ناغونيا .

– هذه هى القضية . . . يعنى ، شبكة ؟ زوتوف – فينتر – بارامونوف ؟

– زوتوف هناك ،وفينتر المسموح لها بالوصول الى الوثائق

السرية بنفس الموضوع ، هنا ، وبارامونوف ينقـل المعلومات ؟ هكذا تصور لنفسك الشبكة ؟

– نظريا مثل هذه الشبكة جائزة تماما . . . بـل ، ويمكن ان اقول ، ومفصّلة على القد . . . الا ان ستريلتسوف راح يراقـب فينتر ، ويتحدث عنها الى معارفها . والجميع بصوت واحد يؤكدون : انسانة طيبة . هل من المعقول بهذه المهارة يموّه الانسان عـن نفسه ؟ على العموم ، اذا توجد شبكة فلا بد أنها تتظاهر ، ملزمة ، بعبارة ادق . . .

اصغى قسطنطينوف الى بروسكورين باستغراق ، وادار القلم بين اصابعه ، وبعد ذلك سأل :

– أ ماتزال فينتر تذهب الى حلبة التنس كالسابق ؟ لقـد اخبرنا سلافين انها كانت مولعة بالتنس فى لويسبورغ ، وحلبـة التنس مكان ممتاز للالتقاء بمختلف اصناف الناس . . .

– لم نتثبت من التنس ، يا قسطنطين ايفانوفيتش .

– الا تعتبره صعوبة ان تستوضح ذلك ؟ ثم اين تلعب ؟ فى اية جمعية ؟ فى «سبارتاك» ، «نادى الجيش» ، «دينامو» ؟ ومـع من تلعب ؟ هذا مثير للفضول ايضا .

بعد ساعتين ابلغ بروسكورين ان اولغا فينتر تلعب فى ساحات «نادى الجيش» . ومن بين الذين يلاعبونها كان مساعد رئيس دائرة فى وزارة الخارجية ، وجنرال من الدائرة الهندسية ، وموظف مسؤول فى مؤسسة التخطيط للدولة ، وليوبولد شارغين من وزارة التجارة الخارجية .

«الى سلافين .

ابلغنا بكل مـا لديك عن اولغا فينتر ، زوجة زوتوف . الاتصالات ، الاهتمامات ، المسلك الخلقى . استوضح مع مَنْ كانت تلعب التنس ، واين ؟ وهل كان لها ملاعبون دائميون ، واذا كان كذا ، فمن هم بالذات . مَنْ ساعدها فى جمع المواد للاطروحة .

المركز» .

«المركز .

كانت فينتر ، حسب شهادات الذين كانوا يعرفونها ، تبدى اهتماما كبيرا فى التغلغل الامريكى فى القارة الافريقية . كانت تجمع مواد الاطروحة فى مكتبة البرلمان ، وكذلك فى المركز الصحفي لسفارة الولايات المتحدة الامريكية . لم افلح حتى الآن فى ايضاح مَنْ كان يساعدها فى المركز الصحفى . لـم يكن لها فى التنس ملاعبون دائميون . لعبت بضع مرات فى حلبات «هيلتون» مع زوجة القنصل البريطانى كيرولاين تيزل ، وهى فى نحو الثلاثين من العمر ، وابنـة الجنرال هيملورد الذى كان يعمـل فى الاتصالات بين المخابرات الانجليزية – ٦ ووكالة المخابرات المركزية فى اعوام ١٩٤٩ – ١٩٥١ ، كما كانت تلعب مع روبرت لورنس ممثـل «انترنشنال تلفونيك» . يعتبرون ان عودة فينتر الى موسكو لها صلة بتعلقها بدوبوف مرشح العلوم الاقتصادية ، الذى انتهت مدة ايفاده قبل سنة ونصف .

سلافين» .

«الى سلافين .

اثبت اسم روبرت لورنس الكامل ، عمره ، ملامحه ، ما المعروف عن كيرولاين تيزل ؟

المركز» .

«المركز .

تتميز كيرولاين تيزل بالراديكالية ، وتتنكر بحدة للوضع فى الغرب ، وتكتب المقالات فى الصحافة اليسارية عن الافريقيين ، وقد طبعت كراستين عن نظام إيان سميت ، وتعليقا عن العمليات السرية لوكالة المخابرات المركزية فى انكلترا . والدبلوماسيون الغربيون يتحاشونها . وحسب المعلومات المستقاة من مصادر موثوقة لا علاقة لها برجال المخابرات . اما المعلومات عن لورنس ففى سبيـل تجميعها .

سلافين» .

«المركز .

الامريكى روبرت وليم لورنس ، من مواليد ١٩٢٠ ، الذى كان

يلاعب اولغا فينتر فى حلبات «هيلتون» وصل الى لويسبورغ بعد شهر من الاطاحة بالنظام الاستعمارى فى ناغونيا . عمل فى تشيلى بصفة ممثل «انترنشنال تلفونيك» ايضا .

سلافين»

«الى سلافين .

حسب معلوماتنا ، روبرت وليمز بول لورنس ، من مواليد ١٩٢٢ ، متزوج ، له ولدان يسكنان فى نيويورك ، ومن المحتمل انه رئيس شبكة وكالة المخابرات المركزية فى لويسبورغ . استوضح اتصالاته . كم مرة لعب التنس مع فينتر ؟ هل كان احد من رجالنا اثناء اللعب معه ؟ واذا كان ذلك استوضح ما هى الاسئلة التى طرحاها اثناء الحديث ، اذا كان هناك شهودا على ذلك ؟ ما هى علاقتهما ؟

المركز» .

«المركز .

ارجو اعطاء الموافقة على الالتقاء بلورنس .

سلافين» .

«الى سلافين .

امتنع عن الالتقاء بلورنس .

المركز»

«المركز .

ارى من الضرورى الالتقاء بلورنس .

سلافين» .

«الى سلافين .

اكرر : امتنع عن الالتقاء بلورنس . استوضح طابع العلاقة بين لورنس وجون هليب .

المركز» .

«المركز .

هليب ولورنس يسبحان فى الصباح فى حوض «هيلتون» للسباحة . علاقاتهما ودية للغاية . الغرفة التى يقيم فيها لورنس لا يخبرون فى الفندق عن رقمها . الا ان النُدُل يفترضون ان الشقق التى تعمل فيها وكالة المخابرات المركزية موجودة فى الطابق الخامس عشر .

سلافين» .

سلافين

استيقظ ارخيبكين بستانى السفارة السوفييتية مبكرا ، فى نحو الساعة الخامسة . كان يقترب من التقاعد ، ويخدم شهوره الاخيرة فى لويسبورغ ، وبعد الايام ليعود الى الوطن .

كان يخرج الى الحديقة ، قبل ان يصل اى من الدبلوماسيين . كان السفير والقائم باعمال اللذان كان يسكنان فى السفارة ، ما يزالان نائمين . وكان الجو فى المنتزه هادئا ، وكانت الشمس المخترقة لاوراق الاشجار المدببة الحوشية تبدو بلا لون ، ومع ذلك فقد اكتسب العشب لونه الحقيقى ، المتفرد تماما ، المحتمل الوجود هنا فقط ، فى افريقيا .

كان ارخيبكين يعرف ان رجال البوليس الذين يحرسون عند مدخل السفارة سيتبدلون فى الساعة السادسة ، وفى غضون ذلك سيتحدثون طويلا فيما بينهم ، واحيانا يغنون بصوت خفيض ، لا سيما اذا كان اليوم يعد بريح وليس خانقا كثيرا . كان يبدو وكأنهم يتحسسون الجو دون حاجة الى بارومتر .

وصلت سيارة الجيب التابعة للشرطة وقفز من حوضها ثلاثة شبان ، وعدّلوا البندقيات ، وضحكوا لشىء ما ، وبدأوا يتحدثون فيما بينهم بخفوت ، وفى هذه اللحظة بالذات سمع ارخيبكين — فى مكان قريب جدا — صوتا خافتا لاهثا .

— يا رجل ، ساعدنى !

افزعت ارخيبكين غرابة الخطاب ، واللكنة الخفيفة ، حتى انه جلس قرب السياج . تلفت فرأى رجلا كان يحاول ان يبلغ النهاية المدببة — كان سياج السفارة مكونا من قضبان معدنية ، ونهايات

مدببة ، حسب الاسلوب الاستعماري الذي بقي من زمن الاسبان . وكانت صرة صغيرة تتأرجح على نهاية مدببة . ولزيادة ثقل الصرة شُدَّ بها حجر .

– ساعدني !

كرر الرجل بتشنج ، وهو واقف في الشارع ، والتفت الى رجال الشرطة .

والظاهر ان هؤلاء لاحظوه .

سمع ارخيبكين احد الشرطة يصرخ بشيء على الرجـــل وراء السياج ، ثم ركض جميعهم ، وانطلقت سيارة الجيب من مكانها . خلع ارخيبكين الصرة بواسطة مجرفة ، والقاها في الارض السوفييتية . ابتسم الرجل بسعادة ، وانطلق في زقاق ضيق . فرملت سيارة الجيب بصريف . كان الشارع ضيقا كدرب لا تمـر بـه دراجتان هوائيتان الا بصعوبة .

هدرت صلية من بندقية اوتوماتيكية . اختطف ارخيبكين الصرة ، وانطلق نحو مبنى السفارة . هدرت البندقية الاوتوماتيكيـــة مرة اخرى ، وبعدها ساد السكون . . .

اعاد سلافين قراءة ورقة من الصرة :

«وجهت لكم رسالــة عــن تجنيد الامريكان لاحــد اوغادنا في «هيلتون» . وارسلتها في البريد ، فهل وصلت ؟ انني لا اعرف . وهؤلاء الامريكان رأيتهم مرة اخرى في «هيلتون» بينما الوغد قـــد اختفى . طيب ، انا عجوز ، هدَّتني الحرب ، وبعدها ، عانيـــت الكثير ، وتشرَّدت ، وبكيت على مخدات الخوتيلات * ، اما هو فماذا يهمه ؟ بوز شبعان وشباب ؟ واذا لم تصل رسالتي تلك ، فاعلموا ان الامريكان جندوا احد رجالنا» .

سأل دولوف :

– ما هي الرسالة التي ارسلها ؟

– بعد الحرب عمل في المانيا – لاحظ سلافين دون ان يرد على السؤال – والذين عاشوا طويلا في المانيا يكتبون «خوتيل» .

اعترض دولوف قائلا :

* الفنادق . المعرب .

– والاوكرانيون ايضا يقولون «خوتيل» .

– صحيح ، ولكن الروس الذين امضوا وقتا في المانيا ، يقولون ذلك جميعا . عملت مع الاشخاص المتنقلين في نهاية الحرب ولذلك اعرف . طيب ، اين البستاني ؟

دخل ارخيبكين المكتب من جَنَبٍ ، وتوقف عند الباب ، وهمَّ ، كما بدا لسلافين – ان يضرب كعبا بكعب .

وفكر سلافين : «من صنف الرقباء ، على ما يبدو . كان مساعد رئيس حضيرة ، بالتأكيد» .

قال سلافين :

– اجلس ، يا اوليغ كاربوفيتش . هل نشرب شايا ؟

– شكرا ، الشاي لا يرفض . قال دولوف :

– انـــه من مدينـة ايفانوفو . واهـــل ايفانوفو ولوعون بالشاي . . .

– سمعـــت ان الولوعين بالشاي الرئيسيين يعيشون في شويا – قال سلافين – ام ذلك غير صحيح ، يا اوليغ كاربوفيتش ؟

– اهل شويا يشربون اكثر من اهل ايفانوفو . عشرة او خمسة عشر قدحا بلا توقف . . .

– هل معقول ؟ خمسة عشر قدحا ! هل هذا ممكن ؟ !

– انصب السماور ، وسأريك – وابتسم ارخيبكين اخيرا ، والتوتر الذي اطل منه في بداية الحديث فقد حدته .

– هل يتميز اهل شويا عن اهل ايفانوفو بشيء ؟ – ساق سلافين الحديث الى الجهة التي يريدها – ام انكم جميعا متشابهون ؟ انا ، مثلا ، اميز بسهولة اهل ريازان عن اهل كورسك .

– هذا مفهوم – وافقه ارخيبكين – الكورسكي جنوبي لعينيه لمعة سوداء ، اما الريازاني ابو الكرش المائل ، فهو اقرب منا ، في شعره شقرة . . .

– والرجل الذي رمى الصرة ، من اية محافظة ، في رأيك ؟

– لم اتبينه بوضوح .

– اسود العينين ؟

– وحـق الرب ، لـــم اتبين ، لا سيما حين بدأوا الضرب .

وذاكرتى ، قد بهتت تماما . لا توجد حرب ، وهؤلاء يرمون ببنادقهم كما فى ذاك الزمن ، من على مستوى بطونهم .

– هل رأيت الشرطة يطلقون النار حاملى البنادق على مستوى البطن ؟

– ربما لم ار ، ربما هذا ما تراءى لى . . .

– لنخرج الى المنتزه ، ونقف فى المكان الذى حدث فيه كل شىء ، ونتذكر ، ها ؟

– لنذهب – وافق ارخيبكين ، بعد ان نظر الى دولوف فى هيئة معذب – سوى اننى لا اتذكر اى شىء ، بل تخدرت من الخوف ، كما قلت .

. . . فى المنتزه توقف ارخيبكين فى المكان الذى القى فيه المجهول الصرة ، واومأ برأسه الى النهاية المدببة :

– علّقها هنا .

تقدّم سلافين من السياج . لاح زقاق ضيق يمتد فى سفح مرتفع . سأل سلافين :

– عندما بدأوا الرمى هل ركض بشكل متعرج ؟

– لا ، انه سار بتعرج ، حين قفز الى الدراجة الهوائية .

– ها ، كانت معه دراجة ؟

– نعم ، نعم . مركونة على الحائط . نسائية .

– الزقاق يصب فى شارع . . . فالى اين انعطف ، الى اليسار ام الى اليمين ؟

– من الواضح الى اليسار ، والطريق ينحدر هناك ، والهروب سهل .

– الى اين يؤدى ذلك الشارع ؟

– لا ادرى . فانا نادرا ما اخرج من السفارة ، فانا لا افهم لغتهم ، واخاف ان اضل الطريق . . .

قال دولوف :

– ذلك الشارع يؤدى الى محطة القطار . وهو يصب فى جادة واسعة فيها ترام وسيارات كثيرة ، ولن تستطيع ان تمسكه هناك .

سأل سلافين :

– هل انت واثق من انهم لم يقتلوه ؟

قال دولوف :

– اسرعت بالخروج من الشقة الى الشرفة . وكان كل شىء مكشوفا امام بصرى . . . افلت ، لانهم ركضوا فى منحدر الزقاق ، ولم يكن من احد امامهم . وحين وصلوا الى نهاية الزقاق راكضين ، كفوا عن الرمى . والظاهر انه انسل عبر افنية يتصل بعضها ببعض ، رمى كثيرة هناك .

– دققت ؟

– نعم . ولو كانوا قد قتلوه لاعلنوا الخبر من الراديو بالتاكيد ، ولما سلمنا من العواقب – قال دولوف باقتناع – افلت حتما .

سأل سلافين : – هل كان اشيب ؟

– من الصعب ان تميزه . . . ارقط – اجاب ارخيبكين ، – او ربما اشقر ، ونصلت الشمس شقرته ، ربما . . .

– ماذا كان يلبس ؟

– ماذا كان يلبس ؟ – قال ارخيبكين مندهشا – يلبس بدلة .

– هذا مفهوم . . . ما لون البدلة ؟ هل هى قديمة ام جديدة ؟ يشد ربطة ؟ ام لا ؟

– هذه هى الحيرة – وزفر ارخيبكين – طيب ، والله ، ما اومن ذاكرتى . . .

– الم تكن له ندبة فى الوجه ؟

– لم تكن له ندبة . يده ، فى الحقيقة ، مقطوعة الاصابع . اما له اصبع مقطوعة او اصبعان . هذا ما لحظته .

– هذا ، بالفعل ، شىء مهم . هل كان يقول لك شيئا ؟

– لم يتكلم شيئا . فى البداية فقط ، همس قائلا : ساعدنى ، يا رجل . . .

– كيف ؟ ! «رجل» ؟

– او «رجل» او «انسان» . لا استطيع ان اتذكر بالضبط .

– اذا قال «انسان» ، فمعنى ذلك انه اوكرانى .

لاحظ دولوف ذلك ، فاعترض سلافين قائلا :

– ليس حتما . عندى صديق ، روسى قح ، من فورونيج يقول

عادة ، وهو يخاطب اصدقاءه : «يا انسان» «يا ناس» . . . وصوته ؟ نحيل ؟ مبحوح ؟ ام طبيعى ؟

– صوته مبحوح ، هذا بالضبط ، مبحوح . . .

– وملامحه لا تستطيع ان تتذكرها ، اذن ؟

– والله ، لا استطيع . ولماذا احملكم خطيئة عبثا ؟

. . . . عاد سلافين الى المكتب ، واحاط نفسه بكتب العناوين المفهرسة . بحث عن البارات التى يلعبون فيها البليارد ، ولا سيما فى منطقة محطة القطار . وعثر على اربعة : «العنزات المرحة» ، «نابولى» ، «الدار البيضاء» و«لاس فيغاس» .

ثم دعا ارخيبكين ثانية ، وسأله :

– يا اوليغ كاربوفيتش . هل تعرف ان تلعب البليارد ؟

– بشكل ردئ . كنت الاعب السائقين ، من اجل المزاح . . .

– يلزم ان تلعب معى .

– ولكن ليس عندنا منضدة ، بل اضحوكة لا غير .

– لا نلعب فى السفارة ، بل فى المدينة .

– فى المدينة لا توجد البلياردات الا فى الاوكار . لقد حذرونا . . .

– لا خوف اذا كنا اثنين – قال سلافين ، وغمز ارخيبكين – ما رأيك ، يا اوليغ كاربوفيتش ؟

– اذا كان يلزم ، يعنى يلزم . – اجاب ذلك بجدية .

– والآن ، بالشكل التالى – تابع سلافين كلامه – سنبحث انت وانا ، عن «مقطوع الاصابع» . ولكن قد نلتقي بروسى آخر . وسأريك اياه . فتتحدث معه . طيب ؟

سأل ارخيبكين : –غير سوفييتى ؟

اجاب سلافين : – مهاجر . . من جماعة فلاسوف .

– مع مثل هذا الكلب لن اتكلم . يجب ان يخنق . حاربت ضدهم فى بريسلاو . ليسوا بشرا ، وحوش . . .

– اذا وجدنا «مقطوع الاصابع» فسيكون كل شيء على ما يرام ، واذا اقتضى التسلل اليه ، عندئذ ، اخشى ان يتعيَّن عليك التحدث مع ذلك الفلاسوفى نفسه الذى وقف ضدنا فى بروتسلاف بالذات . . . فقط الا تحاكم المهاجرين جميعهم بمحكمة واحدة ، يا اوليغ

كاربوفيتش . بعضهم باع نفسه للالمان متطوعا ، وذهب بنفسه الى الخائن فلاسوف ، ولكن المئات اجبروا اجبارا . . . انا افهم كل شىء ، انت على حق ، تبرير مثل هذا مستحيل ، ولكن بينهم اناسا مختلفين .

– انا افهم ذلك عقليا ، ولكن لى قلبا . فى فروتسلاف هذه قتل الفلاسوفيون اخى الاصغر رميا بالرصاص . . .

كان بار «العنزات المرحة» صاخبا مزدحما ، وكانوا يلعبون بشكل ردئ ، كانوا يتواقحون لا غير ، كان الرهان واطئا ، ثلاثة دولارات . ولم يظهر «مقطوع الاصابع» . خسر ارخيبكين مع سلافين ثلاث لعبات دون ان يسجل اية نقطة . كانت يده ترتجف بشكل ملحوظ حين كان يضرب الكرة ، وغالبا ما كان يخطئها ، وينظر الى الجانبين بتحفز .

حين جاء بالبيرة نادل خفيف الحركة كان يركض بين الموائد ، سأل سلافين :

– ومتى يأتى خرينوف ؟

– الآن لا يلعب عندنا . يلعب فى «لاس فيغاس» او فى بار «هونغ كونغ» . وفى الغالب فى «هونغ كونغ» ، فقد جلب الصينيون مناضد رائعة ، وهناك يجتمع احسن اللاعبين ، والرهان يصل الى مائة دولار . . .

. . . . فى «لاس فيغاس» تدافع سلافين شاقا طريقه حول الموائد – كان اللاعبون من الدرجة العالية ، والسكون مخيما فى القاعة – ودعا ارخكيبين الى منصة البار ، وطلب «هاى بول» . كانت يد ارخيبكين ترتجف ، كما كانت من قبل ، وشرب الكوكتيل بنفور مرتاب ، ومن حين لآخر كان يتلفت .

– انت تستطيع ان تسدد ضربة على الاذن ؟ – وابتسم سلافين – ها هما ساعداك قويان . فما الذى تخافه اذن ؟

– غير متعود – اجاب هذا – انا لا احب جو الاوكار ، فانا قروى ، وهذا لا يناسب روحيتنا .

– هل سمعت بكلمة «لازم» ؟

– انا افهم هذا ، ومع ذلك فلست فى وضع مريح .

خاطب سلافين البارمان ، وسأل :
– متى سيأتى احسن اللاعبين ؟
– لا يزورنا الا لاعب واحد جيد بصورة حقيقية ، سير ، هو مستر خرينوف ، المكنى بـ«الى الوسط من الجانبين» . انه لاعب من الدرجة الراقية .
– ولكنه الآن فى «هونغ كونغ» . . .
– يبدو كذلك ، سير . رغم انه يلعب هنا ايضا ، غالبا ما يلعب ، ولكنه فى الاونة الاخيرة ،اخذ يزور «هونغ كونغ» .
– لان المناضد احسن هناك ؟
– لا ، سير ، الاكل هناك ارخص . الصينيون يبيعون المأكولات باسعار واطئة ، كل شىء ينقلونه لهم من بكين . ونحن لا نستطيع ان نفعل معهم شيئا ، انهم يريدون ان يخربونا . حقا ان المشروبات الكحولية عندهم بنفس الاسعار ، البلجيكيون يزودونهم بها . ونضطر نحن الى تخفيض اسعار الكوكتيل ، والا فسنفلس . . .
. . . فى «هونغ كونغ» اشار البارمان لسلافين الى خرينوف راسا . كان هذا يلعب بمهارة ، وبلا عجالة ، وقد طوى كميه . كان يلعب بحذاقة حقيقية ، يغيظ ملاعبه ، ويتكلم بالانجليزية بلكنة شديدة .
– سدد ، سدد احسن ، يا جون ، ولا تحرك يدك على الفاضى ، والا فسأربح ! هل حضرت النقود ؟ ام ستركض الى زوجتك تطلب منها ؟
جلس سلافين الى البار . وكان يرى خرينوف من خلال المرآة .
– راقبه – همس لارخيبكين – ثم تقدم منه ، وعرض عليه لعبة .
– اوه ، يا الهى – وتنهد ارخيبكين – سحّ كل شىء فى داخلى . . . ربما ، ربما اجرع شيئا ، لتقوية العزيمة .
– «هاى بول» ؟
– لا ، لا . فودكا افضل .
– عندهم فودكا حقيرة «سميرنوف» ، حلوة . هل تريد ويسكى ؟
– هات ، اخذ مائة غرام .

طلب سلافين كأسا مضاعفا ، شربها ارخيبكين واستنشق بدقة ، وحمحم ، ونزل من المقعد العالى ، واتجه نحو المنضدة التى كان يلعب عليها «الى الوسط من الجانبين» .
– اسمع ، – قال ارخيبكين – دعنا نلعب ، ها ؟ على خمسة روبل . . . دولارات .
التفت خرينوف التفاتة حادة ، ودسّ يده راسا ليخرج سيغارا . سأل :
– انت ، من ؟
– بستانى .
– من اين ؟
– من السفارة . . .
– احمر ، يعنى ؟
– واى شىء آخر ؟ . . . بالطبع ، احمر . . .
– من اين تعرفنى ؟
– انا لا اعرفك كليا . . . البارمان قال انك روسى ، فتقدمت منك . فانا لا اعرف لغتهم .
– انتظر ، سافرغ من هذا الآن .
استدار خرينوف الى المنضدة ، وبخمس ضربات انهى اللعبة . لعب لِعبَ محترف ، ومن قبل كان يتغنطس . فهم سلافين ذلك ، كان يجذب ملاعبه ، ويعطيه فرصة ، ودسّ خمسة وعشرين دولارا فى جيب قميصه .
– تلعب جيدا ؟ ام ربما نتبادل الحديث ؟ لاول مرة ارى احمر ، بعد الحرب لم التق بواحد .
– اظنك قد شاكست ، وضربت فى الآفاق .
– هذا كان – اجاب خرينوف ، بعد ان مسح وجه ارخيبكين بنظرة لزجة – لنذهب ، ونجلس الى مائدة . استضيفك .
اتجها نحو النافذة ، فى خلوة ، واضطر سلافين الى تغيير مكانه ، ليكونا على مرأى منه .
طلب خرينوف «اثنين فودكا» فى كل كأس اربعون غراما ، المقدار الذى يصبونه هنا . نظر ارخيبكين الى القدح ، وفهم خرينوف مغزى النظرة .

– تريده مملوءا ؟ انتظر ، سأوصى . انهم لا يفهمون ذلك ، ويبدأون يلجون : «اشربها جرعة واحدة» ، اما هم فيرشحونهـــا رشفات . ليسوا بشرا . . .
– اسمع ، اين ذاك ؟ . . .
– منْ ؟
– قل معى ، ما اسمه . . .
– كولكا ؟
– لا – اجاب ارخيبكين ، ولعَّب باصابعه .
– لعله فانكا ؟ «مقطوع الاصابع» ؟
– نعم .
– فى الفندق . واين يكون ايضا ؟ انه يخفر بدورته ، اثنتى عشرة ساعة . وما يلزمك منه ؟
– يلزم . اذاعوا عنه فى الراديو . . .
– الصعلوك ، ويقال عنه فلاسوفى ، ها ؟
– لا ، اخته تفتش عنه . . .
– ما هذا الكلام منك ! اخته معقول ؟ وكيف وجدت اثره ؟
– يقال انها كتبت الى اذاعتنا تقول انها تبحث عن اخيها ، وصفته كذا وكذا . ما لقب عائلته ؟
– اسمع – اجاب خرينوف دون ان يجيب – ماذا لو اعلن المرء الندم والتوبة ، كم سيحكمون على امثالنا ؟
– يتوقف الامر على . . .
– مذنبان انا وهو ، يا بستانى ، مذنبان .
– وكيف ذاك ؟
– وهكذا . ما ان اخذونا من المعسكر – والجوع يجعلك تنام مع الشيطان فى فراش واحد – حتى وصلوا بنا الى قرية ، ووضعوا فى يد كل واحد منا بندقيـــة ، وصفوا القوميساريين . وجـاء هانز ، الضابط ، الى كل واحدْ منا ، ووضع مسدسه على علبائه ، وقال : «ارم» . اما ان ترمى انت واما ان ارميك . وحالما اطلقنا النار ، وسقط القوميساريون ، حتى استرجعوا البنادق منا ، وقالوا لكل واحد : «انت طليق ، فاذهب الى حيث تشاء» . وما دمنا قد تلطخنا بالدم ،

قال اين سنذهب ؟ وحصل ما حصل . . . «مذنبون» . . . هذا هو الامر ، يا احمر . . .
– قل لى كيف اجد «مقطوع الاصابع» هذا ؟ هل تعرف عنوانه ؟
– انا اعرف كل شىء ، يا بستانى ، اعرف كل شىء . ولكن ان اقول للاشىء . نحن متعلمون . ربما لا اخت هناك ، بل ارسلتك «ن ك ف د» • . . .
– ما حاجة «ن ك ف د» اليه . . .
– «ن ك ف د» بحاجة الى الجميع ، يا بستانى ، فلا تلعب معى . من اين انت ؟
– من ايفانوفو .
– نحن جيران . انا من فولوغدا .
– المدينة ؟
– لا ، من قرية بريانيكى . وفيما حولها الوهاد ، لعلمـك ! الزرقة داكنة ، والجداول تجري . تخرج من كوخك ، فاذا السكون حولك . . . ونقار الخشب : توك توك . اما هنا فحاول ان تجد نقار خشب ، ليس هنا غير الببغاء الكوكوتو . . بنت الحرام . . ما اسمك ؟
– اوليغ كاربوفيتش . وانت ؟
– فيكتور خريسانفوفيتش . عندى فلوس ، وغرفة ، ولكن قلبى وحده يحن ، يا كاربيتش . احلم بالسفر الى الوطن . . . وهناك يزجوننى خمسة وعشرين عاما فى السجن ، وانا فى الثالثة والخمسين . . . فمتى اخرج ؟ ولهذا انا هنا . . .
– لا يحكمون بخمسة وعشرين عاما عندنا الآن . بل بخمسة عشر .
– وليكن خمسة عشر . وهى ايضا ليست شهرا . سأكون فى الثامنة والستين ، حين اطلع . ومَنْ بحاجة الى عجوز ؟ والعار ، مرة اخرى ، لعائلتى . فان لى اخوانا واخوات ، لا بد انهم يعيشون فى بريانيكى . انا الآن بالنسبة لهم «مفقود» واذا عدت ثماذا سيحصل ؟

• الاحرف الاولى من : «المفوضيـــة الشعبية للشؤون الداخلية» . الناشر .

النفى الى سيبيريا . وما ذنبهم ؟ انا وحدى المذنب ، ومقابل ذلك فانا الاعب اللصوص فى البليارد . . .

— اسمع ، قل لى ما اسم عائلة «مقطوع الاصابع» .

— لا تلح . لن اكشف لك اسم عائلته قبل ان اتكلم معه . هل تظن ان فى مقاطعة فولوغدا قرية باسم بريانيكى ؟ تتصور اننى اسمى لك قريتى بسهولة . . . نحن ايضا اصحاب معرفة ، يا كاربيتش . طرحت بنا الحياة كل مطرح ، حتى صار الواحد منا يشك بنفسه . . . تعال الى هنا بعد اسبوع ، فلربما يوافق . ولكننى لن اجعله رهينة عندك . نحن هنا قلة ضئيلة . والروسى يحرص على الروسى . . . على الاقل يمكن ان يفرّج احدنا عن الآخر بلغته . . . و«مقطوع الاصابع» — كما تسميه — انسان نحس ، يتحاشى الجميع ، ويعيش وحيدا . . . طيب ، هل نشرب مرة اخرى ؟

تلقى ستاو مدير شرطة مكافحة الاجرام من السيد تشو-نو صاحب بار «هونغ كونغ» تسجيلا لحديث الاجنبيين — فالاجراء الوقائى يقتضى تزويد الاوكار بالتكنيك ، اذ ان الشيطان لم يمت بعد .

تلفن ستاو الى جون هليب :

— جون ، الا يهمك الروسى الذى يعمل فى الفندق ؟

— سيهمنى اذا كان يعمل فى وزارة الخارجية — وابتسم هليب — انهم خدم هنا ، لم يرتفعوا اعلى من ذلك ، فاى نفع من خادم ، يا ستاو ؟ ما اسم عائلته ؟

— لم ابدأ بالتحقيق قبل الحديث معك . «مقطوع الاصابع» اكثر من هذا لا اعرف .

— لا بأس . غدا سنلتقى ، ونفكر . . .

— تكلم عنه بستانى السفارة الروسية .

— صحيح ؟ بدأ الامر يهمنى . ما الخبر ؟

— اخت «مقطوع الاصابع» تبحث عنه . وقال البستانى ان الاذاعة قدمت برنامجا .

— محتمل تماما . عندهم مثل هذا البرنامج .

— وكان مع البستانى لدى اصحابنا الصينيين رجل يدعى سلافين . وللاحتياط تأكدت من انه يقيم فى فندق «هيلتون» .

— فى «هيلتون» ؟ — سأل هليب بعد وقفة — اذن ، شكرا يا ستاو . امهلنى يوما ، وساتصل بك .

. . . دخل سلافين الى بهو «هيلتون» المكيف الهواء فأحس بانه قد عرق . كان قميصه مبللا ، ووجهه ملتهبا بعد التمشى على البلاج ، اذ لم ينقذه الدهان .

ذهب الى منصة المفاتيح ، وطلب مفتاح غرفته ، واشترى جميع الجرائد ، وتقدم من المصعد . وهنا سمع احداً يناديه . التفت ، فرأى رجلا غير مهندم الثياب ، السمين يقف قرب البار ، والى جانبه جون هليب الوسيم للغاية ، والاشيب الشعر ، الرشيق ، المتدفق مودة .

— هالو ، ايفان ! — صاح الرجل مرة اخرى ، وقد اسقط على قميصه الكاكى اللون قطرات من البيرة — هل معقول انك لم تعرفنى ، يا شيخ ؟ !

قسطنطينوف

«سرى للغاية .

اللواء قسطنطينوف ق . ى .

ردا على سؤالكم نعلن : بالامس من الساعة ٢١,٠٠ الى الساعة ٢١,٣٠ ، وهى الفترة التى جرى فيها البث الاذاعى لمركز وكالة المخابرات المركزية من اثينا الى الاتحاد السوفييتى ، كانت فينتر او . ف . وحدها ، من بين الاشخاص الذين يهمونكم موجودة فى بيتها ، وبهذا ، كان يمكنها — وهذا من باب الاحتمال — ان تستقبل البرنامج المرسل بالشفرة .

الرائد سوخانوف» .

«سرى للغاية .

اللواء قسطنطينوف ق . ى .

ردا على سؤالكم نعلن ان برنامج مركز التجسس لوكالة

المخابرات المركزيـــة ، المذاع من اثينا ، يمكن ان يلتقط فقط براديوات عالية الكفاءة من ماركـــة «فيليبس» ، «باناسونيك» ، «سونى» . ومع ذلك فان فى كل حالة معينة لا يمكن ان يقدم الرد المحدد الا بعد التعرف على الجهاز او مخططه ومواصفاته التفصيلية .
النقيب شاريبوف» .

«سرى للغاية .
اللواء قسطنطينوف ق . ى .
حسب المعلومات المستحصله بعـــد استجواب معارف فينتر وشارغين ثبت ان فى بيتهما جهازين بكفاءة عالية ، من ماركـــة «باناسونيك دى لوكس» موديل ١٩٧٦ .
النقيب غريشايف» .

. . . . عند المساء تاكدت فرقة كونوفالوف التى درست رجال وكالة المخابرات المركزية ، الذين اكتشفت جاسوسيتهم ، من ان لونس السكرتير الثانى فى السفارة غادر فى السيارة بيته فى شارع لينينسكى فى الليلة الماضية ، وبعد ان راوغ رجال مكافحة التجسس الذين كانوا يتبعونه ، افلت من المراقبة فى الساعة ٤٠ ، ٢٣ ، واستدار من طريق موجايسك العام الى منتزه «بوبيدا» .
– فى المنتزه سار لونس فى جادة ضيقة – اعلن كونوفالوف – وتوقف لبضع ثوان ، وخرج من السيارة ، وضرب اطار العجلة بكعب حذائه ، واشعل سيكارة ، وغادر . لم يتصل بأحد . ومن هنا ، من منتزه «بوبيدا» انطلق الى السفارة بسرعة عالية جدا ، وبقى هناك حتى الساعة الثالثة صباحا ، وعاد الى بيتـــه – عبر منتزه «بوبيدا» مرة اخرى ، الا انه فى هذه المرة لم يوقف السيارة ، ولم يتوقف . ومع ذلك ، فقد خرج من المنتزه ، فى هذه المرة ، رجل كان يجلس على مصطبة تحت المطر ، فى الاتجاه الذى سلكه لونس . ولما كانت الباصات والترولى باصات ، لم تبدأ العمل بعد ، سار الرجل الى بيته ماشيا . انه يسكن فى شارع «عام ١٨١٢» ويدعى شيبيكو رومان غريغوريفتش ، فريق متقاعد . . .

«المركز .

هل توجد معلومات عن مهاجر فى نحو الخمسين ، مقطوع الاصابع (لا وجود لاصبعين فى يده اليسرى) ، اشقر الشعر ، عاش طويلا فى المانيا ، حسب افتراضاتى . وقد يكون «مقطوع الاصابع» اوكرانى القومية . ارجو التدقيق فى كل اتصالات خرينوف فى اماكن اقامته السابقة ، عما اذا كان هناك «مقطوع اصابـــع» . هل من الممكن الاستيضاح ، من خلال ادارة «هيلتون» عن اسماء عوائل جميـــع الروس العاملين فى مؤسساتها فى القارة الافريقية ؟
سلافين» .

«الى سلافين .
لم نستطع العثور على «مقطوع اصابع» من بين اتصالات خرينوف فى «كيل» . كانت له علاقة صداقـــة مع بورتنوف ميخائيـــل ايسايفيتش ، المهندس الذى اوفد الى كيل لشراء معدات ولم يعد الى الوطن . بورتنوف شنق نفسه ، بعد ان ترك مذكرة لعن فيها الذين استدرجوه للبقاء . وبعد هذه الحادثة بالذات غادر خرينوف الى افريقيا ، وقد تاثر بموت صديقة . سنثبت ، حسب الامكانية ، اسماء عوائل الاشخاص ، من اصل روسى ، العاملين فى مؤسسات «هيلتون» . اجر اللقاء التالى مع خرينوف مراعيا الحد الاقصى من الحذر .

المركز» .

. . . استمع الجنرال فيدوروف رئيس الدائرة الى تقريـــر قسطنطينوف ، وقال :
– عادة اتصور بداية العملية مثل تصليح فى شقة . كل شىء كان هادئا ساكنا . . وجدنا هنا وهناك شقوقا ، وبدا الامر وكأنه لا يحتاج الا لتجديد الطلاء . ولكن حالما يجلب البناؤن المواد ، ويفرشون الارضية بالجرائد ، ويبدأون بتحطيم وعوج كل شىء ، حتى تقول لنفسك : وداعا ، ايها الهدؤ . . .
– جيد انهم فرشوا ارضيتكم بالجرائد – قال قسطنطينوف – الظاهر ان البنائيين عندكم كانوا نموذجيين يضرب بهم المثل . اما الذين جاءوا اليّ فقد اصروا على السير على خشب الباركيه بما يشبه احذية الرياضيين ذات المسامير .

– هذا مفهوم – اجاب فيدورروف – فقدان المهنية . وانا ارجعه الى ان نسواننا عانين من ويلات الحرب ، ووقفن امام الالات ، هؤلاء الشقيات ، مع الصبيان فى سن الثالثة عشرة . . .

– ونحن نمنا بين الالات – وابتسم قسطنطينوف – لم نستطع ان نصل الى بيتنا ، لضعفنا ، وبسبب القصف ايضا . وعلقنا الاراجيح الشبكية ، واسترحنا عليها . وهدير الآلة تعودنا عليه ، بل وصار يسكّننا ، اذ كان الهدوء آنذاك يثير القلق . . .

بالضبط – قال فيدورروف بعد وقفة – كان الهدوء يثير القلق . . . صرعوا عشرون مليونا ، ومعهم قتلوا المهنية العالية . وما هى المهنية ؟ انها العناية فى المرتبة الاولى ، العناية الدقيقة العالية . وعلى هذا فاذا نفذنا الى جوهر المسألة فان تلك المسامير فى الاحذية الرياضية التى كانوا يسيرون بها على الباركيه ستكون مفهومة ، – ياويلاه ! – مفسرة ايضا . مأساوية ، ولكنها مفسرة . هل تحب ان تشرب شايا ؟ ام قهوة ؟

– قهوة .

– الا تؤثر على قلبك ؟

– يبدو لى ان ما يحدث عندنا ، حتى أتفهه ، هو من ناحية ما يحمله من شحنة الإجهاد افظع من طن من القهوة يا بيتر غيورغيفيتش .

– صحيح ايضا – وافقه فيدورروف – ولكن موقفا من هذا النوع يفكك . الا ترى ذلك ؟

– كما ان البقاء طوال الوقت تحت السلاح اجهاد . والتفكك هو الغفلة .

– كان يجب ان تكون من المدرسيين * . انت داهية بشكل لا يصوَّر مثل سلافين تقريبا .

– لا يوجد اكثر من سلافين دهاء .

اعترض قسطنطينوف باقتناع .

. . . حين جلب السكرتير قدحين من القهوة والكعك المدور

* المدرسيون : اتباع المذهب «المدرسي» الفلسفى وهو نظام للمناظرات المصطنعة الشكلية غالبا لتبرير جمود الكنيسة . **المعرب** .

اللاشف ، تناول فيدورروف ورقة كبيرة ، واخذ يرسم تخطيطا سريعا ودقيقا . سأل :

– اواضح ذلك بك ؟

– واضح .

– عندئذ صلّح لى ، اذا اخطأت .

– انت لا تخطىء .

– طيب ، طيب ، لا تجاملنى . يعنى ان بارامونوف صار فى دائرة اهتمامك ، لا سيما بعد برقية سلافين . أليس كذلك ؟

– نعم .

– ومراقبته اضافت اولغا فينتر . ثم ظهر انها زوجة زوتوف . أليس كذلك ؟

– بالضبط .

– بالمناسبة ، سألت سلافين كيف ينظر الى استدعاء زوتوف من لويسبورغ . فلزم الصمت . ارى انه ما يزال يفتقد الى الاسس ليصر على ذلك . لن يفهمونا ، اذا طلعنا بهذا الاقتراح . فنحن لا نملك وقائع .

– وصداقة زوتوف مع هليب ؟

– وماذا فى ذلك ؟ السفير ايضا يدخل الى حفلات الاستقبال متأبطا ذراع هليب . انه رجل مخابرات امريكية غير مكشوف ، مجرد فرضيات ، فهو تاجر ، وله ميول ودية الينا . . لنستمر . اية تركيبة محتملة هنا ؟ بارامونوف – اثناء احتجاز البوليس له – استدرج لشىء ما . لاى شىء ؟ لم يصل سلافين الى فرضية . نحزر بقية القهوة . ما الذى يقدم لـ«زملائ»نا استدراج بارامونوف ، على اية حال ؟ اذ ليست لديه معلومات ذات طابع سياسى . فما حاجتهم به ؟ وكالة المخابرات المركزية ليست بحاجة الى مثله .

– واسطة نقل .

– لنفرض . بين مَنْ ؟

– يمكن تصور مثل هذه التركيبة . زوتوف فى لويسبورغ يشير الى قضايا ، وفينتر هنا تستكشفها – تمر من بين يديها مواد سرية وهى تعرف الكثير . وبارامونوف ناقل معلومات .

– وماذا لو اعدّل قليلا ؟ زوتوف ، بالفعل ، دليل . شارغين

المصدر الرئيسى للمعلومات بنت الساعة . وفينتر مدققة لمعلومات شارغين ، اذ تتوارد اليها ، الى معهدها ، مواد من جميع الوزارات عمليا . بارامونوف – انا متفق معك – واسطة نقل . مثل هذا ممكن ؟

– نعم . وممكن ايضا احتمال ثالث . لفينتر معارف كثيرون فى الحلبة . يلاعبها اناس مطلعون . فى حلبة التنس تمس اكثر المشاكل السياسية تعقيدا ، وشارغين يعمل على تدقيق المسائل التى تضعها امامه . وبارامونوف ينقل المعلومات .

– كيف ينقلها ؟ اين ؟ لمن ؟ من المستحيل للجنرال شيبيكو . . .

– انه يكتب مذكرات ، ولا يوفق كثيرا – لاحظ قسطنطينوف – كثيرون يظنون بسذاجة ان الادب عمل سهل . . . العجوز يعانى من الارق ، لقد دققنا الامر . . . فى كل ليلة يتمشى فى منتزه «بوبيدا» . . .

– اين كان بارامونوف حين ذهب لونس الى هناك ؟

– فى بيته .

– وفينتر ؟

– لم نتحقق

– وشارغين ؟

– جالساً فى مطعم مع اخيه .

– اين كانوا اثناء البث الاخير لمركز المخابرات ؟

– كان شارغين فى الشغل ، وبالتالى فلم يكن فى وسعه ا يلتقط . وبارامونوف فى البيت ، ولكنه باع راديوه «باناسونيك» قبل شهر عن طريق محل للبيع لقاء عمولة فى شارع سادوفايا كما تحقق من ذلك غميريا . وفينتر كانت فى بيتها .

– يحسن ان يوضع جدول : عن مكان كل واحد اثناء البث من المركز . لقد عملت بذلك اثناء الصراع مع كاناريس و«بابا ميولر» ، واتى بنتائج طيبة . . . ما هو راديو فينتر ؟

– «باناسونيك» .

– بالمناسبة ، اسأل سلافين : مَنْ عنده راديوات «باناسونيك» هذه ومتى اشتراها ، وفى اى محلّ ، وباى ثمن ؟ الظاهر

ان جميعهم اشتروها من دكان واحد ، وسيكون اطرف اذا كانت من دكاكين مختلفة .

– سننشتغل فى هذا الامر حالا .

سأل فيدوروف :

– كم من الاشخاص الذين يهموننا تحتوى الآن «الدائرة المقلّصة» ؟

– يوم امس استثنينا خمسة اشخاص آخرين . انهم الآن فى سفر . اثنان يقومان بعمل علمى لنيل الدكتوراه ، والآخرون بلور ، فى كل ما يحمل البلور من معنى .

– اوه ، هذا تعبير ادبي .

–لا ، بل معلومات مفحوصة .

نحى بيتر غيورغيفيتش القدح الفارغ ، وحدس قسطنطينوف مهيجا فى الطريقة التى نحى بها القدح .

ولم يكن على خطأ .

– لماذا يبطئ سلافين فى ارسال تصوراته عن الموضوع ؟ لماذا لا يخبر عن شيء ؟

– انه نفسه يبدو وكأنه على جمر ، ولكنه لا يحسن الاستعجال ، لا يحسن ، وهذا كل ما فى الامر . انه يدرك ان عرض صورة للذى كتب سينهى كل تخميناتنا . انه يفهم تماما كم ننتظر منه هذا الخبر بالذات ، يا بيتر غيورغيفيتش .

اطل المعاون .

– ايها الرفيق الجنرال ، بانوف من قسم فك الشفرة ومعه خبر مستعجل .

– هل هو على التلفون ؟

– لقد طلبت الا اوصلك بتلفون . ولهذا قد جاء .

– ليدخل .

وضع بانوف على المنضدة ست صفحات .

– ثلاث برقيات دفعة واحدة ، ايها الرفيق الجنرال . ومثل هذا لم يحدث قط * .

* البرقية اللاسلكية التى تعذّر حل شفرتها كانت مرسلة من المركز التجسسى لوكالة المخابرات المركزية فى اوربا . ويعلن النص : والصديق

– اى شخص هو ، هـا ؟ – سأل بيتر غيورغيفيتش – هذا يستحق ان اطلب منك سيغارا . مثل هذا النوع من تكثيف العمل غير ممكن الا فى عشية الاحداث .

. . . كان الفريـــق فيدوروف قد دخل العمل فى اللجنـــة الاستثنائية ، حين اتم الحادية والعشرين . وقـــد سافر مهندس اللاسلكى الشاب الى اسبانيا متطوعا ، وعمل هناك مع رجال مكافحة التجسس الدزرجينسكيين الاسطوريين ، وتعلم الحرفة لدى غريغورى سيرويجكين ، وحين بدأت الحرب صار نسر جو فى الالعاب اللاسلكية ضد الابوير والجستابو * . وقبض على مئات العملاء الهتلريين ، واحبط اذاهم بفضل عمل المصلحة التى كان يترأسها فيدوروف . ومن بعدها الكفاح ضد المتعصبين القوميين البورجوازيين ، ودحر انصار بانديرا ، وكشف اذناب هتلر المتسترين ، والمعركة ضد الحلفاء من اجل تسليم السفاكين الهتلريين الذين هربوا الى ما وراء المحيط بحثا عن اسياد جدد . وفيما بعد ، فى اواخر الاربعينيات ، بدأ عمله ضد الجواسيس الذين اخذت ترسلهم هيئات المخابرات الامريكية .

سأل فيدوروف باستغراق ، فيدوروف المفكّر تفكيرا حديا ، والمندفع ، والهادئ فى نفس الوقت (عيناه الزرقاوان المبتسمتان نواته الثابتة) :

– انت تلعب التنس كالعادة ؟

– حين يتسنى لى وقت .

– ستجد وقتا ، ها ؟ الق نظرة على فينتر بنفسك . انت تعرف

العزيز . المعلومات التى ارسلتها ادت قسطا مهما فى النضال . اطلع اكبـــر الرؤساء على وجهة نظرك وعلى المواد التى ارسلتها . سننفذ رجاءك ، ونرسل لك ، دون تأخير ، ما طلبته اثناء العملية القادمة لنقل المخبأ . اماكن اللقاء كالسابق . نرجو بشدة ان تسرع فى اعداد الوثائق الموجودة فى حيازتك ، وتقديم معلومات عما اذا كان من المحتمل تشديد المعونة الروسية لناغونيا ، حين تبدأ هناك احداث على مستوى ازمة . رأيك وافكار معارفك من المستوى المناسب ستكون لنا قيمّة للغاية . صديقاك «د» و«ل» . **(الملاحظة من المؤلف)** .

* مصلحة المخابرات العسكرية ومصلحة المخابرات السياسية فى المانيا الفاشية . **المعرب** .

ان الورقة هى ورقة ، على اية حال ، والانسان انسان . تمعنها ، يا قسطنطين ايفانوفيتش . وهناك شىء آخر . القضية معقدة ، وبودى ان اقول : فوق المعقدة . ولهذا ارى ان عليك ان تهتم – وبعناية فائقة ملازمة لك – بالصغائر ايضا ، بما يبدو صغائر . وبالاضافة الى كل ذلك فان البحث عن جاسوس هو عمل متعلق بالسياسة الخارجية ، وهنا يقتضى اظهار حب استقصاء من نوع خاص .

سلافين

– لا ، يا ايفان ، الف مرة لا – كرر ذلك الرجل البدين المهمل اللياقة ، الكاكى الثياب الذى نادى على سلافين ، كرر بعناد لا يقدر عليه الا الذين يشربون باستمرار – لقد حطمتم كل شىء بايديكم ، انتم ، وستالينكم الذى كان يهدد اوربا دائما بالعدوان . فماذا تبقى لنا ان نعمل ؟

– انت تكرر رأيك ، كمحفوظة – وجرع سلافين البيرة ، ونظر الى هليب ، وكأنه ينتظر منه سندا .

– مستر سلافين على حق – وافق هليب فى الحال – كان ترومان لى سيئا ، يا بول . وبالفعل كان لا يحب الحمر ، فلماذا تغمض العين عن ذلك ؟

لم يتكلف بول حتى برفع بصره الى هليب ، وطلب لنفسه قدح بيرة آخر ، ووضع يده على كتف سلافين ، وقال ببطء شديد وبألم رامشا بعينيه كلتيهما بشكل غريب ، وكأنه كان يتحدث الى الرجلين فى آن واحد ، ويتحايل على كل واحد منهما :

– ايفان ، يا ايفان ، هل تتذكر كيف قضينا ليلة بكاملها نطوف فى درزدن فى نيسان ١٩٤٥ ، ونفكر فى المستقبل ، وكيف هلّلنا فرحين فيما بعد ، فى نيورنبيرغ ، حين اجلسوا الخنازير على مصطبة المجرمين . هل تتذكر ؟

– اتذكر . وكنت آنذاك لا ترمش فقط ، بل وكانت رقبتك تهتز بعد الصدمة العصبية من جراء انفجار ، وكنت تضحك من نفسك بشماتة كبيرة ، حتى ان الآخرين ما كان فى امكانهم ان يبادروا فى الضحك ، ولم تكن تشرب قط ، حتى البيرة ، وكنت تعشق المانية لها ماضٍ نازى .

– زالت الصدمة العصبية . والجميع يضحكون منى ، أنـا الخائب ، ولا املك غير ان اتكدر . فأنا مثل جميع المتضررين سريع التأثر ، يا ايفان ، سريع التأثر الى حد الوخزات فى القلب . ونسيت التنكيت على نفسى ، فهذا امتياز الاقوياء . انا الآن اشرب من الصباح ، واعتبر ذلك هناءة عالية . أما الالمانية ذات الماضى النازى فقد كنت على حق حين لم تضمر لها حباً ، فقد انجبت لى ابناً ، ثم هجرتنى ، وتزوجت احد سجناء داخاو ، وهى الآن تصور نفسها ضحية الهتلرية ، وتحصل على اعانات ، وترأس فى ديوسلدورف جمعية الرفق بالحيوان . وقد شكلتها ، بالمناسبة ، بعد أن اطلقتم كلبتكم «لايكا» الى الفضاء الكونى . ها أنا قدمت تقريراً عن نفسى . . وانت ؟ ماذا فعلت بعد نيورنبيرغ ؟

– عشت حياتى ، يا بول ، عشت حياتى . الا تريدان ان تصعدا معى ؟ عندى فودكا روسية ، وكافيار ، وبقسماط اسود مملح .

– بكل سرور – لبىّ هليب رأساً – لا اروع من الفودكـا الروسية . الويسكى الذى نصنعه خراء بالنسبة لها .

– كل موظفى الحكومات يسبون بضاعتهم ، لاحظ بول ديك المراسل لاثنين وثلاثين جريدة اقليمية ، والحائز على جائزة بوليتزر فى الماضى ، والمخبر الصحفى السوبر ذو-الشجاعة الفائقة ، والوسيم والمعروق الجسم ، والرياضى قبل ثلاثة وثلاثين سنة ، والذابل الآن ، العجوز ، المشبَّع الأنفاس بحرقة الخمرة .

وتابع بول قوله بتجهم ، وهم فى المصعد ، وهو يسمـع كالمعتزل ما يقولـه هليب لسلافين عن الماخور الذى يسود لويسبورغ ، وعن وقاحة الاحتكارات التى زحفت على كل مسامات البلاد :

– جميع موظفى الحكومات ، اذا لم يكونوا يعملون فى أجهزة التسمع على الناس ، يشتمون بلادهم ، ليعجب بهم الاجانب . هذا ابتذال ، فظاظة .

– الآن سيقول اننى عضو مخفى فى الحزب الشيوعى – وتنهد هليب – عميل وكالة المخابرات المركزية وزعيم المافيا المحلية .

– بخصوص المافيا المحلية لا استطيع التأكيد ، لا توجـد حقائق . ولكن يقال انك عملت فى هونغ كونغ . اما وكالة المخابرات

المركزية فلا تشتغل فيها . فان دالاس اختار لها فتياناً اذكياء ذوى ماض يسارى ، من امثال ماركوزيه ولست عضواً فى الحزب ، ولا للتعاطف معه ، لانك حاربت فى الفيتنام .

ترك هليب سلافين وبول ديك يمران ، وغطى العين الكهربائية فى باب المصعد بكفه ، حتى لا ينغلق الباب . ان المصاعد هنا عصبية ، ولاحظ ، وهم يسيرون فى الممر الهادئ المكيف الهواء والمفروش ببساط اخضر موبَّر :

– بالمناسبة يعجبنى ان يقرص احدنا الآخر بهذا الشكل الحانق الثالث ، فان ذلك هو نعمة الحرية العليا .

قال سلافين موافقاً :

– بالضبط . أنا موافق .

قال بول :

– الكلام ليس هو الحرية . بينما انتم حطمتم كل شيء ، يا ايفان ، وصارت مثل هذه اللقاءات شذوذاً على القاعدة ، ولكن كان من الممكن أن تكون قاعدة ، وأنا متألم جداً ، جداً . هل تفهم ؟

قال سلافين ، وهو يفتح باب غرفته :

– تقول اننا حطمنا ؟ وحين القى تشرتشل خطابه فى فولتون ؟ وحين دعا الغرب إلى وحدة ضد روسيا ؟ وكان ذلك حين لم تلحق الاعشاب أن تنمو وتغطى حفر القنابل . .

– وماذا كان فى وسعه ان يفعل ؟ كانت فولتون ، بالنسبة لتشرتشل ، آخر محاولة لانقاذ مكانة الامبراطورية البريطانية ، بعد اثارة الشحناء بيننا وبينكم . فقد كان يطمح بدور المحكّم – دور انجلترا المعتاد . آما انتم فقد ابحتم لأنفسكم ان تغضبوا . وحين ارتكب رجالنا البلهاء اكواماً من الحماقات ، حين فاح العالم برائحة بارود قوية ، فى ذلك الحين بالذات دعا تشرتشل الى المفاوضات بين الحلفاء السابقين – التحكيم مرة اخرى ، انتصار المكانة . . .

– وهل ساعدتمونا على فهم تشرتشل ؟ آنذاك كنا سياسين حديثين ، يا بول – اجاب سلافين ، وهو يخرج زجاجة فودكا وعلبة كافيار من الثلاجة – فى سنة ١٩٤٧ ، حين خطب تشرتشـل فى فولتون ، كان عمر بلادى ثلاثين عاماً ، آما انتم ، الامريكيين فلم

يمض آنذاك غير ثلاثة عشر عاماً على اعترافكم بنا . فهل ساعدتمونا على فهم تشرتشل ؟ لقد كنتم تهتفون : «امسكوا الحمر !»

— صرتم تخرقون اتفاقية بوتسدام .

— باى شيء ؟ — سأل سلافين بغلظة غير متوقعة — هات حقائق ، من فضلك .

— وما علاقة الحقائق هنا ، يا ايفان ؟ كان هناك اتجاه واضح آنذاك كنتم تستطيعون شق طريقكم الى باريس وروما . وكـ بانتظاركم هناك توريز وتولياتي .

— كنا نستطيع ؟ أم شققنا طريقنا بالفعل ؟ انتم ، يا بول ، الذين بدأتم تتسللون الى بولنده وهنغاريا ، والى التشيكيين . انتم الذين بدأتم تخوّفون الناس بتدخلنا . وكنا نحن صامتين . صمتنا طويلاً ، يا بول ، شادين الاحزمة على البطون اكثر ، فقـد كانت عندنا مجاعة — وقد كنا ننهض البلاد من الانقاض . وكان من غير المشرّف ان تتهمونا بالعدوان ، بينما كنا لا نفكر الا بشيء واحد : ان نخرج الناس من الاكواخ الترابية . واخذتم انتم تخربوننا بسباق التسلح . انها ستراتجيتكم أن تحرمونا من امكانية توظيف الاموال فى الفروع السلمية ، وان تنهكونا . فكنا مضطرين الى اتخاذ الاجراءات المقابلة . اجل ، والقاسية احياناً . اذن ، مَنْ الذى خرق اتفاقية بوتسدام ، وقرار الثلاثة الكبار الذى وقع عليه ترومان واتلى ؟ مَنْ الذى دعا الى تحويره ؟ انتم ام نحن ؟

— رجالكم ينكرون حقيقة «الاجراءات القاسية» ، لاحظ هليب ، وهو يراقب كيف تنصب الفودكا الخارجة من صندوق التجميد كثيفة فى الاقداح — انهم يقولون ان ذلك استفزاز .

— مَنْ ؟

— رجال سفارتكم ، والمهندسون من الممثلية التجارية .

سأل سلافين :

— من اين تعرفهم ؟

خمّ بول بسخرية :

— إنه من البعثة التجارية . يتاجر بالوطن ، وفى نفس الوقت ، باجهزة الراديو .

قال هليب :

— انا فخور بأننى اتصادق مع روس كثيرين . فتيان طيبين جداً ، ولكن حالما يتحول الحديث الى مسائل متجادل عليها حتى يبداوا بالكلام ، كما تكتب «البرافدا» .

— يفعلون الصحيح . فى صحتـك ، يا بول . انا مسرور برؤيتك ، يا بول . وما دمت قد جئت الى هنا ، يجب انتظار احداث .

— عن قريب سنطير الى ناغونيا ، ونحتفل بالاطاحة بغريسو ، — اجاب بول ، ودلق الفودكا حتى دون بلـع ، فى فم بدا لسلافين كالفرن ، لاحمراره وانفتاحه نافثاً ناراً .

قال هليب :

— لا حاجة إلى تصوير المرجو واقعاً . فان الاطاحة بغريسو لتحتاج الى رجال ومال ، وخصومه يفتقرون الى ذلك .

— لا تكذب — ولوحّ بول بذراعه معارضاً — يوجد مال ، ويوجد رجال .

— يعنى انت تعرف اكثر منى .

وهزّ هليب كتفيه ، اوماً بعينيه الى الزجاجة .

وفهم سلافين : «انه يريد ان يسكر بول باسرع وقت ، ويبدأ بارسال الهذر ، وعندئذ ستبدو كل كلماته هذياناً لمن يحدثه» .

صبَّ سلافين الفودكا مرة آخرى . وتابع هليب :

— نخب الفتيان الروس الاماجد ، نخب ان نتعلم كيف يفهم بعضنا بعضاً ، ونتبادل الثقة ! فنحن ، فى الحساب الاخير ، نعيش فى عالم واحد ، ونستظل بسماء واحدة ، ولا يفصلنا غير محيط واحد ، يمكن ويجب ان يُمد جسر فوقه .

— أنا موافق — قال سلافين ، وقرع كأسه بكأس هليب ، وشرب ، ونهض ، وتقدم من التلفون — ما رقم خدمة الفندق ؟

قال هليب :

— أدر رقم «١٥» — هذا اذا اردت أن توصى على سندويتشات او فول سودانى . عندهم فول سودانى رائع محمص بالملح ، لذيذ جداً ، ورخيص . مزة ممتازة .

— واذا كنت اريد أن استضيف ضيوفا ؟

— عندئذ ادر رقم «٢٢» . وهو رقم المطعم هنا ، طهى رائع ، ولكن كل شيء غال .

– هالو ، هذه غرفة ٦٠٧ ، مساء الخير . ماذا يمكنكم ان تقترحوا علينا للعشاء ؟ نحن ثلاثة . كافيار ؟ شكراً ، عندنا كافيار روسى . سمك ؟ اى نوع ؟ اساو ؟

اخذ بول ديك يتمايل ناعساً ، ووصل الى الزجاجة مترنحاً . نظر هليب الى سلافين ، وهزّ راسه سلبياً ، بعد ان همس :

– هذا غالٍ جداً ، فلا داعى ، اطلب ميرلوزا ، فهى مناسبة تماماً فى السعر ، ولذيذة جداً .

– ميرلوزا ، من فضلك ، وسلاطات ، وقهوة . نعم ، شكراً بوزه ؟ – وغطى سلافين فم السماعة بيده – هل البوزه عندهم غاليا جداً ؟

– مثلما هى عندكم . رخيصة جداً – وضحك هليب – ولكنها غير لذيذة .

– وثلاثة بوزه . نعم ، مطعمة بالفاكهة ، شكراً . نحن فى الانتظار .

افلح بول فى صب فودكا لنفسه بعد لاى ، وجرع القدح مرة اخرى ، ونظر الى هليب نظرة صاحية ، وقال :

– هل تعرفان ، يا شباب ، بم احلم ؟ احلم بأن اصاب بالسرطان . لا بد أن تظهر التحاليل أننى مصاب بالسرطان . ولكن على الارجح بدون ألم بعد . وهذا مهم جداً أن يكون بلا ألم . وعند ذاك سأبدا بالسكر . الى أن انهار ، ساسكر سكراً لم أبح لنفسى بمثله من قبل ، بسبب العمل اللعين . ساسكر السكر الذى يحلم به كل انسان : بدون رعب من خمار الغد . وسيكون ذلك عيداً حقيقياً ، الانعتاق الكامل . . .

– اوه ، اذهب الى الشيطان – قال سلافين ، وصبّ الفودكا بالاقداح من جديد – رسمت صورة مخيفة ، وأنا ايضاً اريد ان اسكر باسرع وقت ، لأنسى كلماتك . ولكن لماذا لا تشرب ، مستر هليب ؟

– اشرب . ما هذا الكلام ، أنا اشرب كالحصان !

«انت مكّار ، لا حصان ، يا هليب . الحصان حيوان ذكى ، وما كان سيراقب بهذا النهم كيف اشرب انا ، ولا يلتقط بهذا الجشع امارات السكر . الآن ساتظاهر بالسكر ، فلا تتعجل المشهد ، ولا

تستعجل ، رغم ان الوقت نقود ، بالفعل ، ولكنك لن تربح باستعجالك المغرض . حبذا لو تتراخى ، يا هليب ، حبذا لو تكون اول مَنْ يسكر ، ويصيبك الغثيان ، وتغفو على مقعدك ، عندئذ سيكون كل شىء ، كما ينبغى ، عندئذ ساصدق حتى النهاية ، بانك ، بالفعل ، فى البعثة التجارية ، تبيع اجهزة الراديو ، وشيئاً آخر ، هو الوطن ، على ما يبدو ، كما كان بول يقول» .

فتح بول عينيه بثقل – جفناه المنفخان ثقيلان كالرصاص – ومال نحو سلافين بحركة انسيابية :

– والآن ايضاً انتم ملومون ، هنا ، فى افريقيا ، ملومون فى كل شىء . ونحن نتدخل ، حتى نعيقكم ، لا غير .

– هل سيناسبكم – ومن جديد صبّ سلافين لنفسه ولهليب ، سكب بضع قطرات على بنطلون بول ، حتى دون ان يعتذر ، وهو سكران حقاً ، ففى هذا الحر يسكر الناس بسرعة – إذا تسلل رجال ماو الى ناغونيا ؟ هل سيناسبكم لو وضع مسدس فى سرة اوربا المسكينة ؟ عندئذ ستكون هذه العجوز الرائعة مطواعة . . . ام انتم تفهمون هذا التهديد وقررتم مساعدة اوربا ؟

– الصينيون حشرات ، يا ايفان . جراد . جراد . وليست لهم القوة ولا يستطيعون اللحاق ، لا بنا ولا بكم .

– لا يجوز ان تتكلم بهذا الشكل عن شعب عظيم ، يا بول ، – رد سلافين بحدة – هذا شىء غير مشرف . الصينيون قوم رائعون ، اذكياء ، طيبون .

قال هليب :

– تعالا نشرب نخب النساء . ولتذهبا الا الشيطان ، انتما وحديثكما السياسى .

«الآن سيقترح دعوة امراة – فهم سلافين –سيطلب ويسكى ، ويدعو صاحبته . او يقول انه يوجد هنا عرض «ستربتيز» جيد» .

قال سلافين :

– اويدك ، فى زمننا الخاطف تبقى المرأة وحدها رمزالوثوق ، اى الجمال .

– هذه فكرة لا بأس بها – وضحك بول ضحكة مقتضبة ساخرة – يعني اياها ، يا ايفان . الجمال كرمز للوثوق . بعشرة

دولارات . بل وحتى بخمسة عشر . وسأبدأ الريبورتاج لقومنا ، لرعاة الخنازير : «الجمال كرمز للوثوق . بهذا كنت افكر ، حين نقلتنى طائرة الهليكوبتر فى الادغال ، على ساحل المحيط ، إلى المستر اوهانو ذى المترين طولاً ، خطيب المنابر ، والمقاتل الذى يعد بأن يعيد الى ناغونيا الحرية التى دنسها رجال غريسو ، صنائع الكريملين» . لا بأس . ها ؟

— لا بأس . هات خمسة عشر دولارا . او خذنى معك الى اوهانو .

— ستسجنك «ك غ ب» * — اجاب بول — اوهانو عدوكم ، ولا يحق لك التكلم معه ، فأنا اعرف كل شىء عنكم ، ايفان . انا عجوز ولهذا فأنا ذكى .

— كفاكما لذعاً وملاسنة ، يا شباب — قال هليب ، أظنهم يجلبون العشاء اخيراً . اسمعا ، شىء يرن فى الممر .

— لا يرن شىء هناك — اعترض سلافين — هذه هلوسات سمعية من جانبك .

وفى تلك اللحظة طرق الباب .

— نعم — اجاب الثلاثة : اثنان منهم بالانجليزية ، وواحد بالروسية .

كان على عتبة الغرفة زنجى يدفع عربة صفت عليها صحون السمك . والفكرة الخرقاء التى طافت فى رأس سلافين — سيأتى نادل ابيض ، روسى بالتأكيد — تبين انها خرقاء بالفعل .

. . . نقر بول ديك سمك الميرلوزا بشوكته ، وتذوقها ، وبصق :

— الافارقة لا يحسنون الطبخ . فهم اذ رفضوا الفرنسيين والبلجيكيين هواة الطهى اللذيذ فى العالم سقطوا فى عبودية شركتنا «ماكدونالد» لبيع السجق والقهوة وسندويتشات الجبنة ، مريحة جداً ، والأهم من ذلك ، رخيصة ، تناسب جيوب الجميع .

«سندويتش جبنة» — كرر سلافين مع نفسه — رخيص جداً ،

* الحروف الروسية الأولى من «لجنة امن الدولة» . المعرب .

بارات شركة «ماكدونالد» . اين يعمل «مقطوع الاصابع» فى «هيلتون» ؟ فى المطعم ؟ لا يطعمون النُدل هنا . ليست هذه روسيا ، فلماذا لا يأكل فى «ماكدونالد» ؟

— بالمناسبة ، هل نفذت «ماكدونالد» الى هنا ، بالفعل ؟ — سأل سلافين ، وهو يقدم السلاطة الى هليب — المطعم هنا يفرغ جيبك بالفعل . وتناول لقمة على الماشى اثناء النهار ضرورى ايضاً .

— لا يمكن الا ان ينفذوا ، — اجاب هليب ، وقد نظر بحسرة إلى زجاجة الفودكا الفارغة — ولكن لا يسمحون لهم بالعمل فى المركز . فهم ينسلون الى قصر الرئاسة من افقر الضواحى . وهؤلاء الشطار ، الحقوا مناضد بليارد بباراتهم ، والسود يقضون فيها اوقات فراغهم كلها . البليارد ارخص من السينما بسبع مرات . . .

— والتلفزيون ؟

— فقدت عقلك ! من منهم يستطيع ان يشترى جهاز تلفزيون ؟ ! — ونظر هليب الى الزجاجة الفارغة مرة أخرى . ولاحظ بول نظراته اخيراً ، ونهض ، وراح الى التلفون ، وادار رقم «١٥» («سكران طينة ، ويتذكر كل شىء — لاحظ سلافين مع نفسه — لا سيما اذا كان الامر يتعلق بزجاجة») وطلب :

— زجاجتى ويسكى للغرفة . . .

— ٦٠٧ ، — لقنه هليب .

— للغرفة رقم ٦٠٧ . وارسل حساب هاتين الزجاجتين الى غرفة رقم ٩٠٥ ، بول ديك . بسرعة !

«لم هذا التباهى بذاكرته ؟» فكر سلافين دون عجل ، وهو ينود براسه مؤيداً لمحدثه الذى كان يقص كيف ان المكدونالديين يضاربون بالقهوة ، بعد ان عقدوا صفقة مع فرع شركة «نستله» . — «الرجل الطبيعى ما كان من الممكن ان يتذكر الرقم ، ولا ان يعلق فى ذهنه بالقوة التى علق بها فى ذهنك ، وما كان ليصغى فى ذات الوقت للجميع ؛ لى ولبول . قال خرينوف «مقطوع الاصابع» يلزم خفارة لاثنى عشر ساعة» . سيتعين معرفة كم ساعة يعمل النُدل . ما الذى جعلنى اعلق بالنادل بهذا الشكل ؟ وما الذى جعل هليب يعلق بى بهذا الشكل ؟ إنه عالق بى بالفعل . ألعله عرف بلقائى مع خرينوف . مبكر جداً ، حتى ولو أسلمت بأنه من رجال وكالة

المخابرات المركزية ، وانه سوّى اتصالاته مع الشرطة المحلية لا ، أنا اخيف نفسى بنفسى ، ما كان ليتسنى الوقت ليبلغ» .

سأل هليب :

– مستر سلافين ، هل تنوى الكتابة عن الوضع فى لويسبورغ

– تهمنى ناغونيا اكثر ، واعترف لك بذلك .

– أذن ، لماذا لم تسافر الى هناك ؟ أم أنك تأخذ بروايتكم الرسمية القائلة بأن مقر اركان المتآمرين فى لويسبورغ ؟

– اؤيدها ، بالطبع ، أنا لا افصل نفسى عن موسكو ، ولكن زميلاً لى موجود هناك . . .

– مستر ستيبانوف ؟ نحن نقرأ كتب هذا الكاتب ، لا مقالاته فى الجريدة فقط . الغاضبون عليه هنا كثيرون . فانه حاد جداً .

– اذن ادحضه . اذا كان يكذب ادحضه ، ولا حاجة للغضب ، فليست هذه بالروح الديموقراطية .

– ستيبانوف يكتب جيداً ، حتى اذا يكذب – قال بول ، وهو يقطر كل الفودكا بقدحه من خلال عود ثقاب – وعدّ سلافين احدى وثلاثين قطرة – الكتابة الصحفية ، والادب كذب ، وكلما كانت موهوبة اكثر ، كانت اكثر شبهاً بالحقيقة . يجب أن تكذب كذباً يشبه الحقيقة ، عندئذ سيكون ذلك فناً . يجب ان تحسن كتابة حياتك متخيلة ، وليس كالحياة المضجرة التى يعيشها الناس ، وعندئذ ستصير تولستوى او همنغوى .

– مَنْ ؟ سأل هليب – همنغوى ؟ ولكنه مات . . .

قال بول بغضب :

– وتولستوى أنتقل من مينيسوتا الى ميامى ، والآن يصطاد السمك فى الخليج ، رغم أن همنغوى الآن – ونظر الى سلافين – نسيناه بالفعل . ولو كان قد ولد فى القرن الماضى ، لكان الامر مختلفا ، والافهو معاصرنا . فقد رأيناه ، وشربنا معه ، والنساء روين لنا كم كان ضعيفا ، وقذفنه بقوارص الكلم ، واعطى خدمه تصريحات قالوا فيها انه جشع . . . ولا يوجد ولا يمكن ان يوجد كلاسيكيون فى القرن العشرين لان وسائل الاعلام الجماهيرى صارت لها اليد الطولى . فى عهد تولستوى كانت هناك اقاويل عنه ، والآن كل شئ يصاغ على أعمدة الصحف بعناوين صارخة . فحاول ان

تكوّن لك مكانة ، حاول الا تصدق بكل هذه القاذورات التى تنشرها . . . وبعد ذلك ، التلفون . . . وصارت المخالطة بين الناس بسيطة الى حد الوقاحة . بالأمس لو حاولت ان تتلفن الى ياسنيا بوليانا * ، وتحصل على مقابلة صحفية لكان مستحيلاً ! اذ كان لابد من السفر بعد ان طلبت اذناً . وكان ذلك لزاماً وضع حداً بينه وبيننا . . . أما الآن فلا يكلفك غير أن تدير التلفون و«يا كونت ، علقوا على «الحرب والسلم» . . .

– صحيح – وافق سلافين – قلت الحق ، يا بول . بفظاظة شديدة ، ولكن صحيح . يعنى ، أننا نحن نحرم انفسنا من كلاسيكيين ؟ القرن العشرين يريد أن يولى الى النسيان دون كلاسيك . الا نعرف ما نفعل ؟

– ولماذا ؟ نعرف .

– هل المستوى الثقافى عال جداً ؟ الجميع متعلمون ؟ وبسبب هذا هناك الكثير من الافتقار الى التقييم الموضوعى ؟ من مشاعر التعاطف الشخصية ؟

– الاحرى من مشاعر النفور . أما بخصوص المستوى ، فانت محق جزئياً . انت تسقط ثقافة روسيا على العالم ، وهذا هو الخطأ .

قال هليب :

– يا اصدقاء . الم يحن الوقت لنفكر فى النساء ؟ انا بالطبع افهم . مثقفون ، ثقافة . ولكن لستما عنينيين ، على ما آمل . أم ان مستر سلافين يخشى العواقب ؟ على قدر معرفتى ان رجالكم يمنعون من هذا النوع من المخالطة . .

فكر سلافين مع نفسه : «شاطر . كل شئ وفق الخطة . قديم كالعالم ، ولكنه ما يزال يفعل .اللعنة . طيب ، لنر عمالته» .

ذكر سلافين :

– ورجالكم ايضاً ، كما سمعت ، لا يوصون بمثل هذا النوع من المخالطة .

نظر هليب فى عينى سلافين ، بل وحتى فوق حاجبيه ، وللحظه

* الضيعة التى ولد فيها الكاتب الروسى العظيم ليف تولستوى (١٨٢٨–١٩١٠) وقضى فيها زهاء ٦٠ سنة من حياته . **الناشر** .

صار وجهه مثقلاً ، بل وميتاً ، ولكن ذلك كان للحظة فقط . وبعدها ذهب الى التلفون ، وسقط على المقعد بخفـــة ، واخرج من جيب بنطلونه الخلفى دفتر ملاحظات متهرئاً ، وفتح صفحة يعرفهـــا بالذاكرة ، ونظر الى سلافين ، واطبق الصفحة ، وأخذ يتلكأ ، مصوّرا بوجهه بابا نويل يبتكر لعبة مسلية تنتهى بهدية رائعة .

سأل ، وهو يؤرق دفتره كالسابق :

– فيم ترغب : فى بيضاء ام سوداء ؟

اجاب سلافين :

– عندى عمى الوان .

انفجر بول ديك ضاحكاً . وقال هليب :

– آوه ، اى ماكر انت ، يا مستر سلافين ! طوال الوقت تزيغ عن الرد الدقيق .

– الردود الدقيقة تحتاج الى محكمة .

– وانت – تعرف جيداً عمل المحكمة ؟

– بالطبع .

قال بول :

– احسن . منك ، يا جون . جلس معى يتابع محاكمة بنورنبيرغ من الجرس للجرس .

– كانت تلك سياسة ، بول ، أما الآن فان مستر سلافين يجيبنى عن النساء ، كخبير محنك بالتكتيك : لا بنعم ولا بلا . وهو ، فى كل الاحوال ، نظيف ازاء التعليمات .

– ايها بالضبط ؟ – سأل سلافين – أية تعليمات تعنى ؟

انقذ هليب مجىء النادل من البار بزجاجتى الويسكى والثلج . وفهم سلافين ان هليب لا يستطيع ان يفلت . وبالفعل كيف يبين تاجر معرفته بالتعليمات ؟

شرب بول رأساً ، وصبّ لسلافين وهليب .

– الآن – لبىّ هليب ، وهو يدير الرقم – دقيقة ، يا بول .

ظل يسمع الرنين طويلاً ، وتنهد ، ويئس ، وادار الرقـــم التالى . قال بول :

– فتياتك الآن دخلن الحمام فى غرف آخرى . فليذهبن الى الشيطان ، الفاجرات .

– فوه ، اية قذارة – لا يجوز ان تكون كلبياً بهذا الشكل ، يا بول . مجرد انـــك لم تتوفق بصديقات . لم تكن لـــك غير الساقطات .

– احسن امرأة صديقة هى ساقطة لا عذار لها ، لا يجوز ان تتكلم معها عن برامس ، والتظاهر بانك تفهم سترافينسكى .

هالو ، بيلار – قال هليب ، وقد ادار الرقم – أنا جالس فى صحبة اذكى رجلين . الا ترغبين فى ان تنضمى الينا ؟ لماذا ؟ إنك تكدرينني ، يا بيلار ...هيا ، من فضلك . . . ارجوك كثيراً . ما ؟ هوه ، شاطرة ! غرفة رقم ٦٠٧ . بيلار ، نحن جالسون هنا بانتظار !

كانت بيلار ، بالفعل ، حلوة : اسبانية طويلة ميّاسة ، لها عينان وسيعتان ، وابتسامة غاية فى الفتنة . حيّت بول وسلافين بلطف ، وقبّلت هليب ، فى صدغه ، بصداقة وعفاف ، وفتحت الراديو مثل سيدة بيت . كان «هيلتون» يقدم برنامجه للجاز ، ولم تخطئ هى ، فضغطت على الزر اللازم ، وتناولت الويسكى من سلافين ، ومسّته بشفتيها قليلاً ، واوضحت ، وقد لاحظت نظرته :

– لا تزعل ، فأنا اسبانية ، على اية حال ، ونحن نشرب النبيذ ، ولكننا لا نسكر به ، بل بالندامى الاذكياء .

«ساقترح عليها حديثاً فى الحال – فكر سلافين بسرعة ، وقد برد من القلق – ونديماً ، نديماً رائعاً» .

كان طوال هذه الساعات والأيام بدأ من الحديث الأول فى مكتب قسطنطينوف يعيش الرواية التى ركن اليها وهى إن الروسى الذى بعث الرسالة هو ، بالتأكيد ، احد المهاجرين الخائبين الذين يعيشون قسمتهم المريرة ، عاملين فى مجال عبودية تقديم الخدمات . وهم يدفعون لقاء ذلك ، وفى «هيلتون» بشكل خاص ، اجراً لائقاً تماماً .

إلا ان سلافين الآن ، فى غضون هذا الحديث الطويل كله ، لم يستطع حتى أن يفترض أن الحل الحاسم سيهل عليه بشكل مفاجئ جداً . والظاهر ، على اية حال ، ان القانون الازلى عن تحول الكمية (وفى الحال الراهنة كمية التأملات ، والتقديرات ، وتقصيات الحل الامثل) الى نوعية قاد سلافين الى فعل يبدو ، من الوهلة الأولى ، غريباً ، ولكنه فى جوهره الحكيم الوحيد – فى هذا الوضع بالذات .

– دقيقة – قال سلافين ، وقد نهض – سأعود حالاً . تحرك هليب الى امام :
– ما الذى جرى ؟
اجاب سلافين :
– شىء ما .
نزل الى المطعم ، وتقدم الى رئيس النُدل مترنحاً قليلاً ، وسأل :
– اسمع ، هل عندكم احد من النُدل من مواليد انجلترا او المانيا ؟ الافضل ، بالطبع ، ان يكون من روسيا ، ولكن ذلك ، على ما يبدو ، محض خيال . أليس كذلك ؟
– ما هى المسألة ، سير ؟ هل يمكن أن يجديك فرنسى ؟ إن الساقى فى بارنا فرنسى . . .
– هذا كآخر حل . . . اريد ان استضيف سيدة لا تشرب الويسكى ، استضيفها بنوع من الكوكتيل ، كوكتيل روسى .
– انتظر ، انتظر قليلاً . يعمل عندنا فى السرداب رجل يدعى بيليو ، يبدو أنه من اوربا الشرقية . . . عندما اضرب خدمنا السود ، استخدمناه فى الغرف . . . لحظة ، سير . . .
رفع رئيس الندل سماعة التلفون ، وادار رقم «٣» ، وسأل :
– لويش ، قل لى : هل انتهى بيليو من عمله ؟ يسأل عنه ضيف من . . .
– غرفة ٦٠٧ – لقّنه سلافين ، وقد استرخى حتى لا يظهر كثيراً توتره العجول .
– من غرفة ٦٠٧ . مفهوم ، لويش . ولكن متى يعمل فى نوبته ؟ فى الثامنة ؟ شكراً .
وضع رئيس الندل السماعة .
– بيليو هذا سيأتى الى العمل غداً فى الساعة الثامنة صباحاً سير ، مع الاسف الشديد . . .
– عندئذ ارجوك أن ترسل لى الى الغرفة زجاجة شمبانيا . .
– اى نوع ؟ حلوة ؟ أم «بروت» ؟
– لايهم ، فقط ان تكون روسية .

– ولكن عليها رقعة امريكية ، لوسمحت ، سير . الحمر يصنعون «بروت» للولايات المتحدة .
– مع الاسف أن عليها رقعة امريكية . . .
– سأحاول البحث فى اقبية الخمور عندنا . الروس غيروا الرقعة . وهم الآن يسمون شمبانياهم بأسم مختلف ، فهم لا يريدون أن يتخاصموا مع الفرنسيين . سانزل بنفسى الى القبو ، سير .
– اشكرك . هذا لطف كبير من جانبك . . . وارجوك ان ترسل الى فوق زجاجة فودكا روسية .
– حاضر ، سير . فودكا «سميرنوف» ؟
– لا ، روسية فقط .
– «ستوليتشنايا» أم «قوزاقية» ؟
– «قوزاقية» ؟ أنا لا اعرف هذه الفودكا . الظاهر انها «كوبانسكايا» ؟
– انت تعرف انواع الفودكا جيدا ، سير . «كوبانية» بالضبط ! سأرسل لك «البوى» خلال عشر دقائق .

«والآن يجب ان أجد ذريعة لمغادرة الفندق – فكر سلافين بلهفة – سأغازل بيلار ، وأوصلها الى البيت . وبعد ذلك اعرج على السفارة ، وآخذ الصور الفوتوغرافية . وفى الساعة الثامنة التقى بيليو . وحق الرب هو الذى كتب الرسالة . وسأطلب موسكو اليوم ، ليعلموا بشأن بيليو هذا . اتمنى من الرب ان يعرفوا عنه ولو اقل القليل . ولو كان بيليو هذا يتكلم الروسية ، ولو كان هو الذى كتب لنا ، ولو كان يعرف من الصور الشخص الذى استماله الامريكان فى غرفة الفندق ، فسأطير غداً الى موسكو ، وسينتهى كل شىء» .

قسطنطينوف

جرى الاتفاق مع يريمين ، وهو رئيس قسم فى وزارة الخارجية ، على الالتقاء فى مطعم «نوفى اربات» فى الظهيرة .
كان قسطنطينوف قد ناقش اطروحة ايفان ياكوفليفيتش يريمين

لنيل شهادة مرشح العلوم فى موضوع «حركة التحرر الوطنى فى القارة الافريقيـــة وافعال اقطار حلف الناتو» . فان قسطنطينوف كقانونى مختص بالشؤون الدولية ، بنزعة التقصى المجبول عليها ، قد وضع امام يريمين سبعة واربعين سؤالاً : فقد تعود على المطالبة بالدقة من جانبه ، ومن جانب المحيطين به فى كل شىء ، إذ لا وجود للصغائر بالنسبة له . ومن هنا انعقدت الصداقة بينهما . اجّل يريمين الدفاع عن اطروحته لمدة شهر ، ولكنه ، دافع عنهـا بشكل لامع ، ولم يصوت احد ضده .

. . . . وصل قسطنطينوف الى المطعم قبل الموعد بعشر دقائق ، واوصى على طبق حساء اللحم المسلوق مع فطائر ، واستفسر عمـا إذا كانت الكستلته جيدة اليوم ، وطلب قهوتين مركزتين الى الضعف .

سأل النادل :

— ومن المشروبات ؟ كونياك ؟ أم ربما فودكا ، عندنا ماركة «بوسولسكيا» * .

اجاب قسطنطينوف :

— من المشروبات سنشرب «برجومى» ** .

تكدر النادل ، وهزّ كتفيه ، وعدّل المفرش بحركة حادة حتى ان قسطنطينوف اضطر ان يمسك بقدح ، فقد كان سينكسر ، لا محالة .

تأخر يريمين خمس دقائق .

— اعذرنى ، يا قسطنطين ايفانوفيتش ، اخطأت حساب الوقت ، وقررت ان اجمع بين اللطيف والمفيد ، فجئت ماشياً .

— ولكن التأخر خمس دقائـــق مسمـوح بـــه فى العرف الدبلوماسى — وابتسم قسطنطينوف — واظن اننا ، خلال اربعين دقيقة ، سنلحق ان نتحدث ونتغدى . طلبت حساء اللحم المسلوق .

قال يريمين :

— انت عبقرى . عبقرى طيب . والآن قل لى : اى محذور وقع ؟

— لا شىء البتة . مجرد اننى وددت ان اجلس معك ، فالتحدث

* ماركة جيدة من الفودكا . **المعرب** .

** نوع من المياه المعدنية . **المعرب** .

بالتلفون لا يكحل العين بالنظر ، بينما أنا اريد أن انظر فى عينيك ، لانك وسلافين داهيتان بشكل لا يصدّق . وأنا افهمكما ، كليكما ، أحسن حين تصمتان .

— اهذا اطراء ؟

— بلا جدال . فالدهاء الجزء المكون الضرورى للعقل . وهـــو الضد من الدناة والتجرد من الشرف . لعلمك اننى اعدت بشكل خاص قراءة فصل من كتاب ممتع من القرن الماضى «حول فن الدهاء العسكرى» .

ضحك يريمين :

— يوجد كتاب مماثل صدر فى باريس عام ١٨٣٩ بعنوان «رهافة الدهاء الدبلوماسى» .

— **يعنى ، اطراء ؟**

— نعم ، فى الحقيقة . طيب ، حدثنى : لم احتجتنى ؟

— المسألـــة ، يا ايفان ياكوفليفيتش ، ان الدم ، حسب معلوماتنا الاخيرة على وشك ان يراق فى ناغونيا . . .

اليس هذا التصعيد حسب معلوماتك ، مجرد تظاهرة اختبار القوى ؟

— حسب معلوماتى يجرى الاعداد هناك لمذبحـــة . وحسب معلوماتك ؟

— يبدو لنا أنهم لم يعزموا على عدوان سافر . أنا لا اجادل فى أن الصقور قرروا اختيار افريقيا ميداناً للمجابهة ، ولكنهم غير مستعدين لقتال جدى ، فان ذكريات فييتنام ما تزال طرية جداً . والظاهر أن الأمر ينحصر باثارة ضجة دعائية انهم يمهدون التربة ويريدون المساومة فى مباحثات نزع السلاح ، ولهذا يجروننـا الى حالة الأزمة ، الى الحافة بالضبط .

— يبدو لى أنك لست صائباً .

— هذا رأيك الشخصى ؟

— نعم ، ولكنه مستند الى حقائق .

— حساء اللحم المسلوق ممتاز ، فقط يحتاج الى قليل من الملح .

— جميع الذين يحبون الملح لهم ضغط دم عال .

— ذلك هو أنا — اجاب يريمين — ضغط الدم عندى يرتفع

باستمرار . . . إنهم يجيدون تحضير حساء اللحم المسلوق ، شطار . . . من الغريب ، على العموم ، انك تصر على إحتمال العدوان . تعال نزن الأمور . إن لويسبورغ التي يمتدح اوهانو صداقته معها ابعد عن أن تكون موحدة ، كما تبدو . رغم أن الميول الموالية للامريكان قوية هناك ، ولكن الحكومة تفتقر الى الوحدة . اعضاء مجلس الوزراء ليسوا جميعاً ، الى حد بعيد ، موافقين على فكرة اسناد اوهانو بدون قيد ولا شرط . ان سلوكه غير عادى جداً . ثم الوعى الوطنى المستيقظ . الناس لا يريدون السير فى مجرى السياسة الامريكية . هؤلاء الامريكيون يسيئون العمل كثيراً جداً ، ويرتكبون الحماقات مراراً وتكراراً ، والسوقية الزاعقة كثيرة عندهم ، بينما دخل العالم فى عهد الموقف الخاص من مفهوم الكرامة نفسه .

— ولكن وزير دفاع لويسبورغ قد اعلن عن تعاطفه مع اوهانو . . .

— نعم ، ولكنه فى الوقت ذاته رفض ان ينقل له دفعة من البنادق الاوتوماتيكية المشتراة من اسرائيل .

— وما حاجة اوهانو لدفعة جديدة من الاسلحة ؟ انه يحصل على ارساليات من الولايات المتحدة وبكين مباشرة .

— والربط ؟ انه طلب اسلحة من لويسبورغ ليربط اليه جاراً اكثر اعتماداً . وقد رفضوا له ذلك . وهذه بادرة . يبدو لى أن رئيس الجمهورية نفسه يدرك تعقد الوضع ، ولهذا توجه الى غريسو واوهانو معاً باقتراحات عن الوساطة . . .

— وبعد ؟

— ما يزال اوهانو يرفض ولكن اظنه سيدخل فى حوار حتماً فى اللحظة الاخيرة .

— باى برنامج ؟ معقول أن له برنامجاً بناءاً . انه متعطش للدم .

— سيتداعى ، يا قسطنطين ايفانوفيتش ، سيتداعى . . .

— وفقا لامر الاسياد ؟

— بالطبع ستعترض بكين اعتراضاً قاطعاً على المفاوضات مع غريسو . فان مصلحتها فى الصدام السافر . اما واشنطون فهى فى حيرة ، كما يخيل الىّ . من المفهوم أن الاحتكارات تضغط ، إذ

فقدت السوق ، وكل ذلك واضح ، ولكن الاقدام على القتال اليوم امر معقد ، لاسيما وان موقفنا محدد تماماً ، وهو اننا سنساعد لاغونيا كقطر تربطنا به معاهدة .

— فى الصباح اطلعت على خطب السفير الامريكى للمهمات الخاصة . . .

— ماذا تريد منه ، يا قسطنطين ايفانوفيتش ؟ ! إنه رجل ليلسون غرين ، وهو ملزم على ان يقول ما يفكر هذا فيه ! ولكن توجد فوقه الحكومة والادارة . وهؤلاء ايضاً بعيدون عن ان يكونوا جميعاً متحدين ، كما يبدو .

— فى هذه الحال سرت فى طريق المقايسة — القانون البريطانى . . . قبيل بدء الحرب فى الفييتنام كانت خطب الدبلوماسية الامريكية على هذا الغرار ايضاً . سيناريو التصعيد الموضوع لديهم دقيق ، بل ويمكن القول ورهيف . انتبه ، يا ايفان ياكوفليفيتش أن الصقور — فى المشكلة الافريقية ، يضغطون على اوربا ، وهم يأملون كثيراً فى ان يجروا الى هنا شركاءهم فى حلف الناتو .

— انهم يفعلون ذلك بضغط مفرط ، يا قسطنطين ايفانوفيتش . اوربا اضحت ذكية ، وسياسيوها يفهمون ألاّ حاجة الى الشروع بقتال فى دارهم ، وحريق الحرب لا يطفأ بماء من يانتس ، كما ان المسيبى بعيد جداً .

— مَنْ مِن رجال الأعمال فى لويسبورغ يعتبرهم زملاؤك أناساً جادين ؟ أنا اقصد التجار الغربيين .

— الألمان يعملون بخفة ونشاط ، شطار ! هانزن متين جداً . إنه فى السكك الحديد . وكيرهغوف وبولتز بالانسجة والسيارات والاسمنت . وتشيكرز ولا ندوم وساوسر ، فى ظنى ، اهل معرفة واختصاص من بين الامريكيين ، وهم يمثّلون روكفلر ، وملمون بكل شىء عملياً .

— ولورنس ؟

— هذا لا اتذكره ، كما يبدو .

— «انترنشنال تلفونيك» .

ساعده قسطنطينوف على التذكر

— آه ، نعم . سمعت ! ولكن رجالنا يتحدثون عنه بابهام ، إن شيئا وراءه ، ذيلاً يجرجره .

— هليب ؟ الا تتذكر هذا الاسم ؟

— اظنهم يشتبهون بأن له صلات بوكالة المخابرات المركزية . . . التجارة غطاء .

فضحك قسطنطينوف ضحكة تهكم مقتضبة :

— او ربما ، العكس ؟

— صحيح ، ربما يكون ذلك ايضاً .

— قل لى ، يا ايفان ياكوفليفيتش ، من فضلك ، تسرب المعلومات — لا سيما فى قضية ناغونيا — ربما يعيقكم كثيراً ؟

— لا احب حتى التفكير فى هذا .

— أنا ، مع الاسف ، مضطر .

— هل هناك اشارات ؟

— نعم .

— موثوقة ؟

— سنتحقق .

— سيء .

— نعم ، ليس فيه ما يسرُّ .

— بودى ان اقول : وسيء جداً ، ياقسطنطين ايفانوفيتش .

— تقصد اننا نتيح للخصم امكانية التحسب للخطوات المقابلة ؟

— بالضبط .

— يعنى أنت ترى انهم لن يقدموا على قتال ؟

— ارى ذلك .

— وأنا اظن انهم سيقدمون عليه . وسيشرعون . بشرط واحد فقط هو أن لا نعيقهم . لا نتحايل ، اذا قلنا غير ذلك . خبرنى : هل معاهد البحوث العلمية تتلقى منكم مواد كثيرة ؟

— كثيرة ، كثيرة جداً . و لامناص من ذلك . لأننا لو ابقينا العلم على تقنين المجاعة من المعلومات ، فلن يأتى منه نفع . ربما هى استفزازات ؟ الا يحتمل الخطأ هنا ؟

— يحتمل . ونحن مشغولون فى التدقيق فى هذه النقطة بالذات . . .

اوصل قسطنطينوف بريمين فى السيارة ، إلى وزارة الخارجية ، وذهب الى دائرته ، ونظر فى البرقيات الاخيرة ، وتوجه الى الملعب . هيأ تروخين له لعبة مع فينتر .

قال قسطنطينوف :

— أنا فى البداية من تعلمى لفن التنس . فلا تؤاخذينى اتفقنا ؟ الظاهر انك تعودت على اللاعبين الجيدين .

— لا بأس — قالت اولغا مبتسمة ، وتغير وجهها فى الحال ، واكتسى شباباً — الحلاق يتعلم على راس اليتيم .

— كيف ، كيف ؟ «على رأس اليتيم ؟» من اين هذا ؟

— مثل افغانى . هل تريد ان اركضك ، أم تتدرب على الضربات ؟

— انا مستعد لكل شيء ، فقط الا تستصغرينى كثيراً .

— لست لعوباً على الاطلاق . اللعب يمد المرء بطاقة عظيمة طوال الاسبوع . فيعمل رنين البلور .

— رنين البلور ؟ — استفسر قسطنطينوف .

— الا تتذكر ؟ «سوناته واحدة ابدية مستظهرة رنين بلور» . . .

— ماندالشتام • ؟

— ما هو اختصاصك ؟

— قانونى .

— اذن ، فانت غير مفهوم لى . الآن الفيزيائيون وحدهم يعرفون الشعر . والاخصائيون فى العلوم الانسانية يبرزون فى فن الحديث اكثر فأكثر . هل نلعب ؟

— بعون الله !

لعبت اولغا فينتر بشكل ممتاز ، فعلاً . احياناً يحدث أن يكون الانسان ضليعاً فى العمل الذى يشعر بالحرية فيه . او كما يقال ، يسبح فيه ، ويسعى جاداً الى ان يظهر بمحيطه تفرده بنوع معين . وهذا يحطم شركاءه ، ويحط منهم ، ومن هنا يأتى الحسد والضغينة ،

• شاعر روسى سوفييتى (١٨٩١–١٩٣٨) . الناشر .

الاثم ، باختصار . والذين هم من نمط آخر نادرون . فان المهارة تجعلهم مفتوحين بشكل خاص ، يتحسسون المقبل ، وهم يقدمون معرفتهم للناس بسهولة ، مستشعرين فى ذلك فرحاً مرئياً . ولا سيما حين تظهر نتائج هذا النوع من المنح . ومخالطة مثل هؤلاء الناس مريحة ، فهى مغنية . فان اى نوع من المردود فى الحقيقة يرتد كالبوميرانج • بالتأكيد . فانت اذا ايقظت موهبة فى شخص آخر فستحصل على ما يزيد مائة مرة على نواح اخرى ، ومن هذه ، من فرق النواحى ، تصير موهبتك اثرى ، وتسطع بكل التلاوين – فالنبوغ ، اذا كان حقيقياً ، ذو تلاوين شتى ، على الدوام ، والوسطية فقط لها معنى واحد بدون ريب .

كانت اولغا فينتر تتيح لقسطنطينوف فرصة ، وتلعب بتأن ، بدون روح العدوان المضحكة احياناً فى حلبة الهواة ، والتى (كثيراً ما تعتبر) ضرورية ، وحتى لا مناص منها .

– هل ارهقتك بالركض ؟ – سألت بعد اللعبة الاولى – اكبح جماحى .

– لا، لا ، بل ارى أنك متسامحة كثيراً .

– انا لا أحسن التسامح – اجابت المرأة – روح التسامح مزعجة جداً سواء اكانت فى الحب أو الرياضة أو العلم .

– لفتت انتباهى هذه الفكرة فى اطروحتك . . .

– الاطروحة عمل الأمس – اجابت اولغا، ومن جديد صار وجهها فتياً تماماً – حقاً ، أنا لا اتباهى ، مجرد ان المرء اذا انجز عملاً فانه سيرى الثغرات والفراغات بوضوح .

– لم الحظ فراغات ، فقد كتبت كل شىء كتابة مكثفة جداً .

– الانجرار الى الكتابة المكثفة ليس بالأمر الصعب ، حين تقضى عامين فى بلد . المكدر هو ان معاهدنا لا توفر للعلماء الشبان امكانية اكثر من الايفاد لمدة اسبوعين الى البلد المعيَّن . وهذا شىء تافه . اذ لن تكون هناك نتائج الا فى العيش هناك ، والانزواء والتوصل الى المبتغى . . .

– فيه خسارة للدولة ، على ما يبدو . انا أقصد من ناحية العملة الصعبة .

• قطعة خشب ملوية او معكوفة ترتد على الرامى . المعرب

– هراء . من الممكن الاشتغال بالتنظيف فى المكتبات . بالطبع لا يستطيع المرء ان يشترى سيارة ، وحتى مسجلاً ، ولكنه سيجد ما يكفى لمنامه وللقهوة والجبنة . وعندئذ ستفهم مفاتن العالم الغربى ، لا من الخارج ، بل من الداخل . «الاصوات» • تعمل بخبث ، من قبل كانت تتباهى ، أما الآن ، فقد تزودت ببعض الذكاء ، فهى تمارس نقداً ذاتيا ، وتشتم . طيب ، كفى ، والا فسياخذنى الغضب ، واجعلك تركض نحو الشبكة !

كان قسطنطينوف طرفاً طيباً فى الحديث ، لأنه كان يحسن الاصغاء . والى جانب ذلك لم يكن يصغى فقط ، بل يحيا فكر محدثه ، فقد كان فى عينيه اهتمام ذكى دائم ، اقرب كثيراً الى ان يكون محفزاً فعلياً للحديث من ان يكون مناظرة لفظية .

– لماذا وقع اختيارك على الاحتكارات متعددة القوميات فى لويسبورغ ؟ – سأل قسطنطينوف حين ركبا سيارته من ماركة «جيغولى» – اظن ان الامريكان ينسلون الى هناك على انفراد ؟

– هذا فى السطور الاولى من رسالتى – اجابت اولغا – إنهم يلتقطون رأس جسر ، وينزلون ، وينفذون فى العمق . أما نحن فعلى جبهة عريضة . نحن اسخياء ، نخشى أن نكدر احداً ، نثق ولا نطالب بضمانات .أما العم سام ، فهو دقيق ، لا يعطى سنتاً واحداً بلا اوراق ، ولا سندات ، ويحسن عد الفلوس . فى البداية يستقر هو ، ومن بعده تأتى عصابات «الغانغستر» المتعددة القوميات .

. . . كان فيدوروف ، وهو ينصح قسطنطينوف بمعاينة فينتر – تكشفت القضية عن اهمية غير اعتيادية – يرمى الى هدف آخر لا يفهمه غير الذى كان يفكر بمسؤولية فى قدرة جيل ان يخلف جيلاً آخر .

كان فيدوروف ، بالطبع ، يعرف جيدا أن فى الجهاز كانت تتعايش وجهات نظر متعددة حول دور القائد ذى المستوى الرفيع فى هذه العملية او تلك . بعضهم كان يرى ان الجنرال لم يكن يحتاج إلى أن يشغل نفسه بالتفاصيل ، فان هناك موظفين ذوى كفاءة عالية ، رجال مخابرات شبابا نامين ، وكان فى امكانهم ، كما يظهر ،

• تقصد الاذاعات الاجنبية : صوت كذا . . وصوت كذا . المعرب .

ان يقوموا بانفسهم ، بما كان قسطنطينوف يقوم به الآن فى حلبة التنس .

ولكن فى كل حالة معينة ينبغى ، كما كان فيدورروف يعتقد ، التدقيق بالضبط فى الحد بين المفهومين : القيادة والمشاركة المباشرة فى الأمر . فان الاستيعاب المضبوط لهذا النوع من الحد هو ستراتيجية العلاقات فى المجموع العامل .

كان فيدورروف يقول : «كان بطرس * ينجر الخشب للسفن فلماذا لا يشارك الجنرال فى اجراءات فعلية اصبحت ، بموجب سلم الرتب الذى لا يعرفه الا الله ، خارج نطاق نشاطهم» .

— من المحتمل أن اسافر الى لويسبورغ . . . هل توافقين علي ان تخبرينى ماذا اشاهد ومع من اتحدث ؟

— بالطبع . . فى اى مجال انتم ؟

— نحن نفرغ فى موانيهم جزءاً من البضائع لناغونيا . إنهم يخلون بالموعد اخلالاً كبيراً ، وهذا أمر يمكن أن يرفع الى المحاكم .

— لن تنجحوا فى ذلــك . الامريكيون اشتروا الموانىء — وانتعشت اولغا مرة اخرى . — اتصور أنهم يشتغلون هناك من خلال مافيا . الامر يبدو شديد الشبه بذلك . البارات ، حانات «ماكدونالد» ، مثلاً ، تخدم الامريكيين بالفعل ، وهى مبثوثة حول الميناء ، ومحطة القطار ، والمطار بعدد غير معقول . وكان زوتوف يقول : ان المافية فى صقيلية تهيمن لانها تسيطر على الموانــى والمطارات . . .

— زوتوف ، من هو ؟

— هو الرجل الذى احببته . . . كان . . . كان بالنسبــة لى . . . باختصار انه رجل ذكى جداً وطيب . يلزمك التحدث اليه ، فهو نير الذهن ، كثير السخاء ، زوتوف الاكثر طيبة . . .

— هل كنت فى لويسبورغ بايفاد علمى ؟

— لا ، كنت مع زوجى ، مع زوتوف . اوصلنى الى مركز المدينة ، إذا كان لك متسع من الوقت . ها ؟

— بكل سرور . ستكونين اصغر الحاصلين على لقب دكتوراه ؟

---

* يقصد القيصر بطرس الأول . **المعرب** .

— وما فى ذلك ؟ لا يشبع الانسان بالخبز وحده .

— فلماذا تثيرين غضب الرب ؟

— صحيح ، على العموم ، لا ينبغى .

— ومع مَنْ غيرك ، بالطبع ، ينبغى ان التقى قبل السفر ؟

— سأل قسطنطينوف — مَنْ فى موسكو على غرار زوتوف ؟

ردت اولغا :

— لم يعد هناك من امثال زوتوف . ليس هناك ولن يكون .

— هل زوتوف حاصل على درجة علمية ؟

— لا ، بل عملى . عمل طوال حياته . ولكنه يخلف وراءه بعيداً اى حاصل على لقب دكتوراه ، بهذا الشكل يتحسس افريقيــا ويعرفها . ولكنه حدّى ، وهذا لا يروق للجميع .

— يتوقف الأمر فى اى شىء حدى . . .

— فى الافكار .

وضحكت اولغا ضحكة ساخرة .

— ومع ذلك يتوقف الامر على اية افكار .

— الشرح يطول ، فانت لم تكن فى لويسبورغ . . .

— مع مَنْ من الاجانب يحسن التحدث هناك ؟

— فى وزارة الخارجيه عندهم رجال لا يثيرون الاهتمام . . . فقط فى وزارة التعليم . . . شبان كثيرون ، واسعو التفكير .

— ومن التجار ؟ فهناك تجار المان وامريكيون يعملون منذ زمن طويل ، ويعرفون الكثير . أنا اقصد رجال الاعمال الكبار ، الذين يعقدون الصفقات المهمــة ، ولهذا فهم مرتبطون بحقوقيين مهمين .

— المان ؟ — اعادت فينتر السؤال : أنا لا اعرف المانيا .

— هناك كيرهغوف ، بولتس ، خانزن . .

— فى الحقيقة سمعت ، ولكنهم لم يثيروا اهتمامى فى نحو من الانحاء .

— ومَنْ من الامريكيين ؟ — ساوسر ، لورنس ، تشكيرز ، هليب ، لنسدوم ؟

نظرت فينتر إلى قسطنطينوف باهتمام مثقل :

— وتطلب منى ان اساعدك ؟ ! ولكنك مهيأ للرحلة تهيئة

رائعة ! لقد ذكرت اسماء امريكيين مهمين ، وأنا اعرفهم . . .
تشكيرز وهليب رجلان ممتعان ، غير ان رجالنا يعتبرونهما من رجال
المخابرات المركزية ، ولكننى ارجع ذلك إلى ركس الجاسوسية .

— ولماذا ؟

— طيب . . الجاسوس ، فى رأيى ، يجب ان يكون ذكياً جداً .
بينما هليب يتملق ، ويتأوه «أوه ، الاتحاد السوفييتى ، اية بلاد
رائعة ، لقد فتنتمونـــا» . هذا تزمير . . أنا لا اصدق بالذين
يمتدحونك فى حضورك .

— الاسوأ ان يشتموك فى غيابك .

— احسن . لان الانسان إذا أمتدح فى وجوده ، احس بأنه
اكثر الناس بلاهة ، فلا يعرف كيف يتصرف .

— انت تقولين إنه أحمق . أنت تعانين من البلبلة ، وبالتالى
فانت تتصرفين تصرفاً غير طبيعى ، وحين يضطـر الانسان الى أن
يتصرف تصرفاً غير طبيعى ، فانه لن يقول القول المناسب ، ولا
يسلك السلوك المناسب .

— طيب ، اتركه ، اترك هليب هذا . . . سجل رقم تلفون
ساتحدث مع صديق لى ، فقد يوافق على ان يجرى معـــك بعض
الحديث .

عندما عاد قسطنطينوف الى مكتبـــه تناول على الفور ملف
المراسلات . كانت برقية مرسلة من سلافين مستعجلة بشكـــل
خاص :

«هل هناك معلومات عن بيليو ، المفترض بأنه من اصـــل
روسى ، يعمل نقالاً فى الشبكة الكهربائية لفندق «هيلتون» فى نحو
الستين من العمر . هل هناك معلومات عن جون غريغورى هليب ،
من مواليد تسينتسيناتى ، حارب فى الفييتنام ، وعمل ، قبل ذلك فى
هونغ كونغ ، استدعى منها بعد فضيحة بشأن نقل المخدرات» .

سأل قسطنطينوف السكرتير :

— هل ارسل الرد الى لويسبورغ ؟

— بالنفى عن الشخص الاول ، يا قسطنطين ايفانوفيتش

— لا شىء البتة ؟

— على الاطلاق .

— بيليو ، بيليو . . يجب النظر فى بيليـــوو ؛ بيلوف اذا
افترضنا انه المانى روسى ، بيلو اذا افترضنا انه اوكرانى الاصل ،
بيلوف ، اخيراً . . يعنى نظرتم بهذا الشكل الشامل ؟

— لا .

— دعهـم ينظرون . دون ابطـــاء . وماذا عـن الشخص
الثانى ؟

— يوجد عندنا اربعة باسم هليب ، مرتبطون بوكالة المخابرات
المركزية . ريشارد بول ، من مواليد ١٩٢٧ ، ولكنه لم يشتغل فى
هونغ كونغ ، ثم . .

— سلافين يسأل عن الذين يحملون اسم هليب ، واشتغلوا فى
هونغ كونغ .

— اثنان ممن تنطبق عليهم هذه الصفة : جون وبيتر . ولكن
بيتر لم يحارب فى الفييتنام . وبالتالى يبقى جون هليب . اما بشأن
الفضيحة التى اشترك فيها ، فلا توجد الا اشارة فى . . «تشاينـــا
اناليسيز» و«فار استرن ايكونوميك رفيو» . شخص يدعى هليب
قبض عليه البوليس فى المطار فى عام ١٩٦٦ ، حين القى البوليس
البريطانى القبض على رجال لاو مع حقيبة من الهيروين تقدر بمليون
دولار .

— الحقيبة ، على اقل تقدير ، ثلاثة ملايين . وبعد ؟

— كان هذا فى الخبر الاول . وبعد ذلك لم يذكر اسم هليب
ولا مرة .

— ومتى انخرط فى الفييتنام ؟

— فى بداية عام ١٩٦٧ .

اهنف قسطنطينوف ساخرا :

— كانت فييتنام بالنسبة له كالجبهة الشرقية بالنسبة للالمان
المدانين . اظنه يطابق . الا ترى ؟ هـل ارسلتـم المعلومات إلى
لويسبورغ ؟

— كنا ننتظرك ، يا قسطنطين ايفانوفيتش .

– عبثا . لترسل فى الحال . ما هو فرق الوقت بيننا وبين لويسبورغ ؟ ثلاث ساعات ؟ يعنى الآن ، الساعة السابعة هناك ؟

كان قسطنطينوف على خطأ ، فقد كان فرق الوقت مع لويسبورغ غير ذلك .

هليب

. . . استيقظ هليب ، وكأن احداً قد ضربه . كان لم يدرك بعد اى شيء ايقظه بارد العرق ، وباحساس من الفزع الدبق . اغمض عينيه ، فلربما طافت فى ذهنه تفاهة فى هذا الحر ، ولكنه فى اللحظة التى اغمض فيها عينيه ظهرت ارقام سوداء رجراجـــة : «ستة» ، «صفر» ، «سبعة» . وقد رآها بدقة وقرب ، حتى وجد نفسه لاارادياً يفرك جفنيه باصابعه ، فتح عينيه ، ومطّى جسمه ، ونظر فى الساعة – السادسة الا عشراً . رفع جسده المدَّرب عـــن السرير ، وجر عقبيه العرقين على الأرض القرميدية ، ورفـــع السماعة ، وأدار رقماً ، شاعراً بارتجاف اصابعه ، وانتظر حتى رفعت السماعة فى الطرف الآخر من الخط ، وهمس بصوت لا يكاد يسمع :

– روبرت . توجه الى حوض السباحة فى الحال . لا ، لا استطيع . اريد ان اسبح الآن بالذات ، على الفور . هل تفهمنى ؟ على الفور .

وضع السماعة ، ونظر فى الساعة . كانت السادسة وسبع دقائق . ارتدى هليب ملابسه ، وشطف وجهه ، وانطلـــق الى السيارة . وبعد عشر دقائق كان فى حوض السباحة فى «هيلتون» .

كان روبرت لورنس مقيم المنطقة المسؤول لوكالة المخابرات المركزية يجلس فى كرسى منسرح ناعسا . وجهه مهروس ، وجفناه ثقيلان ، مزرورتان ، مثــل جفنى اى مصاب بعلة كلية مزمنة .

– ما الذى حصل ؟ – سأل لورنس متعبا – لقد عملت حتى الصباح . – اى زلزال وقع ؟

– لا اعرف ، ربما لم يتزلزل شيء بعد . كنت البارحة مع بول . واللقاء مع الروسى الذى اخبر عنه ستاو ، سار ، فضلا عن ذلك ،

صيرا طبيعيا . ولكننى الآن اخذت افكر فجأة : ولكن لماذا نزل فى الغرفة ٦٠٧ ؟

– لانه لم تكن هناك غرف شاغرة اخرى . . . بدأ الموسم ، والناس يأتون بالطائرة ليسبحوا .

– ولكنه لماذا استأجر بالذات الغرفة التى استعملنا «الذكى» فيها ؟

سأل هليب بخفوت ، وهو يقترب من لورنس .

– لانها مجهزة خصيصا لاقامة الروس فيها . . . لهذا السبب ايقظتنى ؟

– ليس لهذا السبب فقط ، يا ريِّس . مَنْ كان يطعمنا حين ذاك ؟ مَنْ كان يجلب الطعام ؟ لان القرود كانوا مضربين ! فاطعمنا نادل ابيض لا احد يعرفه . وكان مقطوع الاصابع ! والروس بدأوا يفتشون عن مقطوع الاصابع الذى يعمل فى «هيلتون» .

– تخبَّلت .

– لم اتخبـــل . انا مذعور جدا . ان لسلافين هذا عينين شيطانيتين ، وهو ذكى بشكل لا يصدق !

– وجميع الروس الآخرين بُله ، حسب رأيك ؟

– ولكنك تفهم ما الذى يروعنى ؟

– طيب ، لنفرض انه من رجال مكافحـة التجسس عندهم . لنفرض ، وماذا فى ذلك ؟ لو انهم كشفوا «الذكى» لأحس المركز باللعبة منذ زمان . ان رجالنا يرونه فى موسكو ، باستمرار . سلافين من لجنة أمن الدولة ؟ ولكن «الذكى» يرسل لنا معلومات واردة من مصدرها الاول . وهى حقيقة ، ولهذا يعامله رجالنا هذه المعاملة .

– يا ريس ، الا تريد ان اشرح فى الحال من كان يخدمنا فى الغرفة رقم ٦٠٧ ؟ انت تقرعنى لاننى ضعيف فى الفنون الجميلة ، ولا احسن التكلم بالفرنسية ، ولكننى اعرف كيف اشعر ، مثل المراة . انا اشعر ، يا ريس ، اشعر .

– من اين تعرف مَنْ اعد المائدة عند ذاك ؟

– اعرف . سوف اعرف ذلك رأسا ، فقد طلبوا منا اعداد معلومات عن قادة المضربين ، هل تذكر ؟

— اوه ، هذا لا اتذكره الآن .
— انا اتذكر .
اندفع هليب نحو البواب ، وطلب رقم تلفون مدير المطعم ، فقاده هذا الى ناظر القبو . وبعد عشر دقائق عاد هليب الى حوض السباحة . كان لورنس يسبح فى الماء الاخضر . كانت حركاته حذرة انسيابية انثوية .
— اطلع من الحوض ، يا ريس ! — قال هليب ، وهو واقف على الحافة — واستعجل . الذى اعد المائدة هو آيفن بيليو ، المهجَّر من لفوف ، ويده اليسرى تنقصها اصبعان ، وسلافين يبحث عنه .
طلع لورنس من الحوض بخفة ، غير متوقعة من بنيانه الركين ، والقى عليه روبا ، وقال فى سهوم :
— عند مَنْ توجد المعلومات عن المهجرين ؟ لماذا عند الفرنسى جواز سفر المهجر ؟ اى شربكة هذه ، الا تبدو لك كذلك ؟
— كنت سأكون مسرورا جدا بذلك ، يا ريس . . .
صعدا الى الطابق الخامس عشر ، الى الشقة رقم ١٥٠٠ التى كانت وكالة المخابرات المركزية تشغلها ، منذ عامين ، وايقظا ويلتس ، المسؤول عن عمل قسم الاستعلامات ، فانشغل هذا ببطاقاته المبوَّبة ، دون ان يجد وقتا ليغتسل : آيفين بيليو ، هو ايفان بيلى ، من مواليد ١٩٢٥ ، اوكرانى ، من جيتومير (اوكرانيا السوفييتية) ، رحل مع الالمان ، وبقى بعد الحرب فى بلجيكا ، وانتقل ، فى فترة التضخم المالى ، الى تونس ، حيث عمل حمالا فى الميناء ، ومن هناك انتقل الى لويسبورغ . له فى جيتومير اقارب ، ولكنه لا يتراسل معهم ، يخشى من المغبة السيئة عليهم . يعبر عن افكاره بصورة حادة ، ويقول ان حياته قد ضاعت ، ويتهم بكل شىء الامريكيين الذين لم ينصحوه بالعودة الى روسيا . لم يلحظ له اتصال بالسفارة الروسية . يشرب الخمر .
— اذن ؟ — سأل لورنس — ما العمل ؟ ربما نستجوب لينغلى ؟
ادار هليب رقم «٦٠٧» دون ان يجيبه . واستمع الى الجرس طويلا . لم يكن سلافين فى الفندق . نظر هليب الى لورنس نظرة معبِّرة ، وادار رقما آخر .

6—2027

— ستاو ، صباح الخير — قال مخفضا صوته آليا ، وكأنما يتلفن الى عميل من تلفون عمومى . — هل تستطيع ان تسعفنى ؟ ستعلم متى وصل سلافين الى سفارة الروس . انه اصلع ، مكتنز لبنيان ، اسود العينين ، سريع الحركة . اظن انه وصل الى هناك ل نحو الرابعة صباحا . . . انتظر ، سأتلفن لك ثانية بعد دقيقة .
لم ينظر هليب الى لورنس بعد هذا ، وادار رقم بيلار .
— غفابينيا ، اعذرينى على التتلفن اليك فى هذه الساعة المبكرة . متى تفارقت مع صاحبنا ؟
— اوصلنى الى البيت ، يا جون ، وثرثرنا خمس دقائق فى السيارة . . . رفض ان يصعد . وطلب ان اجد له وقتا اليوم . فى الثامنة .
— الذى يهمنى متى انصرف ؟
— فى نحو الثالثة ، وربما ، فى . . .
لم يتم هليب الاستماع الى كلام بيلار ، واشار اشارة الختام ، وتلفن الى الجنرال ستاو ثانية .
— جون — قال ستاو — جاء الى السفارة رجل يشبه سلافين من حيث العلامات .
قاطعه هليب : ومتى انصرف ؟
— ولكنك لم تسأل عن ذلك .
— استطلع على الفور . واستفسر من رجال البوليس من حراس السفارة الروسية عن علامات الرجل الذى كان يتلكأ عند السياج . . . واكثر ما يهمنى سؤال واحد : هل كانت كل اصابع يده سليمة ؟
وضع لورنس حُقة القهوة على السخان الكهربائى الملحق بالبار ، ومسح وجهه براحة يده السمينة ، وسأل :
— ما العمل ؟
— اوكتافيو غادر الى اوهانو . وبيريرا ينقل السلاح الى ناغونيا ، وليس بين يدى الآن شخص آخر من فريقى للارهاب ، يا ريس .
— ولماذا ترى من الواجب اشراك فريق الارهاب ؟

– وهل ترى اننا سنتحدث مع بيليو هذا عن تفوق مجتمعنا على الشمولية ؟ اين سلافين ؟ هذا هو الامر .

– على مهلك ، يا جون . انا لا افهم لماذا انت تستعجل الامور ، وانا استسلم لك . طيب ، ما يمكن ان يقول بيليو هذا ؟

– انه لا يمكن ان يقول شيئا ، يا ريس ، ولكنه يستطيع ان يشير باصبعه الى صورة «الذكى» . هذا ما يستطيعه . وعندئذ سنُرسَل ، انا وانت ، الى جهنم ، وحسنا ما يفعلون . اذ لم نحرص على اثمن عميل ! العميل الذى له اتصال مباشر بالمدير !

رنّ التلفون ، ولاحظ هليب كيف جفل لورنس مرتعدا .

– انا سامع .

اجاب هليب ، وكان واثقا من ان المتكلم هو ستاو ، ولم يكن على خطأ .

– سلافين ترك السفارة لتوه ، يا جون .

– وانت لا تراقبه ؟

– لم تصدر لنا مثل هذه التعليمات . قلت ان انتظر حتى اليوم . بدا لى انه لا يثير قلقا .

– شكرا ، ستاو . لقد اسعفتنى كثيرا . هل تستطيع ان تعطينى عنوان المدعو ايفين بيليو ؟ اظن ان سلافين ذهب اليه الآن .

– العمر ، محل الولادة

– جاء الى هنا من الشمال ، قبل عشرة اعوام تقريبا . والآن يعمل فى «هيلتون» . انه رجلهم ، هل تفهم ؟ ذهب سلافين اليه ، ويجب علينا ان نتحقق من ذلك .

– نرسل رجالنا الى العنوان ؟ اذا تحققنا من ذلك ، بالطبع ؟

– بعد صدور اشارة منى فقط ، مفهوم ؟ الآن لا تجعل الامر يفلت ، مهما يكن من شيء . بعد اشارتى فقط ، يا ستاو ، بعد اشارتى . انا لا اضع السماعة ، ستاو ، انا بحاجة ماسة الى العنوان . . .

سأل لورنس :

– اى امر تقصد ، يا جون ؟

– امر مهم ، يا ريس . اريد ان اجعل سلافين يُعتقل كجاسوس

روسى وارهابى . وسيمدنا ذلك بمنافع جمة . صعب حتى ان تتصوركم سيمدنا هذا ، لا سيما قبل بداية «المشعل» .

فى الساعة الثامنة صباحا التقى هليب بسلافين فى السرداب . كان هذا جالسا قرب باب مغلق ، يدير فى يديه مضرب تنس .

– فيت ! صاح هليب – صباح الخير ! انا مسرور برؤياك . لماذا انت هنا ؟

– احتاج لتصليح المضرب – اجاب سلافين – صباح الخير ، جون . بالمناسبة ، هل تلعب ؟

– التنس لعبة الارتسقراطيين ، فيت ، بينما انا من العمال ، كان ابى حمالا . انا امارس الملاكمة . احب المصارعة ، لا سيما مع خصوم جيدين .

– وانا ايضا . ربما نأخذ قفازات اذا كانت موجودة ، ونحاول فى «الرنغ» ولكن لا اظن ان هناك قفازات ، وحتى الاوتار ولاوجود لأحد يشدها . ارشدونى الى ماهر – هنا فى السرداب ، يقولون انه قادر على كل شيء .

– من هو ؟

– الشيطان يعلم .

– اين هو ؟

– الله يعلم . . . مثلما لاحظت انهم هنا لا يثمنون الوقت . دروسكم لا يأتى منها نفع .

– تتصور ، اننا نثمن الوقت ، يا فيت ؟ هذه دعاية . نحن لا نرتفع عن الاهالى المحليين الا بمقدار ضئيل جدا . . . طيب ، حين تصلح المضرب اصعد الى فوق لنشرب القهوة قبل ان تذهب لتبحث لك عن شريك فى اللعب .

– سيجلب زوتوف شريكا .

– من هو ؟ زوتوف ؟

– احد مهندسينا .

– انا اعرف الكثيرين من مهندسيكم . ماذا سميته ؟

– اندريه زوتوف .

– لا – وهزّ هليب رأسه – انا لا اعرف زوتوف . رغم ان من المحتمل ان يكون قد قدم نفسه لى باسم آخر ؟

التعرى — ١
(تروخين ، غريتشايف)

توجه غريتشايف لاجراء محادثة مع تسيزين البائع فى حانوت «المياه المعدنية» ، حيث دلت المراقبة على ان بارامونوف كان يتردد عليه كل يوم ، وفى وقت ثابت محدد ، ويدخل بعد ان يتلفت باهتمام ليتأكد من ان احدا لم يلحظ . ارتبك غريتشايف بعض الشىء ، حين كرر تسيزين الضئيل العرق باصرار :

— نعم ، نعم ، نعم . ولا تتظاهر بالاندهاش ، وكأنك مـــن «مصلحة التدفئة» او «مصلحة جمع النفايات» . فان شغيلة التجارة دربوا ، حرفيا على اليقظة ! فتعال نتصارح . هل وصلت شكاوى ؟ ممن ؟ بعث بريخودكو شكوى يذكر فيها انى اذيب الزجاجات الفارغة واحولها الى فضة المانية ؟ ام ارسل درينوف اشارة ؟ ان هذا يجب ان يكتب بأننى ابيع سدادات «البرجومى» * سرا ، بعد ان اتواطأ مع شارودينوف . . . هل تريد ان ترى الفواتير ؟ لم اعد ابيع الماء العادى بدلا من «يسنتوكى» ** . المستوى الحضارى ارتفـــع ، والجميع يعانون من تشمع الكبد .

— عبثا ان تستقبلنى هذا الاستقبال — اجاب غريتشايف ، الذى استرجع فى ذهنه مسبقا كل الاشكال الممكنة لسلوكه — انا لست من أو — ب —خ سس *** .

— من اين اذن ؟ من عيادة الامراض النسائيـــة ؟ ام من «موسفيلم» ؟

— بالضبط . من الاتحاد الابداعى الثانى — اجاب غريتشايف وقد عزم على ان يستخدم معرفته بخارين ، وهو مساعد مخرج ، وصديق له منذ سنى المدرسة ، وقد فصل من معهد تكنيكى ، لسكره المستمر ، وميله لأثارة المشاغبات فى الاماكن العامة (وهذا ما وصفوه فى اجتماع الكومسومول — ميله لاثارة المشاغبات ، على

* نوع من المياه المعدنية . **المعرب** .
** نوع آخر من المياه المعدنية . **المعرب** .
*** الحروف الروسية الاولى وتعنى كلماتها الكاملة «قسم مكافحـــة اختلاس الملكية الاشتراكية العامة والمضاربة» . **الناشر** .

اية حال ، وليس لمشاغباته — اذا لم يريدوا ان يفسدوا حياة الفتى ، وخففوا عنه) .

وآن الوقت الآن ليندهش تسيزين هذه المرة ، مثل اى شغيل تجارة ، فقد كان يستشعر اهتماما خاصا برجال الثقافة .

— بالفعل ؟ وعندك وثيقة تثبت ذلك ؟

— طيب ، لو كنت من «قسم المكافحة» لكانت لى وثيقة . والا فاية حاجة لى بها ؟ انا مساعد المخرج بوبروفسكى . هل سمعت به ؟

— توليا ؟ — وهزّ تسيزين كتفيه — واية كلمة هذه : هل سمعت به ؟ انه يشترى منى كل اسبوع ، حرفيا ، الماء المعدنى سلافيانسكايا . ولكننى اخفيه عن المشترى العادى ، ولا يهمنى ان أُوبخ على ذلك . ولكن امعاء الفنان اعزّ علىّ من الآم الخمار التى يعانيها السكران ممن هب ودبّ .

كان بوبروفسكى قد اشترى منه ماء معدنيا مرتين ، وتفوه بثلاث عبارات ، ولكن ذلك كان ما فيه الكفاية ، فالحاذقون من الناس تستهويهم حقيقة اللقاء ، ليجعلوا منه صداقة قديمة .

— اذن ، عندنا رجاء منك . . .

— تفضل .

— هل فى الامكان ان نصور عندك ؟

— عندى ؟

— نعم ، لقطة طريفة ، واذا اردت فسنزودك بالسيناريو .

— ستصوروننى ؟

— نعم .

— حقا ، صحيح ؟

(آه من طموح الناس ! لماذا يسعى الى التصوير السينمائى قبل اى شىء آخر ؟ الرغبة فى تخليد النفس فى صورة ؟)

— حقا ، وهذا ما يريده بوبروفسكى ، على اية حال .

— ولماذا لا يأتى بنفسه ، حبذا ؟ قل له ساحصل بعد ايام على الماء المعدنى «نافتوسيا» ، انه رحيق . لا يمل الانسان مـــن شربه ! لا يخيفك بعده اى خمار من سكرة البارحة ، فهو يغسل الكبد والكليتين ، مثل مسحوق غسيل الملابس ، حرفيا .

— ما اسمك الكريم ؟

– غريغورى غريغوريفيتش ، او غريشا ، باختصار .

– صحيح ، صحيح . الريس كان يقول . . . اذن ، يا غريغورى غريغوريفيتش ، نود نصور هنا بآلة تصوير مخفية .

– مخفية ؟ ملثما كان يفعل غريشا ؟

– اى غريشا ؟

– تشوخراى * . ينصب طنبوره ** ، ويتظاهر بأنه لا يصور الا عصافير ، بينما فى الواقع يختلس النظر الى فتى يهصر فتاة . . .

– بهذا الشكل تماما .

– ولا ابسط من ذلك ! نثقب ثقبا فى الباب – والتفت – هناك يوجد مخزن ، فضع عليـــه آلة التصوير ، وسأقوم انا بالهاء المشترى . . . فقط على ان تحرص ، حرفيا ، على الا يظهر وجهى فى الصورة . فمن سيعرفنى من ظهرى ؟ !

– ولكن سنضع آلتين للتصوير . فيتوهم الذين يترددون على المحل باننا نصورك ، بينما سنعمل من نقطتين .

– وستعرضون النقطة الخلفية فى السينما ، والامامية ، وفيها يظهر وجهى الابله فستلقونها بالزبالة . انا اعرف هذه الالاعيب .

– طيب ، اذا كنت لا تصدق بى يمكنك ان تتكلم بنفسك مع بوبروفسكى .

– وكأننى لا اعرف ان الصغير وليس الرئيس هو الذى يقرر كل شىء ! انا لا اعرف اية مرتبـــة تحتل فى السينما ، وما هو المساعد ، وهل هو اكثر من معاون . ولكن لا حاجة للجدل فى انك تضع ما تصوره على مكتبه ، وهو حرفيا ما يخرج فى السينما . امعقول ان الامور لاتجرى عندنا بهذا الشكل ؟ اولا ان رئيس تجارة المواد الغذائية للمنطقة لن يستقبلنى ابدا ، فهو بالنسبة لنا بابا روما ، ولا يمكن التطفل عليه بمسألة من المسائل . بل يجب التسلل الى السكرتيرة ! وهى ليست بحاجة الى «نافتوسيا» لان امعاءها سليمة ، وكليتاها تشتغلان كالمنظومات الفضائية . ولكنها تحلم بالحصول

* مخرج سينمائى سوفييتى مشهور . **المعرب** .

** يقصد آلة التصوير . وقد ورد بالنص اسم آلة موسيقيـــة اوكرانية . **المعرب** .

على جوارب طويلة الى حد الخصر ومشبكة ، بينما مدير قســـم الجوارب عنده قرحة ، ويحتاج الى «سلافيانسكايا» و«فيتاوتاس» فازوده بهما فاحصل منه على تلك الجوارب المشبكة ، فتكتب لى السكرتيرة امرا باستلام صناديق فارغة . . . وهل تتصور اننى بحاجة الى صناديق فارغة ؟ ! انها ، حرفيا ، لازمة للشغيلة . طيب ، جيد ، طيب ، اضع فى الجيب خمسة وعشرين روبلا . وتحسبها صفقة فظيعة من المضاربة ! تسيزين حصل على خمسة وعشرين روبلا لانه ادى خدمة طيبة لذوى القرح ! وعلى هذا النحو سيكونون اكثر طيبة ، ولن يمصوا دماء الناس اثناء يوم العمل ، اذا سلقتهـــم بـ«سميرنوفسكايا» ! وهكذا بمن اهتم ؟ ! بمنفعتى ام بالخير العام ؟ ولكننى استطيع ان ابصق على كل شىء ! اقول : «لا يوجـــد «يسنتوكى» ، ولا يهمنى اذا اشكتيت ؟ !» . وهذا يحلو لهم ، مع مثل هذا لا يشغلون بالهم ! اوه ، لا يجوز الحديث عن هذه الاشياء . فاتنرفز ، ولا استطيع ان اتحكم بنفسى .

– هل عليك ان تناقش لقطتنا مع احد الناس ، يا غريغورى غريغوريفيتش ؟

– اذا اردت ان تخسر لقطة فناقشها . هل تعرف الحكايـــة القائلة ان احدا ذهب الى الله ، ورجاه ، حرفيا ، ان تنفق بقرة جاره ايفان ؟ ان جميع العاملين فى مخازننا يمطرون السكرتيرات بالهدايـا ، لا لشىء الا ليبلغـــن رؤوساءهن بان مصورين جاءوا ليصوروا عندهم ، وجميع زملائنا بالطبع ، جميعهم يرغبون فى تجريب حظهم بالظهور على الشاشة السوفييتية .

– نعم ، ولكننا نصور نهارا . وفىفترة الغداء عندكم يجتمع ناس كثيرون جدا . . .

– وماذا فى ذلك ؟ سأدعو العمـــة فيرا ، وهى متقاعدة ، ساعطيها عشرة روبلات ، وارجوها ان تبيع المياه المعدنية بالاقداح قرب واجهة المخزن ! ثم هناك امكانية . . .

وفتح الباب وراء ظهر غريشايف ، وصفق بحدة ، فالتفت . كان ارامونوف واقفا عند الباب ، ينظر الى تسيزين فى مواربة . ابتسم هذا ، ورسم بذراعه اشارة غريبة لا تحدس ، وقد سأل اثناء ذلك :

– ماذا تريد ؟

– آ . . لا شيء . . . مجرد انني اردت ان اعرف ، ربما جلبوا لكم «سايرمه» ؟

– تعال بعد وقت قصير ، حرفيا . لم يجلبوا «سايرمه» . سيجلبون فى الساعة الخامسة .

رفع غريتشايف بصره الى واجهة المخزن . كان ثمة سبعة زجاجات من ماء «سايرمه» تنتصب قبالته .

– اذن ، – تابع تسيزين القول خلال ذلك – لا يطرأ على بالك فتفكر فى الذهاب الى دائرة التجارة الغذائية للمنطقة ، فستحاك المكائد ، وتغرق فيها . او اذهب رأسا الى الرئيس الاكبر ، فى دائرة تجارة المنطقة . انه ذكى ، من فئة الشبان ، ويفعل كل شيء ، اذا قلت انك تريد تصوير محل تسيزين بالذات .

– وهل هو مصاب بالقرحة ايضا ؟

لم يفهم تسيزين :

– ولماذا ؟ شاب معافى كليا .

– ولكن لماذا يفعل كل شيء لتسيزين ؟

– لانك ستطلب هذا منه ، والحاذقون من الناس لا يرفضون ، حرفيا ، طلبا لرجال الفن . . .

انتزع قسطنطينوف بصره عن تقرير غريشايف ، وسأل :

– وماذا لوكان فى تلك الزجاجات فى الواجهة ماء اعتيادى ؟ نماذج تقليدية للعرض ؟

اجاب العقيد تروخين رئيس المجموعة :

– قد تكون تقليدية للعرض . ولكن ما حاجة بارامونوف لان يقصد تسيزين من اجل «سايرمه» ، حين يبيعون فى مشربهم هذا النوع بالذات من الماء ، كما تأكدت بنفسى .

– وماذا كشفت المراقبة اللاحقة ؟

– دار بارامونوف فى الشارع سبع عشرة دقيقة ، كان ينظر من حين لآخر الى ساعته ، ثم دخل كشك تلفون عمومى رقم ٧٣١٢ ، وادار رقما بدايته ٢٤٤ لشارغين ، على ما يظهر ، ليوبولد نيكيفوروفيتش شارغين .

– على ما يظهر ؟

– غطى بظهره قرص التلفون، وموّه عليه باصابعه ، حتى لا يتمكن المراقبون من تعيين الارقام الاخرى . . . ولكن ليس لبارامونوف احد من المعارف فى شارع سادوفايا – سينايا غير شارغين .

– اقبل الفرض الاول . فهو ، فى اغلب الظن ، ان بارامونوف قد تلفن الى شارغين بالفعل . ولكن الفرض الثانى أرفضه ، فما ادراك انه قد تلفن الى همزة وصل غير معروفة لكم ؟ هذا محتمل ؟

– هذا محتمل فى حالة واحدة فقط .

– وما هى بالضبط ؟

– فى حالة لو ان بارامونوف هو بالذات العميل الذى ترسل له وكالة المخابرات المركزية البرقيات اللاسلكية ، حلقة النقل فى الشبكة .

– وماذا كان بعد ؟

– عرّج بارامونوف الى تسيزين ثانية ، فصبّ هذا له قدح ماء . فشربه بارامونوف دون ان يدفع ثمنه ، وحتى لم يسلم عليه مودعا ، وهرول الى المحطة ، وقفز الى الباص ، وبعد سبع دقائق كان فى الكاراج .

– و . . . ؟

– واستمر يصلح سيارة اولغا فينتر .

– تأكدوا من شارغين . فانتم قد تحققتم من نوع الوثائق التى تقع بين يديه من قسم الوثائق الخاص ؟

– نعم ، تقع نفس الوثائق التى تهتم بها لنغلى كثيرا .

فى غضون ذلك كان شارغين يقف على ملتقى شارع اربات بشارع سمولنسكايا ، عند باب الخروج من «مخزن مواد غذائية» ويبدو متنرفزا . ولما لاحظ سيارة لها رقم دبلوماسى ، مشى باتجاه الرصيف ، ولوح بذراعه محييا الرجل الذى كان وراء المقود ، فداس هذا على الفرملة ، وتبادل الرجلان التحية ، وتحدثا بضع دقائق ، الا ان سماع حديثهما كان متعذرا ، لان شارغين كان متكئا على الباب ، ومنحنيا نحو السائق .

ثم وصل بارامونوف ، فى سيارة اولغا فينتر ، واوقف «الجيغولى» قرب السيارة الدبلوماسية . وعندما انصرف الاجنبى

مودعـــا ، جلس شارغين مـــع بارامونوف ، وذهبـا الى شارع بريوبراجنسكايا ، الى الدار رقم ٧ ، واخذا فتاتين ، واتجها الى مطعم «روس» ، ومن هناك الى شقة شارغين العزوبيـة ، حيـث قضيا ليلة . . .

قسطنطينوف

قال بروسكورين :

— أمـا شارغين فانـه تحدث الى فان زيغر ممثل «تريـد كوربوريشين» . وهذا طرفه .

— وهل ورد شيء مقلق عن هذا الطرف ؟

— تاجر صرف . في رأينا ليس له علاقة بالمخابرات المركزية .

— ومن هما الفتاتان اللتان كانتا مع بارامونوف وشارغين ؟

— تعملان وقادتين .

وضع قسطنطينوف نظارته على طرف أنفه ، ونظر الى المقدم نظرة تساؤل . فكرر هذا قوله :

— وقادتان . انهت احداهما مدرسة مهنية للنسيج ، والثانية مدرسة طبخ مهنية ، وكلتاهما من روستوف ، ونقلتا الى موسكو ، وهناك نقص في الايدى العاملة . رغم أن هنـاك شياطين يقدمون اقامة مؤقتة ، وغرفة في قسم داخلى ، وقد اعطيت لهاتين الفتاتين شقة من غرفة واحدة يتقاسمانها . وهما تشتغلان يوما ، وتلهوان يومين .

تساءل قسطنطينوف : مع مَنْ تلهوان ؟

— نحن في البداية من مراقبتنا لهما ، يا قسطنطين ايفانوفيتش . سنبدأ حالا بالتحرى .

— الا يبدو لكم أن القضية تتكوّم مثل كرة من الثلج ، وهذا شيء سيىء ؟

— لا مفر من ذلك . حقائق . والحقائق شيء لا ينقض .

لاحظ قسطنطينوف قائلا :

— ذاكرتك جيدة . ولكن رغم هذه الحقائق فان هذا التكوم لا يعجبنى . والناس ليسوا ثلجا ، «كومة الناس» شيء يخاف منه ، الا يبدو ذلك لك ؟

. . . خرج بروسكورين حين انهى تقريره ، وحصل على موافقـة لجنة التدابير . ادار قسطنطينوف رقم تلفون اولغا فينتر .

قال : — مرحبا ، يا بطلة . تلميذك يحييك . اخشى انني ساتاخر عن اللعب غدا . سيارتى «الجيغولى» اصابها عطب . واذا ذهبت بهـا الى التصليح فقدت يوما كاملا ، بينما لا يوجد مصلح جيد . . .

— عندى واحد . ولكنه لا يأخذ منك فلوسا ، اذا قلت لــه من ارسلك اليه . اشتر له زجاجة فودكا «بشينيتشنايا» والاحسن من ذلك زجاجة «جن» . هل قرب يديك قلم ؟

— حاضر .

— بارامونوف ميخائيـل ميخائيلوفيتش . فقط الا تشير الى التصليح اذا تحدثت معه في التلفون . . .

— المسكين بارامونوف يخاف . — ابتسم قسطنطينوف .

— جيلهم مهزوز ، يخاف كل شيء .

— بالمناسبة ، هل تكلمت مـــع معارفــك الاخصائيين في افريقيا ؟

— بشكل سيىء حتى الآن . انهم لا يريدون المحادثة معك لانهم يدحرون الافكار للاحصائيات ، اشحاء الى حد القرف . هل تسمـع «الاصوات» الاذاعية المعادية ؟

— احيانا .

— يوم امس اذاعت لندن تعليقا يثير الاهتمام عن ناغونيا . . اقطع رأسى اذا لم يكونوا يحضرون لانزال ، الامر شبيه جـدا بما حدث في الكونغو . . . نفس الكلمات تقريبا .

— اذا قاموا بانزال ، هرعنا نحن للمساعدة . اذ بيننـــا معاهدة مع ناغونيا ، — قال قسطنطينوف ، وكأنما اجاب على السؤال الذى طرحته وكالة المخابرات المركزية على عميلها منذ وقـت وجيز ، في آخر برقيتها المرسلة بالشفرة .

لزم الصمت الطرف الآخر من خط التلفون .

— ماذا جرى يا اوليا ؟

— لا شيء . اشعلت سيكارة .

— صحيح انت تدخنين ؟

— بدأت .

– متى ؟
– اليوم . . . طيب ، تلفن لبارامونوف . وساخبره مقدما وفى الغد تعال الى حلبة التنس ، يلذ لى ان اتحدث معك .
– ولى معك .
– لا داعى الى الاطراء . انت حاد التفكير جدا . فلو كتبت انا «اذا قاموا بانزال هرعنا نحن للمساعدة» لقطعوا يدى .
– من ؟
– رؤسائى .
– ولماذا ؟
– «لا تجوز مثل هذه الحدة ، فنحن لسنا حكومة . والخصم لا ينتظر الا مثل هذا الاعتراف . . .»
– ولمَ لا ينتظر هذا ، ما دامت المعاهدة قد نصت على هذه المادة ؟ والمعاهدة منشورة فى الجرائد .
– هم يعترضوننى على هذا ، على ان المعاهدة ستلغى حالما يقوم عصيان . عند ذاك لا نستطيع ان نمد العون ، فان ذلك سيكون انتهاكا للقانون الدولى .
– غير صحيح – قال قسطنطينوف ، وهو يقلب فى ذهنه بجهد ، هل الحديث يستحق ان يواصل ، ام من الاجدى الاستعداد له ، اثناء لعبة التنس فى الغد ، ولكنه كرر – غير صحيح ، لان الاطاحة بالحكومة الشرعية فى ناغونيا غير ممكنة الا بمساهمة القوى من الخارج . وهذا هو انتهاك رئيسى للقانون الدولى . طيب ، شكرا على بارامونوف .

صافح بارامونوف يد قسطنطينوف ، وخرج معه الى فناء الكراج ، وعاين «الجيغولى» الصغيرة ، ورفع غطاء المحرك ، وتحسس موصلا كهربائيا :
– قالت اولغا ان فى سيارتك عطبا معقدا . . . بينما الموصل الكهربائى قد احترق لا غير ، ولهذا ينطفىء المحرك . اذا سافرت الى الخارج اشتر تشكيلة «بوش» ، اعجوبة رائعة . البرجوازيون يجيدون تخفيف الحياة على الانسان الصنّاع .
قال قسطنطينوف :

– هذا يقدرون عليه . هل عندك نظارة ؟ انا لا استطيع ان اعاين ماذا حصل لسيارتى . نظارتى نسيتها فى العمل . . .
اجاب بارامونوف :
– نظارتى فى المشغل . لا حاجة لى بها ، انا الآن البس عدسات . . .
– ماذا ؟
– عدسات لاصقة . حصلت عليها بنصف راتبى فى الخارج ، ومقابل ذلك اغنتنى عن اية متاعب .
وضحك ضحكة دسمة وعريضة ، وفاحت رائحة الفودكا منه .
فسأل قسطنطينوف :
– هل نشرب فى مشربكم ، ام نذهب الى مقهى ؟
– لا شىء نشرب لاجله ، ايها الرفيق العزيز ، كما ان الشرب ممنوع عندنا . مدير المؤسسة مريض بضغط الدم العالى ، انه لا يشرب ، ويعامل الجميع معاملة ضنكة ، نائب عريف ، لا انسان . حين يحصل لسيارتك شىء جدى تعال ، وساساعدك ، من اجل اولغا اخرج الكستناء من النار . قالت لى انك ستسافر الى لويسبورغ ؟
– نعم ، هل عندك خبر انقله ؟ ام شىء احمله معى ؟
– من اى قسم انت ؟
– القانونى .
– كيف افهم ذلك ؟
– سأجرى المعاملات القانونية لارساليات شارغين .
– هل تعرف ليوبولد ؟
– . . . اعرفه بالاسم . . .
– انسان طاهر . لنتركه . قصدت بسؤالى اية جهة تمثل فى سفرك . . . فقد فكرت ربما تنتفع . اننى ادخرت نصف ثمن جيغولى ، وعلىّ ان اجمع النصف الثانى ولذلك انا مستعد لان اشتغل ولو سنتين فى الخارج . ليوبولد يعد ، ولكنه رجل صغير الشأن ، اخصائى بالاقتصاد لا غير ، بينما علو الشأن مرسوم على وجهك .
– وكيف ذاك ؟

– لا يُفسر ، ولكن المرء يمكن ان يحس به فقط .
– هل عدت من الايفاد منذ مدة طويلة ؟
– لا .
– هل ناغونيا بلد ممتع ؟
– لا بأس . ما هو الجيد هناك ؟ يمكنك ان تشترى جهاز راديو بتخفيض ، وصل من هونغ كونغ رأسا . والاقمشة لا بأس بها . الاحذية ، اذا اردت الحقيقة ، رديئة . يقال فى اسبانيا الاحذية رخيصة ، لقاء عشرة باك * من الممكن شراء حذاء ممتاز . – وسدَّ بارامونوف غطاء المحرك . – كل شىء على ما يرام ، يمكنك ان تسوق وانت مطمئن . ولكن اشتر تشكيلة «بوش» على اية حال ، عندئذ لن تقع فى ضائقة .
– شكرا على النصيحة . اليس عندكم ماء بارد ؟
– فى المشرب يوجد ماء معدنى .
– ما نوعه ؟ انا لا اشرب غير «سلافيانسكايا» . عندى قرحة .
– الشيطان يعلم اى ماء عندهم . ما يجلبونه اليهم . سلّم على اولغا ، فقط ان لا تزيد السرعة . انها تسوق بجراة كبيرة . . .
– ساخبرها . هل انت الذى علمها السياقة ؟
– لا ، بل دوبوف .
– وزوجها ؟
– كان يعارض . كان يخاف كثيرا ان يحصل لها حادث . هناك يسوقون سياقة رهيبة ، ليس كما عندنا .
اخرج قسطنطينوف زجاجة «جـن» من محفظته ، وقدمها لبارامونوف قائلا :
– شكرا ، ميخائيل ميخائيلوفيتش .
– حرام عليك ! – ردَّ بذلك ، الا انه اخذ الزجاجة ، بعد ان تلفت فى الجانبين .
– اظن اننى التقيت بزوتوف – قال قسطنطينوف ، وهو يجلس فى السيارة – هل هو يعرج عرجا خفيفا ؟
– نعم .

---

* دولار بالتعبير الاميركى العامى . **الناشر** .

– رجل طيب ؟
– قذارة . حسنا فعلت اولغا حين انفصلت عنه .
– لماذا ؟
– ممل . يتشكى من هذا وذاك . فى الاونة الاخيرة رفضت ان افحص سيارته . انه يتعنت ، ويدقق . وكأنه يتعامل مع دجال : يتشمم رائحة كحول كشرطى المرور . هناك ناس يتأثرون من قدح فودكا ، يتخبلون منه ، والبعض الآخر يضيف هذا القدح لونا الى عيونهم ، ويعملون على نحو انسق .
– هو نفسه لا اظن انه كان صاحيا قط .
– لا ، لا ينبغى الافتراء عليه ، فهو لا يحتسى . ولكنه قد يرشف قدحا صغيرا . حقا يستطيع ان يشرب لترا ، الا ان السكر لا يلوح حتى فى عين واحدة منه ، ولا ترضيه الخمرة اطلاقا . الجميع هناك يعيشون معا ، ولا اسرار ، والبعض يعرف عن بعضهم الآخر كل شىء . . .
– اظن «كل شىء» مبالغة . – قال قسطنطينوف فى نبرة تهكم ، وادار مفتاح التشغيل – لا يمكن ان يعرف احد كل شىء عن الآخر . الانسان لا يعرف حتى عن نفسه كل شىء . شكرا مرة اخرى ، والى اللقاء .

«الى سلافين .
هيىء فرصة لتزور قسم شرطة المرور الذى اقتيد اليه بارامونوف . حاول ان تستوضح السبب فى توقيفه .
المركز» .

سلافين

فهم سلافين كل شىء ، حين مرَّ به ثلاثة من الشرطة بصحبة حامل المفاتيح ، وفتحوا الحجرة التى كان يعمل فيها بيليو : الحجرة بلا نوافذ ، وانابيب التبريد فوق الرأس ، والجو خانق . وعلى منضدة العمل شُدَّت ملزمة ، والادوات موضوعة على مئزر جلدى ، بشكل يجعلك تحدس فى الحال ان الروسى كان يشتغل . وانعدام النظام كان مخصوصا موحيا ، ام لعلها الطريقة التى يكدح فيها عاملنا

الماهر ، ناسيا الوقت ، حين انغمر . وبعد ذلك يفطن الى نفسه ، وينظر الى الساعة ، الوقت متآخر ، فيترك كل شيء على حاله . اما الالمانى او الامريكى فيضع الادوات قبل خمس دقائق من انتهاء العمل ، اذ ان الساعة منصوبة فى دماغه ، فلا يتخلى عن دقيقة زائدة ، فهى ، كالدولار ، لها قيمة .

سأل سلافين حامل المفاتيح :

– اين صانعكم الحاذق ؟ فقد قيل لى انه وحده يستطيع ان يساعدنى فى المضرب . . .

– قتلوه . – اجاب هذا ، الا ان احد الشرطة نظر اليه متفرسا ، حتى ان حامل المفاتيح سعل بارتباك ، وادار وجهه عن سلافين ، وانتحى زاوية ، وقرّب مقعدا ، وجلس .

– انهض – قال نفس الشرطى – ولا تمس شيئا بيديك .

انصرف سلافين الى غرفته ، وفتح الشرفة ، وجلس فى كرسى منسرح ، وتمطى مطقطقا بعظامه .

وفكر مع نفسه : «وانا لم اقيّمك كل التقييم ، يا هليب . لقد وجهت لى ضربة ، وجهت ضربة قوية . حقا انك بهذه الضربة اكدت على انكم انتم الذين استملتم احد رجالنا فى الغرفة ،. والآن هذا محقق لا جدال فيه . اذن ، كان بيليو يكتب الحقيقة ، والآن لا يستطيع احد ان يضع اصبعه على احدى الصور الفوتوغرافية الموجودة فى جيبى» .

احرق سلافين فى الحمام الصور الفوتوغرافية التى اخذها فى السفارة ليلا ، ودعك الرماد فى يديه ، وصب الماء ، ونثر رشاشا حتى تضيع رائحة الورق المحترق ، وعاد الى الشرفة .

«يقتضى ان اقوم بتضليل دقيق مروّى فيه – ادرك سلافين اخيرا – يجب علىّ ان اطمئن هليب ، والا فاننى لا انفذ المهمة . وسيضيع كل شيء ولا نكتشف جاسوسا . وفى هذا لا يستطيع ان يساعدنى الآن الا رجل واحد ، هو ديك . يجب علىّ – عن طريقه – ان اقنع هليب ان ذهابى الى المطعم فى الليلة الماضية كان اعتباطيا ، بفعل الخمرة ، واننى لم ار بيليو ، ببساطة لم استطع ان اراه . يجب ان اقنعه انه لم يكن هناك داعيا ان يخاف منى .

وانا استطيع ان افعل ذلك اذا كشفت لبول ديك جزءا من الحقيقة . وسيفهم ان هليب من وكالة المخابرات المركزية ، وهذا ايضا من مصلحتى ، فى المستقبل» .

كان البار فارغا . جاء بول ديك متجهما ، مهروسا ، يداه ترتعشان .

– الادمان على الخمرة داء اجتماعى ، يا ايفان – وتنهد – وعلى كل حال ان مثل هذا النوع من التعليل يبيح لى ان اشرب منذ الصباح . هل تحتسى شيئا ؟

– قهوة . اريد ان العب التنس . . . اسمع ، لماذا تسمينى ايفان ؟

– جميع الروس ، بالنسبة لى ، ايفان . اليس رائعا ان يحدد الاسم الامة ؟ نحن ، مثلا ، لا يسموننا «جون» ، وهذا يؤسف له .

– لماذا ؟

– لاننا نسير فى انحراف ، وكل امرئ لنفسه . وليس لنا غاية مشتركة . بينما انتم بنيان مرصوص ، تتصرفون كما يقال لكم .

– اعد قراءة تولستوى ، دوستويفسكى ، يا بول . . . لا حاجة الى ان تعتبر الامة ثلّة من الاغنام التى تصدع بالامر بصمت . اقرأ الادب الروسى .

– الادب كله كذب . يعمى وجه الواقع . حين تقرأ ديكنز تتصور ان البريطانيين اكثر الامم عاطفية . بينما كانوا يضربون الجنود الهنود بالمدافع . وقد كتب موباسان الحقيقة عن الفرنسيين : تذكر ان الاخ كان يقطع يد الآخر لمجرد ان يحفظ الشبكة ، شبكة صيد السمك . بينما نحن نردد : «اللطف الفرنسى ، اللطف الفرنسى !» . هؤلاء الفرنسيون اكثر اهل الارض اهتماما بالمال . وغوته وكتابه «الآم فرتر» ؟ احرق ابناء وطنه اناسا فى مايدانك . . .

التفت بول الى النادل الذى كان واقفا وراءه . منحنيا قليلا ، وقال :

– اجلب لى «بلادى ميرى» ، وللسيد قهوة .

انحنى النادل وانصرف . اشعل بول ديك سيكارة ، واستولى

عليه سعال ، ونزلت دموع من عينيه ، واكتسى وجهه حمرة قرمزية .

سأل سلافين :

– لماذا تقتل نفسك ، يا بول ؟

– قتلتها وانتهى ، يا ايفان . مجرد اننى اتسلى ساعة الوداع .

– انتظر ، تلحق ان تقتل نفسك . الحياة ممتعة بشكل شيطانى . . .

– ها . . . هل تعرف من اى شىء هلك شتاينبك ؟ اهلكه همنغوى . نعم ، نعم . لقد كان يحسده الى حد العذاب . لا فى الادب ، بل فى الحياة . وقد انسل الى فييتنام ، ليتصافى مع ارنيست على نحو ما : اكاليل الغار لمراسل حربى كانت تذود النوم عن عينيه ، بينما الآن لا توجد اسبانيا ، ولا جمهوريون ، ولو فى آسيا ، ولكن حيث الرمى ، وحيث من الممكن ، على الاقل ، ان يسلى نفسه بالخطر . وانا ايضا قتلنى الحسد ، كنت احسد الجميع ، هل تفهم ؟ وهذا يسحق سحقا . . .

– هل تريد ان اعطيك موضوعا ؟

– اريد .

– تعطينى عهدا على ان لا تخوننى .

جلب النادل قدح فودكا مع عصير الطماطم ، وقهوة . شرب بول ديك ، وفى الحال ظهرت حبات العرق على جبينه .

– الآن استطيع ان اتكلم معك . يا بنى ، اجلب لى قدحا آخر ، ولكن فيه الكثير من الثلج . . . طيب ، اعطيك عهدا .

– البارحة ، قتلوا شخصا بسببى .

– اذهب الى الشيطان .

– هذا بعيد .

– اشرح لى : ما الامر ؟

– هل تذكر اننى ذهبت الى المطعم يوم امس ؟ اردت ان اضيفك على كوكتيل على الطريقة الروسية ؟

– لا اتذكر . ولكن هذا لا يهم . وماذا بعد ؟

– وتبين لى ان فى السرداب ، هنا ، يعمل سلافى يحمل لقب

عائلة امريكية – فرنسية . ولاننى تكلمت عن هذا الشخص ، ولان رجال مخابراتكم اكتشفوا ذلك ، قتل هذا الشخص اليوم .

– لا تتكلم سخفا .

– يمكنك الا تصدقنى .

– على الارجح انه عميلكم ؟

– اذا كان ذلك – وتبسر سلافين بضحكة ساخرة – لكان رائعا ، اى ان يكون رجلنا ، فهو يعرف الكثير والكثير من الاسرار . على الاخص فى تركيب مكيفات الهواء فى فندقكم «هيلتون» .

– ما اسم عائلته ؟

– بيليو ، ايفين بيليو . واذا اقتضى ان تتكلم مع هليب ، فلا تستشهد بى ، اتفقنا ؟

– ولماذا ؟ توهم الجواسيس فى كل مكان هو من اعراض المرض الروسى .

– ها انت تعرف كل شىء عنا . . فقط ان تضع فى بالك : ما ان تسأله عن بيليو ، حتى يسألك فى الحال : «متى عرف سلافين بذلك ؟» اقصد ليس فى الحال ، بل بعد نصف ساعة ، وعلى الماشى ، ولكنه سيسأل بالتأكيد .

– نتراهن ؟

– على زجاجة فودكا .

– قبلت . سأتلفن لك .

– الافضل ان تأتى . اين ستتغدى اليوم ؟

– لا اعرف بعد .

– لنذهب الى محلات «ماكدونالد» فى الضاحية . ممتع ان نرى الناس هناك .

– حسنا ، لنلتق فى الصالة . فى الساعة الثانية . يناسبك ؟

وجدت الفتاة فى مكتب استئجار السيارات سيارة «فيات» اخيرا . ولم يرد سلافين ان يستأجر لا سيارة «فورد» (فهى غالية ، تصرف عشرين ليترا من البنزين) ولا سيارة مرسيدس . فقد رأى ان «الفيات» مألوفة ، ولا داعى للفخفخة فى السيارة اذن ، لائم نفسك مع الفيات ، فهى ، على حال ، ام «الجيغولى» ، فاجلس فيها وانحشر .

وقبل الذهاب الى المدينة تحدث سلافين قليلا الى ميكانيكي الكراج . قال :

– انا لم اقد سيارة فى افريقيا قط . فعلمنى كيف اتقى شرطة المرور عندكم .

– انهم مسالمون عندنا ، سير . بالطبع ، اذا اسرفت فى الخمرة اخذوا اجازة سياقتك . ياخذون منكم ، انتم البيض ، حوالى مائة دولار – هذه تعريفة البوليس عندنا – ولكنهم يجرجرون ، بالتأكيد ، فانهم لم يتعلموا بعد كيف ياخذون الرشوة بشكل مهذب .

– وماذا على السائق الابيض ان يعرف ايضا ؟

– لا علم لى اكثر من ذلك ، سير . واذا اخذت فتاة فى الليل ، وقررت ان تتسلى معها ، فلا تسمح لها بأن تتعرى . صارت فتياتنا ذكيات الآن . يسمحن للرجال بأن يعروهن ، ثم يصرخن مدعيات بانهن يسلبن . ولتغطية هذه الفضيحة يتقاضون ثلاثمائة دولار ، لا اقل . . .

– شكرا ، ساتذكر – وعد سلافين . – ولا مخاطر اخرى ؟

– لا شيء . هل تلبس نظارة ؟

– نعم .

– لا تنس ان تأخذها معك . هلا لاحظت كم من الناس عندنا ، يلبسون النظارات ؟ بصرنا لا يحسد عليه ، يقال ان اجدادنا وجداتنا ، لم يتغذوا كما ينبغى ، هناك نقص فى الفيتامينات ، وما شاكل ذلك ، والبوليس يستغل ذلك . حقا انهم لا ياخذون كثيرا ، حوالى عشرين دولارا . ربما هذا المبلغ ، بالنسبة لك ، لا يعتبر شيئا ، اما بالنسبة لاهلنا فلا يوجد افظع من الغرامة .

«وبالنسبة لى ايضا ، – فكر سلافين مع نفسه – شكرا لك ، يا ميكانيكى . والآن علىَّ ان اعمل . فقط الا يفرط بول فى الشرب . انه لن يشى بى الى هليب . ذلك من غير المحتمل . اما اذا وشى بى ، فما فى اليد حيلة ، ستعجَّل وتيرة لعبتنا اكثر . من الواضح انها بدأت ، وبدأت بهجوم هليب . وعلى اية حال ما كان بحاجة الى ان يبحث عنى فى السرداب ، وما كان بحاجة الى الاحتفال بالنصر بهذا الوضوح» .

خرج سلافين الى طريق واسعة تحاذى ساحل المحيط ، وجرَّب السيارة . كانت «الفيات» الصغيرة تحس القدم ، والفرامل قوية توقف السيارة فى مكانها .

نظر سلافين فى المرآة . كانت مرسيدس سوداء تسير فى عقبه ، وفيها اربعة ركاب .

«طيب ، اذن – فكر سلافين – لنتسابق يا اولاد . من العبث فقط ان تفعلوا ذلك . من العبث . كان من الافضل ان تخرجوا هليب وشرذمته من هنا ، عندئذ كنتم قد اغنيتمونى عن المجىء الى هنا ، والبحث عن ايفين بيليو ، والتنقل فى المدينة لاستوضح ما يجب ايضاحه ، وسأوضح ذلك ، ساوضحه بالتأكيد ، وانا اعدكم بذلك» .

فرمل بحدة قرب محطة بنزين ، واستدار شاحطا ، فقد تسمرت الدواليب . تاخرت «المرسيدس» بالانعطاف ، وانطلقت عابرة ، وتوقفت قرب كشك لبيع الجرائد . ولم تفتح الابواب وقتا طويلا ، والظاهر ان شرطة لويسبورغ ظنت ان سلافين سيستدير بالسيارة ، وينطلق عائدا . وعندما طلب سلافين ان يزود بالوقود ، وفتح المستخدم الغطاء ، وادار العداد ، عند ذلك فقط خرج من «المرسيدس» فتى طويل ، وتقدم من كشك الجرائد .

– افحص هواء الدواليب ، رجاء – طلب سلافين وشد حزام المقعد السميك عليه .

– طبيعى تماما – اجاب المستخدم ، وهو ينظر الى الدواليب .

– رجوتك ان تفحص ، وليس بالنظر ، وانفخ كل دولاب ، وتأكد من ان الصوامل قد شدَّت بشكل جيد – ومدَّ سلافين دولارا للمستخدم ، فتناوله هذا بحركة خاطفة ، وكالساحر ، جلس القرفصاء بسرعة .

– هاى ! – ضحك سلافين ، حين اخذت «الفيات» تهتز – انا لم اطلب اليك ان تقلب السيارة !

– انها ثابتة ، سير . انا اريد ان اتأكد من كل شيء . – اجاب المستخدم – الدولاب الامامى الايمن منفوخ بالهواء اكثر من اللازم ، وقد ينفجر ، ساخفضه الى ١,٩٠ ، بينما كان ضغطه ٢,٤٠ .

قدَّر سلافين متى يشتعل الضوء الاخضر فى المفرق البعيد ،

ويندفع سيل السيارات . اطلق السرعة ، واندفع من مكانه ، واستدار الى الجهة المعاكسة ، ارتبك الرجال فى سيارة «المرسيدس» ، ولم يكن فى امكانهم الاستدارة مطلقا ، بسبب سيل السيارات . انعطف سلافين فى زقاق ، ودخل فناء فندق صغير ، وذهب الى البار ، وطلب قهوة . وبعد نصف ساعة فقط جلس وراء المقود . ولم يكن احد فى «ذيله» . لقد اضاعوه . وفكر سلافين مع نفسه : «انتم انفسكم المذنبون ، يا اولاد . لوموا انفسكم . ولا تغضبوا علىّ . انا لم اتوقح . بل مجرد ان استدرت الى الوراء لا غير . . . فى المرة القادمة قودوا سيارتكم الى الخلف ، فلماذا سرتم فى المقدمة ؟ لا تفكروا تفكيرا مسطحا فى الرجل الذى ارسلوكم لمراقبته . . .»

. . . كان سلافين قد ارتكب المخالفات للمرة الخامسة ، حين اوقفه الشرطى اخيرا . كان الحر لا يصدق ، وقد احمت الشمس السيارة الى حد التوهج ، وسال الاسفلت ، حتى يبدو وكانك تسير على جليد الربيع ، فى آخر طلعة لصيد السمك ، حين تلسعك وجنتاك بشكل جيد على نحو خاص ، عند زافيدوفو ، ولكنك تستشعر هناك البرد ، ورائحة الغسيل المغسول حديثا ، بينما هنا لا شىء تتنفسه الرئتان ، والعقبان يلسعان من خلال بطانة الحذاء ، ملعون خط الاستواء هذا ، ملعون ثلاثا . . .

— باية سرعة كنت تسير ، سير ؟ — سأل الشرطى العرق ، وهو لا يكاد يرفع يده بالتحية .

اجاب سلافين :

— سريعة قليلا .

— لطيف انك اعترفت بمخالفتك حالا . اجازة السياقة من فضلك . . .

تحسس سلافين جيوبه من فوق .

— اعدمنى لقد نسيتها .

اجاب الشرطى :

— الغى الاعدام فى الجمهورية .

لاحظ سلافين بشكل آلى ، محدثا نفسه «بينما يترك هذا التعبير

مفعوله حالا فى العاملين فى مهنتكم عندنا . ربما اظهار التسامح يرضى الطبع الوطنى ، ان دوستويفسكى على حق ، على حق تماما» .

سأل سلافين : — وما العمل ؟

— نذهب الى المركز ، سير . يجب ان اتحقق من شخصيتك .

وهذا ما كان يريد سلافين ان يحققه .

فى مركز الشرطة جلس نصف ساعة فى الدهليز المظلم ، ومكيف الهواء غير شغال ، واحتباس الهواء لا يطاق . وكان الشرطى العجوز الذى كان يقوم بدور الخفير ، فى اغلب الظن ، يغالب النعاس بعسر .

سأل سلافين :

— هل ينبغى الانتظار عندكم هذه المدة الطويلة دائما ؟

اجاب العجوز :

— ارح نفسك . فالشمس لا تلذع هنا كما هى فى الخارج

— ولكن الهواء معدوم هنا .

— الهواء موجود فى كل مكان — رد العجوز — حتى فى البحر وجد هواء ، كما يقول حفيدى .

سأل سلافين :

— ماذا لو طلبت من الضابط ان يعجل من استطلاع قضيتى ، هل سيغضب علىّ ؟

— انه لن يغضب عليك ، لان الطبيب غير موجود ، على اية حال ، ذهب ليتغذى .

— لست بحاجة الى طبيب ، اذ لم اقع فى حادثة .

— الطبيب ضرورى ، لكل من يجلب الينا . يجب ان يتأكد الطبيب مما اذا انت سكران ، ولا تعانى من علة البصر ، ولم تتعاط الادوية المنومة فى عشية السفر . . .

كان الدكتور امرآة افريقية فتية ، تسير مندفعة ودوارة فى نفس الوقت ، وكأن جسدها مشدود الى مفاصل كانت تعطى كل اشارة المدلول المطلوب ، حتى حين اشارت لسلافين الى مقعد فى ركن العيادة الطبية ، حيث كان الهواء اكثر وغرا ، لان الشباكين الصغيرين كانا مغطايين بقماشة سوداء سميكة .

سألت الطبيبة :

– هل شربت كحولا ؟ كم ؟ ومتى ؟
– يوم امس شربت ويسكى .
– فى اى وقت ؟
– نهارا .
نظرت الطبيبة الى الساعة .
– اذا كان فى الساعة الثانية فان تحليل الدم سيظهر اثـار السكر ، وساضطر الى سحب اجازتك للسياقة .
– انت ام ضابط الشرطة ؟
– نحن كل لا ينفصل ، سير .
– ولماذا انت ايضا يمكنك ان تسحبى الاجازة منى ؟
– لتعاطيك المخدرات ، لتصلب شبكية العين ، لحول العين . . . اعطنى الآن اصبعا . . .
عادت الدكتورة من المختبر بعد خمس دقائق ، وهزت رأسها آسفة :
– شربت الويسكى بالفعل قبل الساعة الثانية . وليست هناك آثار للكحول . اجلس فى الزاوية وقلص عينك اليسرى ، وسم الحرف على اللوحة ، من فضلك .
– انا لا ارى بدون نظارات .
– وكيف يحق لك ان تجلس وراء المقود بدون نظارة ؟
– لا تغضبى .
– لا غضب للقانون – انكرت الدكتورة ، ورنّت كلماتها نشازا مع التدويرة الدائمية لحركاتها التى كانت تعجب سلافين كثيرا . – الفانون مجرد من العاطفة ، رغم ان خدمته لهم قلوب ايضا .
فكر سلافين : «كم اخذوا من بارامونوف ، اذا كان تخمينى صحيحا ؟ ربما ارتعب من سحب اجازتـه ، فطاف فى لويسبورغ الليلية ، يجمع نقودا . كل شىء يتطابق ، وحمدا لله لو تطابق . – فى تلك الليلة استدان من نيكيشكين خمسين دولارا ، ومن بروكلوف خمسة وسبعين دولارا ، واضاف الى المبلغ الدولارات الخمسة والعشرين التى فى حوزته – ومائة وخمسون دولارا من الممكن تماما ان ترقق قلب المستخدمين المجردين من العاطفة ، رغم ان لهم قلوبا . . .»

المركز .
ارجو استيضاح ما هى قوة بصر بارامونوف ؟ الم يكن مصابا باللابؤرية فى العين ؟ هل كان يستعمل النظارة ؟ ثم الى اى حد ضعيف البصر ؟ المزمنون هنا تسحب اجازتهم بناء على محكمة .
سلافين»

«الى سلافين
افتراضك صحيح . رفعت الشبهة عن بارامونوف .
المركز» .

«عزيزى !
الاراء القائلة بأن فترات الافتراق ضرورية ، وما هى الا توقفات فى الحب تتيح اطالة الوداد ، الفرح باللقاء من جديد ، وانتظاره ، تفقد ، بالنسبة لى ، اكثر فأكثر ، وكلما بعد الوقت كونها حقيقة سامية . وهذا مؤسف ، لان اى تراجع عن العشق ، ذلك الصدع الصغير الذى يسقط فيه ماء ، وفى الشتاء يصيبه الصقيع ، فيصبح الماء جليدا يفجر الكتلة المسبوكة ان عاجلا او آجلا .
وهذا لا يعنى ، بالطبع ، اننى اريد ان اهجرك ، وبالمناسبة ، واذا التزمنا بروح الحرف ، فليس لى ما اهجره ، لان الحب ليس زواجا ، ولا حاجة الى فسخه ، فانه ينتهى من تلقاء نفسه . وهكذا .
انا اكتب ، وانا افهم ، ان الكتابة بهذا الشكل غير جائزة ، وانها قاسية ، ولكننى اجد لنفسى تبريرا – واى تبرير ، مجرد وقاء ! – فى ان الحقيقة تطيب لك ، فقد كنت تقول لى ذلك دائما ، فلا حاجة لى فى ان اخفى عنك ما افكر فيه .
امس طلعت الى نهر موسكو . يا الهى ، ما اكثر الناس هناك ! وجميعهم شبان لهم ارجل طويلة . واظن ان ايلف * كتب بهذا الشكل . فى رأيى هكذا «اريد ان اكون شابا ، ممشوق القد ، واركب دراجة هوائية» . وعلى العموم يجب ان يكتب كما كتب هو ، قبيل الموت ، ولست انا ، بعد البلاج . ولكن الخوف تملكنى اذ رأيت الزمن هناك . الفتيات والفتيان ، فى نحو العشرين من العمر ، وما

* ايلف ايليا (١٨٩٧–١٩٣٧) كاتب سوفييتي . **الناشر** .

اكثرهم ، وما اجملهم ، وقد كنت اتصور نفسى ، فى سنى الثانية والثلاثين - عجوزا ، ولكننى لم ارتعب من ذلك رأسا ، لقد ارتعبت حين وجدت موضعا قرب امراة بدينة فى الاربعين من العمر ، كان يضطجع قربها صبيتان وصبى ، ولكنها لم تشعر بأنها عجوز لقد كانت ام اولاد ، ولم تكن تخاف التجاعيد ، ولا البطن المنتفخ ولا اى شىء آخر - الى جانبها الاولاد .
هكذا .

شبان اليوم يغازلون غزلا «سوقيا» ، ويدعون على الفور ، الى «الهاوس» للاستماع الى الموسيقى . ولا يتكدرون ، حين يُرفضون . حقا ان احدهم بدأ ينشد شعرا لـ«غوميليوف» * . وكان انشاده جيدا ، ولكن له اصابع دقيقة جدا ، ارى مثلها كل يوم تحت اشعة «اكس» ، فان سل العظام صار يظهر عندنا ، وذلك شىء غريب جدا .

فى كل يوم استيقظ وانا افكر فى انك خرجت لتتريض بالركض ، وحافزى الاول ان اندفع الى المطبـــــخ . ولكننى ، بعد ذلك ، اتذكر . . . لا ، لا اتذكر . . بعد ذلك اصدم . . . غير صحيح مرة اخرى . . . لا يصدمنى شىء . مجرد ان يسحقنى الادراك بأنك لست الى جانبى ، فاشعل سيكارة بشكل اطمئنان لانك غير موجود ، واتذكر الكسى تولستوى : «التدخين على الريق عادة روسيـــــة صرف» . ان الاطباء العظام والكتاب وحدهم يحسنون التشخيص بسطر واحد .

اعتيادى عليك يزايلنى بسرعة . التعود هو الطبيعة الثانية ، ولماذا الثانية ؟ الطبيعة هى مجموعة عادات . الطبيعة الثانية ، اذا كان لها وجود ، فانما هى الانضباط .

بالمناسبة ، شاهدت فرقة رائعة ، شبان فى بدلات مخملية سوداء حديثة التفصيل غنوا اغانى روسية قديمة . فهاجت مشاعرى . ان اداء الغناء الروسى الجماعى فى بدلات عصرية انيقة يعنى الحفاظ على الاغنية القديمة لجيلنا .

امس تلفن قسطنطين ايفانوفيتش ، وقال ان امورك جيدة ، وانك ستعود عن قريب . اجبت اننى اسمع من صوته انه لا يقول

* غوميليوف (١٨٨٦-١٩٢١) شاعر روسي . **الناشر** .

الحقيقة ، فليس كل امورك جيدة ، وعودتك غير قريبة . ضحك كثيرا ، وعندئذ استقر رأيى على اننى اشربك نفسى بنفسى لا غير . النساء كلهن كذلك . هستيريات لعينات . فلا تفكر ، اذن ، فى هجرى لاننى اكتب لك رسائل مضجرة ، لن تجد احسن ، فنحن جميعا متشابهات تماما ، سوى ان بعضهن يحسن التظاهر لوقت اطول .

اما انتم ، الرجال ، فمختلفون جدا . لستم فقط مختلفين ، بل ان لكل واحد منكم رذيلته الخاصة ، وفضيلتـــــه الخاصة ، وحسده الخاص . ونحن لا نحسن ذلك .

التقيت ناديا ستيبانوفا . هل انها مطلقة ؟ امراة غريبة . لا يجوز ان تسمى الرجل زوجا ، وتتحدث عنه بهذا الشكل . فان المراة بالدرجة الاولى تهين نفسها بذلك لا هو ، انك لا يمكن ان تكدر ستيبانوف ، انه ينشر الكتب ، ورجل الفن لا يخضع لمحكمة الناس . نحن ، الخاطئين ، وحدنا نخضع لها ، اما هو فيحكم بمعايير اخرى . اليس كذلك ؟

اتعرف اننى كثيرا ما اتذكر كيف التقينا . وقد اعجبنى كثيرا جدا انك لم تكن تعرف كيف تتقرب منى . ورأيت كيف اغتظت ، حين كان المصطافون من الرجال ينثالون على ، ويطلبون منى عود ثقاب ، او يسألوننى : الساعة كم الساعة «الساعة كم الساعة ؟» - عبارة مريعة ، اليس كذلك ؟ ونحن نكتب بهذا الشكل ، تقارير تاريخ المرض . فى مثل التعابير تطمس اللغة ! اتذكر كيـــف ضحكـــت ضحكا لطيفا ، حين سألتك «واخيرا احتجت الى عود ثقاب ؟» تعرف كيف تعشق الاوانس ؟ ! لا تستطيع ان تتصور ! انهن يعشقن اشد منكم بكثير . وعلى العموم نحن جميعا نعرف بيت بوشكين : «كلما قل عشقنا للمرأة ، ازداد اعجابها بنا» . ومع ذلك ما ان يصادف ان تتكلموا مع اخرى على البلاج ، حتى نبدأ عـلى الفور بالاغتياظ . ولكننا اكثر منكم مكرا ، بسذاجة ، طبعا ، اكثر مكرا . ولهذا ناخذ بالتغازل على غير هدى مع اى ابله ، وعندئذ - واقصد هنـــا الذكيات - تفقدون الاهتمام بنا . ونحن نعرف ذلك ايضا ، ولكننا نتباله ، على اية حال . وبسبب مكرنا العاجز هذا ينظر الينا كنساء خليعات .

اعلم اننى الآن قد فكرت فى ان حالتنا طيبة جدا ورائعة جدا .

وليس هناك الا التزام واحد : ان يحب احدنا الآخر . يا رفيقى العزيز سلافين ، ان صاحبتك ارينا تحبك حبا ، هل تعرف مداه ؟ انت لا تعرف ، ايها الرفيق العزيز كم تحبك . ولهذا فانها ستمزق الآن هذه الرسالة ، من جراء مستهلها ، وتكتب رسالة جديدة رسمية ، حيث يكون كل شيء «بالمسطرة» . ام لا حاجة الى ذلك ؟

اقبلك ، يا حبى ! ولما كنت تكبرنى اثنين وعشرين عاما ، فان فكرة تراودنى ، وهى انه بعد ثمانية اعوام ، حين تحال الى التقاعد (ام ذلك يسمى عندكم الاستقالة ؟ كلمة لا حلاوة فيها ايضا) ، سأراك بالقرب دائما . ولكن لا . فانا لن اجعلك تقعد فى غرفة الاشعة الى جانبى ؟ ولهذا لن تحصل «دائما» هذه . ولكن صباحا ومساء بالتاكيد .

هكذا .

ولكنك ستهجرنى آنذاك . لانك ، على ما يبدو ، وفى الحقيقة لا تستطيع ان تعيش بدون فترات فراق تمدنى بترقب سعادة رقيق جدا – اللحظة التى ستعود فيها .

ايرينا بروخوروفا المحبة لفيتالى
فسيفولودوفيتش سلافين» .

«الى المركز .

بعد مقتل بيليو اختفى خرينوف من لويسبورغ . عرفت عنوانه ، وتقول صاحبة الفندق انه اخذ كل امتعته ، واشترى تذكرة طائرة . والاتجاه غير معلوم . من الممكن الافتراض بأنه هرب خوفا من تنكيل وكالة المخابرات المركزية .

سلافين» .

«الى سلافين .

«هل تستطيع بامكانياتك الخاصة ان تستوضح مصير قافلة النقل رقم ٦٤٢ ، التى كانت متجهة برا من لويسبورغ الى ناغونيا ؟ نفدت جميع المواعيد ، ولكن قافلة النقل لم تصل .

المركز» .

«الى المركز .

بناء على المعلومات المستقاة من دوائر قريبة من المصادر الصحفية لاوهانو استولت قواته على قافلة النقل رقم ٦٤٢ فى

نهاية الاسبوع الماضى . والمح اوهانو الى انه كان يعرف بالضبط ، الموعد الذى ستخرج فيه الشاحنات من لويسبورغ وصرح بانه من الآن فصاعدا ستستولى قواته من «ذوى القبعات الخضر» على جميع القوافل التى تحمل حمولات الى ناغونيا . ومن غير المعروف من اى شخص استمد هذه المعلومات ، الا ان طريق القوافل وموعد تحركها معروفان بالنسبة لسلطات لويسبورغ . وهذا يدخل ايضا فى صلاحيات رجالنا المسؤولين عن النقل ، حسب الاتفاقية الموقعة بيننا وبين وزارة النقل هنا .

سلافين» .

«الى سلافين .

«مَنْ من رجالنا مسؤول عن خطوط سير ومواعيد نقل الحمولات الى ناغونيا ؟

المركز» .

«الى المركز .

زوتوف المسؤول عن مواعيد النقل . اما خطوط السير فان موظف مؤسسة التجارة الخارجية شارغين قد اتفق عليها اثناء ايفاده الى لويسبورغ فى نيسان من هذا العام .

سلافين» .

«الى سلافين .

سندرس شارغين . ماذا يمكنك ان تبلغ عنه اضافيا ؟

المركز» .

«الى المركز .

يوصفون شارغين وصفا ايجابيا . والى جانب ذلك يلحظون ميله الى الشرب . ويلاحظ انه مشغول جدا باللقاءات مع النساء . اما بخصوص الراديو الفائق القوة «باناسونيك» ، فقد اشتراه شارغين مباشرة من شركة غريغوريو امارال بـ٥١٢ دولارا . ومع ذلك فان شارغين لدى مغادرته من لويسبورغ سجل ايضا على ورقة التصريح الجمركية آلة تصوير من نوع «مينوكس» ، آخر انتاج ، واصغر آلة تصوير من بين الات التصوير المعروفة هنا ، ومسجلا ماركة «هيرتون» ثمنه ١٢٥ دولارا . وحسب معلومات محاسب

المثلية التجاريـــة استلـم شارغين خلال وجوده فى الايفاد ٦٥٠ دولارا ، وايجار الشقة على حساب مؤسسته .

سلافين» .

«الى سلافين .

استوضح هل كان فان زاغر عميل شركة «تريد كوربوريشين» يزور لويسبورغ فى نفس الوقت الذى كان شارغين فيها .

المركز» .

«الى المركز .

العميل فان زاغر لم يزر لويسبورغ قط .

سلافين» .

«الى سلافين .

استوضح هل يوجد فى لويسبورغ ممثلية لـ«تريد كوربوريشين» ؟

المركز» .

«الى المركز .

لا توجد فى لويسبورغ ممثلية لـ«تريد كوربوريشين» .

سلافين» .

التحرى — ٢

(جفانوف ، غميريا)

عندما «التقط» جفانوف بارامونوف ، كان هذا قد استطاع ان يتأكد من نفسه ، وراح ينظر الى واجهة «مخزن الاغذية» ، ليرى هل هناك مـــن يتعقبـــه ، ودلف الى تسيزين فى مخزن «المياه المعدنية» .

كان جفانوف قد عرف من الايام السابقة ان بارامونوف لا يتعطل عند البسطة ، فدخل فى اثره ، ولاحظ فى الحال ان تسيزين يصب فى قدح ماء من زجاجة «فيتاوتاس» ، الا انه لم يضعها بالقرب منه ، بعد ان صب الماء منها ، بل حشرها فى البراد .

شرب بارامونوف الماء جرعة واحدة ، وجمد وجهه للحظة ، ثم احمر بحدة ، ووضع خمسة كوبيكات على صحن النقود ، وخرج من المخزن .

لحق جفانوف ان يلتقط القدح ، رغم ان تسيزين اراد ان يكون اول من يأخذه . تشممه . كانت فيه رائحة «سيفوخا» * . قال جفانوف :

— اعطنى الزجاجة . هاتها ، ولا تأثم .

اخرج تسيزين من جيبه خمسين روبلا ، وقدمها لجفانوف :

— لا تقتل نفسا ، يا طاغية .

— ماذا تدس لى ؟ ! ماذا تدس لى ؟ ! — قال جفانوف مغتاظا — صب لى . هل تحسبنى سافلا يشترى ؟ !

— ولكن ، على مهلك ، ولا ترفع صوتك — تحول تسيزين الى الهمس — حرفيا ، كنت اظنك من الجماعة . . . الآن سأصب ، ساصب من كل قلبى . . .

اخرج الزجاجة من البراد ، ولكنه حين كان يفتح السداد ، انزلقت الزجاجة من يديه ، وتهشمت ، فاخرج زجاجة ثانية فى الحال ، وهذه الزجاجة الثانية حطمها فوق المغسلة عن سبق اصرار ، وتحول الى الهجوم :

— ماذا تريد ؟ ! ماذا اصب لك ؟ ! هل تظن اننى ابيـــع الفودكا ؟ ! سأقرعك ، كما ينبغى ، على هذا الافتراء !

ومضى يصيح ، حين دخلت المخزن ثلاث عجائز .

— كان يبتز الفلوس ! كان يقول حرفيا : صب لى فودكا ، ومن اين لى فودكا ! لا اسمح بأن استفز ! بموجب الدستور الجديد يحاكم على ذلك ! انظروا كيف تأنق ، واطلق لحيته ، الفالت .

عندما جاء العقيد غميريا الى زوجة بارامونوف ، اصغت الى سؤاله ، وتنهدت ، واجابت بصوت خافت لا يكاد يسمع :

— انا لا افهمك تماما . هل وقع شىء له ؟

— لا ، لم يقع شىء له ، ولكن سيكون احسن ، له ولك ، لو قلت الحقيقة .

— طيب ، يشرب كأسا احيانا — اجابت المراة بصوت اكثر خفوتا ، واكتسى وجهها الممتلئ العليل تقطيبة عذاب — بمناسبة عيد ، او فى يوم ميلاد . . .

---

* فودكا من الخبز المخمر رديئة التنقية . **المعرب** .

استلقى غميريا على ظهر الكرسى ، واجال بصره فى الحجرة ، النظيفة بتقشف ، والمنضدة مصقولة الى حد اللمعان ، والاريكة المضجع مغطاة بغطاء ابيض ، والجيرانيوم الساطع على افريز النافذة ، وزفر ذات صدره ، وخلص الى القول :

– اعذرينى اذا قلت لك انك لا تقولين لى الحقيقة . مضيعة وقت ! لان المدمن ليس هو الذى ينام على مسطبة فى الشارع ، بل ذلك الذى يشرب قدح فودكا كل يوم ، فى الغداء ، وقبيل العشاء . وبعد ذلك يبدأ بتناولها قبل الفطور ايضا . بينما المراة التعيسة ، لا سيما اذا كان عليها ان تعمل فى خارج البلاد ، يتعين عليها ان تبذل قصارى جهدها ، وتطعم العائلة بالمعكرونة ، وتترهل ، فقط الا يعرف احد بلواها ، فقط الا تحصل فضيحة . اين جهاز «سونى» الذى جلبته ؟ لقد باعه ، باعه لقاء الفى روبل ، لانه لا يكفيه ما عنده للفودكا . وآين آلة التصوير السينمائية ؟ راحت ايضا الى مخزن البيع بالعمولة . وعلى الفودكا ايضا ، اليس كذلك ، يا كلافديا نيكيتيشنا ؟ واين الفلوس لشراء «جيغولى» ؟ انفقها خلال نصف عام – بسكون ، وبلا فضائح ، بطريقة عائلية : نصف لتر ، فى اليوم ، يعنى خمسة روبلات ، وفى ايام السبوت والآحاد ، عشرة . بينما راتبه مائة وثمانون روبل ، والزوجة لا تعمل ، بالاضافة الى ذلك تجب مساعدة الابنة على دفع قيمة الشقة . اليس ذلك صحيحا ؟

وعندئذ اخذت المراة تبكى . بكت بلا صوت ، وبتشنك ، وكان ثمة شىء نشاز فى جسمها المترهل ، وفى دموعها الطفولية غير المنطفئة التى لم تعمد حتى الى مسحها – يبدو ان البكاء كان عادة لها ، على الارجح . همست :

– رذيل ملعون . سكير ، عسى ان يختنق بخمرته . الموت لا ياخذه ! كل يوم ، كل يوم من ايام الله . . . وليتها خمسة روبلات ! عندئذ كنا قد اشترينا سيارة ، فكم حلمنا بأن نسافر الى الجنوب بعائلتنا ، حين كانت مارينوتشكا ما تزال تعيش معنا . بسببه قبلت ان تتزوج ، وهى صبية لما تزل ، والآن تنزوى عند عائلة غريبة . فى النهار وحده يشرب بخمسة روبلات ، وحتى المساء ينفق المبلغ نفسه ، بينما فى ايام السبوت والآحاد ، اذا لم يذهب للقيام بعمل اضافى ، ينفق عشرين روبلا ، ومنذ الصباح الباكر .

وعلىّ ان التزم الصمت . . . كنت اقوله له ، لهذا الطاغى ، سيعرفون ، على اية حال ،ولن ينتهى الامر بخير ، لن يجعلوك تسافر الى اى مكان . ولكن ما الذى حدث ؟

– لم يحدث شىء بعد . هل كنت معه ، حين اقتيد الى مركز البوليس ؟

بسطت المراة يديها :

– اين ؟ ! فى اى مركز بوليس هذا ؟

– فى لويسبورغ ، قبل المغادرة بوقت قصير . . .

– اهذا حين تغيب فى الليل ؟ وفيما بعد اقترض نقودا ، اهذا ؟

– من اين كان يأخذ النقود ؟

– من عائلة يفسيوكوف ، ومن شخص آخر ، كان يقول انها لشراء الهدايا ، التذكارات ، ولشراء هذه الهدايا باع المسجل ، فيما بعد ، بنصف سعره ، بينما كان يوبخنى ، اذا اشتريت خضارا .

– هل تعرف بشارغين فى لويسبورغ ؟

– الاجعد الشعر ؟ المعطر ؟ نعم ، هناك . طول الوقت كان ياخذه فى السيارة ، يأخذه الى عملاء البيوت التجارية ، الى البلاج . هو الاخر غير مضبوط . تراه يقول معسول الكلام للجميع ، فاذا التفتوا رشقهم بماء الغسيل . . .

– ارينى آلة تصويرك ، يا كلافديا نيكيتيشنا . . .

– اخذها هى الاخرى الى مخزن البيع بالعمولة . بينما كانت جيدة جدا !

– الم تكن هناك آلة تصوير صغيرة ؟

– «مينوكس» ؟ لا ، لم نأخذها ، لعدم وجود افلام تناسبها عندنا ، فقررنا ان لا نشتريها . . .

– متى بدأ يشرب ؟

– حين اصبح المشرف على الكراج – اجابت المراة بوثوق . – من قبل ، عندما كان ميكانيكيا ، كان نفسه يحتاج الى ان يدبر امره ، فلم يكن يشرب ، وحالما استبدل عفريتة العمل بالروب الازرق ، حتى بدأ الزبائن ينشدون الحظوة لديه ، وهنا بدأت الحكاية . . مرة مع هذا ، ومرة مع ذاك . انه نزيه ، فلا تظن به

الظنون انه لا يأخذ زائدا ، يفضل ان يعطى ما عنده بدلا من ان يكدر آخر .

–ومتى اصيبت عيناه ؟

– عند ذاك اصيبت . كان يشرب دون ان يتمزز بشيء . والخمرة الملعونة تحرق فى الداخل . فيصاب احدهم بقرحة ، والآخر بضغط الدم العالى ، اما زوجى الابله ، فقد اصابت بصره . وكان يخفى ذلك ، يخفيه تماما ! كان يقول : «سيضيع كل شيء ، اذا عرفوا ذلك ، سيضيع المستقبل ، فان الاعمى لن يسمح له بالسفر الى خارج البلاد» . واخيرا ركّب عدسات ، والآن يقول ان لجنة الفحص الطبى لا تخيفنى ، وسيسمحون بالسفر الآن . . . فراح يمرح ويسرح من الفرح . . .

– الم تحاولى اللجوء الى الطبيب ؟

– والى اى طبيب الجأ ؟ – قالت فى غيظ فجأة – الى طبيب السفارة ؟ اقول لهم زوجى سكير ، ها ؟ سيسفروننى على اول طائرة . ومن هناك يكتبون الى مكان عملى . وحاول بعد ذلك ان تزيل عنك هذه اللطخة . لو كان بالامكان بالخفاء ، لاستملته . اما فى تلك الحال ، فما كان على الا ان اسكت ، وآمل .

– باى شيء ؟

– بأن تسحقه قرحة ، او تصاب كليته . هذا هو سيدروف اغرق فى الشرب حتى اضطروا الى قطع كليته ، حتى ان سعادة كبيرة شملت عائلته الآن ! لا يضع فى فمه قطرة واحدة ، وقد حصلوا على قطعة ارض لبناء بيت ريفى ، واشتروا للزوجة معطفا من فراء الراكون ، وهم فى سبيل شراء شقة من ثلاث غرف فى تشيرتانوفو * . . آوه ، مانفع الكلام . لم يعد الرعب يخامر الناس ، فهم يشربون . والحياة شبعى ، ومهما يكن عملك فلن يدفعوا لك اقل من مائة وخمسين روبلا . . . وفى زماننا كيف كانت الحال ؟

– فى زماننا كانت الحال تختلف – قال غميريا موافقا – وجهاز الراديو اين هو ؟ فانه اشترى جهاز راديو فائق القوة . . .

– باعه ! كان راديونا يلتقط اية محطة تشاء . اشتريناه

* احد الاحياء الجديدة فى موسكو . **الناشر** .

بنصف سعره . ركّب زوجى كاربيوراتور فى سيارة عميل احدى الشركات التجارية ، فقد كان يجيد تركيبها بحيث تقتصد بالبنزين ، فاعطاه العميل لقاء ثمن بخس . . وما كان احسنه ، ما كان احسنه من راديو . . .

– ولمن ركّب مثل هذه الكاربيوراتورات ايضا ، يا كلافديا نيكيتيشنا ؟ الم يطلب منه هليب العميل التجارى الامريكى ذلك ؟

– وحتى ولو طلب . فان زوجى يتجنب الامريكيين من على بعد ميل ، شرحوا لنا اى رجال عندهم . يبعدنا عن شرهم . استفزازات ، وهذه ارهب من الفودكا . معقول لا نعرف . . .

– فى هذه الحال الفودكا ارهب – قال غميريا ، ونهض – ارهب بكثير ، صدقينى . . .

– مرحبا ، لقبى بروسكورين ، واسمى ميخائيل ايفانوفيتش . ورتبتى مقدم . اود لو اتحدث معك عن الفترة التى كنت تعمل فيها فى لويسبورغ .

– تفضل ، ايفان ميخائيلوفيتش . – رد بارامونوف مضطربا .

– الاصح ميخائيل ايفانوفيتش ، ولكن لن اتكدر ، اذا كان اروح لك ان تسمينى بما سميتنى به .

– اعذرنى ، انا دائما اخلط فى الاسماء .

– ولكن هذه ليست المصيبة الكبرى . . . حدثنى هل التقيت هناك برجل الاعمال الامريكى هليب ؟

– بم تشك فى ؟ اهذا استجواب ؟

– لا ، لا املك الحق فى استجوابك ، لانك لا تُتهم فى شيء ، اولا ، ولا تطلب منك شهادة ، ثانيا . انها مجرد محادثة ، ولك الحق فى رفض اسئلتى . . .

– لا اتذكر هليب ، والمسيح الحق ، لا اتذكر !

– هذه صورته .

تناول بارامونوف الصورة الفوتوغرافية الصغيرة ، وقرّبها من عينيه ، وقلّص عينيه اكثر .

– مثل هذه الصورة الصغيرة لا اتبينها جيدا .

– وكيف تسوق سيارة ، اذن ؟
انزل بارامونوف رأسه ، وشحب .
– البس عدسات ، حين اسوق سيارة .
– لا يهمنى الا شىء واحد : بعد توقيفك الم يحضر احد الى مركز البوليس لانقاذك ؟
– لا ! لم اكن مذنبا فى شىء ! كنت صاحيا ! ولم اكن بحاجة الى مَنْ ينقذنى !
– الم تشرب فى ذلك اليوم حقا ؟
– ولا قطرة !
– وفى العشية ؟
– ولا قطرة ، ايضا .
– معقول ؟
– اقسم ، ولا قطرة ! نادرا ما اشرب !
ولان بارامونوف كان يكذب عن ذعر ، فقد ادرك بروسكورين الى اقصى حد انه ليس هو المقصود . انه رجل سيئ ، تعيس ، سكير ، ولكن لا علاقة له بوكالة المخابرات المركزية ، لا علاقة له بالتأكيد . . .
– دفعت لهم فلوسا– قال بارامونوف بألم –هناك كل المرتشين والمبتزين ، يقولون ، لا يجوز بدون نظارة . . .
– كم دفعت لهم ؟
– مائة وخمسة وسبعين دولارا . ولم يكن عندى غير خمسين ، فاقترضت من الاصدقاء ، وعندئذ مزّق الشرطى تقرير الفحص الطبى . . .
– لا تتذكر اسم الطبيب ؟
– وهل كان يعنينى تذكر اسمه ؟ ! امراة جميلة ، كانت ، بالمناسبة تضع نظارة ايضا . . .
– ولم يعرض احد من الاجانب المساعدة عليك ؟
– كنت سأذكر ذلك ، على اية حال . افهم وضعى ! – قال بارامونوف متضرعا – البقاء فى افريقيا بلا اجازة سياقة يعنى ضياع المستقبل !
– الضياع لاى شىء ؟

– ضياع العمل – صحح بارامونوف قوله – لا استطيع الذهاب الى اى مكان . وفى حر البلاد تلك لا يستطيع المرء ان يسير ماشيا ! واطراف المدينة مترامية ! وكنت ساخدع الذين اعمل معهم ! فقد كانوا ينتظرون منى سرعة الحركة : ان الحق فى الذهاب الى حيث يرسلوننى !
– اكثر ما كانوا ينتظرونه منك ، فى اغلب الظن ، هو النزاهة . نظمنا استفسارات ، وهذا ما اتضح لنا : لو كنت قد رويت كل شىء بنزاهة يرهن حقوقيونا لسلطات لويسبورغ بأنك اجتزت فحص لجنتنا الطبية ، ولسمحت لك لجنتنا الطبية الداخلة فى الميثاق الدولى بسياقة السيارة ، وبهذه الطريقة ما كان ليحق لاحد ان يوجه لك اية تهمة . . . يجب ان يحترمك اكثر ، والاهم ان يحترم القضية التى تخدمها . . . بينما قدمت رشوة ، حتى لا يضيع مستقبلك .
سأل بارامونوف بخفوت تام :
– هل ستبلغ بكل شىء «احواض تصليح السفن العالمية» ؟
– ليس لى الحق فى ذلك ، مع الاسف ، ليس لى الحق الدستورى ، وان كان لى لكنت سأبلغه ، أبلغه بالتأكيد .

سلافين

– مرحبا ، يا ادريه اندرييفيتش .
رد زوتوف :
– مرحبا .
– اود لو تساعدنى فى فهم الوضع هنا . انا فيتالى فسيفولودوفيتش سلافين .
– لستُ الشخص الذى يفيدك .
– الجميع يقولون : انت تحس بالوضع احسن من الآخرين ، لا سيما فيما يتعلق بناغونيا ، وارسالياتنا ، ودورانها . . .
– يمكن ان تقرأ عن كل ذلك فى تقاريرنا . لا فائدة . . . مهما كتبت استبعد ان يتغير من الامر شىء .
– لماذا ؟

– لاننا نرتكب حماقة .

– هذا ما نجيده – قال سلافين موافقا – ولكن فى هذه الحالة الراهنة لطيف لو نلتقط الحلقة الرئيسية : نرتكب حماقة باى شىء ؟ كيف نحطم روح الحماقة ؟ الوضع فى ناغونيا يستحق هذا .

– التحطيم بسيط جدا . مصالح الميناء هنا مدينة لنا بخمسة ملايين . وهو مبلغ تافه ، بالطبع ، بالمقارنة بتلك التى تذهب ادراج الرياح ، ولكنها بالمقاييس المحلية ، اموال معتبرة . الا اننا نتحرج من المطالبة بها ، ولكن اذا كانوا لا يستطيعون ايفاءها ، فعلى الاقل ليراعوا اللياقة ، ويخدموا بواخرنا الذاهبة الى ناغونيا ، ويمرروها اولا باول ، ولا يؤخروا سفرها ثلاثة ايام . بينما نحن نبدى لينا معهم ، ونخاف ان يسيئوا فهمنا ، ويتكدروا ، فى حين انهم يصبون القاذورات علينا فى كل الجرائد المحلية ، كما يشتهون . . .

– مرض الخوف من إلحاق الكدر دليل على القوة ، يا اندريه اندرييفتش ، أليس كذلك ؟

– صحيح . ولكن كيف سينظر احدنا فى عين الآخر اذا خُنقت ناغونيا ؟ على الاخص من جراء وصول ارسالياتنا متأخرة ، وهناك ايضا اناس . يجيدون الشغل ، فيقولون فى الحال : «الروس يعدون بالكثير ، ولكنهم لا يحسنون الوفاء بوعودهم . فيخرق جدول المواعيد ، ونحترق نحن من جراء ذلك» . فاية حال هذه ؟

– سيئة ، ولا اسوأ منها .

– بينما هنا يجيبوننى : انت مضجر ومتذمر . وانا لست مضجرا ، مجرد اننى اذهب الى الميناء اكثر من الآخرين ، والتقى بمختلف الناس ، واتيقن من انهم هنا قرروا : «من الممكن الجلوس على رقابهم» .

– طيب ، لقنّى كيف اكتب عن كل ذلك بحذق اكثر ، هل توافق ؟ عندى موعد للغداء فى الساعة الثانية مع صديق ، زميل امريكى ، لم أره منذ محاكمات نيورنبيرغ .

– أهو ديك ؟

– نعم . هل انت متعرف عليه ؟

– هو صديق احد معارفى . اظنه صحفى صاحب ذهن مفكر ، رغم انه مدمن الشراب ، مع الاسف .

– سآتى لأخذك ، فى الساعة الرابعة . اتفقنا ؟

– لا ، انا مشغول فى الرابعة . لنتفق على حوالى الساعة التاسعة .

– عندى ؟

– اين نزلت ؟

– فى «هيلتون» ، رقم الغرفة ٦٠٧ .

– فى الطابق السادس ؟

– نعم ، على اليمين فى الممر .

– انا اعرف . حسنا ، ساجيئك فى التاسعة .

جلس بول ديك الى جانب سلافين ، وراح يشتم ، ويدمدم :

– انت اوقعتنى فى مأزق ، يا ايفان . الى اى «ماكدونالد» سنذهب ؟

– فى ذلك الذى يقع الى جانب البيت الذى كان يعيش فيه بيليو .

– كان يعيش فى حى المعدمين . «ماكدونالد» هناك نتن الرائحة ، مثل مجمع المياه القذرة . لقد عاينت كل ما حوله .

– وانا ايضا اريد ان القى عليه ، ولو نظرة واحدة .

– لا تخادع ، يا ايفان . ماذا تعرف انت عن بيليو هذا نفسه ؟ – ومدّ بول ديك لسلافين ثمانية دولارات . – خذ ، واشتر بنفسك ، ما كنت سأتحمل ، فشربت .

– ما هذا ؟

– لا تتباله ، فقد خسرت لك ، لانك حدست جون احسن منى – بالفعل سأل عنك ، كما خمّنت . وضح لى : ماذا تعرفه عن هذه القضية ؟

– لا شىء . ليس لى الا التخمين . الظاهر ان بيليو كان يستأجر غرفة ، فى مكان قرب محطة القطار . . .

– قرب المرفأ . ولكن الضجيج نفسه ، والرافعات تعمل تحت النافذة ليلاً نهاراً . وبعد ؟

– يظهر ان كتبا روسية كانت فى غرفته . . .

– اوكرانية . وبطاقات بريدية ، الكثير من البطاقات البريدية القديمة .

– وكان على المنضدة جبنة يابسة ، ونصف رغيف من الخبز لا ؟

– الجبنة كانت جافة متصلبة جدا ، ولم يكن هناك خبز ، بل بسكويتة هشة . يعنى كنت فى غرفته ؟

– لو كنت فيها ، يا بول ، لاستجوبونى . بم قتلوه ؟ بمسدس كاتم الصوت ؟

– لا ، بل رموه ببندقية قناص من رافعة ميناء ، من خلال النافذة . وكان ، بالمناسبة ، يمارس التطريز ، وكانت حجرته مملوءة بالمحارم ، والمفارش ، والابسطة . رسوم ديوك ودجاجات . اسمع ، ماذا تعرف عنه ؟ انت ، يا ايفان لم تأخذ بالبحث عنه بلا قصد . . .

– اية كتب كانت له ، يا بول ؟

– نسيت . . . كلا ، لقد سجلتها بالطبع ، ولكن المذكرة فى غرفتى . . . اشعار . اتذكر ان اغلبيتها اشعار .

– حجرة صغيرة ، والرافعات تحت النافذة ، ومحارم مطرزة بديوك ، واشعار . . .

– انت تصنف الحقائق بشكل جيد ، رغم انك لم تكن تملك هذه الموهبة من قبل . من نيورنبيرغ كنت تستقى معلومات صرفة . ومع السنين ظهر عندك هوى رائع ، فانت تَنْظِم الحقائق المتفككة فى فكره دون تهيب .

– انا افخر . هل كان هناك رجال شرطة كثيرون ؟

– سيارتان .

– والصحفيون ؟

– سمحوا لهم فيما بعد ، عندما انتهى التفتيش .

– عمّ كانوا يبحثون ؟

– الشيطان يعلم . لمّحوا على انه عميلكم .

– التلميح ممكن لفتاة ، ولكن مثل هذه القضايا تحتاج الى دلائل .

– وهل لا يمكن تلفيقها ؟

– على اساس ؟

– الاساس موجود . وهو انه كان يعيش قرب المرفأ ، وهناك تسير بواخركم الى ناغونيا . والآن هنا حملة ضد ذلك . وكان بيليو يتطلع فى المنظار ، ويرسل اشارات .

ارسل سلافين ضحكة . فتابع بول يقول :

– وايُّ عجب فى ذلك ؟ المهم رمى قطة فاطسة ، ولينقّب الآخرون . والمذنب دائما هو الذى صبوا عليه نجاسة ، عليه ان يتنظف فى آخر المطاف .

كان الجو صاخبا فى محل «مكدونالد» بالقرب من المرفأ ، على بعد عمارتين من فندق الدرجة الثالثة الذى كان بيليو يقيم فيه . وذُهل سلافين من كثرة الذباب فيه : ذباب ازرق البطون ، سمين ، يطير ببطء مثل طائرات «يونكرس» الالمانية الموقرة بالحمولة ، ويطن ايضا طنينا مُضجرا .

اقترح سلافين قائلا :

– لنشرب قهوة ، ولنذهب الى الغداء الى مكان فى الهواء الطلق . توافق ؟

– لا ، انت كنت تعرف بيليو هذا تمام المعرفة ، فهو جاسوسكم ، يا ايفان . . .

– بول ، لسنا بحاجة الى جاسوس لنا هنا ، كلمة شرف . لقد قلنا بصراحة انه لو بدأ تدخل فى ناغونيا ، فاننا سنساعد غريسو بكل الوسائل التى فى حوزتنا . الاوراق مكشوفة ، ولا أسرار . وعلى العموم لا يوجد فى العالم اليوم غير القليل من الاسرار . من الممكن تحديد كل شيء ، فقط ان تحرك دماغك .

– اذن ، حدّد رئيس جمهوريتى ، منهجه .

– هل لك رأيك الخاص ؟

– لى . انه صريح اكثر من اللازم ، وهذه الصفة مهلكة بالنسبة لزعيم ملزم بان يكون مرناً .

– اذا كان الامر كذلك استطيع ان انام مطمئنا . ولكننى اعتقد ان كل شيء مختلف . ان المؤسسات التجارية العسكرية عندكم تدفع

غير قليل من المال للحملة الانتخابية ، بينما هو رجل ذو مكانة ، ولهذا ملزم على الوفاء بالديون . كيف ؟ الصناعة الحربية وحدها تستطيع ان تعطى مردودا فوريا : ضع على الخط الانتاجى القنبلة النيترونية ، وهذه عشرة مليارات قد انفقت ، والدين قد سُدد . ومع ذلك لم يتركوه يضع القنبلة النيترونية على الخط الانتاجى . فان ذلك اخطر من اللازم . فان السياسيين الامريكيين الراشدين ضد ذلك . انهم ، مثلنا ، يفهمون ان شعبينا ، مهما وضعت بينهما العوائق سيتصادقان على اية حال . فان ذلك افق تاريخى واقعى ، ونحن نؤمن به . وعندما فشلت القنبلة ، حاول رئيسكم ان يتحول الى الحقول السلمية من الصناعة ، ويحصل على نقود منها ، ليرد دين المجمّع الصناعى الحربى ، ويحفظ ماء الوجه بهذه الطريقة . فوافق على المفاوضات السلمية . ولكن الكونغرس ، كما هو معروف ، لا يؤيده فى كل شىء . فقد كانوا منذ البداية ضد معاهدة الحد من الاسلحة النووية . فوقع بين نارين . ولكن يجب ان يرسو على احد الخيارين ، الحياة تجبره ، والامريكيون انفسهم يطالبون .

— على هذه الشاكلة تقريبا ، ولكننى على حق اكثر منك ، لانه كان من الممكن ايجاد طريق ثالث ، بارع ، وهذا لا يستطيع ان يبيحه لنفسه . . .

قال الزنجى الذى كان يصب القهوة باقداح من الورق المقوى ، قال لبول :

— رايتك اليوم ، سير .

— وانا لم ارك .

— لقد رايتنى كذلك ، سير ، كنتَ خارجا من الشقة التى قتل فيها ايفان .

قال بول مندهشا :

— مَنْ ؟ اى ايفان هذا ؟

— بيليو . اسمه الحقيقى ايفان . كان مضطرا الى ان يغير اسمه الى آيفين . فهو روسي

قال سلافين :

— وانا ايضا روسى .

— ارجوا المعذرة ، سير ، لم استطع اطلاقا ان اتصور انك روسى ، كنت اظن انك انجليزى . . .

اخرج سلافين علبة سكائر «يافا» ، واخذ منها سيكارة ، ولكنه لم يشعلها . انه عموما لم يكن يدخن ، احيانا كان يمص السيكارة فقط ، وهذا ايضا شىء نادر .

— اسمع ، لماذا ، اذن ، كان يعيش هنا ؟ من اين جاء الروسى الى لويسبورغ ؟ الم يحدثك شيئا عن هذا ؟

— لا . كان يغنى فقط ، عندما يفرط فى الخمرة .

— دائما كان يفرط كثيرا ؟

— لا ، بل صار يسرف فى الشرب بشكل خاص ، حين اخذت البواخر الروسية تاتى الى هنا . بحارتكم غالبا ما يحتسون البيرة عندى . وكان بيليو غالبا ما يجلس فى تلك الزاوية هناك وينظر اليهم ، وحين كانوا يخرجون ، كان يبدأ بالشرب ، ثم يأخذ بعد ذلك بغناء اغانيه . ولكنهم لم يكونوا يضربونه ، بل كانوا يسمحون له بالغناء ، ولا يطردونه الا حين يشرع بالقىء . . .

— كانوا يسمحون له بالغناء — ردّد بول ديك — انها روح انسانية عالية ان يسمحوا له بالغناء . ذلك بمثابة رفعك الى السماء العالية . قدم لنا الويسكى بالثلج .

— عندنا ويسكى اسبانى ، سير ، ويسكى «ديك» ورجالكم لا يشربونه .

— رجالنا قاصرو العقل ، فلا تلتفت اليهم . لا تقل لهم ان هذا «ديك» ، وصبّه لهم بجراة ، وضعه تحت انوفهم ، بل اقرع بقعر القدح ، حتى يطرطش بعض الويسكى .

— شكرا على النصيحة ، سير ، وساحاول . الا تريد ان تلعب البليارد ؟ عندنا منضدة اصولية تماما ، والكرات ثقيلة .

— سامع — طلب اليه سلافين — بيليو هذا الم يغن ولو مرة واحدة ، بحضور البحارة الروس ؟

— بلى ، غنى مرة واحدة ، سير ، وبكى كثيرا ، حين غنى ، فاهدوا له بطاقات بريدية . . .

سأل سلافين : — متى كان هذا ؟

— فى كانون الاول ، على ما اعتقد ، سير ، ولكن لا استطيع

التحديد بالضبط . اتذكر انه بعد ذلك ، بدا كالمفزوع ، وكأنه كان ينتظر شيئا ما طوال الوقت .

وضع سلافين بطاقات بريدية امام الساقى :

– خذها للذكرى ، فقط ان لا تدعهم يقتلونك من بندقية قناص .

– شكرا على الهدية ، سير ، ولكن الافضل ان ارفضها . لان الشرطة يسألون الآن كل مَنْ كان يعرف بيليو ، لقد اخذوا مستخدمى البريد الى المركز مع كل كتبهم ، ليفحصوا الرسائل والبرقيات . قد يحصل اى شىء ، سير ، ولهذا اشكرك على الهدية ، ولكننا عُلـِّمنا بان نخاف من ظلنا . . .

«فى كانون الاول جاءت الى هنا البواخر الاولى . وايفاننا راى روسا اصيلين لاول مرة . وكتب لنا رسالة . وظل وقتا طويلا يتردد فى ارسالها . كل شىء بسيط ومضبوط . وفيما بعد ، يظهر ان هليب ، لَحَظه ، مثلما فعلت انا ، فازاحه . والآن جون هليب وحده يستطيع ان ينقر بأصبعه على الصورة الفوتوغرافية ليشير الى الرجل الذى استماله » .

. . . عندما اوقف سلافين سيارته «الفيات» عند مطعم بولينيزى صغير – كانت الموائد الصغيرة قد اخرجت الى الساحل تحت ظل الظليلات العريضة المضفورة – كان بول ديك اول من انهدَّ ، وسبح بالعرق رأسا . قال سلافين :

– انتظر ، والتفت ، وتمتع بمنظر «المرسيدس» التى تلاحقنى . واحفظ الرقم . انـه متفرد لا مثيل فى كاتولوغات شرطة المرور هنا .

– كفَّ عن هذا ، يا فيت – قال بول ديك داعيا سلافين باسمه اخيرا – لا يجوز ان تكون متشككا بهذا الشكل .

– سترافقنا الى المدينة سيارة «فورد» زرقاء ، ولا تفكر فى مجادلتى ، لان الرهان سيكون ضعف الذى كسبته فى الصباح .

تنهد بول قائلا :

– يعنى هليب ايضا من **الجماعة** ؟

– هل قلت لك ذلك ؟

– لا تعتبرنى ابله عجوزا ، اتفقنا ؟

قسطنطينوف

قدَّم الجنرال فيدوروف لقسطنطينوف ملف الوثائق . فنظر هذا باهتمام الى اعمدة الارقام * وقال فى تفكير :

– عندنا ايضا غموض تام . لا شىء مهم ما عدا ان فينتر قررت لجأة السفر الى بتسوندا ** لمدة اسبوع . . .

– فى اجازتها السنوية ؟

– لا ، بل غير مدفوعة الراتب .

– وهذا معمول به فى معهدهم ؟

– سنستوضح .

– هل ممكن على الفور ؟

– لو سمحت ان اتلفن الى بروسكورين .

– ممكن ان اتلفن انا ؟ – وابتسم فيدوروف – ام هو لا ينفذ الا اوامر رئيسه المباشر ؟

بعد عشر دقائق ابلغ بروسكورين ان كبار الباحثين العلميين فى المعهد الذى تعمل فيه فينتر غالبا ما يعطون اجازات غير مدفوعة الراتب . كما ابلغ ايضا ان شارغين سافر اليوم بالطائرة الى

---

* كان نص البرقية اللاسلكية المرسلة بالشفرة من وكالة المخابرات المركزية يعلن ما يلى : «الصديق العزيز ! شكرا على بلاغك المهم الى درجة كبيرة . لم نبلغه الى رؤوسائنا فحسب ، بل والى حكومتنا ايضا . يهمنا ان نعرف اى مسلك من جانبنا يستطيع ان يوقف موسكو عن المساعدة العسكرية الفورية لناغونيا فى حالة حدوث احداث فى تلك البلاد ؟ نحن نتصور ان قلقك بخصوص ما بدأ من تعقبك وتعقب معارفك هو نتيجة ارهاقك . نود لو نشير اليك بأن تسافر لعدة ايام ، وتستريح ، على البحر حبذا . فى البث التالى ارسل لنا كل تحليلاتك ، وسنتشاور مع الاخصائيين البارزين ، ونرسل لك الدواء فى حالة الضرورة . ومع ذلك فسنتامل فى المسالة التى طرحتها حول عملية التغطية . ربما سيتوجب الاخذ باقتراحك ، فى وقت لاحق ؟ ام انت تصر على تحقيق اللعبة فورا ؟ ننقل الك تحية صديقك «ب» . ونعلمك ان جزءا من مكفآتك ادخله «ب» فى اسهم «يونايتد فروت» و«تريد كوربوريشن» . نرجو لك كل الخير . صديقاك «د» «و» . **(ملاحظة من المؤلف)** .

** منتجع على ساحل البحر الاسود فى القوقاس . **المعرب** .

اوديسا ، ولكن لا للراحة ، بل بايفاد من مؤسسته ليدقق فى المكان فى كيفية تسيير شحن البواخر الذاهبة الى ناغونيا .

قال فيدوروف :

– تعال اذن ، نستخلص الاستنتاجات : الاول : خرج بارامونوف من الحساب ، اذ لا شائبة عليه .

– بودى لو اسميه رقم «٢» ، يا بيتر غيورغييفيتش . وما ازال اود ان اطلق رقم «١» على ايفان بيلوف ، الذى هو ايفين بيليو نفسه . استفتت ادارة نوفوروسيسك البحارة – فى كانون الاول كان معظم البواخر الموجهة الى لويسبورغ يقلع من نوفوروسيسك – اوضح ذلك قسطنطينوف . – كان اثنان من المستفتين فى محل «ماكدونالد» في كانون الاول ، ويتذكرون بيليو . لقد غنى لهم «روشنيتشوك» و«حقل الحبيب» * . وسأل هل يمكن ان يقترب سباحة من باخرتهما ، ويتسلق سلم الطوارئ ، وكان يقول «ولا يهمنى ان يحاكمونى هناك ، ويسجنونى» . . .

– كم كان عمره عند الحرب ؟

– ثمانية عشرة . رحل مع الالمان . يقول سلافين انه «ملطخ بالدم» .

– يعنى ان العميل يعمل فى موسكو . كل آمالنا فى ان كل هذا استفزاز ، فى البث فى الفراغ تنهار كليا ؟

– خسارة .

– شارغين ام فينتر ؟

– كل الآخرين لا يدخلون بطريقة من الطرق فى مخطط الشبهة .

– كم عدد الآخرين ؟

– كل الذين مرتبطون فى ربطة ناغونيا ستة اشخاص .

– وتريد ان تطلب موافقة على التأكد منهم ؟

– ليس لى اساس لطلب مثل هذا النوع من الموافقة . انت اول الذين لا يفهموننى .

---

* اغنيتان شعبيتان : الاولى اوكرانية عن الفوطة التى تقدمها الام لابنها ، حسب التقاليد ، حين يغادر بيت الابوة . والثانية روسية تتغنى بالحقل الروسى . **المعرب** .

– اى مراوغة تكمن فى هذه الصيغة «لا يفهموننى» ؟

– ومع ذلك بودى ان اطلب منك ان توافق على العمل فى ناحية فنتر وشارغين . اما بخصوص زوتوف ، فان رجلنا سلافين يجب ان يرسل لنا اليوم برقية . سانتظر ، اعتقد اننى سأتسلمها فى نحو منتصف الليل .

– انتظر فى بيتك .

– انتظر واعمل فى آن واحد ، يا بيتر غيورغييفيتش . لقد جمعوا لى مواد عن فضيحة هليب . انه ، كما يخيل الي ، هو الطرف الذى يمكن الامساك به ، ثم جذبه .

– طيب . سأظل متيقظا حتى الساعة الواحدة ، تلفن اذا كان هناك شىء مهم .

– سيغادر غميريا بالطائرة فى اثر شارغين ليتفقده فى البقعة . اما انا ، فساطير بعد الغد الى فينتر فى بيتسوندا ، اذا وافقت .

– تقول الى بيتسوندا ؟

وقطب بيتر غيورغييفيتش حاجبيه ، وجلس جامدا للحظة ، ثم تناول احد الملفات الموضوعة على المكتب بعناية ، ونظر فى الاوراق ، واخذ احداها ، وقدمها الى قسطنطينوف قائلا :

– حسن اننى تذكرت .

كانت الوثيقة تذكر ان لونس الملحق الصحفى للسفارة الامريكية ، العميل المؤكد لوكالة المخابرات المركزية سيطير الى بيتسوندا فى نفس اليوم ، وعلى نفس الطائرة التى ستطير عليها اولغا فينتر .

– اذن – قال قسطنطينوف ، وهو يعيد الوثيقة – فى رأيي ان كل شىء واضح الآن . حري بغميريا ان يشكرنى على سفرة طيبة الى اوديسا ، سيستحم ويتلوح بشمس الجنوب . فليس له ما يفعله هناك .

– لا ، لا اتفق معك .

– أتظن ان تفقده لازم ؟

– بالطبع . وابعث احدا مع الملحق الصحفى . ولكن لماذا لونس وفينتر فى طائرة واحدة ؟ هل تراهم لا يحافظون على عميلهم اذا كانت هى عميلتهم ؟ ام ذلك محض مصادفة ؟

أشتريت تذكرة باسم اولغا فينتر ، بالفعـل ، على نفس الطائرة ، التى طار عليها لونس . الا ان فينتر لم تكن فى الطائرة ، ولم يرجع احد التذكرة ، كما لم تظهر فينتر فى بيتسوندا ، لا فى اليوم التالى ، ولا ما بعده . وكان تلفونها البيتى لا يرد ، رغم انه كان يدق كل ساعتين .

سال قسطنطينوف بروسكورين :

— هل ذهبت الى محل عملها ؟

— لم نرد ان نثير القلق باسئلة زائدة . فانهـا كثيرة الاصحاب ، ولها مع الجميع علاقات طيبة ، ولربما يُبلغها ان احدا سأل عنها . . .

— وعند ابيها ؟

— ليست عنده ايضا — تبسّل بروسكورين — قال رجالنا «لم يضبط وجودها الجسمانى» .

— هل ذهب احد اليها فى البيت ، سأل عنها ؟

— لا احد يعرف شيئا . الشقة مغلقة .

— يعنى ، باختصار ، أضعتم فينتر ؟

— نعم ، يمكن ان تقول هذا ايضا .

— واى قول آخر ؟

— على العموم لا يوجد قول آخر .

— وجّه رجالك للبحث عن فينتر بغاية الدقة . انت على حق فى قولك . انها لا تستحق اثارة القلق باستفسار كثير . ولكن يجب العثور عليها حتما وبسرعة شديدة . تعال نمر بكل اتصالاتها . لقد قلت ان فينتر فى «كمية العلامات الفارقة» تمتاز بسعة المعارف بشكل خاص . . . بمَنْ يمكن الوثوق من بين اقرب معارفها والمعارف الاقدمين ؟

— باى معنى ؟

— سؤالك جيد — قال قسطنطينوف برضى . — علينا ان نثق بالجميع . كنت لا اقصد غير شيء واحد : مَنْ لا يقول ولو كلمة لاحد اذا تحادثنا معه ؟

— الدكتورة رايسا اسماعيلوفنا نيزياميتوفا ، وهى اقرب

صاحباتها ، ولكن ليس فى بيتها تلفون ، وهى لا تخرج للعمل ، عندها اجازة مرضية ، لقد استعلمنا عنها .

— ليتحدث اليها رجالك باحتراس ولباقة .

التحرى رقم ٣

. . . كان خط قسطنطينوف دقيقا وسريعا . ومع ذلك فقد كان يفضّل — لا سيما فى السنوات الاخيرة — الا يكتب ، بل يطبع ، حالا ، على الآلة الكاتبة اليدوية لان الكلمة المطبوعة تختلف اختلافا حادا عن الكلمة المكتوبة . وفضلا عن ذلك ، فقد لاحظ ، اثناء تحضيره لاطروحته لنيل لقب «مرشح فى العلوم» (كان موضوعها غير سرى «المناورات السياسية لالمانيا الهتلرية عشية عصيان فرانكو») ولدهشته الشديدة ان الصفحة المطبوعة على الآلة الكاتبة تختلف بشكل لا يصدق عن الصفحة المصفوفة فى المطبعة (وكأنهما نصان مختلفان تماما) . وعند ذاك فكر فى ان مقدار مسؤولية الانسان عن الفكرة — واعلى مظهر للفكرة هو السطر المصفوف فى المطبعة — يتوقف ، الى درجة كبيرة ، على نوعية الورق وطراز حروف الطباعة : مهما يكن الامر فان الشكل نفسه هو محتوى . عند ذاك تذكر صديق ابيه . فقد كان الحرف والورق — اذا كان جيدين — يثيران فى نفسه غبطـة كانت تبدو لقسطنطينوف ، فى البدايـة ، مصطنعـة بعض الشيء . وفيمـا بعـد ، بمرور الاعوام فقط ، ادرك ان العجوز كان يمتلـك ، كما يظهر ، احساسا متطورا جدا بما هـو جميل .

. . . طلب قسطنطينوف من السكرتير الا يوصله بأحد ممن يتلفنون اليه ، مهما يكن ، والا يدع احدا يدخل الى مكتبه ، اذا لم يكن ، بالطبع ، شيء مستعجل لدى بانوف من قسم فك الشفرات ولدى تروخين (الذى كان يبحث عن فينتر) او اذا جلبوا برقية من سلافين (برقية يوم امس لم تقدم شيئا متكاملا ، فقد ابلغ انه يأخذ فى استيضاح فرضية «زوتوف» وطلب للمرة الثانية ان يرسلوا معلومات عن هليب فى اسرع وقت ممكن) .

كان قسطنطينوف ، وهو يعمل مع سلافين عشرة اعوام ، يفهم ان هذا لا يستعجل للاشيء . ولو كان قسطنطينوف في مكانه لتصرف نفس تصرفه : اذ بعد ان تخلص هليب من الشاهد الوحيد ، ولم يعد احد الآن يستطيع ان يعرف عميل وكالة المخابرات المركزية في موسكو ينبغي توجيه الضربة الرئيسية : اجبار هليب نفسه على كشف اسم الخائن . مثل هذا النوع من الاحتمال لم يناقش الا بعد ان تشبث سلافين بعبارة بول ديك عن «مافيا هونغ كونغ» ، وبعد ان حاول هليب ، وهو يبدى انشراحا مصطنعا ، ان يغطى هذه العبارة بعشر عبارات من عنده .

ظل قسطنطينوف يعمل الى ساعة متأخرة . نظر في خمسة ملفات من الوثائق وقصاصات الصحف بعناية خاصة مستخرجا من النص الاسماء والالقاب والتواريخ .

ولاحت الصورة له كالآتي :

«في ١٢ كانون الاول ١٩٦٦ طلب بانش ضابط الجمارك في مطار هونغ كونغ اعادة تفتيش متاع مستر لاو ، الموظف في شركة بنوك «ليم ليمتد» ومس كارمن فرناندس المسافرين على خط سان فرانسيسكو .

واقترح مستر د . ه . هليب نائب رئيس فرع «يو سى اي أي» في هونغ كونغ ، الذى كان يرافق مستر لاو ومس فرناندس ، على ضابط الجمارك بانش ان يلغى امره ، لان «مستر لاو» — على حد قول هليب — «صديقه المخلص ، وشخص يوثق به في الولايات المتحدة ، فضلا عن ان مس فرناندس تعمل في مجلس المراقبة لشركة المجوهرات الامريكية «كوك وابناؤه» .

ردّ بانش بما معناه انه لا يشك ابدا في ثقة مستر هليب بمستر لاو ومس فرناندس ، ولكنه لا يستطيع ان يلغى امره ، لان ذلك يوقعه في وضع محرج امام مرؤوسيه .

وفيما بعد دعا هليب بانش الى غرفة الجمرك ، حيث قدم نائب رئيس «يو سي اي اي» نفسه لضابط الجمارك كمقيم وكالة المخابرات المركزية . وبالمناسبة ، رفض بانش في اليوم التالى ان يكرر تأكيده هذا عند القَسَم ، رغم انه كان يقول ذلك علنا اثناء الضجة التى اثيرت بعد خمس دقائق ، وسجل دونالد غى مخبر

«كرونيكل» كل الوقائع التى تلت على شريط : وعلى اساس هذا التسجيل بالذات نشر مادته المثيرة .

وفتحت الحقيبة رغم المقاومة ، ووجد في القعر الثانى منها هيروين يقدر بثلاثة ملايين دولار . وهو تهريب لا مثيل له في ذلك الوقت .

وبعد عشر دقائق من التفتيش جاء الى المطار مستر دو تسه زيل محامي مستر لاو ، واعلن ان الحقيبة التى فتشتها سلطات الجمارك لا تعود للمستر لاو .

واعترف مستر جونى احد سكرتارى مستر لاو الثلاثة ، وهو في السابعة والعشرين من العمر ، بأن الحقيبة تعود له . ولم يدل باية شهادات اخرى . فألقي القبض عليه فورا في المطار .

وعندما اقتيد مستر جونى مقيد اليدين الى سيارة الشرطة سمع مستر دونالد غى مراسل «كرونيكل» السكرتير الثانى لمستر لاو يقول للمقبوض عليه : «غدا سيفرج عليك بكفالة ، اذا تصرفت كما ينبغى» .

الا ان سيارة الشرطة ثُقِبت بالرصاص ، وهى في طريقها الى السجن ، ونقل مستر جونى الى مستشفى السجن ميتا .

بعد نشر المقالة في «كرونيكل» و«ايسترن ويفيو» اتهم المراسل دونالد غى بتشويه الحقائق والافتراء ، لان هليب ، حسب التصريح الرسمى للقنصل الامريكى ، كان اثناء الفضيحة ، في افتتاح معرض السيراميك العراقى . ورفض بانش التأكيد على وجود مستر هليب اثناء الفضيحة .

عندئذ قدم غى للمحكمة الشريط الذى سجّل الاصوات ، وكان صوت هليب — حسب نتيجة الفحص — يسمع من بينها بوضوح . وبالاضافة الى ذلك قدم دونالد غى ثلاث صور نساء يبحث عنهن «انتربول»* متهمات بتورطهن «بتجارة الهيروين احداهن تشبه كارمن فرناندس شبه قطرة ماء بالاخرى . وبالمناسبة كانت فرناندس في قوائم «انتربول» تنتحل اسماء : ماريا ، ورروسيتا لوبس ، وبيلار ، وكارمن غارسيا .

وبعد هذا الحادث اختفى مستر هليب من هونغ كونغ دون ان

* الشرطة الدولية. المعرب .

يظهر بصفة صاحب دعوة فى محكمة البدايات . كما اختفت مس فيرناندس ايضا .

واستدعى دونالد غى من هونغ كونغ ، وارسل الى تايلاند . وهناك تعرض لمهاجمة ارهابيين . وبعد معالجة فى المستشفى استمرت سبعة اشهر ، عاد الى نيو يورك ، الا ان الصحيفة رفضت بتجديد عقده . اتهم دونالد غى وكالة المخابرات المركزية بان رجالها هم الذين حرضوا على مهاجمته . ولم تقبل هيئة المحلفين الاستماع الى قضية مستر غى ، لانه لم يستطع ان يثبت اتهامه بالوثائق .

وصرح مستر غى انه يضع كل نقوده فى تحقيق سيقوم به هو ، ويجمع الحيثيات اللازمة .

وآخر ذكر لقضية «دونالد غى» يرجع الى كانون الثانى ١٩٧٠ .

وفى عام ١٩٧٦ بدأ شخص يدعى دونالد غى يرسل مراسلات من ناغونيا لجريدة «ستار» اليمينية المتطرفة

«الى المركز .

شكرا على المعلومات عن هليب وفرناندس وغى . هل يمكن ان اطلع دميترى ستيبانوف الكاتب والصحفى على هذه الحقائق ؟ انه كان يدرس هونغ كونغ ، والمخدرات ، ورجال وكالة المخابرات المركزية وماو ، الذين لهم علاقة بهذه التجارة .

سلافين» .

– اعتقد ان عليك ان تسافر الى ناغونيا عاجلا ليومين لا اكثر – قال فيدوروف وهو يستمع الى بلاغ قسطنطينوف فى الصباح الباكر . – الا اننى ساحوّر فى مهمتك بعض الشيء : اولا ، يجب ان تحقق بنفسك ، وعن كثب ، وبكثير من التفصيل ، فى مسألة امكانية اعادة تركيب ساحات للصواريخ الباليستية الموجهة نحونا ، وانا اعنى تلك التى كان يمتلكها حلف شمال الاطلسى ، اثناء حكم المستعمرين . ثم ، وهذا يأتى ثانيا ، تتحدث مع ستيبانوف ، وتدعوه الى مساعدتنا فى العمل ، فمن الضرورى فهم هليب حتى النهاية بما فى ذلك ، وهذا مفهوم ، «قضية هونغ كونغ» .

. . . طار قسطنطينوف الى ناغونيا فى سفرة ليلية ، فوصل اليها فى بكرة الصباح . وقد التقى بستيبانوف نهارا ، قبل ذهابه الى مواقع الحلف الاطلسى السابقة ، حيث كانت الصواريخ ذات السلاح الذرى منصوبة فى الماضى ، وموجهة نحو الاتحاد السوفييتى . وكانت تذكرة العودة على طائرة تقلع فى الساعة التاسعة مساء فى جيبه .

عرض قسطنطينوف على ستيبانوف جوهر المسألة باختصار وقطعية ، وانتهى الى القول :

– هليب . لاو . هونغ كونغ . المخدرات . وكالة المخابرات المركزية والاستخبارات السرية الصينية . هل بوسعك ان تساعدنا فى توضيح ذلك ؟

– لاو عميل بكين المقيم فى هونغ كونغ ؟

– يبدو ذلك .

– ليس هذا جوابا ، يا قسطنطين ايفانوفيتش . اما «نعم» او «لا» .

– ولكننا لا نعرف . ولهذا جئت الى هنا بالطائرة ، يا دميترى يوريفيتش ، بهذه القضية . ولكن يهمنا الآن هليب اكثر من اى شيء آخر .

– باى قدر هو خطر على مصالح بلادنا هنا ، فى ناغونيا ؟

– بقدر كبير . نتصور ان من الممكن اعتباره حلقة فى سلسلة توصل وكالة المخابرات بعميلها فى موسكو .

– جاسوس فى موسكو ؟ روسى ؟

– لا نعرف . على الاقل فى الوقت الحاضر ، لا نعرف .

– يهمنى موضوع الخيانة – قال ستيبانوف – ما هى فى رايك ؟

– شذوذ عن القاعدة – رد قسطنطينوف باقتناع – بالاضافة الى ذلك ، يبدو ان الخيانة ، على العموم ، صنف مرضى لا يتصف به الانسان السليم .

– الست تبسّط شرح المسألة ، يا قسطنطين ايفانوفيتش ؟

– بالعكس ، اعقّدها ، يا دميترى يوريفتش . ولكننى اعرب

عن وجهة نظرى ، وهل الامر يستحق تكييفها مع نظرات الآخرين ؟ طيب ، هل انت موافق على مساعدتنا ؟

— بلا جدال ، يا قسطنطين ايفانوفيتش . سوى اننى لا احسن كثيرا التصوير بجهاز خفى ، والركض على السطوح . — وابتسم ستيبانوف .

— عندك فكرة غير مهنية عن عمل مكافحة الجاسوسية . وابتسم قسطنطينوف ايضا . — امن الدولة يشتغل فى مسائل تخص الدولة ، واذا كان الامر كذلك ، فان اداتنا الرئيسية هى الدماغ وليس اية قدرات بهلوانية . . .

— بم وكيف استطيع المساعدة ؟

— قد تبدو القضية فيها مجازفة ، يا ديمترى يوريفيتش ، ونحن ، وارجو المعذرة ، ننظر اليك نظرة حرص . فان بلادنا بحاجة الى كتبك وافلامك . ولهذا كن على حذر . موافق ؟ خلاصة الامر ان فى ناغونيا يعمل صحفى امريكى يدعى دونالد غى . . .

وتيرة

«الى وكالة المخابرات المركزية .

سرى جدا .

دخلت عملية «المشعل» فى مرحلتها الاخيرة . تم الاستعداد . يجب ان تنسق مع البنتاغون مسالة تجهيز الطائرات العمودية لجماعة اوهانو فى اقرب وقت ممكن .

مراحل الخطة :

«فى يوم «xx» (يوم سبت او يوم احد ، الامر الذى يجعل من الصعوبة البالغة الالتجاء الى هيئة الامم المتحدة) تنزل ثلاث سرايا من جماعة اوهانو ، ببزات ميلشيا ناغونيا الشعبية ، من الطائرات العمودية فى ضاحية سافيرو ، حيث سيكون فى انتظارها ، فى ذات الوقت ، عشرون سيارة نقل مصفحة ، وخمس عشرة دبابة خفيفة ، تنقلت من الاحراش (تم بالفعل اعداد نقطة «ب» لحفظ الوقود) .

تحتل الدبابات وسيارات النقل المصفحة المحملة برجال الانزال قصر الرئاسة ، وفى حالة امتناع غريسو عن نقل السلطة

الطوعى للغالبية الديموقراطية ، تقوم باعمال تقتضيها حالة القتال .

يجب الفراغ من احتلال القصر فى الساعة ٨,٣٠ ، قبل ثلاثين دقيقة من بدء تلفزيون ناغونيا بالبث .

فى الساعة ٩,٠٠ تنزل جماعة من المظليين فى مركز الاذاعة والتلفزيون ، ويبث فى الاثير وعلى شاشة التلفزيون الشريط الذى سجل فيه نداء الجنرال اوهانو الى الامة .

وفى طيه نص نداء اوهانو .

روبرت لورنس

الوكيل المقيم لوكالة المخابرات المركزية» .

«سرى جدا .

نص نداء اوهانو الى شعب ناغونيا ، المعد من قبل هليب مساعد لوكيل المقيم .

«ابناء وطنى الاعزاء ! ايها الاخوان والاخوات ! ايها الاطفال والشيوخ !

فى هذه اللحظة اتوجه اليكم بكلمات الاحترام والفخر والحب !

واهنؤكم بالتحرر من نير الاجانب ، وافخر بأنكم وجدتم فى انفسكم القوة لتحطيم الاغلال ، ولقول «لا» للعبودية الجديدة التى فرضتها عليكم عصبة المغامر الصنيعة جورج غريسو الذى مزقته جماهير المواطنين الهائجين ، وهو فى قصره الغارق بالترف .

ان حالة الحصار التى اعلنت فى البلاد سترفع حالما نقضى على الفوضى الاقتصادية والخراب والارهاب . واننا لنعلن بكل التصميم الثورى المتحمس : ان الامة ستقضى على كل الذين يقفون ضد الحرية والاستقلال ، والذين يحاولون مقاومة ارادة الاغلبية .

وسأخذ على عاتقى مسؤولية الاعدام رميا بالرصاص فى البقعة ، وبدون محاكمة ، كل الذين يرفعون ايديهم على القضية المقدسة ، قضية الحرية الوطنية .

واعلن ، باسم الجمعية الاستثنائية للامة ، والتى شكلت فى هذه الليلة ، واوكلت لنفسها وظيفة الحكومة المُسقطة ، ان كل المعاهدات التى عقدتها عصبة غريسو ، تعتبر ملغية منذ هذه اللحظة .

وانا اتوجه ، باسم الجمعية الاستثنائية للامة ، بطلب المساعدة الفورية العسكرية والاقتصادية ، الى كل الذين يعتزون بافكار السلام والاستقلال والحرية .

وشكرا» .

«الى مقيم وكالة المخابرات المركزية روبرت لورنس .

اعرب المدير ، بعد اطلاعه على المواد المعدة فى قسم التخطيط الاستراتيجى ، عن جملة من الملاحظات الانتقادية التى يجب ان تأخذها بعين الاعتبار عند اعداد الخطة النهائية المقدمة للمصادقة عليها من قبل الرؤساء الاعلى درجة .

ويرى المدير ان كل التعديلات الضرورية يجب ان تدخل خلال الايام الثلاثة او الاربعة القادمة ، لان تاريخ بدء عملية «المشعل» — وهذا محتمل تماما — قد ينقل : ربما الى الاحد الثانى من هذا الشهر .

يجب اتلاف ملاحظات المدير حالما يفرغ من قراءتها .

نائب مدير وكالة المخابرات المركزية
مايكل فيلش» .

«الى الوكيلين المقيمين روبرت لورنس ، وجون هليب (وزارة الدفاع ، البنتاغون ، نسخة طبق الاصل) .

سرى للغاية . تتلف بعد القراءة .

نقدم معلومات من موسكو نقلها «الذكى» ، مستقاة بطريق نقل المخبأ الاخير فى الهدف «المنتزه» .

«يخطط لان ترسل فى شهر حزيران — تموز ست بواخر مسجلة فى ميناء اوديسا . البواخر تقلع من مورمانسك فى قافلة من اربع بواخر ، ما بين يوم ويوم ، ابتداء من يوم الجمعة . لا ينتظر ان تكون للبواخر تغطية عسكرية» .

نائب مدير وكالة المخابرات المركزية
مايكل فيلش» .

قسطنطينوف

التقى قسطنطينوف بالعقيد كونوفالوف فى المطار ، عند سلم الطائرة التى قدمت من ناغونيا . قال :

— خلال هذه الساعات الاربع والعشرين عثرنا على فينتر ، يا قسطنطين ايفانوفيتش ، ولكنها ميتة . وستدفن اليوم .

لم يفهم قسطنطينوف رأسا .

— مَنْ يُدْفن ؟ فينتر ؟ ما هذه ؟

. . . بعد نصف ساعة كانوا فى انتظاره فى مكتبه .

— التهاب الرئتين — اعلن بروسكورين — كانت فى المدة الاخيرة تسعل ، ومع ذلك فقد كانت تذهب الى ساحة التنس . كانت مريضة ودرجة حرارتها مرتفعة ، فتناولت الكثير من الاسبرين ، وارادت ان تقهر المرض ، وظنت انه شىء تافه . وانهارت عند دوبوف ، ومن هناك أُخرجت .

— هل ماتت فى المستشفى ؟

— نعم ، زميلنا غريتشايف كان هناك ، ويقول ان الاطباء حاولوا قدر المستطاع .

— قضية غريبة ! ها ؟ امرأة متفتحة ، فى الثلاثين . . ولكن لماذا لم يعرفوا شيئا فى العمل يوم امس ؟

— تلفن دوبوف مساء ، واليوم يقام مجلس التعزية . سيجمع كل اصدقائها . . .

— هل تستطيع ان ترسل احدا الى التعزية ؟

— ولماذا ؟

— الا يدهشك موتها ؟

— لا . فى هذه الايام يتفشى وباء رئوى . استفسر الرائد ستريلتسوف عن ذلك من معهد تحسين مستوى الاطباء . . .

فى المساء ابلغ بروسكورين ان احد رجاله حضر حفلة التعزية . وكان هذا فى حينه يدرس مع غليب غراتشيف صديق فينتر ، وبهذه الطريقة عثروا على الذريعة . ودعاه غراتشيف ، بعد ان تلفن الى دوبوف مسبقا .

وقد ردّ هذا بأن فى الامكان ان يحضر كل الذين «يريدون ان يتذكروا اولغا . باب الشقة مفتوح للجميع» .

سأل قسطنطينوف :

– وماذا كان هناك ؟

– ابوها بين الموت والحياة . جلس حوالى ثلاثين دقيقة ، وبعدها استدعى دوبوف الاسعاف ، فأخذوا العجوز . هى ابنته الوحيدة . . . كان الناس يتحدثون عنها بالخير دائما ، ويتكلمون بود . . . بكى دوبوف : «الآن يجب ان اقول اننى ادفن اعز انسان لدىّ ، لا يوجد اعز منه ، ولن يكون» . وقد البسها خاتم الزواج ، فى المقبرة . . .

– هل ارسلوا برقية الى زوتوف ؟

– لا ، بقدر ما اعرف .

– ولماذا ؟

– هما مطلقان من الناحية الفعلية . . .

– متى مرضت ؟

– ذكر جار دوبوف انها مرضت مساء . وقد وضع لها دوبوف لصقات الخردل ، وهيأ لها حوض خردل لتدفّ قدميها . يقول العجوز انه كان مذهولا ، ولكنه فعل كل ما فى وسعه ، وفى الصباح استدعى الاسعاف ، ولكن الوقت كان قد فات ، ولم يستطيعوا ان يفعلوا شيئا . . .

– انا لا افهم شيئا – كرر قسطنطينوف – لا شىء البتة .

تلفن للعاملين فى فك الشفرات .

ابلغ بانوف ان الايام الاخيرة – اى بعد وفاة فينتر – لم ترد برقيات لاسلكية من مركز التجسس التابع لوكالـــة المخابرات المركزية .

– يعنى انها كانت تستقبل البرقيات ؟

سأل قسطنطينوف باستغراق ، وقد نظـر الى بروسكورين .

– لا احد غيرها .

– معقول ؟ – وهز قسطنطينوف راسه ، وتناول سيغارا ، واخذ يخلع السيلفان عنه ببطء . – اجمع الرجال ، ولنتدارس الوضع .

. . مع ذلك ففى اليوم التالى ، فى الساعة ٧,١٥ ، كما من قبل ، ارسل مركز التجسس فى اثينا ، التابـع لوكالة المخابرات المركزية برقية لا سلكية قصيرة • الى عميله فى موسكو .

– اذن ، ليست فينتر ؟ – سأل قسطنطينوف ، وقد دعا اليه بروسكورين وبانوف .

اعترض بروسكورين قائلا :

– ولكن ربما لا يعرفون بوفاتها حتى الآن .

– ربما . . . بم كانت فينتر مشغولة فى الايام الاخيرة ؟ بمن كانت تلتقى ، عم كانت تتحدث ؟

– تقول رايسا نيازميتوفا ان فينتر زارتها عشية وفاتها ، لقاء اعتيادى بين صديقتين ، ولا شىء مهم . . مجرد كلام ولا شىء آخر .

– هل تفهم شيئا من هذا ؟ – سأل قسطنطينوف بانوف – انا لا افهم شيئا البتة . اسمع – توجه مخاطبا بروسكورين – دعنى اذهب الى نيازميتوفا . كنت متعارفا مع فينتر . قد يكون الحديث احفل . نبهها عن الزيارة من فضلك ، وكلما كان اسرع كان احسن . . .

الا انه توجب تأجيل زيارة نيازميتوفا ، فقد استدعى قسطنطينوف وبروسكورين وكونوفالوف فجأة من قبل اللواء فيدوروف . وكان وجه اللواء شاحبا شحوب الرصاص . كان يجلس الى المكتب ، وقد مدّ يديه امامه ، وقبض بهما قلمين بلونين مختلفين ، وكان واضحا ان اصابعه قد تجمّدت الآن ، واظافره ايضا قد ازرقت .

قال :

– لن يكون اكتشافا لاى واحد منكم ، اذا ابحت لنفسى ان اقول مجددا انه لا فائدة للجاسوسية فى ان تجرى مونولوجا لاسلكيا خلال سنة . لا ريب فى ان هناك اتصالا للرد ليست لنـا اقل فكرة عنه . يوجد حوار يتوقف نشاطه ، حسب ما لنا من امكانية الاقتناع بذلك على حدة التوتر التى تشتد اليوم فى القارة الافريقية ، وفى ناغونيا على وجه التحديد . والاستنتاج واضح وهو ان المصدر

• اعلن نص البرقية بشفرته : «اليوم قرانـا اشارتـك التدقيقية . اللقاء سيتم فى المكان المتفق عليـــه ، وفى المكان المعتاد . صديقاك «ب» و«ل» . (**ملاحظة المؤلف .**)

شخص مطلع جيدا ، يزود اسياده بمعلومات فى دائرة واسعة من القضايا . وبالتالى فان كل حوار قد تم هو ضرر لحق بنا . وتحديد هذا الضرر غير ممكن . اننا سنحدده ولكنا كلما تأخرنا اكثر دفعنا ثمنا اغلى لتعويضه . تلك هى المسألة والآن استمعوا الى البلاغ الخاص الذى قدمته لى القيادة للتو . . .

فتح فيدورروف ملفا احمر ، وسعل منظفا حنجرته ، واخذ يقرأ ببطء ، يكاد يقطع الكلمات الى مقاطع :

— «اليوم فى الساعة الخامسة صباحا ، عند الانتقال الى سواحل لويسبورغ انفجرت باخرة النقل «غليب اوسبينسكى» المسجلة فى ميناء اوديسا ، والمحملة بحمولة لناغونيا . كانت الباخرة قد خرجت من مورمانسك ، وهى تحمل على متنها آلات زراعيـــة ولوريات وادوية . هلك ثلاثة من طاقمها» .

نظر فيدورروف الى رجال مكافحة التجسس ببطء ، ومن جديد اخذ يعصر اصابعه ، وكأنما يدفئها .

— يبدو لى ان هذا العمل من تدبير وكالة المخابرات المركزية . فالحكومة ما كان من الممكن ان توافق على هذا النوع من الوقاحة ، انهم فى آخر المطاف يفهمون ان الوضع لا يسمح بالتمويه على هذا .

صمت فيدورروف برهة ، وختم قوله بخفوت وضبط نفس :

— يبدو لى ايضا ان فيليكس ادموندوفيتش • كان سيستقيل بعد اعلان غرق الباخرة ! واضح ؟ لاننا المذنبون فى ذلك . نحن ! سلافين يتفنن فى لويسبورغ ، وانتم هنا ترسمون الخطط ، بينما الجاسوس يهلك الناس والآلات ! اذا كنتم لا تستطيعون ايجاده ، فقولوا ذلك ، وسنوظف آخرين !

— سلافين يقوم بواجبه بلياقة . وانا مستعد الى تقديـــم استقالتى فورا .

قال قسطنطينوف ذلك بخفوت .

سحب فيدورروف يديه من على المكتب :

• دزرجينسكى ف . ا . (١٨٧٧ — ١٩٢٦) من رجال الدولة والحزب السوفييتيين ، ورئيس اللجنة الاستثنائية لعموم روسيا لمكافحـــة الثورة المضادة ، ومفوض الشعب للشؤون الداخلية . **الناشر** .

— بخصوص الاستقالة ، ففى البداية قم بما ينبغى عليك ان تقوم به ، يا جنرال . وهذا كل ما فى الامر . يمكنكم ان تنصرفوا .

سلافين

فى حفلة كوكتيل اقيمت فى السفارة السوفييتية انتحى هليب بزوتوف ناحية ، وقدم له كتابا صغيرا فى غلاف مهلهل ، بعد ان اوضح :

— لقد تبين ان ايجاده صعب الى ابعد الحدود . اقتضى استفسار واشنطن عنه ، اعانتنا دار النشر الروسية كامكين .

— شكرا ، تعيرنى اياها لاى مدة ؟

— الى الابد .

— دع عنك . لاسبوع ، يناسبك ؟

— كليا . تريد نسخة منه ؟

— عندنا آلة لطبع النسخ غير صالحة . سأصوره على ما يبدو .

لم يصطبر زوتوف الشغوف بالكتب ، فنظر الى سنة اصدار الكتاب عن الفولكلور الافريقى : كانت ١٨٩٧ . كرر قائلا :

— شكرا ، يا جون . انا مدين لك حقا .

— انا المدين لك ، يا اندريه .

— لى ؟ بأى شىء ؟

— بالصداقة .

— الصداقة تتنافى مع مفهوم «المدين» يا جون ، وهذا ، على اية حال ، ما نعتقد به نحن الروس . «المدين» يطبق فى «البزنس» .

— بمناسبة الحديث عن «البزنس» . لعلـــك تستطيـــع مساعدتى ؟

— بأى شىء ؟

— بودى لو ارى ممثلكم التجارى .

— سأدبر ذلك . والموضوع ؟

— ناغونيا .

— ما علاقتك بناغونيا ؟

— مثل علاقتك بها . انا افكر فى مستقبل هذه البلاد . وحكومتى

تعرب عن القلق بشأن ارساليات معداتكم . وانا اعرف ذلك لان شركتى تعمل ، ضمن ما تعمل ، على كيفية تعطيل معداتكم .

— عبثا ما تسعون اليه ، يا جون . هل معقول انكم تريدون ان تحصلوا على فيتنام ثانية ؟

— نحن لا نريد . بل انتم تريدون ذلك ، يا اندريه . لا تظن اننى اؤيد حكومتى . ليس هناك الكثير جدا من الرؤوس الذكية ، الا ان هناك مَنْ يملك تلافيف دماغ : لن نندس الى ناغونيا ، بينما انتم ستتورطون هناك . عقد معاهدة مع غريسو ، واعلنتم عن مساعدته ، ومعنى ذلك انكم ستقدمون له العون العسكرى ، اذا اقتضى الامر .

— بودى ان اقدم .

— «بودى» . لست انت الحكومة . هل كان شعبكم سيؤيد هذا ؟

— بلا جدال .

— لا شك انه جواب رجل . . . اذن ، متى ستتكلم مع رئيسك ؟

— تلفن غدا ، فى نحو الثالثة . اوكى ؟

— اتفقنا . بلغ تحياتى الى زوجتك الفاتنة ، يا اندريه .

— شكرا .

— متى تتوقع عودتها ؟

— حالما تفرغ من شؤونها فى موسكو .

وتصافحا ، وافترقا . كانت حفلة الكوكتيل هذه ، بمناسبة وصول فرقة اوركسترا سوفييتية الى لويسبورغ ، كأية حفلة على غرارها ، شكلا من العمل الدبلوماسى : اتفاقا على لقاء ، وتناولا لقضايا ذات اهمية ، ليست دائما متبادلة وتبادلا لمعلومات مقاسة بدقة ، ومحسوبة بنفس الدقة ايضا .

بعد ان تبادل هليب بعض العبارات الودية مع مستشار الثقافة ، ونوّه لمدير الفرقة بشدة اغتباطه ، انصرف عن زوتوف ، وتقدم من سلافين ، وعانقه بود ، وقال مازحا :

— عندما لا يسير الجبل الى محمد ، يجمع بوذا * مؤتمرا لعدم

* تحوير للمثل القائل : عندما لا يسير الجبل الى محمد يسير محمد اليه . **المعرب** .

الانحياز ! مرحبا ، يا عزيزى فيت ، اين تختفى عن الانظار ؟

— انت الذى يختفى عن الانظار ، اما انا فأحاول ان اعمل .

— آه ، ذلك العمل الشيطانى !

— ما عاد شيطانا جدا .

— اقصد من حيث الحمل ، وليس من حيث الهدف ، يا فيت .

— وانا ايضا اقصد ذلك ، سوى ان الاحمال ليست شيطانية على الاطلاق . شيء آخر الاحمال التى تضطر سيارتى «الفيات» الصغيرة الى مواجهتها حتى تزيغ من العيون الفضولية . هنا الكثير من الفضوليين . الا توافقنى ؟

— يتعقبون بلا انقطاع ؟ — وتنهد هليب . — لا مفر من ذلك . تتعود . انهم يتعقبوننى ، حتى فى التواليت . بيلار تنتظرنا اليوم على «السباغيتى» . هل تحب «السباغيتى» ؟

— احبها ، اذا كانت كثيرة .

ضحك هليب :

— لا بأس به . حاذق ، ولكن منصف . السباغيتى لن تكون بالجبنة فقط ، بل سأقول لبيلار بأن تقدمها باللحم ايضا ، ولو افلست . . . هل ستأتى بنفسك ام انتشلك من رقابة رجال التحرى المحليين ؟

— انتشلنى . سيكون هذا لطفا من جانبك .

— طيب ، فى البداية سآخذ شخصا قريبا منك ، ثم اصعد الى غرفتك .

— «الشخص القريب منى» بقيت فى موسكو ، يا جون .

— كنت اقصد بول .

— آه ، صار شخصا قريبا منى ؟ هنئنى اذن ، فأن يكون بول لديك شخصا قريبا من احد لشرف كبير .

— عذبنى بالاحاديث عن الروسى البائس . . .

— اى روسى ؟

— ذلك الذى اصلح لك المضرب .

— آه ، بيليو ، هل هو روسى ، حقا ؟

— نعم ، وكان يسمى بالاسم الذى يسميك بول به : ايفان ، آيفين .

– هل ظهرت اخبار موته بالجرائد ؟
– لم تظهر بعـــد ، كما يبدو . يرى اصدقائى من جهاز الاستخبارات هنا ان الوقت لم يحن بعـــد للاعلان عن ذلك فى الصحف . المعلومات قليلة ، وهم واثقون ان القضية اهمّ من ان يعلق عليها رأسا .
– هل ستخبرنى اذا عرفت شيئا جديدا ؟
– هل تنوى الكتابة عن مصير المهجّر البائس ؟
– ولم لا اكتب اذا كان مصيرا مثيرا للاهتمام ؟
– بالمناسبة ، هل قرأت تصريح مستر اوهانو ؟
– انه يدلى بتصريحات كثيرة جدا ، فأيها تقصد ؟
– تصريح اليوم . تسلل فتياننا اليه ، فهو يطرد جماعتنا ، مرددا : صحافة امبريالية ، وغير ذلك . . .
ضحك سلافين ضحكة تهكم مقتضبة :
– بالمناسبة ، الا يلعب كرة المنضدة ؟
لم يفهم هليب رأسا ، وكاد ينجر الى محدثه ، كالعادة :
– كرة المنضدة ؟ لماذا ؟ ماذا تقصد ؟
ردّ سلافين :
– اقصد الدبلوماسية . هل تذكر هذا اللعب ؟
– آه ، اهى العاب الدكتور كيسنجر؟ ! من الصعب التحدث معك . انت صحفى ملم جدا ، يا فيت .
– الصحفى غير الملم سخافة . اذن ، بماذا صرح مستر اوهانو ؟
– قال : لامستشاروكم ، ولا ارسالياتكم تنقذ غريسو مـــن الانهيار . قال ان هذا مسألة الاشهر الثلاثة او الاربعة القادمة .
– يبدو لى انه كان يقول ذلك من قبل ايضا .
– كان يقول ، غير انه لم يذكر مدة قط .
وفهم سلافين : «يعنى عندهم موعد محدد بالضبط . ليس بلا مغزى انه اعطانى هذه الاشهر الثلاثة او الاربعة . انهم سيبدأون فى وقت ابكر بكثير» .

عاد هليب الى البيت ، فدخل غرفة مكتبه رأسا ، انزل السدالة ،

وادار الموسيقى ، واخرج من جيبه مسجلا صغيرا موضوعا فى ساعة ، ومريحا جدا ، ربطه فى آلة خاصة ، وبدأ يستمع الى التسجيل . سجل على شريط عالى الحساسية عبارات زوتوف «عندنا آلة لطبع النسخ غير صالحة . سأصوره على ما يبدو» ، «شكرا ، يا جون ، انا مدين لك حقا» ، «سأدبر ذلك» ، «بودى ان اقدم» ، «بلا جدال» ، «تلفن غدا ، فى نحو الثالثة ، اوكى ؟» ووضع الشريط فى الخزانة .
ثم غير ملابسه ، وذهب الى بيلار ، واعطاها مسجلا صغيرا ثانيا ، وقال :
– غابينيا ، سيتعين عليك ان تقبلى زوتوف ، وتقولى له «عزيزى» وتبادلى الحديث معه بحيث يقول لك الكلمات التاليـــة «تعبان» ، «لا استطيع بعد» ، «ليذهب كل شىء الى الجحيم» . عندك ثلاث ساعات لتتدربى على هذا السيناريو . هل تلحقين ؟ فكرى فى كل شىء جيدا ، لان فى المسجل شريطا لمدة اربعين دقيقة . واضح ؟ ولتسلق اليسا كميـــة اكبر من اللحم للسباغيتى . هذا سلافين يحسن المطالبة بما يريد . لندلله ، فى الوقت الحاضر . مفهوم ؟

التحرى رقم ٤

بعد تحدث غميريا مع قسطنطينوف بجهاز اتصال عالى الذبذبة من فرع اوديسا ، ذهب الى مصلحة ايرفلوت للطيران ، واخذ تذكرة فى طائرة ليلية .
فكر مع نفسه ، وهو يخرج لباس السباحة من حقيبته : «لا تحصل من الخروف الاجرب ، ولو على خصلة صوف . ان تطير الى اوديسا ولا تستحم فى بحرها سخافة . لا سيما وان شارغين ، من حسن الحظ ، انزاح ، ولا اية هموم – «فاكانس»* غير متوقع» .
وكانت هذه الكلمة الفرنسية تطيب له كثيرا . وسفراته للصيد كان لا يسميها الا بهذه الكلمة «فاكانس» ، ولا شىء آخر . وطوال الاعوام التى كان غميريا يعمل فيها فى مكافحة التجسس ، وقد قضى فيها خمسة وعشرين عاما من اعوامه السبعة والاربعين ، لم

* تعنى «فراغ» . **المعرب** .

يكن له «فاكانس» حقيقى مرة واحدة . لم يغره موسم الصيف ، وكان غريبا عليه ان يتخذ من الحصول على تذكرة لدور الاستراحة مأساة . فكان يأخذ اجازة لمدة اسبوع لدى افتتاح موسم صيد البط فى اواخر آب ، ولاسبوعين لاصطياد الخنزير الوحشى ، فى تشرين الثانى ، واذا سمحوا له بالصيد الربيعى ، سافر الى اختيرى فى نهاية نيسان ، ابان وصول الوز الشمالى بالضبط .

كان غميريا يجيد حسبان الوقت ، فقد علمه الصيد «الضبط الوقتى» المطلق ، ولهذا حين اتم حديثه مع موسكو ، ذهب الى المقهى ، وتناول جبنة الكريم ، وقدح قهوة ، وكوكتيلا من الحليب ، وبعدها توجه الى محطة الباصات ، حيث تخرج السيارات الى البلاج ، ليستوضح كيفية الانتقال من البلاج الى المطار («فى وسعه ان يستغنى عن طلب زائد يقدمه لرجال فرع اوديسا ، فيحس بأنه مقيّد . ولتعش الحرية») وليودع حقيبته فى قسم الايداعات ، ويستحم قدر ما يشتهى ، ويعود الى موسكو ملوّح البشرة . •

دخل غميريا البار ، فالتقى شارغين . فسح هذا له الطريق ليدخل اول ، ودخل بعده فان زاغر من «تريد كوربوريشين» وتبعه هو ، ليوبولد نيكيفوروفيتش شارغين .

كان البار فارغا ، تفرق زوّار الفندق الى شؤونهم ، والمستحمون يحمصون انفسهم على البلاج . جلس شارغين مع فان زاغر عند النافذة ، قرب نخلة ، نمت الى الاعلى فقط ، وكان ذلك انتقام على جلبها من افريقيا ، ولم يبق الا نصف متر ، وتضرب السقف .

فكر غميريا مع نفسه : «لِمَ فان زاغر هنا ؟ بينما طار شارغين لوحده ؟»

وخلال ذلك كانا يتحادثان على المائدة بخفوت ، وباللغة الانجليزية .

كان شارغين يقول :

— ليست هذه طريقة جنتلمانية . انت تورطنى توريطا ، يا شارل . . .

ولم يفهم شارل هذا التعبير . كان شارغين يتحدث بسلامة تعبير مفرطة ، ويلتزم بالقواعد النحوية بالضبط ، حتى كان من الصعب فعلا فهم لغته الانجليزية الاكاديمية .

— هذا يعنى اننى لن استطيع ان اساعدك فى المستقبل ، مثلما كنت افعل من قبل .

— سيئ جدا ، يا ليو . سيكون ذلك سيئا لك ولنا .

— عند ذاك ستفى بوعودك .

— هل تظن ان ذلك يتوقف علىّ وحدى ؟

— ولكن انت تمثل مصالح الشركة هنا ، اليس حقا ؟

— اسعى الى ذلك ، يا ليو ، ولكن هل ان كل شيء يتوقف علىّ ؟ لست القدير على كل شيء ، كما يبدو من الوهلة الاولى . وانْ تكون صاحب منزلة ما هو الا خداع . وكلما ساء الامر فى الاعلى ، ارسلوا الىّ سيارة اترف ، واعطونى نقودا اكثر ، لاسقى المتعاقدين ليل نهار عندى فى المكتب .

— شأن يخصك كم تسقى من الناس ، ولكننى اعتمد على الحد الادنى من ادراك رؤسائك . لو اخذوا يهذرون بتصريحهم ، سينتهى كل شيء معى . هل تفهم ؟ انا اعرف ماذا اقول ، يا شارل .

استدار شارغين ، واخرج نقودا ، وتقدم من ساقى البار ، ودفع الحساب .

الا ان فان زاغر لم ينهض .

قال شارغين :

— لنذهب . هيا ، يجب عمل شيء ما . . .

استقل غميريا سيارة اجرة ، واتجه الى مقر لجنة امن الدولة ، وتلفن الى قسطنطينوف ثانية ، ونقل اليه كلمة كلمة تقريبا الحوار الغريب الذى استمع اليه بأذنيه ، وطلب موافقة على العمل .

«الى المركز .

طوال الليل لم يخرج شارغين وفان زاغر من غرفة شارغين ، واضعين «مذكرة اطلاع» . طلبا ثلاث مرات لندن ومارسليا ولاهاى . لم تتم المكالمة التلفونية بسبب ازدحام الخط .

غميريا» .

«الى غميريا .

«عد الى موسكو . الامر مع شارغين على ما يرام .

المركز» .

(مذكرة الاطلاع التى اعدها شارغين ، وقد اغلق عليه باب غرفته فى اوديسا كانت تشهد على ان فان زاغر ، بعد ان حصل على موافقة مبدئية على بيع النفط الخام – موافقة غير رسمية ، ودية وحسب – بعث ببرقية تيلكس الى مديرية الشركة ، فاعلنت هذه عن ذلك للصحف ، ذاكرة السعر الذى لم يكن يرضى قط المؤسسة التجارية السوفييتية ، ولم يكن احد مسؤولا عن هذا السعر غير شارغين . الا انه وكل اليه باعلان الموافقة التمهيدية على فان زاغر مساعد رئيس المؤسسة ، ولذلك لم يكن شارغين ، اثناء الحديث فى البار الذى شهده غميريا ، منزعجا الا من عدم الوفاء المتشبث من قبل شريكه فى التجارة) .

قسطنطينوف

– رايسا اسماعيلوفنا – قال قسطنطينوف ، وهو يسير فى الشقة الصغيرة المفروشة بالابسطة – لى رجاء عندك .

– تفضل – وافقت نيازميتوفا ببساطة – سوى اننى لا اعرف مَنْ انت . تلفنوا لى وقالوا بأن جنرالا سيزوروننى ، ولم يشرحوا السبب .

– هل استطيع ان آمل بأن حديثنا سيبقى سرا مكتوما عن الجميع ، وحتى عن الاقارب ، واقرب الاصدقاء ؟

– هل تثق بكلمة شرف ؟ – وتنهدت المرأة ، واصطدمت نظرتها ، دون ان تدرى ، بالصور الفوتوغرافية على الحائط : هى ورجل ، زوجها السابق . فقد عرض بروسكورين على قسطنطينوف هذه الصورة . انفصلا قبل ثلاثة اعوام ، وعشق امرأة اخرى ، ولم يكن لها ما تمسكه به ، فان نيازميتوفا لم تستطع ان تحمل ، بعد عملية حَبَل خارج الرحم .

– انا اثق جدا بكلمة شرف – اجاب قسطنطينوف – لا ادرى هل تعرفين حادثة بعينها . . . عندما توفى كروبوتكين كتبت ارملته الى لينين رسالة : كان جميع الفوضويين فى السجن ، ولا احد يشيع الامير المتمرد الى مثواه الاخير . فطلبت الارملة اطلاق سراح الفوضويين لتشييعه . استدعى لينين دزرجينسكى . فذهب هذا ،

بعد حديثه مع لينين ، الى سجن بوتيركا ، وطلب صف جميع الفوضويين المعتقلين ، وتقدم من كل واحد منهم ، واخذ منه كلمة شرف بان يعود الى السجن بعد تشييع كروبوتكين . وعاد الجميع دون استثناء . هكذا . ولمّا كنت من لجنة امن الدولة ، او كما يقال الوريث الشرعى للجنة الاستثنائية ، فمن المفهوم اننى قد تعلمت الثقة بكلمة الشرف .

– هل من المعقول ان الجميع قد عادوا ؟ – سألت المرأة بخفوت . – شىء رائع . لماذا لا يكتبون عن ذلك فى الكتب ؟

– يكتبون . لقد قرأته فى كتاب .

ردّ قسطنطينوف ، فقالت نيازميتوفا :

– اعطيك كلمة شرف . على الاخص وان عمى ، شاريب شاكيروفتيش قد عمل فى اللجنة الاستثنائية ، وقد رُمى بالرصاص فى سجن موابيت مع موسى * .

– اعرف هذا . اذن ، يا رايسا اسماعيلوفنا ، يهمنى كل ما يتعلق باولغا فينتر .

– باولغا ؟ ! – اندهشت نيازميتوفا ، ولاحت الدموع فى عينيها على الفور . – ولكن ما الحكاية ؟ اوه ، اية مصيبة ، اية مصيبة ، يا ربى ! . . لماذا تهمك اولغا ، ولا سيما الآن ؟

– متى كانت عندك فى آخر مرة ؟

– لا اتذكر . . . قبل خمسة ايام او اربعة . فماذا ؟

– هل كانت وحدها ؟

– لا ، بل مع سيريوجا .

– اى سيريوجا ؟

– ماذا يعنى «اى» ؟ مع دوبوف . جاءا الىّ فى نحو الثانية ومعهما زجاجة شمبانيا . حصل سيريوجا على واحدة من نوع «بروت» ، ابراو ديورسو ، دراى تماما . جلسنا ، وتحادثنا ، ثم انصرفا .

– كيف كانت حالة اولغا الصحية ؟

* موسى جليل الشاعر التترى العظيم كان معتقلا فى معتقل فاشى موابيت اثناء الحرب الوطنية العظمى (١٩٤١–١٩٤٥) . وقد قتل هناك . الناشر .

– جيدة . وفى هذا تكمن الفظاعة ! فلو كانت مريضة . . . بالمناسبة زارنى شاب ، استفسر عن اولغا ايضا .

– تذكرى ، من فضلك ، ماذا كان فى ذلك المساء ؟

– لم يكن شيء .

– كم قضيا من الوقت عندك ؟

– ساعة ، لا اكثر .

– هل تحدثتم عن شيء ؟

– بالطبع .

– ولكنك لا تذكرين عمّ . نعم ؟

– الكلمات تعلق فى الذاكرة فى ظرف عصيب . . . اعذرنى ، كيف اسميك ؟

– لم اقدم نفسى ؟ اسمى قسطنطين ايفانوفيتش .

– اذن ، يا قسطنطين ايفانوفيتش ، انت توافقنى على ان من الصعب التحدث لشخص ثالث عن حديث مع اصدقاء ، عن حديث هادئ . . . وضعت اولغا كاسيتاً ، انها تعرف – وعادت نيازميتوفا الى البكاء – كانت تعرف كل ما عندى من كاسيتات – لان معظمها كان هدية منها جلبتها عندما عادت من لويسبورغ . . . طيب ، وضعت اولغا كاسيت ديميس روسوس ، وهو مغن رائع ، وجلست الى جانب سيريوجا ، وسألته هل يتذكر هذه الاغنية ، ردّ انه لا يتذكرها ، فقالت اولغا : «هذه اغنيتنا ، يا اهبل» . اندهش ، ونظر اليها ،فضحكت ، فكانت تضحك دائما ضحكة عجيبة ، تقدر على ان تُضحك حتى الميت ، وقالت : «هل تذكر ان هذه الاغنية كانت تصدح طوال الوقت فى غرفتنا «اللوكس» ؟ ولم يفهم مرة اخرى فسأل : «فى اى لوكس ؟» بان الانشراح عليها اكثر : «فى هيلتون» فى «هيلتون» ! فنهض بحدة بدت زائدة ، ودلق عليها قدح الشمبانيا ، وكانت ترتدى فستانا بديعا من الجرسى ، بطيات ، وخفيفا جدا ، فى الموضة الآن . انزعجَ ، واخذها من يدها ، وقادها الى غرفة الحمام ، ومنها عادا بعد ذلك ، هادئين ، فى شيء من الغرابة . سألت اولغا : «حدثينى عن غرفتكـــم» . ، فنظرت الى سيريوجا ، وابتسمت بتكلف ، واجابت : «فى وقت آخر» . وصمتت ، ولم تقل اية كلمة بعد هذا . . .

– هذا كل ما حدث خلال ستين دقيقة ؟ – سأل قسطنطينوف بصوت خافت . – اتذكرين أيّ من العظام كان يؤكـــد على ان «الموهبة هى دخول فى التفاصيل» ؟

– يبدو انه تشيخوف .

– لا ، تشيخوف كان يقول شيئا مختلفا . كان يكتب ان «الايجاز هو اخو الموهبة» . – وتنهد قسطنطينوف – ليس سيئا لو ان كتابنا اتخذوا هذا الشعار .تورغينيف هو الذى كان يكتب عن «التفاصيل» .

– ولكنه كان يستطيع تماما ان يطبـــق على نفسه فكرة تشيخوف ، فجميع رواياته موجزة جدا .

– صحيح – وافقها قسطنطينوف (وقد كسر سياق الحديث ، ليمكّن المرأة من ان تطمئن .) – وهذا مفهوم . اقرئى تورغينيف مرة اخرى ، وانا لا اتكلم عن الروايات . خذى رسائله . هل تذكرين كيف وصف زغاريد البلابل باطناب ؟ من الممكن نشرها كاشعار منثورة ، وجد كلمات للتعبير عن كل رنّة من غناء البلبل . شيء مذهل !

– لعلك تعرف ان اولغا صباحية – قالت نيازميتوفا ساهمة ، وصححت نفسها مرة اخرى – كانت . . . كانت صباحية . . .

– لم افهم .

– هذا على ذكر البلابل . – اوضحت نيازميتوفا . – هناك اناس صباحيون ، واناس مسائيون . الصباحيون دائما يبتسمون ، حتى ولو كانوا فى حالة سيئة ، وكانما يخشون ان يكدروا المحيطين بهم بمزاجهم العكر . اما المسائيون فيعرضون مزاجهم عرضا ، كما لو يضعونه فى واجهة مخزن . انا لا استطيع ان افهم لماذا تهتم باولغا . فأنا اعرف ان اللجنة الاستثنائية لا تهتم بشخص بدون موجب .

– ها انت قـــد قلت ان دوبوف نهض بحـــدة ، وقلب المنضدة . . . تذكرى مرة اخرى بعد اية كلمة قالتها اولغا حدث ذلك ؟

– كانت تقول «غرفتنا اللوكس» ، ولم يستطع هو ان يفهم ، ولكن حين ذكرت «هيلتون» نهض وقلب . . . – ولزمت نيازميتوفا

الصمت فجأة ، وتجمعت غضون صغيرة على جبينها ، كما يحدث للذين يحبون الشمس ، وتتلوح بشرتهم بسرعة شديدة .

– انت لا تعرفين ، يا رايسا اسماعيلوفنا ، واعذريني على هذا السؤال ، ارجوك : هل تقاربهما بدأ منذ ان كانا في لويسبورغ ؟

– اصبت في قولك «تقارب» . الآن يقول الناس «إنهما يلتقيان» ، لهجة مهذبة جدا ، اليس كذلك ؟ لم اكن اسألها عن ذلك ، يا قسطنطين ايفانوفيتش . . . ولم تقل هي . انها مع كل صراحتها ، كتومة جدا ، حين يكون الامر متعلقا بامور شخصية . ولكن يبدو لي ان كل شيء لهما بدأ هناك .

– هل كانت تنوي الزواج من دوبوف ؟

– يصعب قول ذلك . لا ادري . اذكر فقط ان اولغا اعترفت مرة : «سيريوجا لا يحب الاطفال» . وبعد ذلك بحوالي ثلاثة اسابيع كانت تتحاشى اللقاء معه ، واقامت عندي ، لان شقتي خالية من التلفون ، ومن الصعب العثور عليها ، فلتختف ما طاب لها الاختفاء . . .

– وعند مَنْ ايضا كان يمكنها ان تختفي ؟

– عند غالينا بوتابنكو ، وهي صاحبة لنا . . . عند . . . ولكن لا . . . لا احد آخر ، على ما اظن .

– هل كان لفينتر طلبة دراسات عليا ، يا رايسا اسماعيلوفنا ؟

– في كلامك قسوة شديدة : «لفينتر» . . . انها بالنسبة لي ، كانت وستظل اولغا الحبيبة . . . اما بخصوص طلبة الدراسات العليا ، فان كل مَنْ يعد لنيل دكتوراة بالعلوم ، لا بد ان يكون تحت اشرافه طلاب يحضرون لنيل مرشح في العلوم ، على ما اظن .

– اعرف هذا . . .

– هل حصلت على لقب مرشح في العلوم ؟

– لا ، بل تحت اشرافي طلبة يحضرون لنيل هذه الشهادة . انا ، لو سمحت ، دكتور في العلوم القانونية .

– هذا ما لم يخطر ببالي !

– لماذا ؟

– لا ادري .

. . . كانت غالينا ايفانوفنا بوتابنكو تعمل كاقتصادية اقدم في مؤسسة «اوتوسرفيس لجمهورية روسيا» . ظل التلفون على مكتبها يرن بلا انقطاع . حاول قسطنطينوف عدة مرات ان يبدأ الكلام ، الا انه لم يحصل من ذلك على فائدة . نظر الى ساعته عَرَضاً . مضت خمس دقائق ، منذ ان كان هنا ، وظلت بوتابنكو ماضية في مناقشة مسألة بناء قاعدة في برونيتسى ، وهم يطلبون اتمامه قبل الالعاب الاولمبية ، فان الخدمة على جميع طرق جمهورية روسيا ، وعشرات الوف السيارات من الخارج يجب ان تكون تامة مستكملة . . .

– غالينا ايفانوفنا – همس قسطنطينوف ، – ليس لي وقت على الاطلاق . . .

هزت المرأة راسها ، وسدّت طبلة السماعة بيدها :

– سنخرج حالا الى الممر ، انتظر دقيقة . . .

كان قسطنطينوف قد قرر الا يستدعي بوتابنكو الى لجنة امن الدولة ؛ اولا لانه اعتبر الحديث في مكتبه سيتخذ طابعا مختلفا جدا ، وقد يصيب المرأة الذهول ، فليس عبثا ان يقوم الدكتور الجيد بزيارة المريض في بيته ، اذ تساعد جدران البيت المريض ، فهو رب البيت ، ومتحرر من قيود ؛ ثانيا تصور قسطنطينوف انه لا يملك الاسس الكافية للاستجواب ، كما ان الاستجواب امر لا يخصه ، بل يخص التحقيق .

– لنذهب وندخن – قالت بوتابنكو ، بعد ان وضعت السماعة – لا حياة للانسان هنا .

جلس في الممر على اريكة قرب النافذة – اشعلت بوتابنكو سيكارة «مالبورو» من صنع سوفييتي ، وطوقت ركبتها بيدها اليسرى (كما تفعل النساء عادة على البلاج ، ومثل هؤلاء النساء عادة يجيدنَ السباحة) ، والتفتت الى قسطنطينوف .

– تلفنت رايا لي ، ياقسطنطين ايفانوفيتش ، وطلبت المساعدة . وانا مستعدة ، واعطيك كلمة شرف رأسا .

– شكرا ، اذن ، فانت تعرفين ما يهمني ؟

– نعم ، غريب كل هذا . . .

– ما هو بالضبط ؟ ولِمَ هو غريب ؟

– المسألة كالآتى . جاءت اولغا الىَّ . عيناها عليلتان ، وهى فى هيئـــة منكمشة ، لم اتذكر اننى رأيتها على مثلهـــا . . . حتى اننى لا اعرف هل فى اللياقـــة ان اتحدث عن ذلك . . . باختصار ، رجتنـــى ان اقدر قرطين من الالماس والزمرد ، جميلين جداً . . .

– ولماذا لم تذهب بنفسها الى مخزن المجوهرات ؟

– لاننى ، قبل شهر ، اشتريت لأختى قرطين بمناسبة زفافها ، وذهبتُ لتثمينه الى غريغورى ماركوفيتش ، وهو عجوز ، كان يعمل منذ عهد القيصر .

– هل لم يكن من الممكن لها ان تطلب عنوانه ؟

– انه لا يستقبل احدا . انه لا يعمل ، محال على التقاعد ، ولا يستقبل غير مَنْ يعرفهم . فهؤلاء المجوهراتية الشيوخ يتشككون دائما . . . ولكن الطريف ان ورقة صغيرة كانت موضوعة تحت بطانة العلبة كتب عليها «اقراط من سيريوجا» . يعنى ان دوبوف اهداها لها .

– متى كان هذا ؟

– بعد ان خرجا من رايسا بنحو ثلاث ساعات . وقد تركت اولغا القرطين ، وقالت انها ستأخذهما قبيل سفرها فى الطائرة واذا ؟ . . .

– اين هذان القرطان ؟

– عندى . . . كنت انوى الذهـــاب الى ابيهـــا . . . ولكن ذلك مرهق ، اذ يقال ان هذا العجوز مريض جدا ، لا يكاد يتنفس . . .

– هل اوضحت اولغا لك شيئا ؟

– ما هو بالذات ؟

– لماذا هى فى حالة سيئة ؟ لماذا اقتضى تثمين هدية صديق ؟

– هناك اشياء لا توضح ، يا قسطنطين ايفانوفيتش ، حتى للصديقات .

– اما نحن ، الرجال ، فنبوح كل شيء للاصدقاء الحقيقيين .

– ونحن نحبكم من اجل هذا بالذات . حسنا ، ان غريغورى

ماركوفيتش ثمَّن القرطين . انهما يساويان خمسة او سبعة الاف روبل . وعدا ذلك انه يرى انهما ليسا من انتاجنا .

– من اى انتاج ؟

– يبدو له انهما عمل بلجيكى . الماس ، يعتبره افريقيا ، فى الماضى كان البلجيكيون يملكون مناجم الالماس هناك . . .

– هل لك صداقة مع دوبوف ايضا ؟

– كيف اقول لك . . . اعترف باننى لا اميل اليه كثيرا ، رغم انه ذكى ، وموهوب ، كما كانت اولغا تقول ، ولا يشرب الخمر ، ومع ذلك فان قلبى لا يميل له .

– لماذا ؟

– لا ادرى . لا يميل ، وهذا كل ما فى الامر . انا لم اذهب للتعزية ، وقد عرفت انه ستكون هناك مسرحية ، وانا لا اتحمل ذلك ، اذ يجب ان تخفى ما يخصك فى صدرك . . .

– واين ذهبت اولغا من عندك ؟

– لا اعرف . . تلفنت اولغا الى جهة ما ، وسألت عن بعض كتب الدليل ، عن المراجع . . . اتذكر ، يبدو لى انها ذكرت اسم ليف .

استمع بروسكورين الى قسطنطينوف ، وفتح ملفا ، وتصفح اوراقه :

– عندها صاحب واحد اسمه ليف .

ضحك قسطنطينوف ضحكة تهكم مقتضبة :

– طريف ما قلته . كأنه ترجمة عن الانجليزية . وما اسم عائلة ليف هذا ؟

– لوكين . ليف فاسيليفيتش لوكين .

– ارجوك ان تلتقى به . حالا . اتفقنا ؟ ثم هناك شيء آخر . . . دوبوف يتوضح . . . يتوضح بشكل غريب . . . اين هو ؟

– بدأت بالبحث عنه ، ياقسطنطين ايفانوفيتش ، ولكنه كأنما غاص فى الماء .

– مات ايضا ؟ – وابتسم بتهكم – جدوه حتى المساء .

– مرحبا ، يا رفيق لوكين . لقبى بروسكورين ، من لجنة امن الدولة .

دعا لوكين بروسكورين الى دخول الشقة . كانت الرفوف فى الغرفة الكبيرة مصفوفة بالكتب والقواميس والمراجع . كان لوكين يعمل فى القسم الدولى لمكتب الاعلام التكنيكى . قال :

– لا تلتفت الى انعدام النظام فى الغرفة . هذا ما يبدو عليه . انا فى خدمتك ، يا رفيق بروسكورين .

– شكرا . عندى لك سؤال .

– تفضل .

– اريد ، يا رفيق لوكين ، ان اعرف عم كانت اولغا فيكتوروفنا فينتر تسألك فى آخر مرة ؟

– طلبت اولغا منى دليل فنادق «هيلتون» . ولكن ما المسألة ؟

– يارفيق لوكين ، انا الذى سيطرح الاسئلة .

– تفضل .

– اى دليل هذا ؟

– وصف الفنادق ، المطاعم ، البارات ، سعر ايجار الغرف ، العناوين ، ارقام التلفون ،والتكسى .

– ومن اين جلبت هذا الدليل ؟

– من ايطاليا ، كما اتذكر ، او من بريطانيا . يبدو لى من لندن ، نعم ، من لندن بالضبط .

– الا تذكر ما اذا كان يحتوى على وصف لفندق «هيلتون» فى لويسبورغ ؟

– بالطبع . وكانت اولغا مهتمة بالذات فى هذا الفندق .

– لماذا ؟

– لا ادرى . قلّبت الدليل ، وتوقفت بالذات على الصفحة التى فيها «هيلتون» لويسبورغ ، بل وطوت طرفها ، وعاينتها ، وهى تعرف مبلغ عنايتى بالكتب . . .

– اين هذا الدليل ؟

– اخذته اولغا معها .

– ووعدت ان تعيده ؟

– نعم ، وقد رأيت هذا الدليل فى حفل التعزية فى غرفة سيرغى .

– هل طلبت منك هذا الدليل رأسا ، ام تحادثت معك من قبل من شىء ما ؟

– لا ، بل قالت ، وهى على العتبة : «ليف ، اعطنى دليل هيلتون» . فاعطيتها اياه . ولكن ماذا حصل ، يارفيق بروسكورين ؟

– الم تلحظ شيئا غريبا فى سلوك فينتر ؟

– سلوك مَنْ ؟ آه ، تقصد اولغا ؟ لا . سوى انها كانت تبدو فى حال سيئة ،وكأنما بعد ليلة ارق ، ولكن لم الحظ شيئا غريبا عليها . . .

كان الجوهرى ابراموف من نصيب كونوفالوف .

نظر كونوفالوف بتفكير الى صلعة الجوهرى اللامعة ، وهو يكتب إفادته ، ناقشا بعناية كل حرف .

«انا ، ابراموف ايغناتى فاسيليفيتش ، المدعو للادلاء بشهادتى كاختصاصى ، يتعين على ان اعلن ما يلى فى جوهر الاسئلة الموجهة الى : ان القرطين الماسيين ، فى الذهب على قاعدة بلاتينية ، هما عمل فريد فى فن صياغة المجوهرات . والواضح تماما انهما لم يُصاغا فى الاتحاد السوفييتى ، لان الذهب وكذلك البلاتين فيهما اخلاط فضة ظاهرة بوضوح ، وهو امر يعاقب عليه عندنا ، لان ذلك خرق للقواعد القياسية . وفى اغلب الظن ان هذين القرطين مصاغان فى بلجيكا او هولنده ، كما لا يجوز نفى امكانية صياغتهما فى معامل «كوك واولاده» فى نيويورك ، قياسا على العلبة ، والمخمل والعروة السيليويدية . كما يمكن الافتراض بان القرطين مصوغان فى فرنسا فى الشركة الاخت «كوك واولاده» المعروفة الآن بـ«تولوز لوار» . والقيمة التقريبية للقرطين هى خمسة او سبعة الاف روبل . ويمكن الافتراض بان القرطين المذكورين يساويان ما يصل الى الفين او ثلاثة الاف دولار ، بالعملة الصعبة» .

– ولماذا «كوك واولاده» بالذات ، ياايغناتى فاسيليفيتش ؟ – سال العقيد كونوفالوف ، وقد قرأ إفادة ابراموف مرة اخرى . – اليس هناك وجه للخطأ ؟

– الجوهريون ، كالمهندسين العسكريين ، لا يخطئون الا مرة واحدة فى الحياة . الحجر يتماوج ، واللـمعة سماوية ، والحوافى مصقولة يدويا ، مع القليل من المعالجة الآلية ، ومن يفعل ذلك غير كوك ؟
– اين توجد فروع «كوك واولاده» الا تستطيع ان تشير لنا ؟
– كيف «اين» هذه ؟ ! «آل كوك» يملكون العالم ، وفى كل قطر مكتبهم . هذا ليس بيع الفستق ، بل هذه احجار ماس !
– بالمناسبة الذين يتاجرون بالفستق يدرون الملايين ايضا .
– ما هى الملايين هذه ؟ ! انها بصقة من الفضاء ! انها فقر ، خراب ! احجار الماس يمكن ان تساوى عشرة الاف مليون ، ولكن الجميع تعودوا على وجوب خداع الجميع ، حين يتعلق الامر بالحجر الكريم ، فلماذا التنرفز بقيمة مائة مليون ؟ ! لا حاجة ! الماس منزلة ، ولكن هل من المعقول ان الناس قدروا ان يحددوا سعر المنزلة ؟ !
– مازالوا غير قادرين – قال كونوفالوف موافقا . – ولكن قل لى من فضلك ، هل يمكن ان يعتبر مثل هذا النوع من الاقراط من صنف الهدايا التى تقدمها الممثليات ؟
– ها ! الهدايا التى تقدمها الممثليات هى قلم حبر «باركر» ! انت لا تعرف الخارج ، اما انا فأعرفه ! الهدية التى تقدمها ممثلية يمكن ان تكون مذكرة جيب ، مجموعة علب كبريت ، وفى حالة التمجيد كتاب عن فن عمارة بولينيزيا ! هل تظن ان البرجوازى سخى ؟ ! انه بخيل ! ابخل من المفتش المالى عندنا ! «كوك» ليس للممثليات ! بضاعة «كوك» لا تقدم الا مرة فى العمر : فى العرس ، للأبنة فى سن النضوج ، للعشيقة . إنس الممثلية ، حين يكون «كوك» فى الوسط !
ابتسم كونوفالوف :
– شكرا لك ، يارفيق ابراموف .

«الى سلافين .
تأكد ، قدر الامكان ، مما اذا كان دوبوف قد استأجر غرفة فى «هيلتون» ، واذا كان كذلك فما هى ؟ المدة ؟ السعر ؟ كيف كان يدفع ، بالتشيكات ام نقدا ؟ واعرف ايضا : اين كان يقع مكتب شركة «كوك واولاده» للمجوهرات . ومَنْ مديره العام ؟ وهل

يوجد كتالوج للمجوهرات من صنع بلجيكا ؟ وهل من الممكن ايجاد اسماء الذين اشتروا ، قبل عام ، اقراطا ماسية بالزمرد قيمتها ما بين الفين وثلاثة الاف دولار ؟
المركز» .

استخلصت فرقة كونوفالوف المعطيات عن دوبوف . وكان قسطنطينوف قد عهد اليها ، ضمن ما عهد ، توضيح السبب فى رفض دوبوف الاقتراح الذى قُدِم اليه ، بعد عودته من لويسبورغ لنيل شهادة الدكتوراه .
– انه لم يرفض ذلك فقط ، ايها الرفيق الجنرال – اعلن كونوفالوف بعد ان انتهى من تصنيف المواد المجموعة فى هزيع متأخر من الليل – تتوضح صورة مشوّهة جدا . اولا اقترحت عليه وظيفة رئيس قسم فى المصلحة ، والراتب ثلثمائة وخمسون روبلا . فرفض . وذلك غريب ، لانه يجعل المحيطين يدركون جيدا وبدون اصرار منه بانه يجد عسرا شديدا بالفلوس . كما رفض الدراسة فى الاكاديمية . وانتظر ثلاثة اشهر وظيفة مراجع اكبر فى معهد التنسيق ، وبالذات فى ذلك القسم ، الذى تتوافد عليه المواد السرية حول «الصرة الافريقية» . والراتب مائتا روبل ، وبلا علاوات .
– ما هى المنافع التى يمكن ان يحصل عليها فى معهد التنسيق ؟ ايفادات اكثر جاذبية ، اُفق فى الترقى ؟
– لا شىء من هذا على الاطلاق . وكانوا قد تعهدوا له بايفادات ، حين دعوه ليكون رئيس قسم – عمليا الى العالم كله . وهناك وعدوه ايضا بمنحه امتيازات ، اذا عزم على كتابة اطروحة دكتوراه . واُفق الترقى فى معهد التنسيق ضيق للغاية ، الا اذا دافع عن اطروحة فقط . . .
– هل هو يكتب اطروحة ؟
– لا . حققنا فى ذلك . بل حتى لم يطرح هذه المسألة .
– كيف يصفون سلوكه ؟
– بشكل ايجابى . انضباطى ، متواضع ، معتنٍ جدا فى العمل على الوثائق السرية .

– بالمناسبة ، ما هو جهاز الراديو الذى فى بيته ؟
– هو الآن ليس فى موسكو ، يا قسطنطين ايفانوفيتش . . .
ونحن لا نملك الحق – فى الوقت الحاضر على اية حال – آن ندخل فى شقته . . .
– يجب ان نفكر كيف نعرف نوع جهاز الراديو الذى يمتلكه ؟
– سأخمن ترتيبا ، ايها الرفيق الجنرال .
– متى تنتهى من «التخمين» ؟
– سأبلغك بخطة التدابير ، اليوم . . .

فى الساعة الرابعة صباحا جاء بروسكورين .
سأل قسطنطينوف :
– اين دوبوف ؟
– سأفعل كل شىء لاجده .
– طيب ، نحن فى هذه الحال ملزمون على ان لا نسمح لك ان تفعل كل شىء ، بل ما لا يتعارض مع القانون . . .
فتح قسطنطينوف ملف البرقيات المستعجلة جدا :
– اجبنى : مَنْ من الذين فى «الدائرة المحصورة» كان يعرف عن ارسالياتنا الى ناغونيا ؟
– علىّ ان انظر مرة اخرى فى المواد عن «الفيغورانتية» .
– عمن ؟ – سأل قسطنطينوف متغضن الوجه – «الفيغورانت» * هو «فنان الباليه» .
– هذا ما تعارف على تسميته ، ايها الرفيق الجنرال – «الفيغورانت» كلمة تعبر اصدق من غيرها عن المعنى الذى وضع فيها .
اعترض قسطنطينوف مفكرا :
– الكلمة ، بحد ذاتها ، لا وجه لها ، وهى لا يمكن ان تكون لا كاذبة ولا صادقة ، هذا ما رآه سقراط . على ما يبدو لى ، الصدق او الكذب ينبع من تركيبة الكلمات التى تتشكل فيما نعرفه الآن بـ«وجهة النظر» . . .

* من لفظة Figure ، وتعنى الذى يقوم بحركات فنية فى الرقص . المعرب .

(حصل قسطنطينوف على تحصيلين : عندما كان يعمل خراطا فى زابوروجيه دعى للعمل فى لجنة امن الدولة فى خريف ١٩٥٤ ، ودرس دراسة خارجية فىمعهد الحقوق ، وتخرج منه ، ثم اشتغل لنيل درجة مرشح فى العلوم ، وادى فى نفس الوقت ، الامتحانات الخارجية فى كلية الآداب ، فى الادب الانجليزى فى القرن التاسع عشر . كان ابوه الذى كان يعمل فى قوات الحدود ، وقتل خلال الدفاع عن مدينة بريست ، معلما للغة الروسية ، ولهذا السبب ، على ما يبدو ، كان قسطنطينوف متشددا بشكل خاص تماما ، فى دقة التعبير عن الفكرة . وكان احد كتبه المفضلة عمل الكاتب اللينينغرادى ليف اوسبينسكى ، فقد اعجب قسطنطينوف بكفاح هذا الفنان الشيخ فى سبيل نقاء اللغة) .
– علىّ ان افحص المواد عن الفيغو . . . عن الاشخاص الذين يهموننا . ولكن بأى مناسبة ظهرت مسألة الارساليات ؟ – سأل بروسكورين فى حيرة .
– بمناسبة برقية سلافين . استطيع ان اساعدك . فى اويسبورغ لا يعرف عن هذه الارساليات غير شخص واحد ، هو زوتوف .
– نظراً لعلاقته بزوجته – صداقة وتعايش سلمى – تهكم بروسكورين مبتسما – هنا كانت فينتر تعرف ذلك بالتأكيد .
– ولنفرض . . . واى شخص آخر ؟
بعد ساعة ونصف ابلغ بروسكورين ان شخصا واحدا فقط حصل على معلومات من هذا النوع – بموجب عمله – ، وهذا الشخص هو سيرغى دميتريفيتش دوبوف .

«سرى للغاية ،
الى اللواء قسطنطينوف ،
رداً على استفسارك اعلن ان تذكرة سفر بالطائرة الى ادلر باسم سيرغى دميتريفيتش دوبوف ارجعت قبل اربعة ايام فى مصلحة ايروفلوت ، فى فندق «متروبول» .
المقدم زيكوف»

تبيَّن ان دونالد غى طويلا ، يبدو اصغر من سنه ، اشيب تماما ، تقطع جبينه ندبة قرمزية ، ولهذا كان يُعرف فى عالم الصحفيين بـ«غى هارفى سكورتسينى» بمزج اسم قاتل كندى باسم مختطف موسولينى .

عيَّن لستيبانوف لقاء فى الصالة . فان تكييف الهواء فى غرفته ، مثلما هو فى جميع الغرف الاخرى ، لم يكن يعمل ، لان المستعمرين فكوا المعدات ، رغم النقود الكثيرة التى عرضت عليهم ، فى حال موافقتهم على تعليم المستخدمين المحليين ، كيف يشغلون جهازا غير معقد عموما . وكانت الصالة المكان الوحيد فى الفندق الذى يمكن ان يتنفس الانسان فيه . فقد كان يسرى فيها تيار هوائى ، لان كل الابواب كانت مفتوحة باستمرار ، وكانت الطراوة تهب من البحر ، لا سيما فى المساء .

— انا دميترى ستيبانوف من موسكو ، شكرا على انــك وجدت وقتا لى .

— ممتع لى ان التقى بك . انا ، بصراحة ، لم اتحدث قط الى روسى وجها لوجه . هل عندك شأن معى ؟

— نعم .

— تفضل ، مستر ستيبانوف .

— انا مهتم بملحمتك مع هليب .

تحجر وجه دونالد غي . اسرع فى تناول سكائره ، اخرج علبة «تشيستر» مدعوكة ، وعرض على ستيبانوف سيكارة مفتتة ، وراح يدخن بنهم ، ثم سحب رأسه القوى داخل كتفيه كالطائر ، واجاب :

— ما كان بودى ان امس هذا الموضوع .

— عجزت ؟

— لم اعجز وحسب ، بل وقّعت على استلام بدون قيد او شرط .

— بسبب عدم وجود الحقائق الكافية لديك ؟

— ليس هذا فقط .

— اسمح لى ان اقول لك . . لقد قمت بسياحات فى آسيا عدة مرات . . . وعندى مواد عن بنك مستر لاو .

— هل حصلت عليها بطريقة مشروعة ، أم الاستخبارات زودتك بها ؟

— لو كانت الاستخبارات قد زودتنى بها ، لكان من الصعب علىّ ان اكتب وانشر كتابا عن مستر لاو . فان الاستخبارات فى العالم لا تحب كثيرا ان تتسرب موادها للنشر . انت بدأت بفك هذه القضية من الطرف الآخر يا مستر غى . يجب البدء من النقطة التالية : بأمر مَنْ قُتِل سكرتير لاو .

— لم يُعثر على القتلة .

— هل انت واثق من أنهم بحثوا عنهم ؟

— شكليا ، نعم . ولكنى هذا لا يعقل فى هونغ كونغ . . . هل كنت فى هونغ كونغ ؟

— لا .

— انصحك بالسفر الى هناك ، اذا كنت مهتما بقضية الادمان على المخدرات فى العالم .

— حاولت . لا يمنحوننى تأشيرة دخول . ان حرية التنقل لا تسرى علينا كثيرا . ورجالكم يراعون مصالحهم ، حين يضجون فى هذا الموضوع . . . هل يعنى اسم شانتس لك شيئا ؟

— ولهلم شانتس ؟ الالمانى من مونيخ ؟

— نعم .

— كان يعمل هناك مع هليب .

— هل تعرف قصته ؟

— لا . الالمانى العجوز يجيد التكلم بالانجليزية ، ويوزع المطبوعات الامريكية . . .

— هل تعرف انه كان ضابطا برتبة رائد فى قوات الاس-اس ؟

— أ هذا من سلسلة الالعاب الدعائية ؟

— نشرنا فى الجرائد نصوصا طبق الاصل لأوامره فى القتل رميا بالرصاص ، يا مستر غى . واسمه موجود فى قائمة مجرمى الحرب .

— اذا ، طالبوا بتسليمه .

– فعلنا ذلك ثلاث مرات . وباختصار إنه يتزعم جماعة للارهاب فى هونغ كونغ . واظن ان مهاجمتك من تدبير شانتس ايضا . فقد كان يجيد ذلك . اذ كان يعمل مع سكورتسيني .
– ولكن من اين تعرف ذلك ؟
– هذا ما قاله لى سكورتسينى .
– وماذا يقدم ادخال شخص جديد فى قضيتى ، يا مستر ستيبانوف ؟
– الكثير . فعلى كل حال فان غالبية الامريكيين تكره النازية واذا برهنت على ان هليب كان يخفى شانتس ، فانك ستجلب الى قضيتك اهتماما مختلفا للغاية . أنا مستعد لأن اقدم لك المواد عن الشانتس . اما انت فقل لى لماذا وقعت على استسلام بدون قيد او شرط .
– تريد ان تكتب عن ذلك ؟
– هذا يتوقف عليك .
– لا اريد ان تكتب عن ذلك .
– تخاف ان تفقد عملك ؟
– بل حياتى . العمل نصف المحنة . لقد زاولت بمهنة غسل الصحون ، حين كنت احاول ايقاع هليب . سيرمونني بلا اى وازع . . .
– طيب ، وماذا لو اكتب مغيرا الاسماء ؟ ومكان الحدث ؟
– سيساوى هذا خمسين الف دولار ، يا مستر ستيبانوف .
– أنا احصل هنا على اثنى عشر دولارا فى اليوم ، يا مستر غى . واذا اخذنا بالحسبان اننى ساقيم هنا ما لا يقل عن شهر ، فاننى استطيع ان اقدم لك نصف المبلغ .
– بزنس جيد . – وارتخى وجه غى قليلا ، وكان مشدودا طوال هذا الوقت . – افهمنى ، يا زميل ، لقد بعث كل موادى عن هليب . كلها الى آخر سطر . لقاء عشرة الاف . عندما ارسلوا لى رسالة يقولون فيها «امك لن تعيش ، واختك ستختطف» ، ادركت أنهم سيفعلون ذلك . وكانوا سيفعلونه ، هل تفهم وكيف اتصرف ؟ انقل اليكم امى واختى ؟ ليست لدى نقود ، والتذاكر غالية . ثم اننى احب امريكا ، ولا احب نظامكم مطلقا .

– مثلما لا احب انا نظامكم .
– اعرف . زملائى يقراونك .
– وانت ؟
– لا . انا على العموم لا اقرأ شيئا ، يا مستر ستيبانوف . انا لا اصدق باية كلمة مطبوعة . فانا اعرف كيف يصنع ذلك . انا اكتب ما يريدونه منى . انا اقوم باداء الخدمة ، يا مستر ستيبانوف . اشترتنى «ستار» ، اشترتنى بناء على رجاء هليب نفسه . وانا واثق من ذلك . . .
– لا يا مستر غى ، إنه اصغر من ذلك . بل بناء على رجاء رؤسائه .
هز غى راسه ، وابتسم ابتسامة تهكم قائلا :
– ما هى ، فى رأيك ، النسبة التى كان هليب يحولها لحساب رؤسائه من ارباح عمليات تهريب الهيرويين ؟ لا اكثر من ثلاثة بالمائة ، فهم اناس حذرون يعرفون مقدار ما يمكن ان يؤخذ . اذ من المستحسن ان يأخذوا لفترة طويلة وبمقدار قليل فذلك خير من ان يأخذوا مرة واحدة ويحترقوا بعدها .
– هذا يتوقف على ماهية هذه «المرة الواحدة» .
– التسعيرة بسيطة : من كل عملية محققة كان تذهب خمسة بالمائة الى هليب لقاء التغطية . وثلاثة من هذه الخمسة كان يعطيها لرؤسائه .
– اذن ، لماذا يقعد فى لويسبورغ ، فى ادوار ثانوية ، يمثل دور التجارى ، دون ان يبصق على كل شىء ، ويذهب ليلوح بشرته فى ميامى ؟
– لأنه وظف كل فلوسه فى ناغونيا ، حماقة ، يا مستر ستيبانوف . كان يمتلك عشرة بالمائة من اسهم كل الفنادق هنا . ولكنه لم يلحق ان يجمع ملايينه ، فقد انقلب كل شى هنا راسا على عقب . بينما يتوجب عليه ان يعيد نقوده ، هل معقول ان هذا غير مفهوم ؟
– هل لديك حقائق ؟
– الحقائق موجودة فى لشبونة وباريس ، وهى موجودة فى برن ايضا . اذ تطبع هناك مراجع استشارية رائعة للذين ينبغى ان

يوظفوا النقود . لم يستطع هليب ان يبقيها فى الحساب ، فان النظام التجسسى لوزارة المالية فى بلادنا يعمل احسن بكثير من مكتب التحقيقات الفيدرالى . . .

– هل معقول انه لا يدرك ان ارجاع ناغونيا غير واقعى ؟

– ارى انه واقعى تماما .

– هذا لن يتحقق .

هزّ غى رأسه :

– سيتحقق .

– انت واثق من ان كل توظيفاته الهيروييينية قد احترقت فى ناغونيا ؟

– كلها – اجاب دونالد غى وتوقد شىء فى عينيه ، الا انه انطفأ حالا ، والتفت كالمصطاد ، وتمعن فى جميــــع الجالسين فى الصالة ، ودس يده مرة أخرى يخرج علبة سكائره المدعوكة . سأل ستيبانوف بخفوت :

– وانت يا دونالد ، تكره كثيرا ان يعيد فلوسه ؟ انت تكره كثيرا ان يبدأ هنا فى الأمر ؟ الأمر الذى يتيح له ان يضع فى جيبه ملايينه ، ويعود الى الولايات المتحدة منتصرا ؟

– أنا لا ارغب فى ذلك جدا ، ولكن الاكثر من ذلك لا ارغب فى أن يرمى عائلتى بالرصاص .

– يعنى لهذا يوجد منفذون . . .

– لا . هليب يحسن القيام بنفسه بكل شىء .

– يخاف الشهود ؟

مرة اخرى هزّ غى كتفيه :

– لماذا ؟ انه لا يخاف . حتى هؤلاء يزيحهم ، حين يقتضى الأمر . مجرد أنه يهوى هذا العمل . هل تفهم ؟ انه «قبعة خضراء» حقيقية ، ومثاله القوة ، وما قلته عن شانتس يتطابق مع تصورى عن هذا الرجل . وانا لا اندهش ، اذا كان يحتفظ فى بيته بصورة هتلر ، الآن – على اية حال – لا اندهش .

– هل يمكن ان تسمى الاشخاص الذين تحدثت معهم عـــن هليب ؟

– لقد قلت لك إننى بعت جميع الوثائق ، كلها الى آخرها . انا اريد ان ابقى على قيد الحياة . هكذا ، بصراحة . مفهوم ؟

– مفهوم . والآن استمع الى اقتراحى . سأكون فى الولايات المتحدة خلال بضعة اشهر . اعطنى اسمين ، للبداية لا حاجة الى اكثر . اعطنى اسمى رجلين لا يحبان النازيين . وسأجرى تحقيقاتى . فان لى هناك مكافاة عن كتاب وسانفقه على التحرى الذى اجريه خارج الصلة بقضيتك .

– انتم لا يعطونكم مكافآت ، خارج الوطن . لقد كتبوا عندنا انهم ياخذونها منكم .

– ولكنك لا تصدق بالجرائد ، – وضحك ستيبانوف ، – رغم انهم فى هذا المرة كتبوا الصحيح بهذا القدر او ذاك .

– انت تتكلم بجرأة مع صحفى يمينى ، مستر ستيبانوف .

– انا اتكلم مع صحفى يخدم فى صحيفة يمينية ، مستر غى . . . وهذا شى آخر .

– اشرح لى : لماذا انت شخصيا تكره النازية هذه الكراهية ؟ حسنا ، أنا اعرف انكم فقدتم عشرة ملايين . . .

– عشرين .

– صحيح ؟

– صحيح . وأنا شخصيـــا . . . طيب ، حين يحصد امثال شانتس اخوانى واخواتى السبعة – وهم لم يبلغوا بعـــد سن العاشرة – بالاسلحة الخفيفة . . . والآن هؤلاء الشانتسيون فى هونغ كونغ يوزعون الطبعات الملونة عن الديموقراطية والعدالة . . .

– انا رجل لا اعاقر الخمرة ، يا مستر ستيبانوف ، ولكن لو حصرت هليب بالادلة الدامغة ، فسأشرب ، قسما بالله ، قدح «ماديرا» نخب نجاحك . حاول ان تتكلم مع زوجته الأولى ، احيانا تقيم فى بيتها ، ولكن ذلك لا يحدث غالبا ، فهى فى معظم الاوقات ترقد فى عيادة للامراض النفسية ، رغم ما يقال من أنها فى عافية تامة لا احد سيصدق بها ، بالطبع ، ولكنها ستعطيك حقائق . إنها تدعى ايما شانتس ، وابوها هو ولهلم نفسه الذى حدثتنى عنه كثيرا جدا ، وبتأثر شديد . ولكن لا تنس : ولدت ايما فى أيار عام ١٩٤٥ – وهذا مهم جدا لفهم ما تحبه وما تكرهه .

– اصبح الناس اكثر طيبة – كرر سلافين ذلك بوثوق ، ملقيا سترته على ظهر المقعد . – فكر فقط بان اغنية عن التمساح الطيب غينا صارت اكثر الاغانى شعبية عندنا ، بينما كانوا فى الماضى يخوفون الاطفال بالتمساح .

– اذهب ، واسبح فى نهرنا ، ففيه كثرة من التماسيح الطيبة – اجاب زوتوف – ليست هذه طيبة ، بل اقتراب المعرفة من جمهور المستمعين . وانا اقصد البرنامج التلفزيونى «عالم الحيوانات» . ان هذه التماسيح نفسها طيبة جدا على الشاشة حتى تشفق عليها ، المسكينة . . . اصبح الناس اكثر عاطفية ، وعلى هذا استطيع ان اوافق ، اما بخصوص الطيبة ، فاسمح لى ان ابقى على رأيى . الانسانيـــة تنحط ، يا فيتالى فسيفولودوفيتش . هل انت تقرض نقودا ؟

– اقرض

– والناس يردونها دائما ؟

– هيه . . . بعضهم .

– بعضهم . ولكن هل تستطيع ان تتصور أن الانسان فى القرن الماضى لم يكن يرد دينه ؟ واذا ذكرّته بحضور الناس ، فانه سيخرج الى الغرفة المجاورة ، ويطلق رصاصة على قلبه . واذا ذكرتهم الآن ؟ قالوا : «يا رأس البغل ، انتظر ، ولا خوف» . او تذكر اجتماعاتنا ، حيث يُناقش الوجه الخلقى . حمدا لله ، أن الوضع صار اخف ، ولكن اى شىء كان يحدث فى الماضى ؟ نشر الملابس الوسخة ، تشهير تام . إن الانسانية مرهقة بالحقد يا فيتالى فسيفولودوفيتش ، وقد نسيت الآلام . . .

– هل ترغب فى العودة الى بيتك ؟

– الى بيتى ؟ –وهزّ زوتوف كتفيه – ارغب ، لو كان لى بيت .

– حدثونى هنا . . .

– بالضبط . . . وانت تقول اننا نصبح اكثر طيبة . الحقيقة فى موضع ما جنب الرسول بولس . انت تذكر قوله : «اليهود يطلبون الآيات ، واليونانيون الحكمة» . صحيح . البعض يريـــد المعجزات ، والبعض الآخر المعرفة . بعضهم يأملون بالتوفيق ، والبعض الآخر بالبراعة . ولكن لا احد يريد ان يجعل من الخير شيئا مقدسا . انحوا على تولستوى باللائمة ، بينما كان اقرب الجميع الى الحقيقة . . .

– هل تحب ان تشرب ؟

– بكل سرور .

– سوى ان الفودكا نفدت .

– انا لا اطيقها . واعبد الويسكى .

– هليب ، بالمناسبـــة ، يكـــره الويسكـــى ، ويحب الفودكا .

– يكذب . انه لا يطيق الفودكا . راقبه ، وهو يشربها .

– اظنه لا يشرب ، على العموم . يسعى دائما الى ان يكون صاحيا .

«اسمع ، يا هليب ، اسمع ، – فكر سلافين مع نفسه . كان الآن واثقا من ان كل طقة فى غرفته تسجل . – اسمع ما اقوله . بودى كثيرا ان انظر اليك ، حين تسكر» .

سأل زوتوف :

– ولا شىء نمزمز به ؟

– صودا فقط . كما بقى بعض البسكويت . هل تريد ؟

– أريد . أنا جوعان .

– لنذهب ونأكل لقمة .

– الافضل ان نذهب الى بيتى . ارسلت لى عمتى سجقا . . . سجقا رائعا ، وجبنة سولغونى . هل تحب السولغونى ؟

– أ هذا سؤال ؟ طيب ، شكرا ، بكل سرور . فقط ان ننتظر نداء تلفونيا ، فقد وعدنى صاحب لى أن يتلفن . انه يجرنى الى بيلار بينما لا ارغب . . .

– امرأة ممتعة . مبضع . نمط رجالى تماما من التفكير ، مع فتنة عذبة ، وبصيرة مذهلة .

– بالمناسبة انا انظر نظرة طيبة الى البصيرة . نحن مدينون بالبصيرة الى معارفنا . والبصيرة تؤدى الى وحدة كل التنوع فى

آرائنا . الرأى هو رأى ، بل إن بعض الآراء لا تجمعها فى مفهوم . اما المفهوم فهو مثل سلـّم يؤدى الى المعرفة – يؤلف من المفاهيم بصيرة ، مستخدما فى ذلك المخيلة والوعى والذاكرة . ان لبيلار ذاكرة رائعة ، الا تظن ذلك ، يا اندريه اندرييفيتش ؟ واحساساتها فى الحياة غير قليلة ايضا ! ها ؟

– انت لا تستطيع ان تخضعها لتصنيف . لا تتصور ان المنطق يتيح فهم الانسان . فالانسان ، فى طبيعته ، غير منطقى .

سأل سلافين :

– أ تقول هذا قياسا على زوجتك ؟

شرب زوتوف من الويسكى ، وشم قطعة بسكويت ، وكسرها ، ومضغها بفتور ، واجاب ساهما :

– لا . فى هذه النقطة بالذات ، كل شىء منطقى . الفرق فى العمر ، الفرق فى حدة المشاعر ، الفرق فى الاهتمامات ، واخيرا بلاهتى .

– وهل يستحق ذلك ذر الرماد على الرأس ؟

– لا ، لا يستحق . ولكن الرماد واثبات الحقيقة شيئان مختلفان . وما دمت قد بدأت الكلام عن ذلك ، فمعنى ذلك انهم تهامسوا لك من كل الجهات ، والجميع ضد اولغا ، ولكن ذلك يعوزه النزاهة . انها اذكى منى ، وهى موهوبة ، ومبدعة فى طبيعتها ، اى مفكرة . وهى جميلة فى آخر الأمر . وكنت أريد ان اكشط منها بعض ما يماثلنى . فاضعت كل شىء . ولا حاجة الى تبرير نفسى باننى كنت اخاف عليها ، فكنت اخرج عن اطوارى متسائلا : كيف هى ؟ مَنْ معها ؟ الا يكدرونها ؟ وماذا يفكرون ؟ فإما ان تتقبل الشخصية التى الى جانبك ، تتقبلها بكليتها ، وعندئذ تحدث معجزة التلاحم ، واما لا . ولا وجود لثالث ولا حاجة الى ان تعيش فى وهم .

– هل طلبت ان تُستدعى ؟

– بالعكس . سجلت على شراء شقة ، ويجب ان انتظر سنة اخرى . ومكتبتنا مشتركة ، ولا استطيع انا ولا هى ان نعيش بدونها ، ودع عنك ان نعمل . فما الحاجة بعد هذا الى البومات عن فنون افريقيا ؟ وزنها نصف طن . يؤلمنى ان ارى اولغا ، وهى تعرف ذلك . كما لا يحلولها ايضا على ما يبدو لى . . .

– أ لم تتزوج بعد ؟

– ولن تتزوج .

– لماذا ؟

– هذه قضية لا تخصنا .

– ارجو المعذرة .

– لا بأس . يبدو لى انك سألت لا عن رغبة فى ان تبص من لب الباب . . . منقبل كنتاقطع مثل هذه الاحاديث ، أما الآن فلا معلى لذلك . . . أنا مثل «تاس» – احاول ان أنفـى الاكاذيب بخصوصها . – وضحك ضحكة تهكم مرتبكة ، ووضع القدح : – صبَّ لى مرة أخرى ، ها ؟ لطيف ان يكون الانسان سكيرا . لا هم له ولا غم . بين خمر وكسر خمار . . .

– لماذا لا تحب الشاربين بهذا الشكل ؟

– كان ابى سكيرا . رجل ذو موهبة جبارة ، ولكنه احبط لفسه . وكان ، فضلا عن كل شىء آخر ، اغريقيا . . .

– يعنى ؟ – سأل سلافين غير فاهم – لماذا اغريقى ؟

– طيب ، كالاغريقى على اصح تعبير : لم يكن يؤمن بالحكمة الموروثـة من الاقارب . والاغريقيون كانـوا لا يؤمنون الا بالاجنبى . . . وحتى ابن وطنهم بيفاغوروس لم يقدروه قائلين : «اجل ، عبقرى ، بالطبـع ، ولكن صار كذلك بمجىء معلمين اجانب» . . . كان ابى فيلسوفا . وما الفيلسوف إلا مَنْ يدرس الطبيعة ، وكل ما عدا ذلك زائد . ولما بلغ المعرفة عكف على الشراب . ان الاقتراب من المعرفة ، والله ، خطر ، ما بعده من خطر . انت تذكر كيف سألوا بيفاغوروس :

– ماذا تزاول ؟

– أتذكر : «انا لا ازاول شيئا . انا فيلسوف» .

– وهكذا ابى . . . فى البداية كان يتمتع بمنظر العالم ، وبعد ذلك اصيب بخيبة أمل ، كما أنه لم يكن يملك القوة الكافية . لم يكن يؤمن فى نفسه – اى فى المحيطين به – وفارق الحياة ، رحمه الله . هذا الصديق ، لماذا لا يتلفن ؟

– لننتظره خمس دقائق أخر . طيب ؟ انه فتى طيب .

– كلهم فتيان طيبون – قال زوتوف بضحكة تهكم . – فقط

من اين يعرف الفتى الطيب هليب عن ارسالياتنا الى ناغونيا ؟ انا وحدى اعرف عنها هنا ، ولا احد غيرى . . .

اسرع سلافين بان داس على قدم زوتوف ، الا ان هذا هزّ ذراعه مشمئزا :

– لن يسجلوك . فمن بحاجة اليك ؟ لو كنت سفيرا لكانت مسألة اخرى ، لنصبوا آلات . . .

. . . نهض جون هليب من كرسيه بحدة لدى سماعه كلمات زوتوف الأخيرة ، واخذ يذرع غرفة المكتب بخطى سريعة متساوقة كالجندى ، ثم ادار الشريط مرة اخرى ، واعاد تسجيله لوكالة المخابرات المركزية على شريط شديد الحساسية ، ودسّ الشريط الاول فى جيبه ، وذهب الى روبرت لورنس . وقال :

– تمت العملية ، يا ريّس . والآن انا مطمئن على «المشعل» .

– اهنئك . هل ستبلغ فى التفصيلات ، أم أنك لست محتاجا كثيرا إلى دماغى فى هذا الامر ؟

اجاب هليب دون ان يخفى تكدره :

– بفضل تفصيلات ستحصل على تهنئة من الادميرال ، ونيشان حربى ، اما انا فسأحصل على حق فى الاستراحة لمدة اسبوعين ليس غير .

– وخلالها ستكسب «ذكيا» آخر ، وسأحصل انا ، فيما بعد ، على نيشان آخر ، وانت على استراحة طيبة اخرى – وضحك لورنس .

– لن يكون لنا اذكياء مثل «الذكى» الذى عندنا ، يا ريس . صدقنى بذلك . لم يكن ولن يكون . وبينما هو يعمل ، ننجح نحن ، ونستطيع كل شيء ، ونحن بؤرة الاهتمام ، يعرف رئيس الجمهورية اسماءنا ، ونتحصن من كل هجوم من جانب جماعتنا . «الذكى» هو حياتنا ، انا وانت ، انه امل لينغلى . اظن من العبث ان يفزع ، لا احد يستطيع ان يفتضحه .مجرد انه تعب ، وسيمنحه المركز استراحة ، حين نفرغ من غريسو . . . اذن ، حسب تفصيلاتى ، توصل زوتوف الى «الذكى» ، ولكنه توصل «عرَضا» . ان له تفكيرا مستقيما ، انه من سلالة الرُسُل . كلمّ سلافين عن الارساليات التى ابلغنا عنها «الذكى» . ومعنى ذلك ان موسكو

ستعرف عن ذلك بعد حوالى ثلاث ساعات . وسيبدأون بالبحث عن تسرب المعلومات . ونحن ندبر هذا النوع من التسرب . هنا . وستكون هذه اللعبة التى وعدنا بها «الذكى» .

– وماذا سيقدم ذلك لنا ؟ كم سيكلف ؟

– سيكلف زهيدا ، كوكتيلين اثنين لا اكثر . وكيف ذاك ؟ هذا شأنى . عليك ان تحقق النهج السياسى ، واترك لى تكتيك المعركة المحلية . ماذا سيقدم ذلك لنا ؟ سيقدم لنا النصر . اولا ان الروس سيحصلون على اثبات على ان زوتوف هو عميلنا . ثانيا انهم سيحصلون على هذه المعلومات بطريقة تجعلنا قادرين على اتهام مستر سلافين بالتجسس ، ولهذا تهيأ انت لان تنهب ، اى ان يأخذ اللصوص من خزانتك الحديدية اسماء «اصدقائ»نا ، ومن بينهم ، وهذا واضح ، سيكون اسم زوتوف . ثالثا ، ان الاتهام بالتجسس والسطو يجبران لويسبورغ على اخراج غالبية الروس المشتغلين هنا الى خارج البلاد ، وبهذه الطريقة ستتقلص الارساليات لناغونيا الى النصف ، والنصف الاخر ستقضي عليه جماعات الارهاب . رابعا ، بعد الشروع فى هذه الحملة ، لا سيما حين يلقى ستاو القبض على سلافين لا يبقى مراقبون هنا ، واذا بقوا فانهم سيراعون الحذر التام ، ومثل هذا النوع من الاجراء مفيد ومفيد جدا قبيل البدء بـ«المشعل» . ستكون الضجة اقل .

– هل تريد ان تشرب ، يا جون ؟

– سأشرب ، حين يتلفنون لى من ناغونيا ، ويقولون انهم سيرسلون طائرة عمودية لزيارة اوهانو فى القصر .

– إضرب على الخشب .

– انا لا افعل غير هذا ، من الليل حتى الصباح ، يا ريس .

– متى ستكف عن تسميتى بـ«الريس» ؟ كم مرة رجوتك ان تسمينى باسمي ؟

– انا مازوخى ، يا ريس ، استمتع بتحطيم نفسى .

– كيف تقدم لهم معلومات خيانة زوتوف ؟

وضع هليب يديه على قفا رأسه ، وتمطى ، وضحك من شيء ما :

– انا امل فى المصادفة ، يا ريس . ثم انني حقود جدا ، لا اغفر اساءة من احد . من احد .

تفرس لورنس فى هليب من تحت حاجبيه الاشيبين الكثين .
وقال باستغراق :

– الحقد صفة سيئة ، يا جون ، لا سيما فى مهنتنا . ان رجل التجسس ملزم بان يحب خصمه حبا جما ، فقط فى هذه الحال سيقضي عليه .

التحري رقم ٦

كان يوجين كوزانى المخرج من هوليود قد تعرف على ستيبانوف قبل ثلاث اعوام اثناء مهرجان فى سان سباستيان . وكان قد جلب اليها فيلمه الوثائقى عن جنوب فيتنام . وكان ستيبانوف قد عاد لتوه من الانصار فى لاؤوس والفيتنام ، فكان عضوا فى هيئة التحكيم .

اعجبه فيلم يوجين . فقد صور هذا الامريكى بدقة وهدوء . وبلا الاعيب . وكان المونتاج اسلوبه الرئيسى فى صنع الفيلم . وقد سلك فى ذلك نهج فنانين مختلفين : ياكوبيتى ، وفيلمـــه «حياة الكلاب» ، وورومان كارمن . فواشج بين شيئين لا يجتمعان : الولادة تحت قنابل «الفانتوم» ، والدروس فى مدرسة رقصة الروك . رمي شاب فيتنامى بالرصاص ، ومحاضرة عن «ثغرات» فى الفضاء كان يلقيها على طلاب يصغون مسحورين استاذ اشعث الشعر ذو عينين طفوليتين تشعان طيبة . حفلة موسيقية لفرقة هواة من الانصار ، ومدمنين على مخدرات فى بيركلى .

ذات مرة عرفوا ستيبانوف بكوزانى فى بار «ايبريا» حيث اجتمع جمهور السينما والفضوليون الذين جاءوا يتفرجون على الضيوف المشهورين .

– لا يكدرنى انهم لن يمنحونى جائزة – قال يوجين – فانا لا اشك فى ذلك ، بل المكدر ان يعطوا الجائزة الرفيعة الى اويسيبيو وهو فاشي وغد .

سأل ستيبانوف :

– اتقصد الفيلم عن سانتياغو دى كومباستيلو ؟

– نعم . فيلم جيد ، ولكن المؤسف ان الذى صنعه وضيع كان فى الماضى يمجد «الفرقة الزرقاء» .

– ليس جيدا بالقدر الذى يستحق به الجائزة .

ضحك يوجين .

– أ هذه وجهة نظرك الشخصية ؟ ام رأى عضو هيئة التحكيم ؟

– تيك ايت ايزى .

قال ستيبانوف بضحكة قصيرة .

. . . فى اليوم التالى عندما التقى ستيبانوف بزملائه خارج قاعة الاجتماع ايقن ان يوجين كان على حـــق . فقد دبّرت ادارة المهرجان الامر مع أعضاء هيئة التحكيم ، فوصفوا اويسيبيو الحائز المقبل على الجائزة . وكانت تظهر فى الجرائد كل يوم مقابلات صحفية معه . وكان النقاد المأجورون يكتبون مقالات متهللة .

ولكن اسبانيا بلاد خاصة . ذات مرة مزح ستيبانوف فى تبليسى قائلا : «يا اولاد ، انتم ، حقا ، اخوة مع الباسك ، بل ومع الاسبان بشكل عام ، فان كل شيء عندكم ، مثلما عندهم ، يحلّه نخب محبوك جيداً فى مأدبة كبيرة» .

جمع ستيبانوف الذين يعرفهم من الصحفيين . وقال :

– ايها الاصدقاء ، انا لا أتوسط لروسى ، بل لامريكى . وهذا الامريكى فقير ، قد انتج فيلمه الاول ، وهو ليس عضوا فى الحزب الشيوعى ، بل مجرد فتى نزيه . واود ان تشاهدوا هذا الفيلم ، وتكتبوا عنه الحقيقة .

وبعد ذلك تقابل مع مدير المهرجان مساء ، فى غرفته (الاسبان ، قبل كل شيء ، يقدرون المنزلة ، فاذا كنت عضواً فى هيئة التحكيم ، وجب ان لا تستأجر لك غرفة ، بل شقة ، وأن تملأ ثلاجتها لا بعلب البيرة ، بل بالويسكى الحقيقـــى ، والجن ، وزجاجات «روسادو» من نافارا . فان ذلك يروق للاجانب ، لان همنغوى قد اشاد به . والاسبان بتوفيرهم هذا النوع من المنزلة يقعون تحت سحرها . وذلك شيء مضحك ، ولكنه واقع) . شرب ستيبانوف وضيفه جرعة من النبيذ – الاسبان اقل الامم شربا فى العالم . ثم قال ستيبانوف :

– يا صديقى العزيز ، ان حديثى سيكون له طابع سرى للغاية . . .

– أعرف – اجاب مدير المهرجان – انت تراهن على كوزانى . فان لى رجالى فى الجرائد ، واخباراتهم تصلنى فى الحال . لن تكسب ، يا سينور ستيبانوف . سان سباستيان تريد ان تكون اقدس من بابا روما . ليس من اللياقة ، بالطبع ، مقارنة واشنطون بالفاتيكان . ومع ذلك ، فان رجالنا لا يجازفون باعطاء الجائزة ، ولو لامريكى ، ولكن هذا الامريكى يقف مواقف معارضة للامريكان .

عندئذ قال ستيبانوف :

– لست محقاً . فان كوزانى يقف مواقف امريكية حقا . صدقنى انهم ، بعد سنة او سنة ونصف ، سيعطونه الجائزة الوطنية لامريكا .

– فى امريكا لا توجد جوائز وطنية للافلام الوثائقية ، بل الاوسكار تعطى للافلام الروائية . . . ثم اننى غير مقتنع مطلقا من ان الحرب فى الفيتنام ستنتهى بعد سنة او سنة ونصف .

– ستنتهى فى وقت أبكر ، وثق بكلمتى . لقد اقمت عندهم ستة أشهر ، وأعرف ماذا أقول .

– أود ان أصدقك لاننى اقدر رأيك . وارغب دائما ، وكلما طال الامد اشتدت الرغبة ، ارغب فى مصادقتك وانا اعنيك كممثل لبلد ، وليس فقط باعتبارك ستيبانوف ، ولكن لا تضعنى فى موضع حرج . انا لا استطيع ان اؤيدك ، فان الكثيرين جدا من الناس داخلون فى العمل : سيحصل اويسيبيو على الميدالية الذهبية ، هذه مسألة منتهية .

– سيصعب عليّ تهيئة الرأى العام فى موسكو – قال ستيبانوف بهدوء وهو يشعل سيكارة – اثناء مهرجان موسكو ، حين تجلبون الى هناك افلامكم . لان حصول اسبانى على الجائزة فى سان سيباستيان شيء ، والاحتفال به فى موسكو شيء اخر .

– لن تعطى موسكو شيئا لاويسيبيو ، لانه صور فيلما عن قدامى محاربى «الفرقة الزرقاء» .

– بيرلانغا اشترك فى الحرب ، وكان جنديا فى «الفرقة الزرقاء» ولكننا اشدنا بفيلمه «الجلاّد» .

تنهد مدير المهرجان :

– يا سنيور ستيبانوف ، الاشتراك فى الحرب شيء ، والتمجيد لها بوسائل الفن شيء آخر . طيب ، لو جلبتُ ثلاثة افلام لوثائقيين اسبان ، هل ستضمن لى ميدالية ذهبية ، واخرى برونزية ؟

هزّ ستيبانوف رأسه نفيا :

– نحن ، مع كل نواقصنا وغرائبنا ، نمنح الجوائز فى المهرجان على اية حال ، ولكن لا نضمنها . . .

اقترب المدير من ستيبانوف ، وأومأ اليه ، وهمس فى اذنه :

– انا لا اصدق بك . . .

ونهض ، وسار فى أرجاء الشقة التى استأجرتها الادارة لستيبانوف ، ونظر فى غرفة الحمام ، واستفسر عن ايجار الشقة ، وردّ على نفسه بنفسه : لا اقل من خمسين دولارا ، ثم عاد الى مكانه وقال :

– انا اضمن لصاحبك الامريكى جائزة الصحافة التشجيعية . . .

– قليل .

– فقدت صوابك ! سيكلفنى ذلك دماً ! هل تظن من السهل اقناع البيروقراطيين من وزارة الاعلام والسياحة ؟ اذ يجب ان أجد مداخل ، وهذا ليس بالامر البسيط !

– ما دام ينبغى ان يمنح يوجين الميدالية الذهبية ، ولكنكم تخافون رد فعل واشنطون ، فاعطوه الفضية ، فان ذلك سيكون مفهوما على الاقل – سيفهم الجميع لماذا لم تلتزموا بالعدالة . اما اذا اعطيتموه جائزة الصحافة التشجيعية ، فستحدث ضجة ، فيما بعد ، ليس فى اسبانيا ، بالطبع : بضغط رقابة فرانكو . . .

– شش ! – وقفز المدير من المقعد مرة اخرى – سنيور ستيبانوف ! لِمَ هذا . . . الجنراليسيمو هو أبو الاسبان جميعا ، وليس عندنا اى تحكم من جانب الرقابة .

– مفهوم ، مفهوم – وافق ستيبانوف – ولكننى اقول سيكتب الصحفيون فى الخارج ، وليس فى وطنى – هؤلاء الفرنسيون سيكونون اول مَنْ يكتب ، فهم يتعاطفون مع الفيتناميين ، لانهم خرجوا من هناك فى الوقت المناسب . . .

. . . وباختصار ، منحوا يوجين الجائزة البرونزية ، ففتح هذا

له الباب الى السينما الواسعة : ان الامريكيين يحبون المنزلة كالاسبان ، ولكن الشيء الرئيسى عندهم هو الاعتراف فى الخارج ، وهم ، مثل اية امة عظيمة ، لا يرون جيدا الانبياء فى وطنهم .

ومنذ ذلك الحين كلما سافر ستيبانوف الى الولايات المتحدة ، كان يوجين ، اذا كان فى محل اقامته فى سان فرانسيسكو ، ترك أشغاله ، واسرع الى واشنطون ، وكان يساعد ستيبانوف فى الحصول على فيزا (وكانوا لا يسمحون له كثيرا فى زيارة الساحل الشرقى والجنوب) وكثيرا ما كان يسيح معه ، ويعيره سيارته ، ومفاتيح شقته ، شقة الاعزب ، فى غرين ويدج فيليدج .

زار يوجين روسيا مرتين ، فكان احدهما يعرف موقع الآخر . كان ستيبانوف شيوعيا ، ويوجين مؤيدا للجمهوريين ، فكانا لا يتطرقان الى بعض الاشياء فى محيط نقاشاتهما ، اذ لا معنى لذلك ، ولا احد يكسب الآخر . ولكنهما كانا يؤمنان ايمانا قويا ، بان فى الامكان ان يعتمد احدهما على الآخر كليا ، لا سيما اذا كان الامر يتعلق بالعمل على التقارب بين شعبيهما .

ولهذا الشخص بالذات ، ليوجين كوزانى ، ارسل دميترى ستيبانوف برقية من ناغونيا .

– مسس هليب ، سمح لى الدكتور بأن اتحدث اليك نصف ساعة .

– حقا ؟ اى تقدم ! يعنى اننى فى حالة طبيعية تماما ، كل شيء الآن على ما يرام . وعن قريب سيتركوننى اذهب الى البيت كليا .

ضحكت المرأة ضحكة حلقية غريبة ، كالدجاجة المبيِّضة .

– مسس هليب ، اود ان اتكلم معك حول جون . . .

– انه هو الذى حبسنى هنا ، حتى لا أتفوه شيئا زائدا للعملاء من مكتب التحقيقات الفيدرالى . كيف تسللت الى هنا ؟ انــه دفع مبالغ كبيرة للاطباء ليقولوا للجميع اننى مختلة الاعصاب ، ولا يسمحون لرجال المكتب بأن يقتربوا منى . . . – ومالت المرأة نحو يوجين – اتوسل اليك ان تعطينى ولو نَفَسا واحدا . ها ؟ أقل نفس . . .

– أتدخنين الهيروين ؟

– شش . . . كل ما يخطر . انا احلم فى نومى بهذا النفس . . . الجاف ، الطويل ، المحرق . . . انقذنى ، ها ؟

– ليس عندى . . .ليس معى ، مسس هليب . . . ليس عندى الآن . . . هل تفهمين ؟ فى الوقت الحاضر . . . واذا اخبرتنى بما اريد ان اعرفه ، اظننى سانقذك .

– انت تخدع . . . لن يسمحوا لك بأن تجيء بعد الآن . يسمحون لى ان اتكلم مرة فى السنة . جون يريد ان يعرف ما الذكره . . . جاءنى احد الدساسين من مكتب التحقيقات الفيدرالى ، وترك بضع مصات ، وبعده لم يسمحوا لى بأن التقى بأحد سنة واحدة .

– ما اسمه ؟

– وأنت ما اسمك ؟

– يوجين كوزانى ، مخرج .

ضحكت المرأة ثانية ضحكتها الغريبة الجافة .

– فى هذه الحال ، انا غريتا غاربو . ولكن لا . تلك فطست بسكون . اعتبرنى مارلين مونرو . ذلك أضبط .

– هذه اجازتى للسياقة ، مسس هليب .

– ها ! ذلك الرجل ايضا اظهر لى مثل هذه الاجازة تماما ! هل تتصور اننى صدقت به ؟

– هل قال لك من اين هو ؟

– لا ، مجرد روبرت شور ، من مكتب التحقيقات الفيدرالى ، ها انا أقول لك . بل أظنه قال . لا ، فى الحقيقة ، قال ، روبرت شور من مكتب التحقيقات الفيدرالى .

– هل سألك عن تلك الفضيحة فى هونغ كونغ ؟

– لا ، بل سأل كيف طارت بيلار الى بكين ، ومن اين لها جواز سفر دبلوماسى . ان هؤلاء المخبرين الملاعين لا يستطيعون ازعاج الدبلوماسيين ، فيسيرون فى اثرهم وفجأة يصطدمون بعقبة : جواز سفر غلافه أخضر كتب عليه : «دبلوماسى» . ثم سأل الى اين اخرجها جون من هونغ كونغ .

– مَنْ بيلار هذه ؟

– ساقطة . امرأة ساقطة قذرة عفنة .

– اين تعيش ؟

– كيف اين ؟ تعيش حيث يعيش . انه يأخذها معه اينما ذهب . انه يضطجعها ، ثم يغسلها فى الحمام . وكان يلقيها تحت غلمان فى برلين ، حين كان يعطيهم نقودا عن طريقها . وتتظاهر بانها من جماعة ماو ، ثورية . وكانت تخبرهم مَنْ يجب ان يقتلوا . وكان هو يسمي لها اصدقاءه . . والاصح أصدقاء والدي . . يجب على بابا ان يزيح هذا او ذاك من الاوغاد القدامى ، وجون كان يقوم بهذه الافعال . . . ولكنـــك لا تصدقنى ، لا تبحلق ، أنـــا مجنونة . . . يجوز لى كل شيء . هل ستجلب لى بعض المسحوق فى الحقيقة ، ها ؟ كانت بيلار دائما تقدم لى ما أدخنه ، وهى على العموم ، طيبة . . .

– هل كانت اول مَنْ اعطاك الهيرويين ؟

– لا ، جون كان الاول . كان لا يعرف نوعية البضاعة ، فيقترح ان أجربها . . . غيره كان يجب ان يضربنى على وجهى ، بينما هو كان ينظر فى عيني ، حين كنت ادخن ، ينظر ووجهه قريب جدا من وجهى . . . مثلما كان اخي ينظر فى عيون الارانب التى كان يقطع اكفها . . بمنشار لقطع العظم . . . كانت تضغب * ، هل تعرف كيف كانت تضغب ؟ ! اوه ، هذا يجب ان تسمعه ، تسمع كيف كانت تضغب ، تلك الارانب الحمر العيون . . . وكان ابى يقول : لا تجوز اعاقة زيب ، كان يقول : الطريق الى العلم يمتد دائما عبر القسوة . . . بينما زيب كان يبصق على العلم ، وصار سياسيا كبيرا ، وهل السياسة علم حقا ؟ السياسة هى قطع اكف الارانب بدون مخدر .

– اين اخوك زيب ؟

– ساعده جون على ان يصير سكرتير «الحزب الالمانـــى الجديد» ، وهو الآن يدافع عن مصالح الالمان ، فأنا المانية ، كلنا المان ، حتى هليب نصف المانى ، سوى انه لا يحب ان يذكر بذلك ، فقد كان احد اقاربه يعمل عند هتلر فى بنك الرايخ ، رجل مثقف ، وهادىء جدا ، ولم يكن يعرف غير الحساب – تلبيسات

* الضغيب : صوت الارنب . المعرب .

اسنان من اوشفيتس ، خواتم من داخاو . . . – وضحكت المرأة من جديد – اذا اردت ان تخيف هليب ، فاسأله عن صحـــة العـــم زغفريد . . . قل له انك تريـــد ان ترفـــع دعوى على زغفريد هانتس بشأن اقربائك الذين أُحرِقوا فى الافران . . . فقط ان تحترس على حياتك فيما بعد . فان مثل هذه الاسئلة لن يغفرها جون لاحد . ولم يغفر لى هذا السؤال ، ولهذا انا هنا . . .

– وحدثت روبرت شور بكل شيء ؟

– انه أبله ، شور هذا . انه مثل آلة كاتبة ، يقرقع ، ويقرقع ، وطوال الوقت يريد ان يخيفنى . . . لا ، بل اظن انه لا يعرف ان فى الدنيا بلادا اسمها المانيا ، وفيها يعيش الالمان . عندما وجدت فى اوراق ابى رسائل جون ، وفهمت اننا من عائلة واحدة ، وسألت هليب عن ذلك ، عندئذ بدأ كل شيء . . . قبل ذلك كنت انسانا آخر . . . كنت أفعل فعلتى . . . كنت اعرف لمن يُعطى وكم يُعطى ومتى يُعطى ، وكنت اعرف من ومتى واين يُقتل . كنت انسانا كبيرا . . . قال لى دافيد هيو ، كان هذا مساعدا لجون ، ثم طُرد ، قال اننـــى سأصيـــر ماتا هارى الجديدة . . .

– واين هيو الآن ؟

– لا اعرف ، يبدو انه فى مونيخ . ما حاجتى اليه ؟ اسمع ، ربما تخلع ثيابك ؟ كم من الوقت سمحوا لك ؟ انا احب ممارسة الحب كثيرا . . .

نهضت المرأة ، وخلعت روبها . ورأى يوجين كدمات زرقاء على كتفيها ، وجلدها المتغضن المصفر . قال :

– لا يجوز الآن . قد يأتون الى هنا ، ووقتنا ضيق .

– لست بحاجة الى كثير وقت ، هيا ارجوك . . . دعنى اتمعن فيك ، أتوسل اليك . . .

– سأتى غدا ، حسنا ؟ سأتي لمدة ساعتين .

– لن يدخلوك عليَّ مرة اخرى . لن يدخلوا عليَّ احدا مرتين . . .

– طيب ، البسى الروب ، ولنتحدث بضع دقائق أُخَرَ ، وبعد ذلك نمارس الحب .

«ارادتها مشلولة – فكر يوجين ، وهو يراقب ايما تتناول الروب طائعة ، وتلقيه على كتفيها الحادتين الصفراوين – هذا دائما . فى البداية هيرويين ، وبعده مثل هذه الفظاعة . . . ما حاجة ستيبانوف الى كل هذا ؟ انهم لن يصدقوا بها» .

– اين العم زغفريد الآن ؟

– أدعو الله ان يكون قد مات ، على الاقل سأعيش عندئذ ليس بهذا القدر من العار – وضحكت مرة اخرى – أعيش . . . انا ، على اية حال ، أعيش ، أليس كذلك ؟ انا اعيش – كررت بوثوق – لاننى اتنفس ، والتهم الطعام ، واذهب الى المرحاض . ولكن لا ، هذه كينونة وليست حياة . هذا شىء آخر . كنت اعيش ، حين كان جون ، وعندما رحل بقى هيرويين ، وعندما انتهى كل ذلك ، عندئذ صرت آكل ، واشرب ، واذهب الى المرحاض .

– واين اخوك زيب ؟ – واصل يوجين شاعرا بأن اسئلته الرتيبة تثير المرأة فقد كان غير قادر على ان يفهم كيف ينبغى ان يتكلم معها ، لان احتمال الجواب لم يكن ممكنا – مات ايضا ؟

– اوه ، لا ! زيب يرسل الى افريقيا اولئك الالمان الشرفاء الذين يريدون الدفاع عن الحرية . ويجمع اصدقاءه فى مونيخ . هل معقول انك لا تعرف زيب شانتس ؟

– يعيش فى مونيخ بالفعل ؟

– هل تتصورنى اختلق كل شىء ؟ ! انت شور ! انت كلب بوليس ! هو ايضا لم يصدق بى ! بينما اقول الحقيقة !

كانت المرأة تصيح أعلى فأعلى . فتح الباب ، ودخل اثنان يرتديان مريولين ، ونظرا الى يوجين فى تعنيف ، واخرجا ايمـــا الصائحة ، وظلت طويلا فى اذنيه صيحتها المستميتة : «اتظننى مجنونة ؟ !»

. . . تلفن ستيبانوف الى صحفيين فى مونيخ : عنوان زيب شانتس مؤسس «الحزب الالمانى الجديد» ، فاعطوه رأسا ، دون ان ينظروا فى دليل العناوين .

التحري رقم ٧

«الى سلافين .

استوضح كل شىء يتعلق بدوبوف . طابع علاقته بفينتر . هل أثبت حقيقة لقاءاته بلورنس او بهليب ، ولو بالمصادفات ؟

المركز» .

«الى المركز .

لم تثبت حقيقة لقاءات دوبوف بلورنس او بهليب . وحسب معلومات غير مؤكدة رافق دوبوف فنتر الى حلبة التنس ذات مرة ، حين لعبت مع لورنس ، ولكن من غير المعروف هل كانا متعارفين ام لا . كان دوبوف يتحاشى الاتصالات بالامريكيين ، ويقضى معظم اوقاته فى السفارة ، فى البعثة التجارية او فى البيت . مرة واحدة فقط خرج فى رحلة فى البلاد لمدة ثلاثة ايام فى سيارته . طريقة سلوكه لا شائبة فيها . لا يشرب تقريبا ، متحفظ ، قليل الكلام ، يتميز بتضلعه فى مســـائل التنبؤ السياسى والاقتصادى . ولكن زوتوف قص واقعة اذهلتنى من وجهة النظر الخلقية والادبية : فى الاشهر الاولى من التعارف ، وحين اصيبت قدم اولغا فينتر برض رجا زوتوف ، وكان لا يملك سيارة ، من دوبوف ان يأخذهـــا بسيارته الى المستشفى . نقل دوبوف اولغا ، الا انه طلب من زوتوف خمسة دولارات متحججا بارتفاع سعر البنزين . اعدت السير فى الطريق الذى سلكه دوبوف . فلو أن زوتوف استأجر سيارة تكسى ، لكلفه المشوار دولارين و٣٥ سنتا . واذا ما مضينا فى الصفقة الى أبعد ، لقلنا ان المشوار ذهابا ومجيئا يكلف ٤ دولارات و٧٠ سنتا . وعلى هذا النحو ربح دوبوف فى هذا ٣٠ سنتا . وهذه الواقعة ، من الناحية السوقية ، تافهة ، الا انها توفر اساسا لتحليل الصفة الخلقية لدوبوف مجددا . واشدد على ان الجميـــع مع هذا يجمعون بصوت واحد على تمسكه بالانضباط ، اعتنائه ، وتهذيبه ، دون اية نقيصة .

سلافين» .

«سرى للغاية .
اللواء قسطنطينوف .
ردا على سؤالك المكرر اعلن ان دوبوف سيرغى دميتريفيتش سافر يوم امس الى أدلر بالطائرة رحلة رقم ٨٥٢ .
المقدم زيكوف» .

«معلومات مبنية على مراقبة «الابيض» (كان هذا لقبا اطلقه رجال اللجنة الاستثنائية الابخازيون على دوبوف ، لانه طار الى البحر فى بدلة بيضاء خفيفة ، وقميص ابيض ، وشدة عنق بيضاء ، الا ان الحذاء كان اسود ثقيلا ، افطس المقدمة من طراز امريكى قديم) .
بعد أن اقام «الابيض» فى الغرفة رقم ٢١٢ فى بناية «الفنار» ، خرج فى الساعة ٨,٤٧ للفطور . أجلسه الى مائدة صغيرة الى جانب امرأتين احداهما داكنة البشرة فى نحو الثالثة والعشرين ، وقد خرجت معه من المقهى فى الساعة ٩,١٧ .
اقترح على «السمراء» ان تدخل غرفته فوافقت .
بقيا فى غرفة «الابيض» ٥٢ دقيقة ، وخرجا منها فى لباسين للسباحة ، واتجها الى البلاج . وسبحا هناك وعرضا جسديهما للشمس حتى ١٢,٤٩ ، وبعدهما ذهبا سوية الى الغداء فى نفس المقهى . بقيا جالسين الى المائدة من ١٣,٠٥ حتى ١٣,٥١ . ثم ذهبا الى غرفة «الابيض» حيث بقيا حتى ١٦,١٠ ، وبعدها عادا الى البلاج . وغادراه ١٨,٢٦ ليتناولا العشاء ، وجلسا الى نفس المائدة الصغيرة التى جلسا اليها فى الصباح . فى العشاء طلب «الابيض» زجاجة نبيذ «تيبآني» . وبعدها دعا «السمراء» الى نزهة . لم يتصلا بأحد ، وخرجا من منطقة منتجع «بتسوندا» . قرب البريد ترك «الابيض» «السمراء» ، وغيرّ ثلاثة روبلات الى قطع نقدية من فئة ١٥ كوبيكا ، واتصل بموسكو تلفونياً . واثناء محادثته مع شخص يدعى فيكتور لفوفيتش كان يقول : «يجب الصمود ، وانه ايضا كان يود ان يرحل معها ، ولكن يجب على كل واحد ان ينفذ واجبه نحو الناس حتى النهاية» . وطلب من فيكتور لفوفيتش ان يظل فى الفراش عدة ايام اخرى ، وقال انه «سيعود من الايفاد» بعد اسبوع . وبعد هذه المحادثة دعا «الابيض» «السمراء» الى بار ،

حيث راقصها حتى الساعة الثانية عشرة ، وبعدها عادا الى غرفته ، حيث بقيا فيها . غابونيا» .

التلفون الذى اتصل به دوبوف كان يعود الى فيكتور لفوفيتش فينتر .

تبين ان «السمراء» هى اولغا فرونسكيا ، فى الثانية والعشرين ، من اهالى موسكو ، سكرتيرة قسم ، كومسومولية ، غير متزوجة ، اوكرانية .

. . . نظر دكتور مستشفى المدينة رقم ٥٢ الى قسطنطينوف باندهاش :
— لقد أوضحتُ كل شىء ، يا رفيق . . .
— لمن ؟
— جاءوا من معهدها ، وبعدها جاء ابوها ، بالطبع ، وهو رجل وجيه ، وكنت ملزما على ان اوضح له . . .
— ارجو ان تعلم اننى صديق زوجها . . .
— آه ، الذى فى الخارج ؟
— نعم .
— مفهوم . . . وهو ما يزال لا يعرف شيئا ؟
— لا .
— تكتب له أنها لم تتألم . . غيبوبة خاطفة . . . ميتة غريبة بلهاء . . . روى صديق لها ان القشعريرة انتابتها منذ المساء فاعطاها اسبرين ، فغفت ، الا ان درجة حرارتها كانت عالية . وتذكر انها تسعل منذ اسبوع ، ولكن رغم ذلك كانت تخرج الى حلبة التنس . حماقة ، بالطبع . . . فى الصباح استدعى «الاسعاف العاجل» . . . حاولنا ان نقوم بكل ما فى وسعنا ، ولكن اوديما رئوية كانت قد بدأت ، كما يبدو . وكنا امامها عاجزين .
— لماذا «كما يبدو» ؟
لم يفهم الدكتور ، ونظر الى قسطنطينوف مستفسرا .
فشرح هذا :

– من الواضح ان تشريح الجثة يعطى جوابـــا دقيقـــا لا تقريبياً : ما هو سبب موت امرأة شابة معافاة ؟

– ولكن الجثة لم تشرَّح . اعذرنى : ما اسمك ؟

– قسطنطين ايفانوفيتش .

– فرصة سعيدة . اما انا فأدعى ارتشيل ميخائيلوفيتش . . . فيكتور لفوفيتش رجا ان لا تشرح الجثة ، فان كلمته عندنا قانون ، هو جراح عظيم ، وكل نساء موسكو يعبدونه ، وعن حق . . . .

– ارتشيل ميخائيلوفيتش ، حدثنى بتفصيل اكثر ، مـــن فضلك ، كيف حصل هذا كله ؟

– حسنا . . . آنذاك كنت طبيبا مناوبا ، فى نحو الساعـــة الثامنة صباحا ، تلفن رجل . . .

– صديقها ؟

– لا ، سيرغى دميتريفيتش جاء معي فيما بعد ، فى سيارة الانعاش . . . تلفن جار نسيت اسمه ، عجوز ، عسكرى . . . قال ان المرأة فاقدة الوعى ، وطلب المجىء باستعجال . وذهبنا . لم تكن اولغا فيكتورفنا فاقدة الوعى وحسب ، بل وبدا لى انها فى النزع الاخير . النبض مضطرب ، والجفنان مزرقان ، وبؤبؤا الحدقتين لا يستجيب . فى السيارة وضعتها تحت آلة الانعاش ، وعندما وصلنا الى هنا استدعيت البروفيسور ايفلامبييف ، وأخذنا نعطيها دما . خلال حوالى اربع ساعات حاولنا انقاذها ، رغم ان ذلك ، واقولها بنزاهة ، بدا لى بدون فائدة .

– ولكن لماذا لم يجر تشريح للجثة ؟

– كما اوضحت لك . . .

– لا ، لم توضح لى ، يا ارتشيل ميخائيلوفيتش .

– رجا فيكتور لفوفيتش ذلك . . .

– هذا ليس توضيحا . فالمراة ، على اية حال ، كانت فى مساء عافية ، وتموت صباحا ، وانتم لا تجرون تشريحا للجثة . ماذا لو كان ذلك عدوى جرثومية ؟

– لا ، ليست عدوى جرثومية ، بل هى ، حسب الاعراض ، اوديما رئوية مفاجئة عاصفة .

– أهذا يحصل غالبا ؟

– انا شخصيا لم اصادف ذلـــك . . . هذا ممكن فى اليوم الثالث ، او السادس فى حال اصابة رئوية مهملة . . .

– وصاحبها . . . كيف اسمه ؟

– سيرغى دميتريفيتش . انه نفسه ذكر انها تسعل منذ زمان ، وكانت عليلة . . .

– يعنى ، ليست عدوى جرثومية .

– ولكن الاصابات العاصفة تحصل ، وترد فى الممارســـة الطبية . هل تذكر كيف توفي بالسرطان الرئوى العاصف الشرطى الامريكى الذى اراد ان يدلي بشهادات جديدة فى قضية كندي . انزلوه المستشفى لاجراء الكشوف ، وبعد يومين مات .

نهض قسطنطينوف بحركة حادة ، وعيناه الزرقاوان المبتسمتان عادة صارتا مثقبتين صغيرتين رماديتين كامدتين .

– شكرا ، ارتشيل ميخائيلوفيتش . حدث هذا . . .

– اثناء خفارتى ، لقد ذكرت ذلك .

– يعنى قبل اربعة ايام ؟

– بالضبط .

– هل يمكن ان أطلب اعداد نسخة من شهادة الوفاة ؟ سأرسلها الى زوجها ، فذلك سيكون أصح ، دون عواطف ، كيف ترى ؟ لا سيما وان صاحبا لها هو الذى جلبها الى هنا . . هل كان قلقا كثيرا ؟

– نعم ، واضطررنا الى اعطائه حقنة . . . وعندئذ فقط قدر ان يبكى ، وخفَّ ضيقه . ولكن الارادة موجودة . وصل فيكتور لفوفيتش – كان فى مؤتمر فى دوبنا ، وقد استدعي الى هنا – واصيب بصدمة ، بالطبع ، فأخرج العجوز معه ، وخلال يوم واحد نظم الدفن ، واحتفظ برباطة الجأش .

كان سيرغى سيرغييفيتش فوغوليف الاكاديمى فى العلوم الطبية قد تصادق مع قسطنطينوف اثناء الصيد . فكانا يطيران سوية الى حاج سميل سانشوكـــوف فى كابردينو-بالكاريا ، والى أختير ، واستراخان .

كان ، خلافا لغميريا ، صيادا متأملا ، يأخذ معه آلة تصوير ونقل الى قسطنطينوف عدوى اصطياد الصور ، رغم ان هذا كان يقدر الرمى «فى الهدف» اكثر من اى شىء آخر . ويرمي والبندقية ما تزال على كتفه ، ولهذا فان الشىء الوحيد الذى كان يحسده فى الحياة ، هو سلاح جيد بيد صياد غيره .

كان فوغاليف لا يكترث للغنائم ، ويتخلى عن انياب الخنزير البرى بسهولة ، ويحب مآدب الصيد ، معتقدا ان ما يزيل حالات الاجهاد فى عصرنا هو ليس مصحة بل صيد الخنازير البرية والدببة فقط . كان يقول :

– كل هذه العلاجات الطبية ، والادوية الجديدة – الابر ، النوم ، الجوع – سخافة ما بعدها من سخافة . ان الصيد هو الشىء الرئيسى . وفى الحالة القصوى سكين الجراح . فانا ، على اية حال ، أؤمن بما ازاوله . ولكن هذا يمكن تحقيقه فى الحالة القصوى ، حين يقتل السرطان المرء . اما الجلطات القلبية ، الذبحات الصدرية ، قرح المعدة ، تصلب الشرايين فتجب معالجتها بممارسة الصيد ، فى الجبال ، حيث تفوح رائحة الكستناء ، والعشب المتعفن ، والينابيع الجبلية .

والى هذا الرجل تلفن قسطنطينوف بعد تفكير قصير . وفى مثل هذا الوضع كان قسطنطينوف لا يأخذ سيارته «الجيغولى» فاستقل سيارة «فولغا» فيها جهاز لاسلكى ، ليكون على اتصال دائم مع جميع الفرق : مع كونوفالوف ، وبانوف ، وبروسكورين ، وغميريا ، وكانوا جميعا مرابطين فى مواقعهم ، ولا يغادرون الى بيوتهم عمليا ، ويتلقون المعلومات ، ويجزئونها الى عدد كبير من المسائل الصغيرة ، معتقدين عن حق بأنها كلما حققوا بكل صغيرة باهتمام ، فان الاستنتاج العام سيصير اكثر وثوقا .

قال قسطنطينوف :

– سيرغى سيرغييفيتش ، سآتى اليك لو سمحت ؟ الآن حالا .

واجاب هذا :

– إما بعد خمس عشرة دقيقة ، واما فى المساء ، يا قسطنطين ايفانوفيتش .

– هل ستبدأ بعملية ؟

– اسوأ من ذلك بكثير ، سأذهب الى «فاك» * .

– ولا يجوز الغاء المشوار ؟

– هل حصل شىء ؟

– حصل .

اصغى فوغوليف الى قسطنطينوف ، ورفع سماعة التلفون ، وادار رقما ، وقال :

– ارينا فادييفنا ، سأتأخر عليك ساعة واحدة . فارجوك دبّري الا يُنظر فى اطروحات الدكتوراه لغافريلين ، ودريالوفا ومارتيروسيان بدونى . حسنو النية سيسقطونهم . ماذا ؟ طيب ، قولى لهم : سأتأخر بسبب عملية مستعجلة . شكرا .

وضع السماعة ، وفرك بباطن كفه اليابس وجهه القوى ، وان كان متغضنا ، ونهض :

– لنذهب . لا اتلفن له . لو اتلفن كأننى استفسر عن الوفاة مرتين . هل ستنتظر فى السيارة ؟

– نعم ، ولكن رجائى الشديد لك مرة اخرى ان لا تدع فيكتور لفوفيتش يفهم ان هذه القضية بالذات هى التى تقلقك . أرجو ان يكون هذا على بالك باستمرار . . .

– لقد عملت معه فى مستشفى عسكرى واحد ، يا قسطنطين ايفانوفيتش . ونمنا تحت معطف عسكرى واحد . . .

– اظن انك لم تفهمنى . ليس لدى ظل من الشك فى نزاهته ، يا سيرغى سيرغييفيتش .

وفى السيارة دخن فوغاليف ، وتعبَّس اكثر :

– عندى فى اوراقى صورة ابنته ، وكان عمرها آنذاك ثلاثة اشهر . . . وقعنا فى الحصار قرب رجيف ، فاعطانى الصورة وكتب العنوان ، وطلب منى ، اذا خرجت من الحصار ، ان اجد اولغا . آنذاك غضبت عليه ، وشتمته بفظاظة . قال انه ، كيهودى ، سيرمونه بالرصاص بالتأكيد ، بينما انت قد تنجو . . . فجأرت قائلا بأنهم سيرموننا نحن الاثنين فى وقت واحد : انا كبلشفى ، وهو

* الحروف الروسية الاولى وتعنى « لجنة تصديق الشهادات العلمية » . المعرب .

كيهودى ، بل والاكثر احتمالا ان اكون انا اول مَنْ يُرمى . ولكنا
كان ضعيف البنية ، يسعل باستمرار ، فأبقيت الصورة معى . ان
رجاوات من هذا القبيل مقدسة ، حين يعهدون لك طفلا عمره ثلاثة
اشهر . . .

— واذا سأل من اين عرفت بمصابه ؟

— سأقول قرأت النعي فى جريدة .

— لم ينشر النعي فى الصحف .

— اوه ، اقول اصحابى ابلغونى بذلك .

— ومَنْ هم بالذات ؟

نظر فوغاليف الى قسطنطينوف :

— انك تخفي شيئا عنى .

— صحيح .

— لماذا ؟

— لان ممرضتك يمكن ان تتحدث عن الريبة ، فذلك ليس
بالامر الرهيب . بينما انا رجل اعمل فى مكافحة التجسس ، ولا تجوز
مكاشفتى بالريب ، بل يجب ان أجابه بالحقائق وحدها .

كان فينتر مستلقيا على الاريكة ، وقد توسَّد روباً مطوياً ،
وتغطى بغطاء صوفى حتى ذقنه .

— اوه ، سيرجونكا — قال بخفوت ، وفى الحال جرت على خديه
دموع سريعة ، دموع عجوز — لطيف انك جئت . . . هل تريد ان
تشرب ؟

— عليَّ ان أذهب الى «فاك» ، يا فيتيا * ، وحتى الصاحي
لا يرتاح هنا ، اما اذا كان شاربا ، وعلى الاخص بمثل خلقي . . .

— انا فى الحقيقة ، أحتسيها ، والا فلا استطيع . ما ان اغمض
عينى حتى أراها . . .

— نعم ، مصاب فاجع ، يا فيتيا ، حتى لا اعرف ماذا اقول
لك . لماذا لا يقع المصاب بنا ؟ لماذا يقع بأولادنا ؟

— صبَّ لى قطرة ، ها ؟

---

* صيغة تحبب من فيكتور . **المعرب** .

سأل فوغاليف ، وصبَّ فى قدح مقياس :

— كحول ؟

— نعم ، هل تذكر كيف علمتنى ان اشرب ؟

— ذلك عندما كنتَ مطروحا فى المستنقع ؟

— نعم .

— فى العام الماضى ذهبت الى هناك للصيد . حماقة . تصورت
انه خواء ، كما كان فى عام ٤٣ ، بينما قاموا هناك معملا للصينى ،
ومدوا طريقا ، وفى القرى على سقوف البيوت ظهرت الموصلات
الهوائية . . .

— متى رأيت اولغا لآخر مرة ؟

— لم أرها قط ، يا فيتيا . بعد الحرب صار الجميع بخير
واطمئنان . والفاجعة وحدها تجمع بين الناس . . . انا لم أرها .

— من اخبرك بذلك ؟

— غنيدوك .

— نعم ، نعم ، نيقولا . . . تلفن لى . . .

شرب فيكتور ، وجذب الغطاء حتى ذقنه ، وانكمش مقشعرا .

— اريد أن ألحق بها ، يا سيريوجا .

— ما زال امامك ان تعمل ، فيتيا .

— لاي شيء ؟ مَنْ بحاجة الى ذلك ؟ انت ما تزال تستطيع ،
وتشرّح وتقطع ، وتنظر الى حقيقة الاشياء ، اما انا الآن فلا استطيع
ان امسك المبضع فى يدى . انا وانت لا نصدق كلمات . . .

— لماذا لم تتلفن لى ، حين جلبوا اولغا الى المستشفى ، يا
فيتيا ؟

— استدعونى من دوبنا ، حين قُضِي الامر ، وانتهى كل شيء .

— ماذا اثبت التشريح ؟

— لم اسمح لهم .

— لماذا ؟

— كانت اوديما رئوية ، حسب كل الاعراض . بأى سبب ؟
لا اتذكر ما هو ، يا سيريوجا . ولكن لم تطاوعنى نفسى ان اسمح
بتشريحها . لانني لم ادفنها وحدها ، بل دفنت معها حملها . ..

— كيف ؟ !

نشج فيكتور ، ومدّ أصابع نحيلة يابسة مسطحة الى قدح القياس .

— كفاك ، يا فيتيا ، انت شاحب تماما .

— آه . دعك ، ارجوك . وصبّ اكثر .

شرب مرة اخرى ، ووضع اصابع متثلجة على يد فوغاليف :

— هل عندك احفاد ؟

— حفيدة .

— حفيدة — كرر فينتر — شيء ممتاز ان تكون لك حفيدة ، انها أرق . . . كم حلمت بحفيدة ، يا سيريوجا ، يا ربى ، كم حلمت بأن اطيل سعادة الحياة بمراقبة طفل فى البيت . . .

— هل انت واثق من انها كانت تريد ان تُبقي على الطفل ؟

— لا اعرف شيئا عن هذا ، سيرغى هو الذى حدثنى عن كل شيء .

— تقصد زوجها ؟

— آه ، يا عزيزى ، لا لزوم للحديث عن ذلك ! زوجها فى الخارج ، اما سيرغى هذا فهو الرجل الذى كان يحبها . نعم ، نعم ، انفصلت عن زوجها ، فقد كانت ابنتى نقية جدا ، وما كان من الممكن ان تجرأ . . . الحياة . . . كانت غير مطلقة بعد ، بينما هو يعمل فى معهد سرى ، اذن ، لتحطمت حياة الرجل ، انت تعرف ، كيف يحبون قَلْب ثياب الآخرين . . . فلماذا تُحطم حياته هو ايضا ؟ ماتت اولغا ، اما هو فكان يحبها ، فلا داعى لتعذيب سيرغى . صبّ ايضا ، ارجوك . . .

— أتحب ان تنتقل الى بيتى ، يا فيتيا ؟ مؤقتا ، ها ؟ ستكون كاتيا مسرورة بك ، سترعى حفيدتى . طيب ، لا تبك ، لا تمزق قلبى . . .

— شكرا لك . انا لا استطيع ان اغادر البيت ، وعن قريب سيأتى سيرغى ويقيم معى ، وسنحسّ ، طيلة الوقت ، بأن ابنتنا الى جانبنا . .

— فيتيا ، اترجاك ، جدا ، ما دام سيرغى هذا لم يأت بعد ، ان تسمح لى بان آخذك عندى . ها ؟

هزّ فيكتور رأسه ، ونظر الى فوغاليف بعينين سوداوين وسيعتين مغرورقتين بالدموع ، واجاب :

— سيريوجا ، عندما أموت ادفنى جنب اولغا ، موافق ؟

عاد قسطنطينوف الى لجنة امن الدولة ، فجمع رؤساء الفرق .

— لنبدأ العمل فى قضية «دوبوف» . وتعالوا نصطلح عليه اسم «الخشاب» * فى حديثنا عنه . يظهر ان من الضرورى القيام باتصال دائم بالتلفون ، وكل شيء الآن تقرره الساعات رغم ان — ونظر لسبب ما بامعان الى براسكورين — رغم ان اي من نوع من العجالة ، ولا سيما ، الآن والتحيز المفرط يمكنان ان يحطما القضية . خلال الايام المعدودة القادمة يجب علينا ان نعيد تركيب كل ما يتصل بالساعات الاخيرة من حياة اولغا فينتر ، ومن المستحسن دقيقة بدقيقة . ليس لنا الحق فى ان نستجوب احدا ، ان هذا لشيء مفهوم ، ونحن لا نملك اية حيثيات ضد دوبوف ، ولهذا يجب ان يكون عملنا دقيقا للغاية . هذه النقطة الاولى ، وبالاضافة الى ذلك من الضرورى التحقق مما يلى : مَنْ شهد المفاوضات ، فيما عدا دوبوف ، حين زارنا وزير الاقتصاد ضمن وفد ناغونيا الحكومى ؟

لاحظ غميريا :

— كان مع الوفد وزير الدفاع ايضا .

— صحيح ، غير ان مسألة الارساليات عالجها وزير الاقتصاد . والنقطة الثالثة : من الضرورى البرهنة للمدعى العام — وهذا ما سيتعيَّن عليَّ ان افعله بنفسى كما يبدو — على لزوم اخراج جثة فينتر من القبر للتحقق من سبب وفاتها . ولكن من الافضل ان تطرح عليه اسباب اكثر معقولية من الاسباب التى بين يدينا .

فبادر بروسكورين ملاحظا :

— وماذا اكثر منها .

— بالنسبة لنا نعم ، ولكننا ذاهبون للحصول منه على موافقة على اجراءات . اذ سيسأل : اى حيثيات لديكم ضد دوبوف ؟ فماذا نجيب ؟

* «دوب» المقطع الاول من كلمة «دوبوف» تعنى بالروسية شجرة البلوط ، ولهذا اشتق له اسم «الخشاب» . المعرب .

– نجيب ليس بدون دلالة ان يجلس لونس الى جانب دوبوف فى بتسوندا .
– هذا ليس جوابا ، فانت لم تثبت للمدعى العام ان لونس من وكالة المخابرات المركزية . اما اذا ضبطناه فى عملية تجسسية فتلك قضية من نوع آخر . لونس الآن ديبلوماسى بالنسبة للجميع ، يعمل فى حقل الثقافة ، فحاولوا ان تثبتوا العكس . انا شخصيا لا أخذ هذا على عاتقى . ان كل ما ورد من المعلومات ، واؤكد على كل ، يجب ان تكون على مكتبى ، ومن المستحسن بنسختين ستذهب الاولى منها الى بيتر غيورغيفيتش ، حالما اتسلمها .
قال الجنرال فيدوروف :
– حسنا . لنتهيأ لنبحث ما فى ايدينا . هل تقوم انت بذلك ، ام تسمح لي به ؟
قال قسطنطينوف مبتسما :
– أسمح لك ، يا بيتر غيورغيفتش .
– متشكر . اقدر الثقة . لنبدأ من زاوية . حسنا ، ان قسطنطينوف جازف فقام بفرضية ، وبنتيجة مجازفته التى كانت فى هذه الحال بعينها ، مجازفة معقولة ، اى لا تهدد المجتمع بشىء ، وخرجنا الى المنطقة المقاربة للمصلحة الخاصة لوكالة المخابرات المركزية . وهذا دليل ، والادق هذا يدل على ان فى ناغونيا ستسفك الدماء بين لحظة واخرى ، وان وكالة المخابرات المركزية بحاجة الى معلومات دائمية عن كوننا نعرف عن عملياتهم المخططة . وقد عرفنا عنها شيئا ، ولكن لا اكثر منه . غير اننا لا نعرف حتى الآن لا عميلهم الذى يشتغل فى موسكو ، ولا رجل الاتصال من السفارة . ولهذا فان البرقيات اللاسلكية التى التقطناها اجبرتنا ، لشعورنا بعجزنا ، على ان نلقى شبكة التحريات على مدى واسع وعريض . فتحرينا زوتوف ، وفينتر ، وبارامونوف ، وشارغين . ومرتين – مع شارغين وبارامونوف – وقفنا على اثر كاذب . سقط بارامونوف من الحساب ، سقط على حد التعبير القائل مائة بالمائة . كيف سماه رجالك ؟ «الشره – المعكرونى» ؟ «الشره» معروف جدا ، ولكن لماذا «المعكرونى» ؟
– لانه لم يكن يعط لزوجته نقودا الا للمعكرونة . فكان يغذى

زوجته المسكينة بكيلوغرامات منها ، حتى سمنت ، وراح هو يجري وراء الفتيات .
– طيب اذن . . . بارامونوف سقط من الحساب ، كما سقط شارغين ، مائة بالمائة ايضا . واخيرا فينتر . ميتة غريبة . تقول اوديما صاعقة ؟
– بالنظر الى ان تشريحا للجثة لم يجر ، وبالنظر لان دوبوف استطاع ان يؤثر بهذا الشكل على العجوز فينتر ، فان هناك شيئا مريبا ، يا بيتر غيورغيفيتش .
– منذ البداية أثرت دعوى جنائية بواقع البرقيات اللاسلكية ، بحيث يوجد اساس قانوني عندنا – كما يبدو لى – لتشريح الجثة بعد الدفن . . . ولكن والد فينتر كان معارضا للتشريح . فهل سيكون مناسبا خلقيا اقدامك على تشريح الجثة بعد الدفن ؟
– قاسيا سيكون ، ولكنه مناسب خلقى ، يا بيتر غيورغيفيتش .
– ما هى الذرائع التى تطرحها ؟
– «عميل وكالة المخابرات المركزية قضى على فينتر خوفا من الافتضاح» .
– اى افتضاح كان يخافه عميل وكالة المخابرات المركزية ؟ ومن هو ؟ الادلة ؟ لماذا كانت فينتر تستطيع ان تفضحه ؟ ام لعلها شريكته فى الجرم ؟ على العموم حصل حادث مؤسف .
– الحادث المؤسف مستبعد .
– توجد حقائق ؟
– الرجل الذى كان يحبها – وكان دوبوف يعلن ذلك للجميع – تعجّل فى دفن «المحبوبة» وسافر للراحة . وفى اليوم الاول يضجع فتاة فى سريره ، ويذهب الى البار ، ويرقص ! هل تفهم ، يا بيتر غيورغيفيتش ، يرقص ؟ !
– تقول يرقص ؟ هو ابن كلبة أليس كذلك ؟ ! ها ؟ ! . . . يرقص . وهل هذا دليل ؟
– واي دليل .
– ليس بدليل ، مع الاسف . ليست لديّ أدلة . كما ليس لديك ، بالمناسبة . ولكن اريد ان أسأل : هل لديك ولدى

سلافين ما يكفى من الحقائـــق لاخراج زوتوف كليا من عداد المشبوهين ؟

– لقد تعودت على التصديق بسلافين .

– وانا ايضا ولكنك لم تعط جوابا لى .

– اذا كان سلافين يصر على نقاء زوتوف ، فليس فى وسعى الا ان اصدق به .

– لست بحاجة الى اثباتات بخصوص نقاء براءة زوتوف . انا بحاجة الى حقائق عن عدم تورطه فى هذه القضية ، يا قسطنطين ايفانوفيتش .

– سأرسل فى الحال برقية الى سلافين . رغم اننى قد هيات برقية مختلفة تماما – السماح له بالعودة .

– تتعيّن اعادة كتابتهـــا – وتناول الجنـــرال فيدوروف سماعة تلفون الحكومة ، وادار رقما – هالو ، مرحبا ، متى تتوقعون فاسيلى لوكيانيتش ؟ آه ، سافر بالطائرة . . . مفهوم ، ومَنْ فى المهمة ؟ اها ، شكرا – وادار رقما ثانيا – مرحبا ، يا نيقولاى غريغوريفتش ، انا فيدوروف من لجنة امن الدولة ، طاب يومك . لا بأس بى ، شكرا ، يا نيقولاى غريغوريفيتش ، عندى سؤال : هل كنت تشترك فى المفاوضات مع ناغونيا ؟ بالضبط . ومَنْ أعد المواد ؟ لا ، لا ، اقصد الارساليات الخاصة . هكذا ، واضح . من اى شعبة ؟ دوبوف ؟ الجنرال قسطنطينوف مساعدي ينوي الذهاب اليك ، هل تجد وقتا له ؟ اها ، هكذا اذن ، نعم ، نعم ، شكرا . الى اللقاء .

وضع بيتر غيورغيفيتش السماعة ، رفع نظارته ، ودسها فى محفظتها . وقال :

– الامر اذن هكذا ، ان دوبوف هو الذى كان يعد مسائل الاقتصاد . اهنئوك – ان براسكورين قاعد عنده الآن ، تعمل بدقة ، يا جنرال ، تعمل بدقة . أعد القرار ، واتصـــل بالمدعى العام . وسنشرح الجثة بعد الدفن .

«من تقرير الاخصائيين الذين اشتركوا فى تشريح جثة او . ف . فينتر ، وأجروا الفحوص :

. نجمت اوديما كلتا الرئتين عن تناول مستحضر ذى رائحة حادة غير معروف لعلم مفعول العقاقير عندنا . واتضح لدى تحليل بقايا المستحضر ان فقدان الوعى يمكن ان يحدث بعد ثلاثين او اربعين ثانية بعد تناول المستحضر ، الا ان الموت يحدث فى وقت متأخر عن ذلك كثيرا . ولما كان المستحضر غير معروف لنا ، فان اجراءات الاطباء الذين قدموا الاسعاف الاولي لاولغا فينتر يجب اعتبارها صحيحة تماما . ونحن ، الموقعين ادناه ، لا نعرف العقار المضاد الذى كان يمكن ان يستخدم لانقاذ حياة فينتر . وفضلا عن ذلك ينبغى ان نجيب بالنفى عن السؤال الذى طرح علينا عما اذا كانت المتوفاة حبلى .

كما لا بد ان نردّ بالنفى عن السؤال حول وجود اية آثار لمرض رئوى مزمن فى جسد المتوفاة . ومن الممكن التأكيد على ان المتوفاة كانت معافاة تماما قبل دخول المستحضر المجهول الى جسمها» .

«الى سلافين .

عجّل قدر الامكان فى الجواب عـــن السؤال حول فرع «كوك واولاده» . اخفِ اهتمامك بدوبوف بعناية .

المركز» .

«الى المركز .

لا وجود لفرع «كوك وأولاده» فى لويسبورغ . اُستؤجرت لدوبوف الشقة الفاخرة ذات الغرفتين رقم ١٠٩٦ اثنتى عشر مرة ابتداء من آذار ١٩٧٦ وحتى تموز . أجرة الشقة ٩٥ دولارا فى اليوم . وراتب دوبوف الشهرى من الفترة الممتدة من آذار وحتى تموز ٥٠٠ دولار .

سلافين» .

هليب

– هل انت لوحدك ، اندريو ؟

تراجع زوتوف الى الدهليز مندهشا . كانت بيلار تقف فى ظلام فسحة الدرج (كان زوتوف يستأجر شقة فى بيت كان اهله يأوون

الى مضاجعهم فى ساعة مبكرة) . كان وجهها فى الهالة الداكنة لشعرها مذعورا شاحبا .

– ادخلى ، بيلار . انا مسرور برؤيتك . كيف استطعت العثور على مسكنى ؟

– عزيزى ، عزيزى اندريو . . .

– ما الذى حصل ؟ مذعورة من شىء . ادخلى .

– شكرا ، هل ممكن ان اذهب الى الشرفة ؟

– اين تشائين . سوى ان الهواء هناك خانق اكثر من هنا .

– اسمعنى ، يا اندريو . انا لم اجىء اليك لاقول اننى احبك ومستعدة للذهاب معك حيث تشاء : سواء الى روسيا ، اذا اردت ان تأخذنى الى هناك ، او هنا ، اذا قررت ان تبقى ، الى مكان آخر ، اذا فكرت فى ان ترحل . انتظر ، اندريو . لقد وعدتنى ان تصغى . انت لم تر هليب منذ يومين ، وانا كذلك . وانه ليس مجرد تاجر ، يا اندريو ، انه ، كما يبدو لي ، مرتبط بـ«سي اي اي» .

– بمن ؟

– «سي اي أي» ، هو الاسم الذى نطلقه ، نحن الاسبان ، على وكالة المخابرات المركزية وغيابه لا يخلو من سبب ، يا عزيزى اندريو . حصل شىء عندهم . لا اعرف اى شىء حصل عندهم ، ولكن لورنس قال انهم ، بعد الذى حدث ، يستطيعون تضليل بعض الروس ، ومن بينهم انت .

– ما هذا الهراء ، يا بيلار ؟ ! لا استطيع ان افهم شيئا .

– يا رجلى الرقيق ، الاشيب ، انت تفهمنى ، ما كنت سأجرؤ قط على ان أجىء اليك بهذا الخبر ، يا اندريو ، ولكن تلك المرأة التى لم تكن تتيـــح لى المجىء اليك والاعتراف لك بهذا ، فى الماضى . . . باختصار ، اولغا لم يعد لها وجود ، ماتت . . .

– ماذا ؟ !

– نعم ، ماتت موتا فجائيا ، وقد دفنوها قبل يومين .

جلس زوتوف على حافة كرسى من الاغصان المضفورة ، وارتفق بكوعيه على سياج الشرفة ، وضغط صدغيه بكفيه .

– ولماذا لم يبلّغنى احد بشىء ؟ ولكن اسمعى ، هذا هذيان ، هذه مزحة حمقاء ، هذا غير ممكن ، بيلار !

– على مهلك ، يا رجلى الحبيب ، هذه حقيقة .

– ما هو رقم الاتصال . . . – ونهض زوتوف – هل تعرفين رقم الاتصال بباريس ؟ يقولون : من الممكن التلفنة عن طريق باريس . كيف عرفتِ خبر اولغا ؟ ماذا حصل لها ؟ كارثة سيارة ؟

– لا اعرف التفاصيل . اعرف شيئا واحدا : لم يعد لها وجود . انا لا اعرف رقم الاتصال بباريس ، واذا اردت فسأطلب مكالمة عن طريق مدريد . هل لديك مشروب ؟ انا ارتجف . . .

– هناك . . . فى البار .

– سأخذه بنفسى . لا تتعب نفسك . هل تريده بالثلج ؟

– ماذا ؟ نعم ، بالثلج . لا ، لا حاجة للثلج ، صبى قدحا كاملا ، بدون اى ثلج .

جلبت بيلار على صينية كأس نبيذ احمر لها ، وقدحا كبيرا من الويسكى لزوتوف . وراحت تنظر اليه بلا انقطاع وهو يحتسى الويسكى ببطء . اشعلت له سيكارة ، كانت اصابعها باردة وناعمة ، مررتها على وجه زوتوف ، كالعمياء ، باختلاج واحتراس . وتابعت تهمس :

– يا رجلى الرقيق ، انا اشعر بالفاجعة التى حلت بك ، أشعر بالشدة . فاسمح لى بان ابقى الى جانبك . انا اعرف ان ذلك محظور عليك ، ولكننى سأعيش هنا ، بحيث لا احد يعرف بى ولا يرانى . ام دعنى أخذ اليّ . . .

– ماذا ؟ انتظرى ، بيلار ، انا الآن ، يا عزيزتى ، لا اعى شيئا . هل انت واثقة من ان فى الامكان الاتصال بموسكو عن طريق مدريد ؟

رفعت بيلار سماعة التلفون – كانت الشقة التى كان يستأجرها زوتوف حافلة بالاجهزة ، وحتى فى الحمام يوجد جهاز تلفون وردى – وادارت رقم الاتصال بمدريد .

– روسيتا ، مرحبا ، يا عزيزتى . نعم ، انا . هل تستطيعين مساعدتى ؟ نعم ، مهم جدا . هذا للشخص الذى أحبه ، كنت قد كتبت لك ، انه زوتوف . نعم ، شكرا . اطلبى موسكو ، على الفور . غير الممكن ان نتلفن من هنا . نعم ، سجلى الرقم . ما هو الرقم ، اندريو ؟

– حالا ، شكرا . ولكن الى اين اتلفن ، اذا هى فارقت الوجود ؟ تلفونى المنزلى . انتظرى . نسيت . ولكن . . . .

— مع مَنْ تريد ان تتكلم ؟
— مع ابيها . . .
املت بيلار الرقم .
— روسيتا ، حالما يعطونك موسكو ، تلفنى لى برقم الاتصال ، الى هنا ، انا الآن عند اندريو ٨٠٣٠ ، ١٥ ، ٤٨ . ضعى سماعة على سماعة . انا . . . نحن فى انتظار تلفونك ، فى انتظار تلفونك كثيرا ، يا روسيتا . ذلك مهم جدا لنا . . .
بعد ساعتين خرجت بيلار من الشقة . وكان هليب ينتظرها فى السيارة . وفى الجانب الآخر كانت تقف سيارة «فورد» شبيهة بوحش ، مملوءة بأناس يرتدون قبعات .
— ها ؟ — سأل هليب — كيف ؟
— انا مشفقة عليه ، لو تعرف .
— وانا كذلك . ومع ذلك فقد فتكت به ؟
— انا مشفقة عليه — كررت بيلار — اعطنى سيكارة ، ارجوك . فقد نفدت سكائرى .
— اشفقى على «الذكي» يا غفابينيا . انه زميلك ، على كل حال . اننا نقوم بقضية قاسية ، ويجب ان نحسن السيطرة على القلب .
— انا لم افتك به ، يا جون . فسيكون ذلك منافيا للطبيعة ، تأكد ، وانا امرأة ، واشعر بذلك احسن . لقد اخطأت التقدير .
— انا لا اخطأ ، حين يتعلق الامر بتقدير الرجال . ماذا كان رايه فى احتمال ان تنشأ فضيحة ؟
— انه لم يبادر حتى بالسؤال عن ذلك . وكأنه لم يسمع ، ام لعله لم يفهم .
— طيب ، وانت ماذا ترين ، هل سيأتى اليك غدا ؟
هزّت بيلار رأسها نفيا .
— لن يأتى ، يا جون . غدا سيطير الى روسيا .
— طائرتهم غادرت اليوم ، سيظل حتى الجمعة .
— سيطير على اية طائرة .
— محظور عليهم . انهم يطيرون بطائراتهم . غدا لن يطير الى اى مكان . . .

— نذهب ؟
— انتظرى . انا تَعِب .
— مم ؟
— من الانتظار . تعبت جدا ، وانا انتظرك ، يا بنت . انا اتعب من تعملين انت . الانتظار عمل شاق جدا .

بعد ثلاث ساعات حصل هليب على تسجيل حديث زوتوف مع روسيتا . وصلته بالعجوز فينتر . كان السماع بحالة مقززة ، ومع ذلك فقد سمع زوتوف : «اولغا لم تعد فى الوجود» .

بعد ثلاث ساعات واربعين دقيقة وصل هليب الى «هيلتون» ، وصعد الى البار ، فقد كان يعرف ان بول ديك فى هذه الساعة هناك ، يحتسى بيرته ، ويكتب بقلم التلوين على المحارم الورقية . اندهش هليب ، حين فهم انه لا يكتب مراسلة ، بل شعرا .
— التحية ، يا بول ، تشرب وحيدا ، ولا تعرف فضيحة فى ملجئنا ؟
— عندنا ملاجئ كثيرة جدا . فى ايها ، بالضبط ؟
— فى مصلحة لورنس .
— جاسوسنا الرئيسى ؟
— بالضبط . كسروا خزنته . ولو فعل هذا غرباء ، لما عرف احد شيئا ، بل الفَعَلَة سُطاة محليون . ويجب توقع المطالبة بفدية ، ويتعيَّن على لورنس المسكين ان يدفعها . فالظاهر ان المواد المسروقة تستحق ذلك . فقد كان لورنس هذا يموّه على محفوظاته بشكل جيد ، حتى ان الفَعَلَة كانوا موقنين يقينا قويا بأنه يحفظ فى خزنته دولارات . وهذا ، بالمناسبة ، تصرف غريب ، ان يستأجر شقة فى الفندق لمكتب من هذا النوع .
— ولماذا لم يسمع شيء عن هذا ؟
— لان اصحاب «هيلتون» اشخاص اذكياء . وهل من المعقول ان يخوّفوا الزبائن ؟
— ما هو رقم شقته ؟
— اياك ان تسند ذلك اليّ . رقم ٦٠٨ .

– هل هو فى شقته ؟
– ومن اين اعرف ؟ اذا وجدته هناك خبرنى كيف تقبل زيارتك .
ضحك بول ديك ضحكة تهكم غريبة ، ونزل من مقعد البار العالى ، والتفت الى الساقى :
– آمل ان أعود . اذا قرر هذا السيد أن يشرب مشروبا كحوليا ، فاصنع له كوكتيل «هاى بول» على حسابى .
نظر هليب فى اثره مفكرا وعلى شفتيه ابتسامة طيبة ، وسال الساقى :
– صبّ لى قدح عصير برتقال على حسابى .

بعد ثلاث ساعات واثنتين وخمسين دقيقة ، سأل روبرت لورنس ، وقد القى نظرة متجهمة على بول ديك :
– ممن جاءتك معلومات من هذا النوع ؟
– انا لا اكشف عن مصادر معلوماتى ، يا مستر لورنس واريد فقط ان اتلقى جوابا : هل صحيح ان مواد سرية متعلقة بمصالح دولية لبلادنا قد اختفت ؟
– ليس لى تعليق على هذا السؤال .
– اسمح لى ان اصيغ السؤال بطريقة اخرى : هل صحيح ان جماعة من الاشخاص المجهولين حاولت نشل وثائق الشركة التى تعمل فيها ؟
– نعم ، صار .
– اذن ، أود ان اعرف هل صحيح انك تعمل فى وكالة المخابرات المركزية ؟
– ليست لى اية علاقة بهذه المنظمة . انا ممثل «انترنشنال تلفونيك» .
– اى نوع من الاهمية يمكن ان تشكل وثائق شركتك ، وبالنسبة لمن ؟
– اسماء المتعاقدين ، حجم الارساليات ، الاسعار ، كل هذه تشكل اهمية لمنافسى شركتنا .
– هل تؤكد ان السطو قد قام به منافسوكم ؟

– بالضبط . الذين يريدون اعاقة تطوير علاقات طيبة بين بلادنا ولويسبورغ .
– اذا كانت شركتكم تعمل بنزاهة ، فكيف يمكن ان تعاق علاقاتها مع لويسبورغ ، يا مستر لورنس ؟
– من الممكن تشويه اى عمل نزيه ، وتلطيخ اى انسان بالوحل . هذا كل ما أستطيع ان اقوله ، وشكرا لك .
– سؤال أخير ، يا مستر لورنس .
– سأجيب عن سؤالك الاخير .
– هل انت روبرت لورنس الذى كان يعمل فى «انترنشنال تلفونيك» والذى ادلى بشهادات فى الكونغرس عن المؤامرة فى تشيلى ؟
– ادليت بشهادات بما معناه انه لم تكن لنا اية علاقة فى المأساة التى حصلت فى سانتياغو . ولكن لا اود ، سير ، ان يصل سؤالك وجوابى الى صفحات الجرائد .
– انت تتوجه لى برجاء ، وانا مستعد لتلبية رجائك ، ولكن – فى هذه الحال – لبِّ لى رجائى ايضا : ماذا سرق يا مستر لورنس ؟
– انت رجل محنك . فهل من المعقول انك لا تفهم اننى لا استطيع ان اجيبك ؟ هل من المعقول انك لا تفهم ان جوابى يمكن الاساءة الى اناس – وصدّق بكلامى – طيبين مخلصين ، ورفقة موثوق بهم فى قضيتنا الشريفة .

بعد خمس ساعات واثنتى عشرة دقيقة تلفن ستاو مدير الشرطة الى هليب الذى كان يجلس قبالة لورنس عند التلفون ، وقال :
– كل شىء على ما يرام .
وضع هليب السماعة باحتراس ، وتنهد عميقا وبانفراج ، وراح يضحك :
– والآن ، يا ريّس ، سأشرب بسرور كأسا من نبيذ الهيرس الجيد .
وكان يحق له ان يشرب كأسا من هذا النبيذ الاسبانى المر قليلا ، لانه الشرطة التى استدعاها الجيران (رنين نافذة محطمة) وجدت زوتوف مربوطا فاقد الوعى ، وقد قلب كل شىء فى شقته

راسا على عقب . واكتشف وكلاء الشرطة الجنائية – بدهشة كبيرة – جهاز ارسال نقال فى حجرة المؤونة المظلمة ، وشفرة فى الجارور الاسفل من المكتب : كانت الارقام هى بالضبط نفس الارقام التى كانت مصلحة مكافحة التجسس السوفييتية تلتقطهـا خلال العام الاخير . عندما استرد زوتوف وعيه ، وهو فى المستشفى ، رفض الاجابة عن سؤال المحقق عن جهاز الارسال . ولمّا القى القنصل السوفييتى الذى استدعته الشرطة نفس السؤال عليه ، قال زوتوف ان كل ما حدث استفزاز ، وطلب ان يرسل الى موسكو .

– هذا ستقرره المحكمة ، يا سيد زوتوف – اجابه محقق الشرطة – أ'كتشفت فى شقتك اشياء محظور ادخالها الى بلادنا . يبدو ان سيادة القنصل يدرك اننى لا استطيع خرق قانون بلادى . وقبل ان نتأكد باية طريقة ادخلت جهاز الارسال الى لويسبورغ ، وماذا ارسلت ، ولمن وعمّ ، لا يحق لنا السماح لك بالسفر . وفضلا عن ذلك ستكون ردهتك منذ الآن تحت حراستنا .

طلعت الصحف المسائية بعناوين «جاسوس روسى فى لويسبورغ» .

صحيفة واحدة فقط ، مقربة الى السفارة الامريكية نشرت تعليقا غريبا : «ليس جهاز الارسال دليلا جرميا فى الاقطار التى تعتبر نفسها حرة . كما ان عمود الارقام يجوز الا يكون شفرة ، ولهذا فاننا نتصور اعتقال المهندس الروسى خطأ مؤسفا ، ان لم يكن جرما ، لان احدى الشركات الامريكية ، كما اتضح لنا ، تعرضت لمثل هذا النوع من السطو ، فضلا عن ان المجهولين ، كما تبيَّن ، لم يبحثوا عن نقود . فما هى اليد التى توجههم ؟» .

قرأ سلافين هذا التعليق فتلفن الى هليب :

– جون ، تحياتى ، كيف حالك ؟

– مرحبا ، يا فيت العزيز ، انا مسرور لسماعك . كيف انت ؟

– ممتاز . اين غاب بول ؟

– اظن انه معتكف فى غرفته يكتب ، كان يقول لى ان فى حوزته معلومات مثيرة . الا ترغب فى ان نتناول الغداء سوية ؟

– بكل سرور . فقط سأحاول فى البداية الانسلال الى زوتوف فى المستشفى .

– ولماذا فى المستشفى ؟ ماذا به ؟

– الم تقرأ الجرائد ؟ – سأل سلافين ، وتصور بوضوح وجه هليب المتهلل – انت متأخر عن الحياة . انه جاسوس لجهة ما .

– دعك ، انه ألطف انسان .

– الجاسوس ملزم ان يكون ألطف انسان ، فقط اذا كان محترفا ، وليس هاوياً . سأنتظر تلفونا منك فى السابعة . اوكى ؟

– ساتلفن لك ، يا فيت . بلغ زوتوف تحياتى . علق بذاكرتى اخيرا ، الاسماء الروسية ، حاجز لغوى . إساله ، ربما يحتاج الى مساعدة بشىء ؟

– شكرا ، بالتأكيد ، يا جون . انت طيب جدا .

وتيرة

«الصديق العزيز . يسرنا ان ننقل اليك تحية «ب» الفاتنة . وبرجاء منها نعلن لك بأن امورك تسير سيرا حسنا ، والاسهم التى اشترتها من مكافاتك وظفت فى عمل مأمون ، ومن الممكن انتظار ١٢ الى ١٣ بالمائة على كل وحدة توظيف . ونعلن ان مكافأتك هى ٣٢٧٧٢ دولارا و١٢ سنتا . ولكن لما كنت قد طلبت ان ترسل لك ادوية ، ومصوغات من الذهب والفضة استقطعنا من المكافأة ٦٤١ دولارا و٣ سنتات ، وبالتالى ، فان المبلغ النهائى للدفـع هو ٣٢١٣١ دولارا و٩ سنتات . وينبغى القول ان معلوماتك تشكل اهمية استثنائية . وانت ، حسب تقدير رئيسنا ، تسهم اسهاما هائلا فى قضية تحرير ناغونيا من الاستبداد الشيوعى . ورجاؤنا لك ان تستمر فى اعلامنا باستمرار . واكثر ما يهمنا فى هذه المرحلة نفس السؤال : هل تعرف موسكو شيئا عن معونتنا لكتل المعارضة ، واذا كانت تعرف فما هو بالذات ؟ هل ينبغى توقع توسيع المعونة لنظام غريسو ؟ ونحن ، كالسابق ، نقيم تقييما عاليا معلوماتك المرسلة اولاً باول عن مواعيد ونقاط انطلاق قوافل البواخر . فى الايام القريبة سنرسل لك توصيات جديدة ، وكل ما طلبته فى

المراسلة السابقة . ونريد ان نسرك بأن كل مخاوفك يمكن شطبها
الآن . الشخص المعروف لك ادخلناه فى لعبة «عملية التغطية» ،
وستوجه نحوه كل الشبهات المحتملة خلال الاشهر القليلة القادمة على
اقل تقدير . وبعدها من المحتمل اننا سنوقف الاتصال اللاسلكى
لبعض الوقت ، ونناقش اشكالا جديدة لعملنا فى المستقبل . نحييك
من كل قلبينا . صديقاك «ل» و«د» .

«الى وكالة المخابرات المركزية .

سنكون ممتنين جدا اذا كان فى مستطاعكم ابلاغنا بمعلوماتكم
الاخيرة عن الوضع فى ناغونيا . ترى سفارتنا ان جماعة اوهانو تعلن
عن تعاطفها مع بكين بطريقة خالية من المهارة الى حد كبير . و«العمل»
حسب رأى مراقبينا قد تم باستعجال ، لان افريقيا موقنة بأن قوات
اوهانو تقوم بالاستعداد تحت اشراف خبراء وكالـــة المخابرات
المركزية ، وان راديكالية اوهانو هى بموافقة واشنطون . هل
اتصالات اوهانو تجرى تحت قدر كاف من الاشراف ؟ نحن فى انتظار
الاجابة «نعم» او «لا» ، لان العمليات التى ننوى ان نقوم بها والموجهة
الى القارة الافريقية يجب ان تكون مسوغة على الساحة العالمية بطريقة
مطابقة .

شعبة الابحاث
فى وزارة الخارجية» .

«لويسبورغ ، الى المعتمد المقيم لوكالة المخابرات المركزية
روبرت لورنس .

صحح تصريحات اوهانو التى سيدلي بها على الملأ . انه يكرر
بوضوح شديد مقولات بكين ، مع ان اتصالاته معنا ، حسب رأى
وزارة الخارجية ، تبدو واضحة للغاية ، ولهذا يمكن للافارقة ان
يشكوا فى نزاهته . وهذا الرأى يتفق مع معلومات العميل «ذكى»
من موسكو . اطلب من اوهانو ان ينفصل بحدة متعاظمـــة عن
«الامبريالية» ، وينتقد «روح المسالمة» لدى وزارة الخارجية فى
«كبحها الحذر جدا» للعناصر الموالية للكريملين .

مايكل فيلش
مساعد مدير وكالة المخابرات المركزية» .

من خطاب سفير الولايات المتحدة الامريكية للمهمات الخاصة :

– حين تلام بلادى على تأييدها للانفصاليين ، واصفين بذلك
انصار مستر اوهانو لا يسعنى الا ان اندهش من عدم نزاهة مثل
هذا الصنف من المتهمين . ان خطب مستر اوهانو مشبعة بروح
الراديكالية ، وانتقاده الموجه لبلادى لا يدعان مجالا للشك لدى
المراقبين المنصفين فى ان هذا الرجل بعيد عن تلك المثل التى نحن
اولياء لها . ان حكومتى لا يمكن ان تتحمل اية مسؤولية عن تصرف
مستر اوهانو . ان ربطه بهذه الطريقة او تلك باهداف ومناهج
سياستنا الخارجية يعنى الافتراء على بلادى وعلى حكومتها . . .

«بكين ، وزارة الخارجية .

ابلغنى اوهانو عن الاجتماعات المثمرة التى اجراها مع لورنس
المعروف لكم . وخلال هذا الاجتماع وُعِد اوهانو بدفعة جديدة من
الطائرات السمتية ومدافع الهاون وثلاثين دبابة خفيفة ستقرر ، فى
الظاهر ، مآل الاحداث التى ستقع فى المستقبل القريب .

دو لى
سفير جمهورية الصين الشعبية فى ناغونيا» .

بول ديك

«مراسلكم بول ديك يجرى هذا الريبورتاج من الادغال التى تطل
على ساحل المحيط . هنا يوجد مقر اركان جيش الجنرال اوهانو ،
زعيم القوميين فى ناغونيا .

– مستر اوهانو ، على مَنْ تعتمد فى كفاحك ؟

– شعب ناغونيا يؤيد افكارى ، من الصغير الى الكبير . شعب
ناغونيا يكره جورج غريسو ، هذا المثقف الحقير البعيد عن المطامح
التى تصبو اليها الامة .

– ما هى مطامح الامة ؟

– الحرية والاستقلال .

– يا جنرال ، انهم يسمونك صنيعة بكين ، فكيف يمكن ان
تعلق على مثل هذا النوع من الاعتقاد ؟

– انهم يدعوننى ايضا عميل وكالة المخابرات المركزيـــة .

والكو'يتبون المأجورون الذين اشترتهم موسكو وهافانا يحاولون ان يلقوا عليّ ظلا . انا اكره الامبريالية الامريكية ، لانها معقل الرجعية العالمية . وافكار ماو مهمة جدا ، كما اتصورها ، ولكن هذا لا يعنى اننى مرتبط ببكين ولو بشكل من الاشكال . ان كفاحي يموّله الشعب ، والتبرعات تأتى من القبائل . ونحن مسلحون بتأييد الامة اكثر مما بالمدافع الرشاشة .

— أعلن غريسو مرتين عن استعداده للجلوس على طاولة المفاوضات ، وحسم القضايا المتنازع عليها سلميا . فما موقفك من تصريحه هذا ؟

— انا لا اصدق بكلمة واحدة من كلماته . انه لا يستجيب الا لشيء واحد ، للقوة . انا سأتحدث بلغة القوة — فتلك هى رغبة الامة ، وانا لا اخضع الا لارادة ابناء قبيلتى ، وكل شيء آخر بالنسبة لى قصاصة ورق .

هذا ما يقوله الجنرال ماريو اوهانو لى ، مراسلكم ، بول ديك .
قيظ لاهب ، نسيم خفيف فى المحيط ، ادغال القصب . وجيش اوهانو يعيش ليلا ، وفى النهار تخمد الحياة . هنا يخشى الناس هجوم قوات ناغونيا غير الناجم عن استفزاز . ماريو اوهانو طويل القامة ، قوى البنية ، يرتدى سترة كاكية ، والى جنبه مسدس ، يتحرك بحيوية ، وهذا الجنرال ينام فى خيمة ، ويقتات بغذاء الشعب — جوز الهند والجبنة .

— جنرال ، كيف تقيّم موقف واشنطون ؟

— بشكل عام ، ام مطبقا على مشكلة ناغونيا ؟

— هذا وذاك .

— لا انوى ان اخفي موقفى السلبى من الادارة فى واشنطون . ولا استطيع غير ذلك . ان الرأسماليين يحكمونكم ، اخطبوطات البزنس الكبير . ومع ذلك فانا فى كفاحى ضد غريسو او — اذا تكلمنا بشكل اوسع — ضد موسكو ، مستعد الى التفاوض حتى مع واشنطون . اما ما يتعلق بموقف واشنطون من العلاقة بغريسو ، فأريد ان اقول ان سياسة منتصف الطريق لم تحقق قط نتائج ايجابية . الادارة لحد الآن تحتفظ بعلاقات دبلوماسية مع غريسو ، وادارتكم ، حتى الآن ، لم تعترف بحركتى بوصفها الحركة الوحيدة

التى تمثل امتى . ادارتكم ، حتى الآن ، لم ترد على طلبى لبيع السلاح . والكونغرس ، كما يبدو لى ، يفكر فى رد الفعل المحتمل من جانب الكريملين اكثر مما فى مصالح السلام والديموقراطية فى القارة الافريقية .

— هل صحيح ان جيشك يدرب من قبل خبراء من بكين ؟

— كذب ابله ليس فيه اية ذرة من الحقيقة .

— هل صحيح ان لك اتصالات مع رجال من وكالة المخابرات المركزية ؟

— لو لم تكن صحفيا لضربتك . فنحن لا نغتفر اساءة ! كيف يمكن ان اتصل بوكالة المخابرات المركزية ، اذا كنت اخدم شيئا واحدا : الوطنية القومية ؟ !

— اشرح لقرائي ومستمعيّ ما يعنى عندك مفهوم الوطنية القومية ؟ !

— هذا ، عندى ، ليس مفهوما ، هذا عندي الحياة نفسها . القومية ارفع معنى للوطنية . انا اطمح بان يكون لناغونيا طائراتها ، على طائراتنا ، يبدو لى ، اننى لن أتحطم ابدا . معنى الوطنية ، فى تفردها الذى يستند على قاعدة الشعور القومى . وانا قد سقت مثلا غليظا عن قصد ، ولكن انتم ، الامريكيين ، امة عملية ويجب التكلم معكم بصراحة : نعم ، انا لا اشعر بالثقة حين اطير على طائرة لشركة طيران فرنسية او بريطانية ، والانسان حين يطير على طائرة بلاده ، عند ذلك فقط ، يكتسب الثقة والطمأنينة . ألا تتفق معى ؟

— انا عادة اطير على طائرات «ساس» * ، جنرال . ربما لاننى امريكى سيىء ، ولكننى لا احب الطيران على طائرات «بان امريكان» ، فهم احيانا يجبرونك على ان تصلى قبيل الاقلاع .

— طيب ، قد يتخلى عن القومية مواطن من بلد عالى التطور ، وينكت عليها ، بينما القومية ، بالنسبة لنا ، سلاح ، ونحن نعتبر التراجع عنها خيانة ، ونعاقب عليه بقوانين زمن الحرب .

— ظهرت فى الصحف اخبار تقول انك عازم على الخروج على غريسو فى اقرب وقت . فهل هذا صحيح ؟

* شركة الخطوط الجوية الاسكندنافية . **المعرب** .

— نحن لا ننوى مهاجمة غريسو . فهذا كذب . بل سندخل الى ناغونيا فى اليوم والساعة التى تدعونا فيها الامة» .

التحرى رقم ٨

«الى المركز .
يرى بائع فرع روما لـ«كوك اند ستاين» ان القرطين اللذين عرضت عليها صورتهما كانا قد بيعا فى صيف العام الماضى الى اجنبى يتكلم الاسبانية جيدا ، رغم ان لغته القومية الانجليزية ، على ما يظهر .

ريبين» .

«الى سلافين : دقق بعجالة على اى خط عاد دوبوف الى الاتحاد السوفييتى ؟ اين كان يقيم فى لويسبورغ ؟

المركز» .

«الى المركز .
عاد دوبوف الى الاتحاد السوفييتى من ايفاده الى الخارج عن طريق رومـا فى تموز ١٩٧٧ ، وخلال ايفاده كان يقطن دارا للاخصائيين السوفييت . قضى فى روما ثلاثة ايام بعد ان حصل على تأشيرة ترانزيت فى المطار لمدة ٧٢ ساعة . ومن خلال الاحاديث مع هليب يتولد انطباع فحواه ان هليب قلق جدا من الهجوم على زوتوف واعتقاله . الا ان قلقه يبدو مفرطا ومتظاهرا .

سلافين» .

قارن قسطنطينوف بين كل هذه المعطيات ، واوكل الى النقيب نيكوديموف ان يجري «لقاء» مع دوبوف . اعجبه هذا النقيب فى الثلاثين من العمر . فكان يتميز بصفات من نوع خاص مهمة للغاية بالنسبة لرجل يعمل فى مكافحة التجسس . لم يكن يخاف ان يفند نفسه بنفسه ، ويحطم استنتاجاته ، التى كانت تبدو من قبل لا تقبل الجدال ، ويقرعه بعضهم على هذا ويسميه «عجول» . امـا قسطنطينوف ، فبالعكس ، كان يشجعه باستمرار ، فالرجل المفكر

ملزم على ان يتشكك بنفسه ، وليس هناك اضجر من ان يثق الانسان دائما بصحة افكاره .
كان ايغور كوتسنكو صاحبه الطيب ، صاحب النقيب نيكوديموف هذا ، يعمل فى قسم واحد مع دوبوف . وقد عرف النقيب من ايغور كوتسنكو ان دوبوف قد وصل ليلا ، وفى الصباح ، كما يفعل فى ايام السبوت عادة ، يذهب الى حمامات ساندونى . قال قسطنطينوف .
— لنا الحق ، على اساس الدعوى الجنائية التى اثرناها الى البدء فى تدابير تحقيقية . لقد حان الوقت .

— تعارف ، يا سيريوجا ، هذا صاحبى ، جلسنا على مقعد دراسى واحد .
— نيكوديموف .
— دوبوف .
سأل نيكوديموف :
— تفضل بخار هذا الحمام على الحمام الفنلندى ؟ تراعـى نصائح الاطباء ؟
— لا اسمع كثيرا نصائحهم . انا من انصار القدر المحتوم — فما كتب لك منذ الولادة لا محيص لك عنه .
ضحك كوتسينكو .
— هذه روح استسلامية ، يا سيرج .
— سمِّ هذا كما تشاء . قد تسمع الاطباء ، فاذا بالموت يأتيك على يد سائق سكران . الا يحصل هذا ؟ — والتفت دوبوف الى نيكوديموف — ارجو المعذرة ، ما اسمك ؟
— انتون .
— واسم ابيك ؟
— بيتروفيتش .
لاحظ دوبوف :
— ولماذا ليس بافلوفيتش . على اية حال اسمك المختصر ا . ب . شىء تافه ، ولكنه لطيف * . اين تعمل ؟

* يقصد الكاتب الروسى الشهير انطون بافلوفيتش تشيخوف . كانت الحروف الاولى لاسمه واسم ابيه ا . ب . **المعرب** .

– فى لجنة امن الدولة . وانت ؟
– انا احترم شركتك . عندى فيها اصدقاء . هل تعرف الرائد غروموف ؟
– من اى قسم هو ؟
– انا لا افشى اسرار الاخرين . شش ، عدو يتسمع ، هذا ما يقال . اليس كذلك ؟
ابتسم نيكوديموف :
– المكان الهادئ الوحيد هو الحمام العمومى ، يمكن ان تفرغ ما فى صدرك. من يمتنع عن قدح بيرة تشيكية ، يرفع يده .
قال دوبوف :
– من المؤسف ان عليّ ان ارفع يدي . فاننى سأضطر الى ان ارفض . اليوم يوم الجوع عندى ، مرة فى الاسبوع ، مثل اتباع اليوغا .
سأل نيكوديموف :
– هل تشعر بالخفة بالفعل ؟
– بالفعل . اليوغا اكتشاف قرننا ، يا انتون بتروفيتش . ألم تسافر الى الخارج بعد ؟
– لا .
– اذا أرسلوك الى هناك اشتر كتبا عن رياضة اليوغا ، انصحك بصراحة . هل تريد ان اعرض اليوغا عمليا ؟
– اريد جدا .
اشعل دوبوف سيكارة ، ووضعها على جلدة مرفقه ، ونظر الى نيكوديموف وكوتسنكو بعينين سريعتين ضاحكتين ، كما بدا للنقيب .
– هل تريان ؟ انا لا اتأثر بالالم . اليوغا تتيح ازاحة اية مشاعر بدون اى اضرار بالنفسية . كنت تسأل اين اشتغل . نحن وايغور نشتغل سوية . هل معقول انه لم يقل لك ؟
– ولكنه لم يسأل ، يا سيريوجا .
– نسل جديد – وضحك دوبوف باقتضاب ساخر ملقيا المنشفة – الائتمان والاقتناع . نذهب الى حجرة البخار ؟
ترك كوتسنكو ونيكوديموف يمران قبله ، وكاد يصل معهما الى باب الحمامات ، وبعدها استدار عائدا فجأة :

– اذهبا ، وسألحق بكما .
اراد كوتسنكو ان ينتظر ، الا ان نيكوديموف دفعه :
– لنذهب ، سيلحق بنا ، قد يكون للرجل شأن من الشؤون .
لاحظ رجال امن الدولة الذين كانوا يراقبون دوبوف من المساطب الاخرى كيف عاد الى مكانه ، وصب لنفسه بيرة الى القدح الذى شرب منه نيكوديموف لتوه ، وشرب جرعة سريعة ، وركض الى حجرة البخار .
اغتسل دوبوف بالبخار بدقة ، مثلما كان يعمل ، وحك جلده بمحفظة الصابونة ، فصار احمر مزرقا ، وراح يملأ خديه بالهواء يطلقه مرددا :
– سعادة هذه ، ها ؟ نعم ، هى السعادة !
(كان نيكوديموف يبتسم له ، بينما كان يبصر جسم اولغا فينتر المنتفخ ، حين اخرجوها ليلا من التابوت فى مقبرة ترويكوروف وحملوها الى مستشفى قروى للتشريح : لاعتبارات السرية لم ينقلوها الى اية عيادة من عيادات موسكو . فان كلمة واحدة تقال للعجوز فيكتور ستجعل كل شيء معلوما لدوبوف . ماذا وهو ، حقا ، عميل وكالة المخابرات المركزية ؟
انذاك سأل بروسكورين قسطنطينوف فى الحجرة الصغيرة التى كانت جدرانها مغطاة بالزنك فى مركز حفظ الجثث فى المستشفى :
– وانت ما تزال تشك فى ان يكون دوبوف نفس ذلك «الصديق العزيز» ؟
– اذا امسكناه متلبسا ، عندئذ سأكف) .
. . . بعد دخوله الاول لحجرة البخار لفّ دوبوف نفسه فى منشفتين وذهب لتقليم الاظافر .
فى هذه اللحظة بالذات اعطى نيكوديموف جميع البدلات لتكوى . وهناك اخذوا مفتاح غرفة دوبوف ، وصوّروا دفتره الجيبى للملاحظات .
غير ان دوبوف ، لم يحسب الوقت ، وتأخر على دوره فعاد الى مكانه . كان نيكوديموف ، كالسابق ، يستضيف كوتسنكو بالبيرة ، فقد كانت محفظته تبدو بلا قعر .

– واين بدلتى ؟ – سأل دوبوف دون ان ينظـــر حتى الى العلاّقة – بدا انه كان يلاحظ كل ما كان يجري حوله .
– اعطيتها للكوي ، هى وبدلة ايغور وبدلتى .
– ما كان عليك ان تفعل ذلك ، يا انتون بتروفيتش . فأنا فى الحمام لا اكوي . استطيع ان اقوم ذلك بنفسى . ولكن لا بأس . . . بخار جيد ، ها ؟
– بخار جيد – وافقه نيكوديموف – فى المرة القادمة يجب جلب ملح .
قال كوتسنكو مندهشا :
– ولماذا ؟
– آه ، يا عشاق حمام البخار – وابتسم نيكوديموف – فى القديم كانوا يطلون الجسم بالعسل والآن بالملح ، فهو ينشط افراز العرق ، فتتخلص من كيلوغرامات . طريقة جربتها على نفسى . اعجوبة هذه الطريقة .
– لنتسلح بها – قال دوبوف ، واغمض عينيه بهناءة ، واستلقى على ظهر الاريكة .

حين جلب عامل الحمام البدل من المكوى ، مسَّ دوبوف جيب سترته بصورة عرضيـــة ليتأكد من وجود المفاتيح . كانت فى مكانها ، الا ان بديلات منها كانت قد صنعت .

اخرج المقدم سيدورينكو ، جار دوبوف ، نظارته ذات الاطار المعدنى القديم من محفظتها ، وثبتها على انفه اللحيم ، ونظر الى قسطنطينوف بثبات ، وسأل :
– ألا نقع فى مرض التشكك ، ايها الرفيق الجنرال ؟
– لا ، يا رفيق سيدورينكو ، لا نقع .
– هل انت واثق ؟
– لا استطيع ان اكشف لك جميع الحقائق . استطيع فقط ان اشاطرك الشكوك .
– تفضل .
– تصور شخصا يعرض عليه التقديم لنيل دكتوراه ، فيرفض .

– اذا تقصد سيرغى دميتروفيتش ، فانه يكتب اطروحـــة للدكتوراه ، دون ان ينقطع عن العمل فى اختصاصه .
– اود ان اقتنع بذلك . اما انت ؟ فتصور اكثر من ذلك ان شخصا يعرض عليه عمل فى مؤسسة تدفع راتبا اكثر بمائة روبل وفى وظيفة ارفع بكثير . . .
– اذا تقصد دوبوف ، فانه مبرأ من الطمع ، ويعيش بتواضع شديد .
– ولكن حين يرفض الشخص الاقتراحين اللذين عرضا عليه يسعى بكل جهده فى النفاذ الى القسم السرى الذى يشد اليه انتباه الجواسيس ، كيف يكون موقفك منه ؟
– هذا انتكاس التشكك ، ايها الرفيق الجنرال – قال سيدورينكو بقناعة – بهذا الشكل يمكن لكل انسان ان يتعرض لتهمة التجسس .
– طيب . بل وانا مسرور لانك تدافع عنه بهذه الحماسة . ولكننى اذكر اننا دعوناك لنطلب منك عونا ، وهذا العون يتمثل فى شىء واحد : ان تسافر الى مصح ، وان تبقى لنا مفتاح غرفتك . ليس لنا الحق فى ان نأمرك ، هذا امر مفهوم ، ولا نستطيع الا ان نرجوك ، وطبيعى ان لك الحق فى رفض هذا الرجاء . شىء واحد لا يحق لك ان تفعله – لا يحق لك ان تخبر جارك بهذا الحديث .
– هذا ما اعدك به ، ولكن لا انوى ان اعطيكم المفتاح .
– ما رأيك فى اولغا فينتر ؟
– كانت انسانا رائعا ، رائعا .
– ودوبوف كان يحبها ؟
– كان يعاملها معاملة حسنة .
– هل كانت له نساء اخريات ؟
– نحن نعيش فى زمن صار الناس ينظرون الى هذه المسألة نظرة مختلفة . ثم اننى ضد اتهام شخص بسبب مثل هذه العلاقة ، علاقة عارضة .
– وانا ايضا ضد ذلك ، صدقنى . مجرد اننى – من الناحية الانسانية الصرف – يهمنى رأيك : هل كان يحبها ام لا ؟
– اظن نعم . انه انسان قوى ، صاحب ارادة ، وقد وضع امامه مهمة : الوصول الى مركز رفيع فى العمل ، ولهذا ، على ما

يبدو ، كان فى بعض الاحيان خشنا معها . ولكن ذلك ليس لانها كانت ترهقه ، على ما اظن . ثم انها كانت جد . . . كيف اعبر بشكل اصدق . . . جد ديمقراطية . . . كانت تحسن فهم الرجل الشاب الذكى .

— وهى هل كانت تحبه ؟

— جدا . ولهذا تقبلته بكل ما فيه .

— بكل ما فيه ؟

— دون شك .

— هل كان دوبوف يقول لك ان اولغا فينتر ماتت بالتهاب الرئتين ؟

— هذا ما رأيته بنفسى ، ايها الرفيق الجنرال .

— اذن ، اطلع ، من فضلك ، على تقرير الاطباء .

. . . ان سيدورينكو الحائز على نيشان «الراية الحمراء» ثلاث مرات ، والذى فقد قرب بريسلافل برصاصة من رجال فلاسوف زوجته ايروتشكا الممرضة ذات التسعة عشرة عاما ، الحامل فى شهرها الثالث ، فبقى وحيدا — حلف يمينا ليكون مخلصا لها الى الابد — ان سيدورينكو هذا ظل يبحث عن الموت خلال الثلاثين سنة التى اعقبت الحرب : عمل فى قسم مكافحة الجريمة ، فى الشعبة الخاصة بمكافحة قطاع الطرق ، وتعمد ان يخاطر بحياته ولم يصبه شدخ ، وحين قضي على قطاع الطرق سافر الى منطقة القطب الشمالى ، وكان اول من نزل الى التايغا النائية العذراء وصار بناء ، وحاز نيشان «شارة الشرف» على عمله الانشائى فى تيومن ، واصيب بالجلطة القلبية ، واعطوه غرفة فى موسكو ، واحالوه على التقاعد . وحين سئل لماذا لم ينضم الى الحزب اجاب جوابا يبدو غريبا فى الوهلة الاولى : «لاننى لم احافظ على زوجتى والصغير فى بطنها ، لقد تلقيا الرصاصة التى كان يجب ان تصيبنى» . وبالمناسبة اضاف ذات مرة : «قال الاكاديمى توبوليف فى احد الاجتماعات قولا جيدا : «انا غير حزبى ، ولكننى احب الوطن كذلك» .

سأل سيدورينكو بعد برهة صمت ثقيل :

— تعتقدون ان دوبوف سمّم اولغا ؟

— صدقنى اننى اود لو اكون على خطأ . ولهذا السبب اردت

موافقتك على ان تذهب مع رجالنا ، وتجلس الى مائدة ، وتحاول ان تعيد حياة دوبوف يوما بعد يوم ، منذ ان عاد من الخارج .

دخل الملازم درونوف الى غرفة دوبوف ، ووقف عند الباب متفحصا . نظام تام ، بل وله شبه بنظام الدير : منضدة كتابة عليها جهاز راديو «بانا سونيك» عالى الطاقة ، مصباح كبير من البرونز وعظم العاج وبين هذين الشيئين كان يبدو نشازا المصباح الصينى الطويل الذى يباع عادة فى «المخزن العسكرى» بثلاثة روبلات وعشرين كوبيكا ، مفيد جدا فى صيد السمك والخروج الى الصيد البرى .

صوّر جهاز الراديو ، واخفى آلـــة التصوير ، وراح يتفحص ويجيل ببصره . كانت الكتب على الرف منظفة جيدا ، ومعظمها كتب كلاسيكية ، وكانت تشكل صفوفا منسقة بعناية من حيث الحجم واللون . فى مجلد لدكنز عثر درونوف على ثلاثة الاف روبل من فئة المائة روبل تخشخش لجدتها .

(قبل يوم من «زيارة التعرف» هذه التقى درونوف «بمصادفة تامة» — مع ابن عم لدوبوف فحدثه كيف ان «سيريوجا دقيق» من ناحية الفلوس : «اقترض منى مائة روبل . انه فى عوز دائم ، وردها خلال ثلاثة اشهر ، من كل راتب ثلاثون روبلا ، بالموعد المضبوط») .

صوّر درونوف الاوراق النقدية ، ووضعها فى مكانها بعناية . فى منضدة المكتب كان يسود نفس النظام : وصولات دفع اجور الكهرباء والغاز مدبسة ، وما من رسالة فى المكتب ، ولا عناوين ، ولا تلفونات ، وكأنما كان يعيش هنا انسان كان يعرف ان من الممكن ان يأتى اليه احد ، فاستعد للزيارة مسبقا : «عاين ، ارجوك ، كل شيء مفتوح ، وها انا امامك يمكن ان تعاين من خلالى» .

ولم تسفر المعاينة حتى عن مسكة ، ودعك عن دليل . والثلاثة الاف روبل المخفية فى كتاب ؟ انها ظل وليست دليلا .

«اظهرت المراقبة ان «الخشاب» ، بعد عودتـــه من حمامات «ساندونى» ركّب فى باب غرفته قفلا ثانيا اشتراه فى طريق عودته من الحمامات ، وبعد ذلك نزل الى الفناء ، وشغّل سيارة «فولغا»

رقم ٢١-٢٧ وذهب الى شارع «سادوفيه كالتسو» . واستدار بالقرب من مترو «بارك كولتورى» ، واوقف سيارة قرب معهد العلاقات الخارجية ، وركب المترو حتى محطة «مكتبة لينين» وغادر المحطة ، وخرج الى شارع كالينين . وهنا لم يتصل بأحد ، وتقدم من مخزن «ميلوديا» وتوقف ، بعد ان نظر فى ساعته . فى الساعة ١٧,٢٠ تقدمت منه فتاة سوداء العينين والشعر ، قصيرة القامة ، فى بدلة زرقاء من الجنس ، فركب «الخشاب» معها المترو من محطة «ارباتسكايا» وعاد الى السيارة فى الساعة ١٧,٥٩ . استقل «الخشاب» السيارة مع «ذات العيون السود» وذهب الى مطعم «روس» حيث طلبا اربع حصص من الكفيار الاسود ، سلطة من الخضروات الطازجة ، وزبدة ، وخبزا محمصا ، ولحمة محمرة مع الفطر مشبّعة بالنبيذ الاحمر ، وقهوة ، وجيلاتى . ومن المشروبات الكحولية طلب «الخشاب» مائة غرام كونياك من الماركة الفاخرة جدا استضاف بها «ذات العيون السود» ، ولم يشرب هو شيئا . وفى الساعة ٢١,٤٥ عاد «الخشاب» مع الفتاة الى البيت ، حيث قضيا الليلة هناك» .

وتيرة

«الصديق العزيز . تهمنا كالسابق القضايا المتعلقة بما تعرفه موسكو من جديد عن الوضع على حدود ناغونيا ، وعن جماعة اوهانو ، وعن خططه . والى هذا فان معلوماتك عن الارساليات الى ناغونيا ساعدتنا كثيرا فى اتخاذ عدد من الخطوات المقابلة . هل تعرف شخصا يدعى فيتالي سلافين ؟ اذا كان نعم ، فماذا تعرف عنه ؟ نرجوك ان تتصل بنا ، خلال هذا الشهر ، لا مرتين ، كما كان من قبل ، بل اربع مرات على اقل تقدير . المعلومات التى قدمتها يوم امس الاول ابلغت الى اكبر مسؤول . وقد قيّمها تقييما عاليا . نهنئك من صميم القلب .

صديقاك «د» و«ل» .

«الى البنتاغون .
الى مساعد وزير الدفاع .
حدد السبت القادم موعدا ليوم «المشعل» . وحوالى هذا الوقت

يجب ان تكون الـ٩ غواصات وكذلك حاملة الطائرات فى نقطة X مما يتيح لها توجيه ضربات سريعة بالصواريخ والقنابل على عاصمة ناغونيا .

مساعد مدير وكالة المخابرات المركزية
س . بيرسمن»

«الى وزارة الخارجية ، قسم البحوث والخطط .
تنفيذا لطلبكم نرسل اليكم بعض المواد المتعلقة فى مسألة ناغونيا . ولما كانت المواد من عداد الاسرار العليا لوكالة المخابرات المركزية نرجوكم جدا ان تعيدوها فى نفس اليوم بعد ان تطلع عليها دائرة ضيقة فقط من العاملين وجهاز السفير ذى المهمات الخاصة .
مع احسن التمنيات .
ما يكل م . فيلش ، مساعد مدير وكالة المخابرات المركزية» .

من خطاب السفير ذى المهمات الخاصة :
– ان زيادة المعونة الروسية لناغونيا تبث الرعب فى قلوب الافارقة ، وفى قلوب الناس فى جميع انحاء العالم . اننا مقتنعون بان حكومة غريسو التى اوصلوها الى القصر تحت حراسة الحراب لا تستطيع ان تدير البلاد خلال أية فترة طويلة نوعا ما . اننا مقتنعون بان النظام الذى لا يمثل مصالح البلاد سيكون فى حكم الماضى تاركا المكان لممثلى الشعب الحقيقيين المنتخبين عن طريق انتخابات ديموقراطية واسعة . اننا مقتنعون ان العدالة ستنتصر ان عاجلا او آجلا .
الا ان بلادى تلتزم فى افريقيا بالحياد الثابت الراسخ . ربما لا يعجبنا السيد غريسو ، ولكنه ما دام رئيسا للجمهورية فاننا نتعامل معه ، معه وليس مع غيره . وربما نتعاطف مع الجنرال اوهانو ، الا انه مبعد ، ونحن نقيم علاقات دبلوماسية مع النظام الذى حكم عليه بالابعاد . ولهذا – واريد ان اكرر بكامل المسؤولية – فان اى نوع من الاتهام الموجه الينا بالزعم باننا نساند مستر اوهانو عار من اى اساس .

«الى المركز .
ارجو السماح بالتحدث الى هليب .

سلافين» .

«الى سلافين .
امتنع .

المركز» .

«الى المركز .
أكرر رجائى بالسماح بمحادثة هليب . من الممكن الضغط عليه بفضيحة هونغ كونغ وبالمعلومات التى استطعت جمعها عنه . انا واثق من اجبار هليب ، بعد تنفيذ العملية فى موسكو ، على العمل للافراج على زوتوف فورا .

سلافين» .

«الى سلافين
موافق على المحادثة مع هليب ، ولكن إجرها بطريقة تخلق انطباعا وكأنما صدقنا بان زوتوف بالذات هو عميل لورنس .
المركز»

ستيبانوف

«قبالتى يجلس زنجى طويل . انه جميل جماله الخاص . ذلك الجمال الذى يضيئ وجه الانسان فى اللحظات التى يتخذ فيها الانسان بعد تأملات طويلة ، ورغم التهديد المميت ، قرارا لا مردّ له ، ولطول العمر .

محدثى يدعى اوكتافيو غوفيتا ، كان حتى يوم امس فى عصابات اوهانو وعبر الليلة الحد تحت نيران المدافع الرشاشة من جهتين .

انه يقول :

– افهمنى ، انا ، بصريح العبارة ، لم اعد قادرا على البقاء هناك اكثر . لم اعد قادرا على هذا . وهذا كل ما فى الامر . انا ، مثل غالبية الافريقيين ، لا اعرف القراءة والكتابة . ولهذا السبب ، من المحتمل ، نحب الحكايات جميعا بهذا الشكل . كنا فى القرية نجلس حول نار موقدة ، وكان الشيوخ يقصون علينا حكايات ،

وكان هذا لنا ، نحن الشباب ، اكبر عيد . الكلام كالرقص ، ونحن نعبر عن انفسنا فى الرقص وفى الغناء ، ذلك لان الغناء هو كلام . وهكذا عندما جاء الينا محرضون من اوهانو ، واخذوا يروون ان فى المدن اخذ يظهر ، بدلا من البيض القدامى ، بيض جدد من روسيا ، اخذنا بالطبع نشتم ، ولو اننى الآن افهم ان ثمة بيضا مختلفين . عندما ذهبت الى اوهانو فى حينها ، رأيت بيضا خاصين ، رغم انهم لا يحبون ان تقع عليهم ابصارنا . انهـــم يعيشون فى معسكرات منفصلة بعيدا عنا ، وفيها الكثير من الشيوخ ، الشيوخ الاقوياء فى نحو الخمسين من العمر كان بعضهم يحي بعضا بطريقة مضحكة : يرفعون الذراع اليمنى ، ويصرخون بكلمتين . يزعقون «زيـــخ هتلر» ، ونحن ، على اية حال ، قد سمعنا مَنْ هتلر هذا ، فقد كان انصار غريسو يحدثوننا ، حين كانوا يمرون بالقرية اثناء حرب الاستقلال .

ولكن اخذت افكر فى كل هذا فيما بعد ، بعد ان اخرجنا الضباط ليلا الى الطريق ، واطلقنا النيران على لوريات النقل . طعنـــا الحرّاس ، وحطمنا الصناديق ، وعندئذ قال احد جنودنا ، وهو عجوز فى الخامسة والاربعين ، وقد اتم صفين عند الارساليين انه كان مكتوبا على الصناديق «امصال» والامصال هى ادوية ، بينما كانوا يقولون لنا ان فى الصناديق فى الحقيقة يقعد روس ومعهم السلاح ، ليندفعوا فى القرى ، ويأخذوا نساءنا لهم . لمح احدهم للضابط بان العجوز يثرثر للشبان عن الامصال فقتلوه رميا بالرصاص ، واوضحوا لنا انه كان جاسوسا ، ولكن اى جاسوس هو ، فهو من القرية المجاورة ! وله ام وزوجة وخمسة اولاد . هل من المعقول يمكن لمثل هؤلاء الناس ان يكونوا جواسيس ؟ !

. . . وبين الحين والآخر يشد اوكتافيو غوفيتا قبضتين ضخمتين على صدره البنفسجى القوى ، والدموع تترقرق فى عينيه . ويتابع اكتافيو كلامه :

– وبعد ذلك انتزع الضباط اقوى الرجال بيننا ، وجعلوهم يرقصون رقصتنا حول الرمح . وهذه الرقصة يجب ان يقوم بها الراقصون عراة ، حسب ارادة الالهة ، وانتقوا ابرعهم واقواهم ، ونقلونا الى معسكر آخر ، حيث يعيش رجال زيب ، وهو الآمر

الرئيسي عندهم ، وكثيرا ما يقدم اليهم بالطائرة ، وكان يقف هناك جنود دُمى فى زى جيش جورج غريسو . وقد قالوا لنا : سيعلمكم الالمان «القتال الصامت» مع العدو . وصاروا يقولون لنا كيف ينبغى الوثوب على الرجل من الخلف ، وكيف يذبح من حنجرته ، وتسمل عيناه ، ويهشَّم عموده الفقرى .

يقولون عنا اننا قساة . يا له من كذب ! صحيح ، نحن نحب الرقصات «الرهيبة» . صحيح ، نحن نعشق اغانى الحرب . فقد اضطر اجدادنا الى الكثير من القتال حفاظا على حياة احفادهم ، ولكننى لم استطع ان اتصور قط ان الرجال الشيوخ ، نازيي زيب هؤلاء ، وهذا الاسم الذى نسميهم به ، يستطيعون ان يضحكوا ويمرحوا ، حين وقعت معزى فى فخ ، فسلخوا جلدها . . . حية . . . . لم يقتلوها ، بل ربطوها ، واخذوا يخلعون جلدها ، وراحت تصرخ ، أوه ، يا رب ، صراخا رهيبا ، وهذا الزعيق ما يزال يرن فى اذنى حتى الآن . . .

يشعل غوفيتا سيكارة ، ويمتص الدخان بثقل ومع حشرجة ، ويسعل باجهاد ، ويهتز جسده ، والظاهر ان الشاب لم يمسك سيكارة بيده قط .

— وماريو اوهانو ؟ ! كانوا يقولون لنا انه «زعيم الامة» وانه يشاركنا جميع مصاعب الحياة فى الغابات . اما انا فقد رأيته ذات مرة يدخل فى خيمته الصغيرة ، حيث توجد بطانية من بطانيات الجنود على سعف النخيل ، وبعد ذلك ، حين اطفئت المشاعل ، انتقل الى المنطقة المحرمة التى يسكن فيها مشاوروه ، ونقلت الى هناك اجمل الفتيات ، ولم يرهن احد بعد ذلك . يقال انهن يُوهبن ، بعده ، الى الحراس ، وهؤلاء بعد ان يلهون معهن قليلا ، يغرقوهن فى النهر ، حتى لا يبقى عليهن دليل .

عندئذ فكرت بفزع : «هل معقول ان مثل هؤلاء الناس يستطيعون الكفاح فى سبيل الحرية ؟ هل معقول ان تستطيع الوحوش ان تكون حملانا ؟»

بالامس انهضونا باشارة الانذار ، وقادونا الى الطريق . وكانت تسير فيه قافلة نقل بحمولات روسية . قالوا لنا ان فى الصناديق قنابل وبنادق رشاشة ، وعلينا ان نحطم كل ذلك لكيلا تذهب الى

جيش غريسو . فى هذه الليلة لم اعد اطلق النار . ولكننى رأيت معلمانا الذين تدربوا على يد نازيي زيب يطلقون النار ، وينحرون . وشاهدت بعينيَّ كيف كانت الفتاة المترجمة ، حين امسكوا بها ، تصرخ : «ولكن كل هذا لاطفالكم ! هذا للاطفال !» .

قتلوا جميع السواقين ، واغتصبوا الفتاة ، ثم ثقبوا جسدها بصليات البنادق الرشاشة ، وحين اخذوا يحطمون الصناديق ، رأى الجميع ان فيها اطوالاً من قماش التشيت ، وموازين للاطفال ، يضعون فيها الطفل الذى لم يتعلم المشى بعد ، وادوات للاطباء . . . وقلت لنفسى فى تلك الليلة : «انتهى ، سأغادر» . وغادرت ، رغم اننى كنت اعرف ان فرصى قليلة للانسلال من خلال نقاط المراقبة ، لانها الآن كثيرة بشكل خاص على طول الحدود . كان الضباط يقولون لنا : «فى الايام القريبة سنبدأ الهجوم للقضاء على غريسو» . ولهذا اردت ان اكون على هذا الجانب ، واذا ما اؤتمنت على سلاح ، فساضرب به الذين «يجلبون لنا الحرية» ، لان الحرية لا يمكن ان تكون دموية ، يقتلون فى ظلها النساء ، ويسلخون جلد معزى حية ويضحكون .

صمت اوكتافيو غوفيتا ، وارتخت ذراعاه على طول جسده خائرتين .

قلت :

— لو كتبت عن منتقل الى المعسكر الآخر دون ذكر اسمه ، فانهم لن يصدقوا بى ، يا اوكتافيو . هل توافق على ان اسميك باسمك ؟ ام تخاف ؟

سأل اوكتافيو :

— هل تفكر فى مصير اقربائى ؟ اذا وجدوهم قتلوهم جميعا ، بالطبع . ولكن ليس لى غير اخ وجد ، وهما نادرا ما يذهبان الى القرية . انهما يصطادان السمك ، ويبيعانه للقباطين البيض فى الميناء . ولهذا يمكنك ان تذكر اسمى . وصوِّرنى اذا اردت . ثم ان الفزع لا يمكن ان يكون ابديا ، فالانسان يشفى من الفزع عاجلا او اجلا . انا مستعد لان اموت فى سبيل ان اعيش حرا ، ولا اشعر باننى حيوان يسير فى الارض متخفيا ، يرى فى كل شخص عدوا له .

. . . تؤكد الصحافة الغربية على ان اوهانو لا يهيئ تدخلا .

وبودى ان تضاف الشهادات التى ادلى بها اوكتافيو غوفيتا من قرية جوفير الى «الكتاب الاسود» عن العدوان الجارى اعداده .

دميترى ستيبانوف
مراسل خاص» .

سلافين

قدمت بيلار القدح :
– هل تعرف كيف يسمون «الجن» عندنا ؟
– ماذا تقصدين بـ«عندنا» هذه ؟ – سأل سلافين بعد ان نظر الى هليب – هل تقصدين الشركة ام المنطقة ؟
– انا اقصد اسبانيا .
– عندكم يسمون «الجن» «هينبرا» . ألست على حق ؟
قال هليب :
– ها انت تتكلم الاسبانية بشكل رائع – انه ، مثل جميع رجال المخابرات ، يجيد لغات اجنبية اجادة عظيمة .
– هذا ما ينبغى على جون ان يعرفه افضل . والا فان العمل سيصعب ، على ما يظهر . ليجرب انسان ان يعيش فى هونغ كونغ بدون معرفة اللغة الصينية . سينهار حالا . ألم تعيشى فى هونغ كونغ قط ، يا بيلار ؟
– وانت ؟ – سأل هليب ، وصار يضحك ضحكا اعلى من اللازم – لا بد انك عشت فى كل مكان ، يا فيت ؟
– كلا ، لم يسمحوا لى ، لم يعطونى تأشيرة دخول . اشرت الى اننى ذاهب الى هناك فى قضية شانتس . اعتقد انه كان يعمل هناك فى ميدان «البزنس» ، الا ان بكين ضغطت على السلطات المحلية ، فرفضوا دخولى . . .
نظرت بيلار الى هليب نظرة سريعة . كان وجهها كالسابق مبتسما جميلا ، ولكن فزعا ظهر فى عينيها . اتسعت حدقتاها ، ولهذا بدا وكأنها لا ترى جيدا ، وها هى فى سبيل ان تخرج من حقيبتها الجلدية الصغيرة نظارتها فى اطارها الذهبى الرقيق . قال هليب :

– طريف ، ولكنك ، فى اغلب الظن ، وصفت رحلتك هذه فى صحافتكم الروسية ؟
– الموضوع غير صحفى . ولا يمكن ان تستوعبه جريدة . انها رواية بالاحرى . هل تحبين روايات المغامرات ، يا بيلار ؟
– احب روايات المغامرات – ردّت المرأة ببطء ، ونظرت الى هليب مرة اخرى ، فساعدها هذا قائلا :
– انها تحب الافلام . عن بوند . عن الجواسيس الروس الذين يوشكون على النصر ، ولكنهم فى آخر الامر يخسرون ، لاننا نحن اقوى .
– «نحن» ؟ – وضحك سلافين ضحكة تهكم ثانية – لم اكن اعرف ان شركتكم التجارية مرتبطة بالاستخبارات الانجليزية . إعلم أننى لو كنت مخرجا سينمائيا لاخرجت الفيلم ، لم اخرجه كاملا ، بل اكمل اخراجه . واضفت الى «من روسيا مع الحب» لقطة واحدة فقط : بعد ان يجلب بوند المحظوظ الفتاة عاملة الشفرة عندنا ، يجلبها الى لندن يظهر على الشاشة تعليق : «جرت عملية النفاذ بنجاح . اشرع فى العمل ، كاتيا ايفانوفا» .
– سيأتى بول ديك الآن ، فبعه هذا الموضوع ، ولكن لا بثمن بخس ، يا فيت . انه لا يساوى اقل من الف .
شربت بيلار جرعة من التينتو ، وقالت ملاحظة وهى تنظر فى عينى سلافين باستمرار :
– انت احيانا تصير تاجرا سيئا ، يا جون . مثل هذا الموضوع بقدر معرفتى القليلة فى عالم الفن يساوى مائة الف على الاقل . تُدفع فى الحال ، بلا تأجيل .
قال سلافين :
– ادفعوا ، انا موافق .
قال هليب وقد كف عن الضحك :
– ربما فى الولايات المتحدة يدفعون اكثر . انا جاد فى قولى . انا مستعد للاتصال بهوليوود حالا . عندنا وسائل اتصال طيبة .
سأل سلافين :
– هل انت واثق من ان توصيتك تكفى ؟
– واثق .
– هل كنت تكتب سيناريوات ؟

ضرب هليب على وركيه ، وطوى جذعه ، وصوّر كيف صار الامر مضحكا له ، وبعد ذلك عاد من جديد جون الصريح المرح المعتاد .
– اذهب الى الشيطان ، يا فيت ! لا يجوز ان تهزل بهذا الشكل على التجار غير المتضلعين بالفن .
قالت بيلار :
– فيتالى اسم جميل جدا ، مثل فيتورى فى الايطالية .
قال سلافين ملاحظا :
– مثل ويلهلم الالمانى . والحق ان معانى مختلفة وضعت فى هذه الاسماء .
– بالمناسبة ، يا فيت ، انا التقيت بشانتس فى هونغ كونغ ، عجوز اشيب ذو انف مزرق . أليس كذلك ؟
– ازرق انفه من الكِبَر . حين كان فى الثلاثين كان انفه حسب الاصول تماما ، وكان الشرب محرما عليه ، فقد كان يعمل فى الجستابو ، والجستابو لا يعمل فيهـــا السكارى . انهـــا دائرة جدية . . .

جاء بول ديك صاحيا . سلّم على الرجلين عبوسا ، وقدم نفسه لبيلار لتقبله ، ورفض الويسكى :
– لا اشرب . اليوم وغدا لا اشرب .
سأل سلافين :
– ولم ذاك ؟
– اتهيأ لضربة جيدة موجهة اليك ، يا فيت .
– استحقها ؟
– تستحقها . يجب ان تلعب بنزاهة .
قال سلافين :
– موافق . انا معك موافق كليا . بالمناسبة انا عندى بعض القصص الطريفة المتعلقة بلعبة غير نزيهة ، واستطيع ان أبيعها .
– انا مفلس . سأشتريها بالدين .
– طيب ، سانتظر قليلا . المسألة اننى بدأت احكى عن هونغ كونغ ، حول مافيا هنالك .
قال هليب :

– لا ، لا . الافضل ان تبيع بول الموضوع حول بوند ! انت لا تستطيع ان تتصور ، يا بول ، كم هذا الموضوع ساخر وطريف ! انا معجب بفيت . تصور فيلما ينتهى بأن الفتاة التى اخذها بوند ، انت تذكر ، العاملة فى المخابرات ، تبعث من لندن شفرة الى المركز : «جرت عملية النفاذ بنجاح . واستقررت . اشرع فى تنفيذ واجبات الخدمة» . روعة ، ها ؟
قال سلافين ملاحظا :
– تذكر واجبات الخدمة عندنا ، حين يموت الانسان وهو يقوم بواجبه . . .
نظر ديك الى سلافين بتجهم :
– موضوع مروّع ، بالمناسبة . يشبه الحقيقة .
– لسنا نحن الذين ابتكرنا بوند الذى يودي برجالنا ، يا بول ، لسنا نحن الذين نجعل منه بطلا ، انسانا يقتل الروس بسهولة .
– طيب ، حدثنى عن الموضوع .
– كلا ، كم ستدفع عما يخص بوند ؟ جون عرض مائة الف .
– انا التى عرضت مائة الف ، فيت . لقد اخطأت .
– صلونى بهؤلاء المنتجين – قال بول ديك وضحك ضحكة سخرية لاول مرة خلال الحديث كلـــه – أكسب عشرة ملايين فى الاسبوع ، سبعين بالمائة لك – هل هذا يناسبك ؟ طيب ، قصّ لى . سيكون رائعا لو ان موضوعك سيطلع لويسبورغيا اكثر منه هونغ كونغيا . زوتوف يشغلنى بقدر ما يشغلك انت تقريبا . فى البداية توفى روسى ، ثم آخر . اليس ذلك اكثر من اللازم بالنسبة لاسبوع ؟ ما رأيك ؟
قال سلافين وقد نظر الى هليب متسائلا :
– قد يكون ثمة ثالث ايضا ؟ طيب . انت تذكر كيف ورد ذكر شخص فى محاكمات نيورنبيرغ يدعى ولهيلم شانتس ؟
– لا اذكر .
قال هليب ملاحظا :
– نحن ، الامريكيين ، امة بلا ذاكرة . الذاكرة المثقلة تعيق الحياة ، انها مثل الدمامل على الجروح . . . تتقيح . . .
قال بول :

– لو كنا قد فقدنا عشرين مليونا كانت ذاكرتنا ايضا مثقلة . انا لا اتذكر شانتس ، على الارجح انه من جزارى الصنف الواطىء ؟
– نعم . جلاد . اثبتنا اشتراكه فى سبع واربعين تصفية .
– ما معنى «تصفية» ؟ – سألت بيلار – اذا كنت تعنى بها القسوة فلا حاجة للكلام ، يا فيت . فان فى العالم اكثر من اللازم من الاشياء المريرة . . .
– «التصفية» عندهم كانت تعنى القضاء التام على اهل القرية او البلدة ابتداء من الصغار الرضع وانتهاء بالمرضى .
سأل هليب :
– هذا اثناء الكفاح ضد الانصار ؟
– وهل هذا يصلح تبريرا ؟ – ودفع سلافين قدحه الى بيلار ، فصبت الجن فيه فى الحال . وسألت :
– هل ممكن ان اضع الجليد بيدي ؟
– بالطبع – اجاب سلافين ، مواصلا النظر فى عينى هليب – اذن ، يا جون ، هل الكفاح ضد الانصار يمكن ان يصلح تبريرا لمثل هذا النوع من التصفية ؟
– اوه ، بالطبع ، لا ، يا فيت . سألت لمجرد التوضيح لا اكثر . ان وحشية النازيين مقززة .
– طيب . اننا اكتشفنا مكان شانتس هذا . كان يعيش فى كندا ، ولكنهم لم يسلموه لنا هناك ، فقد اختفى ثم طلع فى هونغ كونغ بجواز سفر امريكى هذه المرة . . .
– لا اظن – وتعبّس هليب – اعتقد انه كان يحمل جواز سفر نيكاراغويا ام هايتيا . انا واثق من انه لم يصبح مواطنا امريكيا .
– صحيح ؟ طيب . . . هذا جيد . . . الحكاية ان فضيحة قد حصلت فى هونغ كونغ ، قبل حوالى عشر سنين ، قبضوا فى المطار على عصابة من المافيا الصينيين ومعهم هيروين ، عند ذاك نظم شانتس هذا هروب برتغالية او اسبانية من المدينة ، تدعى كارمن على ما يبدو لى ، جميلة جمال صديقتنا الخلابة بيلار ، وقتل الشخص الذى القى الذنب على عاتقه . هو ومستر لاو ، أليس كذلك ، يا جون ؟
– لماذا تسألنى انا عن ذلك ؟

– كنت تعمل فى هونغ كونغ – قال بول وهزّ كتفيه – ولهذا السبب يسألك .
– عملت هناك فى اوقات عابرة ، بضع أسابيع فقط . محض عمل تجارى متجول .
– مفهوم – قال سلافين – وبالطبع لم تعرف ممثل وكالة المخابرات المركزية هناك ، هو ايضا متورط فى الفضيحة ، الا انها طُمست بشكل ما ، ولكن تحت الرماد جمر قد يتقد ، يا جون ، اذا نفخ فيه . طريف ، يا بول ، كيف ينفخ فى هذا الجمر ؟
– ماذا اقول لك . . . يوجد شيء ما ، ولكنه قليل بعض الشيء للفضيحة الحقيقية . . .
ضحك هليب ضحكة عالية مرة اخرى ، رغم ان وجهه – وسلافين راى ذلك – كان متوترا الى آخر حد .
الفضائح السوبر – فى بلادنا شائعة ، يا فيت . وما حكيته انت هو تقليد هزلى اعتيادى ممل لرواية «العراب» .
سأل سلافين :
– ما معنى الفضائح السوبر ؟
رد بول :
– حين تكون الزوجة مدمنة على الخمور ، والزوج لوطيا ، ويجبر اخته على معايشة الناس الذين يجد فيهم ضالته ، وحين يدخل ابن مليونير فى الحزب الشيوعى ، وحين تزيد الرشوة على مائة الف دولار . هذا شيء لا يؤبه به . والافضل ، حقا ، دسائس رئيس الجمهورية مع الشركات الكبرى . هذا ماشى ، ويروق للمنافسين ، ولا سيما للذين لهم فرص كبرى .
– توجد زوجة – اجاب سلافين ملتفتا الى جون – فى هذه القصة توجد زوجة مدمنة على المخدرات . ترتبط بقرابة الدم مع زوجها . ابنة اخته . ابنة فاشى . وهى نفسها مشتركة معه فى القضية . كيف ؟
ردّ ديك :
– اذكر اسماء . فانطلق بها حتى يخرج دخان ، وانا اصنع بذلك اسما اكثر مما نقودا . لقد نسونى حقا ، وعندنا ينسون الذين

حاربوا النازية ، ويتذكرون الآن الذين يفضحون هذا النوع من الاخلاقية التى تحدثت عنها . اشرع فى الامر ، ولا تعمد الى التمويه .

طوق سلافين هليب من كتفه ، وهمس له :

– هل نموه ، يا جون ؟ ام نكشف جزءاً من الورق ؟

شربت بيلار جرعة كبيرة من النبيذ ، واجابت :

– لو كنت فى مكانك لموّهت قليلا .

– موافق . والآن الكلمة لبول . ماذا يعرف عن زوتوف ؟ لم يسمحوا لى فى الدخول الى المستشفى ، ورفضوا المقابلة . هات ، يا بول ، روايتك ، وانا ، فيما بعد اعلق عليها ، الا توافق ؟

– اسمع ، فيت . كل شىء غير مفهوم مع هذا الروسى ، حتى الآن ، وانا . . .

قاطعه سلافين :

– لا تغفر لك قولتك «مع هذا الروسى» .

ابتسم بول قائلا :

– لا تغضب ، يصعب عليّ نطق الاسماء الروسية .

– انت لا تعترف بذلك ابدا ، يا بول ، قد يتهمونك بالمهنية الواطئة . الصحفى يجب ان يعرف اسماء خصومه ، حتى ولو كان من الصعب تلفظ اسمائهم . نحن ، مثلا ، نعرف جيدا اسماء اعدائنا .

قالت بيلار :

– انا لا اعتبر زوتوف عدوا . مجرد انه قام بواجبه .

– مَنْ اثبت ذلك ؟ – قال هليب هازا كتفيه – نحن لا نعيش فى نظام ديكتاتورى . وذنبه يجب ان يثبت بالادلة . وجهاز الارسال ليس دليلا . ربما دسوه فى غرفته .

– صحيح – وافقه سلافين – «نيوز» فى عددها اليوم كتبت عن هذه القضية بكلماتك .

– صحيح ؟ – قال هليب باندهاش – شطّار ، اعترف اننى لم اقرأه .

– وما هذا ؟ – واشار بول برأسه الى صحيفة «نيوز» الموضوعة على المائدة . التعليق عن زوتوف كان معلّما تحته بالخط الاحمر .

اجابت بيلار :

– انا التى قرأت ذلك . انا قلقة على مصير زوتوف ، ومستعدة لافعل كل شىء لمساعدته .

– ولكن كيف ؟ – سأل هليب – انا ايضا مستعد لمساعدته . كيف ؟

– ببساطة شديدة – اجاب سلافين – اعثر على الذين نظموا الهجوم على شقته .

قال بول ديك وضحك ضحكة تهكم مقتضبة :

– اعثر على الذين كسروا خزنة لورنس .

– بول – قال هليب مقرّعا – هذه ليست طريقة جنتلمنية .

– هذه طريقة جنتلمنية ، لانه وافق ان يتكلم معى . وقد ارسلت بالفعل الى جريدتى مراسلة : «الجمال رمز الامانة» ، كنت الكر فى ذلك ، عندما رايت عمل عصبة من الشقاة فى شقـــق «انترنشنال تلفونيك» . كانوا يتصيدون اسماء «اصدقاء مأمونين» للشركـــة التى استطاعت ان تمد جسر اتصال متين بين الولايات المتحدة وجماعة بنوتشيت ، قبل ان يصبح دكتاتورا ، بل كان يستعرض الاستعراضات واقفا جنب الدكتور الليندى» .

– سآخذ هذه المراسلة – قال سلافين – عنوان رائع ، يا بول .

لاحظ هليب قائلا :

– الروس فى ضائقة من ناحية العملة الصعبة . ولكنك استثناء ، يا فيت . اليس كذلك ؟

– مجرد اننى التزم بحمية . بصوم يوم واحد فى الاسبوع . انه توفير كبير .

تبادلت بيلار وهليب النظرات . وسألت بيلار :

– تهتم باليوغا ؟ استطيع ان اقدم لك كتبا . عندى كتب كثيرة بالروسية .

– انا اهتم باليوغا ، وشكرا على الكتب ، سآخذها بكل سرور . بالمناسبة ، يا بول . هل لورنس هذا هو الذى رفض الاجابة عن جملة من النقاط فى الكونغرس عن التمرد فى سانتياغو ؟

– هو بالذات .

– عميل وكالة المخابرات المركزية المقيم ؟

قال هليب :

— اسألونى اياي ، يا شباب . على الاقل تصادقت معه اعوام كثيرة . انه رجل وكالة المخابرات المركزية مثلى عميل جستابو .

— حسنا — قال سلافين مفكرا وهو يشرب الجن — ماذا لو استطاع بول ان يحصل على وثائق تدل على ان شغيل وكالة المخابرات المركزية مرتبط بالفاشيين القدامى منهم والجدد ، الا يمكن لهذا ان يكون له ضجة فى الصحافة ؟

رد بول :

— حين تخاصمت الصحافة مع وكالة المخابرات المركزية ، كانت تحلم بان تحصل شيئا من قبيل هذا . هو نوك اوت ، يا فيت . ضربة قاضية ولكن . . .

— انا مارست الملاكمة ، وانا اعرف ، كيف اضرب . وانا مستعد ان اعلّمك الطريقة .

— بهذا الشكل تستمال الصحافة الحرة الميالة للتصديق — وضحك هليب مرة اخرى ، وتقلصت عيناه شقين ضيقين .

— فيت ، اريد ان اعرض عليك مفخرتى — قالت بيلار — فلنذهب .

فسأل بول :

— اما أنا فلا تريدين ان تعرضى عليّ مفخرتك ، يا غفابينيا ؟

اجاب هليب :

— حين يفخر انسان فخرا حقيقيا ، يفخر به سرا .

قال سلافين :

— عبارة جيدة . عبارة انسان شرب من كأس النصر .

اخذته بيلار من يده ، وصاحبته وراءها صاعدة سلما حلزونيا الى الطابق الثانى ، فى غرفة سقفها زجاجى ، وفيها تخت كبير مغطى بجلد نمر ، ومن الجدران تعلقت ايقونات مرممة جميعها ، فيها كثير من الذهب ، والعيون مرسومة بدقة .

سألت بيلار :

— ما رأيك ؟ — شيء لا يصدق ، أليس كذلك ؟ القرن السابع عشر ، شمال روسيا ، تلك التى استطاعت ان يكون لها مخرج الى البحر ، اي الى الحرية . . .

— اين رُمِمت ؟ هنا ؟

— لا .

— هل أزعجك ام الافضل ان اكذب ؟

— احببت الاستماع الى الحقيقة دائما ، يا فيت . الى الآخر . كل الحقيقة . عندئذ سأكون انا ايضا مستعدة لقول الحقيقة .

— كلها ؟

— هذا متعلق بك .

— بى فقط ؟

— انا لست زوجة ولا كاتبة فى مكتب . ان لي عملي الخاص ، يا فيت ، ولهذا فانا استفيد من نعمة الحياة الرئيسية — انا مستقلة . وانا اقدر جدا هذه النعمة ، لاننى جئت اليها من السرداب ، واطئة درجاته مغطاة بالقيء . . . قل الحقيقة .

— طيب . القرن السابع عشر فى فن رسم الايقونات عندنا نحن نميزه على الفور ، بشكل اللوح اكثر مما بطريقة الرسم . يجب ان يكون اللوح مقوسا بارزا مصنوعا من ثلاثة اسافين . ليست عندك غير ايقونة حقيقية واحدة ، يا بيلار والبقية — وانت اردت الحقيقة — مزورة . ولكننى لن اقول ذلك لاحد ، فانا استطيع ان احفظ الاسرار .

— لم تحفظ اسرار الاخرين كثيرا ، حين اخذت تتحدث عن شانتس .

— وهل معقول ان فى ذلك سرا لاحد ؟

— فيت ، ما الذى تسعى اليه ؟

— الى حقيقة .

— هذا جواب رجل روسى . وانا اصبحت امريكية ، وتعودت على دقة السؤال ، وملموسية المهمة ، وسعر البضاعة وموعد الضمان وشكله .

قبّل سلافين يد المرأة ، وسألها :

— هل انت الآن تحملين جوازا امريكيا دبلوماسيا ؟ ام بقي واحد من الجوازات السابقة ؟

— فيت ، انت لم تجبنى على سؤالى . . .

– الظاهر ان من الافضل ان يسأل بول عن اسم «صديق شركة لورنس الموثوق» ؟

– ولكن انت الذى طرحت هذا السؤال .

– كررى عبارتى ، بيلار ، وستوافقين على اننى لم اطرح مثل هذا السؤال . انا فارس خيال ، انسان مغرم بالعمل الصحفى ، ملزم ان يكون فارس خيال .

– اذا أجبت انا على السؤال ، فهل ستجيب انت على اسئلة بول ؟

– انت حقا مولعة بروايات المغامرة يا بيلار . وانا اخاف عليك . انا لا اريد ان تشعرى ولو باي حرج اثناء الصعود على السلم . على العموم الجنتلمان يجب ان يكون الى جانب المرأة اثناء مثل هذا النوع من المشوار . اليس كذلك ؟ رجل ذو عضلات متينة ، ورأس يعمل على الطريقة الامريكية : ضمان ودقة ، وروح عملية .

قالت بيلار :

– طيب ، الآن سأدعو جون .

– انا هنا ، يا بنت .

وضحك هليب ضحكة تهكم مقتضبة .

كان يقف عند جدار صقيل ، والباب غير المرئى خلفه انغلق ببطء .

– بودي ان اسمع حكاية مستر سلافين الهونغ كونغية مرة اخرى ، وبتفصيل اكثر ، وعيناً لعين .

قسطنطينوف

كان قسطنطينوف والملازم درونوف جالسين فى بيت يقابل نوافذ الغرفة التى كان دوبوف و«اولغا الحيّة» (بهذا الاسم الرهيب نوعا ما يسميها بينه وبين نفسه) يتحادثان فيها بشىء ما . كان قسطنطينوف يرى عن قرب ووضوح وجه سيرغى دميتروفيتش القوى ، الحاد التقاطيع ، وجه رجولى ، وكان يحاول ان يفهم لماذا تضحك الفتاة بذلك المرح الظاهر . كان دوبوف يتكلم نادرا ، فهو رجل ناضج ،

عالم ، سياسى . يراعى بعناية ملبسه ، الانيق ، وهو يقود السيارة سياقة جميلة ، ويرتدى قفازين من جلد الجدى ، ليتحسس المقود افضل ، ويطلب الكونياك ويرجو ان يجلب له افخر انواعه ، على ان يكون جورجيا حتما ، («انهم آريون ، ومراعاتهم للجميل جردتهم من المصلحة التجارية ، كما لدى الشعوب الاخرى») . ويترجم بطلاقة وجمال اغانى الانجليز والاسبان والبرتغاليين . وهو يصغى بمهابة الانخاب التى ترفع على شرفه اصدقاؤه فى بتسوندا وسوخومى . ويرد على النخب بكلام لا يستعجل فيه ، مقلدا قليلا طريقة الجورجى القديم .

«الابريك شاطر – فجأة فكر قسطنطينوف فى الساقى فى بيتسوندا – ان الفتى يملك حاسة حدس مرهفة . «ان دوبوف هذا يتعالى ويتظاهر» . قال الساقى هذا حين راح رجال مكافحة التجسس يسألون – بتأن وحذر – جميع الذين كان يتلقى دوبوف بهم .

اندهش قسطنطينوف حين اصدر بروسكورين صوت ازدراء ، حين قرأ هذه السطور التى علّم عليها قسطنطينوف فى تقرير الفرع الابخازى للجنة امن الدولة .

سأل الملازم درونوف همسا :

– الى اين ذاهب ؟

كان قسطنطينوف يراقب دوبوف أخرج من جيبه مفاتيح ، وقال ملاحظا :

– تهمس ، وانت فى الجانب المقابل له من الشارع ؟

– اتدرب على الحذر ، ايها الرفيق الجنرال .

– لا يتدرب الناس بهذا الشكل . الحذر هو ان تتكلم بهدوء ، فى المكان الذى يستلزم ذلك ، ويُهمس بلا صوت ، حين يتطلب الموقف ذلك . اما انت فتتدرب لتكون رجلا مفزوعا . فى العينين توتر مستمر ، والحركات مقيدة ، والردود مدروسة ، وعندئذ سيسلم عليك رجال المخابرات المركزية من بعيد ، ويخلعون قبعاتهم تحية لك فى مفترق طرق كما يقولون عندنا . من الذى يراقب سيارته اليوم ؟ يبدو انه سيأخذ اولغا الآن . . .

– هذا غريب ، ايها الرفيق الجنرال ، انها تنام الايام الاخيرة معه ، وفى الصباح تذهب لتجلب له اللبن الخاثر . اما سيارته

فيراقبها كوروفليف وبشينيتشنكوف . صحيح ، انظر ، انهمـــا خارجان .

وما ان خرج دوبوف واولغا من الشقة حتى رنّ جرس التلفون .

– اظنه كونوفالوف – قال قسطنطينوف – اطلب اليـــه ان يجعلنا على علم بالامور اول بأول وباستمرار . والآن عندى ما اقوله لك ، يا ملازم . . . جاء فى تقريرك ان اى كراسات للملاحظات لم تكن موجودة على طاولة دوبوف ، لا مخطوطات ، باختصار ، لا شىء مطبوع على الآلة الكاتبة ، يشبه على الاقل اطروحة ؟

– لا شىء ، ايها الرفيق الجنرال .

– ولم تكن هنا صور فوتوغرافية ايضا ؟

– لا ، قطعاً ، ايها الرفيق الجنرال .

– إسمع ، ولكن اين يضع سيارته «الفولغا» ؟

– فى الفناء ، وقد اشرت الى مكانها فى المخطط .

– وفى الشتاء ؟

– لا اعرف .

– هل عنده كراج ؟

– لم استوضح ذلك .

– لم تكن على مكتبه وصولات لكراج تعاونى ؟

– ربما نعيد التدقيق ؟

– لا حاجة . من الخطر ان نثير شكوكه . انت نفسك قلت كيف انه يفحص الغرفة ، حين يعود .

– كالذئب تماما ، ايها الرفيق الجنرال . يقف عند الباب ويظل ينظر وينظر ، ويدير رأسه تمامـــا كالنسر فى برنامج «عالـــم الحيوانات» * .

تناول قسطنطينوف سغارا ، وازال السيلفان منه ببطء ، واخذ يدخن قائلا :

– وصف جيد «كالنسر فى برنامج «عالم الحيوانات» . انت تتكلم بلا تقييد ، تتكلم بذلاقة ، ولكن تكتب وثيقـــة بأسلوب يثير النعاس . اسلوبك فى الكتابة يشبه بأونوكتين . . .

قال درونوف غير فاهم :

* برنامج تلفزيونى مشهور من تلفزيون موسكو . **المعرب** .

– ماذا ؟

– منوم ، يسمى اونوكتين . . .

رنّ التلفون مرة اخرى . وقُبِلَ البلاغ بدقة وسرعة :

– انزل «الخشاب» «السمراء» ، واستدار ، وسار بسرعـــة شديدة فى الاتجاه المعاكس . انه يسلك شارع «سادوفى» . فرمل مخففا السرعة قرب السفارة الامريكية ، وادار اشارة الاستدارة الى اليسار .

– سجّل الموعد – قال قسطنطينوف بسرعة ، – ايها الرقم الثانى ، راقب نوافذ السفارة ، مَنْ يقف عند النوافذ .

– كل نوافذ وكالة المخابرات المركزية مضاءة ، ايها الرفيق الجن . . . الرفيق ايفانوف – صحح المتكلم فى السماعة كلامـــه بسرعة – اربعة رجال واقفون عند النوافذ يدخنون .

– ايها الاول ، الى اين يتجه ، باية سرعة ؟

– من جديد زاد السرعة . يتوقف . يفرمل بحدة .

– اذهبوا ! – قال قسطنطينوف غير مسيطر على نفسه ، رغم انه كان يعرف بشكل ممتاز ان رجال كونوفالوف يعملون بلا شائبة ، يزودهم بروسكورين بالتعليمات بادق طريقة : «المستهدف حذر جدا ، وان تضيعوه خير من ان تكشفوا عن انفسكم ولو بأقل قدر» .

– ذاهبون – اجابوه بشىء من التكـــدر – انه خرج مـــن السيارة .

– فتح غطاء المحرك – جاء هذا البلاغ من السيارة الثانية – انه يفحص شيئا ، يحرك الموصلات . . .

– اية موصلات له ، بالمناسبـــة ؟ – سأل قسطنطينوف الملازم – من ماركة «بوش» ؟

فتساءل درونوف غير فاهم :

– يعنى كيف ؟

– اذا كانت متعددة الالوان فهى «بوش» .

– بالضبط ، ايها الرفيق الجنرال – متعددة الالوان .

«حمداً لله ان بارامونوف خرج من الحساب . لو لا غريتشايف لاضطررنا الى ان نعمل فى هذا الاتجاه ايضا – فكر قسطنطينوف مع نفسه – ان الشبهة شىء مريع . على العموم ، صحيح ليس من الممكن

ان ينجو من الشبهة ، كشكل من المرض ، الا بالنكتة المضروبة بالمعرفة ، واظن ليست مضروبة ، بل مؤسسة على المعرفة ، ذلك أدق» .

– واصل «الخشاب» السير بسيارته ، انه يستدير مـــن سادوف الى بناية «سيف» * ، ويوقف سيارته قرب البيت .

(التقرير عن تصرف دوبوف ، وهو يصعد الدرج سيقدم الى قسطنطينوف صباح الغد ، ويا ليتهم قدموه اليوم . غير انهم لم يلحقوا ان يطبعوه . وعلى العموم سيقدمونه فورا ، اذا ما حدث شيء غير اعتيادى للغاية ، يتطلب اتخاذ قرار فى الحال) .

دخل دوبوف الغرفة ، واضاء المصباح ، وتوقف قرب الباب .

«يشبه ذئبا بالفعل – فكر قسطنطينوف – او يشبه كندورا . اوه ، كيف ينظر ليعرف هل هناك تغيرات ، الم يدخل فى غيابه احد» .

– ما الذى تناوله ؟

سأل قسطنطينوف ، وهو لم يستطع ان يرى ما رفعه دوبوف من افريز النافذة .

– علبة بازيلا فارغة مدعوكة ، ايها الرفيق الجنرال .

– لماذا لم تكتب عنها فى التقرير ؟

– لم يطرأ على بالى . . . علبة نظيفة مدعوكة قليلا . فارغة . نقرت عليها ، بل جربت مقدار رقتها . . .

– وماذا لو انه يضع فيها الاخباريات ؟

– مئات من مثل هذه العلب مرمية .

– صحيح ، بالطبع – وافق قسطنطينوف – ولكن فى قضيتنا لا توجد صغائر . كم الساعة كانت حين فرمل عند السفارة الامريكية ؟ الثانية عشرة تماما ؟

– بالضبط ، ايها الرفيق الجنرال . . .

– صلنى بكونوفالوف ، يبـــدو لى ان «الخشاب» سيذهب لاجراء مقابلة لنقل اخبارياته .

---

* الكلمات الروسيـــة الاولى تعنى «مجلس التعاضد الاقتصادى» . **المعرب** .

كان العقيد كونوفالوف يراقب المكشوفين من رجال وكالـــة المخابرات المركزية فى السفارة الاميركية ، وقد ردّ وكأنه قبل لحظة من تلفون قسطنطينوف كان ينتظر منه اشارة .

– نحن ننتظر ، يا رفيق ايفانوف . كل شيء عندنا على ما يرام .

– «كل شيء على مايرام» هذا اذا لم يخرج احد لا من السفارة ولا من مسكنهم .

– بهذا المعنى بالضبط اجيب .

– ومع ذلك يبدو لى ، ربما هناك على غير ما يرام ، رغم اننى اود ان اكون على خطأ .

– اما انا فلا .

– الاعصاب تسترخي ؟

– ثلاثة اسابيع ، على اية حال . . .

فجأة قال درونوف :

– ايها الرفيق الجنرال . انـــك على حق ، اذ كان فى درج مكتبه وصل واحد ، يعود اما لجمعية «انشاء المساكن التعاونية» اما لجمعيـــة «السواقون الهواة» والاصح لجمعيـــة بناء كراجات تعاونية .

– دع نيكوديموف يعرف العنوان غدا . اذا كان لدوبوف موقف مخصص فى كراج وجب الدخول اليه خفية ، وتفقده . فقد يكون فيه ما يثير الاهتمام . فى كل الاحوال لم يحفظ شيئا عند اى من معارفه . كندور بالضبط . . .

رنّ التلفون بحدة .

– ايفانوف على التلفون – اجاب قسطنطينوف ، وقد رفع السماعة بحدة ، ولحق ايضا ان يفكر بأن رفعه للسماعة كان رديئا ، غير تربوى ، فان الملازم الشاب قد لاحظ هذا ، بالتأكيد ، كلما تعقد الموقف وتوتر وجب ان تكون كلمات القائد اهدأ ، وحركاته على الاخص .

– خرج لونس الى سيارته من بيت فى شارع لينينسكى ، واتجه صوب جادة كوتوزوفسكى ، عبر الجامعة الى الاسفل .

– لا تبتعد عن الجهاز – قال قسطنطينوف ، وضغط بكتفه على السماعة قرب اذنه ، واشعل ببطء السيغار المنطفئ . على كل حال

لم يكن راغبا فى التدخين ، فان فمه قد جف تماما – الآن سنسأل الى اين يذهب «الخشاب» .

من الجهاز الثانى لم يجيبوا رأسا :

– يصعب المراقبة ، يا رفيق ايفانوف . صعد «الخشاب» الى ترولى باص رقم ٢ ، واجتاز خمس محطات ، ونزل بالقرب من «البانوراما» * ، وسار عشرين مترا . وركب الباص رقم ٨٩ . وهو يراقب ما حوله باستمرار .

– لا يشد حذاءه ؟

– لا ، بل يعمل باحتراف تام .

– ماذا فى يده ؟

– جريدة مطوية .

– فارغة ؟

– كلا ، فيها شىء ما . نزل «الخشاب» من الباص ، يا رفيق ايفانوف . عبر جادة ماجايسكى العمومية ، وهو يتعمق داخل منتزه «بوبيدا» . المنتزه فارغ . هل نستمر فى المراقبة ؟

ضغط قسطنطينوف على زر الجهاز الثانى – الاتصال بكونوفالوف .

– ماذا عندك ؟ ابلغ مرات اكثر .

– كنت انتظر نداءك . المستهدف يبتعد عن سياراتنا بسرعة كبيرة . فما العمل ؟

– باى اتجاه يسير ؟

– الى منتزه «بوبيدا» .

نظر قسطنطينوف الى درونوف . كان هذا يسمع صوت رجال مكافحة التجسس . كانت الاجهزة منصوبة فى تلك الشقة المجهزة لنقطة مراقبة ، اجهزة خاصة . وحالة الاستماع رائعة .

سأل قسطنطينوف مستغرقا :

– ماذا سنفعل ؟

– كيف ؟ نلقي القبض – اجاب درونوف فى الحال .

– على مَنْ ؟

* نصب دائرى تصور لوحاته الجدارية الداخلية معركة بردينو بين جيش كوتوزوف القائد الروسى وجيش نابليون (عام ١٨١٢) . **المعرب** .

– عليهما كليهما .

تنهد قسطنطينوف ، وقال فى السماع لكونوفالوف :

– دع المستهدف يذهب . حاصروا المنطقة . حددوا مكان ووقت الخروج .

ضغط على زر جهاز آخر .

– الا يلتفت «الخشاب» الى الناس ؟

– على العموم ظلام تام . ولا يوجد اى عابر سبيل . بينما هو يسير كالذئب ، يترصد فيما حوله ، يتظاهر بأنه يقوم بتمارين رياضية ، واحيانا يبدأ بالركض الخفيف . . .

– لو سيلاحظكم ، لانهار عملنا جميعا .

– عندئذ يقتضي رفع المراقبة .

– ارفعوها . سدوا جميع مخارج المنتزه ، وانظروا بانتباه – فقد تمر سيارة ، سجلوا اين تفرمل ، تتوقف . . .

– طيب ، سنسعى ، يا رفيق ايفانوف .

بدأ كونوفالوف :

– المستهدف استدار بحدة وبسرعة هائلة من الجادة العمومية الى شارع ضيق يمتد من البيت الريفى «بليجنيا» الى قوس النصر ، ضغط على الفرملة ويترصد فيما حوله . تركناه على الجادة العمومية . يبدو انه استدار مرة اخرى ، وسار ببطء فى طريق ضيق . المنتزه محاصر .

– هل تستطيعون القيام بالمراقبة من جادة موجايسكويه ؟

– نعم . اكلفهم بمهمة . انتظر لحظة . ابلغونى توا بأن سيارة جيك كاربوفيتش خرجت من السفارة ، وهى تسير فى شارع كوتوزوفسكى باتجاه منتزه «بوبيدا» .

– اين سياراتكم ؟ هل توجد واحدة فى جادة موجايسكويه ؟

– نعم ، سيارتان عند المخرج من المنتزه ، واثنتان تتحركان ببطء باتجاه قوس النصر ، تحاولان مراقبة لونس . سيارة لونس تسير ببطء شديد .

كان يجب على قسطنطينوف ان يتخذ قرارا – وحيدا ودقيقا – خلال بضع ثوان . فاذا القى رجال مكافحة التجسس القبض على لونس او دوبوف دون ان يجدوا دليل اثبات فان العملية كلها ستنهار ،

والعميل – اذا كان دوبوف عميلا بالفعل ، وليس رجلا وقع فى مركز المصادفات ، مما يقتضى تقديم البرهان – توقف عن عمله ، لفترة ما ، بينما سيتابع رجل وكالة المخابرات المركزية نشاطه ، وستصدر السفارة مذكرة احتجاج ، وبالمناسبة ، سيكون عملها محقا .

المسألة ما هى خطة وكالة المخابرات المركزية الآن ؟ – اذا كانت هناك خطة ، على اية حال ، وليست مطابقات عارضة .

من يجب ان ينقل المعلومات ؟

دوبوف ؟

او بالعكس ان وكالة المخابرات المركزية ارسلت للعميل تعليمات جديدة ؟

ام ذلك خروج للعميل ولرجال وكالة المخابرات المركزية ليتحققوا من ان كل شىء على ما يرام ؟

وعندئذ لماذا تنطلق السيارة الثانية من السفارة فى نفس الاتجاه ؟

للحيطة ؟

اذن ، فليست هى مجرد خروج ، بل عملية .

ضغط قسطنطينوف على زر تلفون يصله بكونوفالوف :

– الا تتذكر ان احدا من الذين تحت وصايتكم قد مرّ بسيارة «الخشاب» عندما توقف قرب «مغيمو» * فى ساحة كريمسكيا ؟ يوم امس الاول ، فى الساعة الخامسة ، هل تفهمنى ؟

– تتصور السيارة رمزا معينا ؟ كلمة سر ؟ اشارة اذا قلت بعبارة ادق ؟

كرر قسطنطينوف فى بطء :

– لم تتذكر – ام لم تسجل ؟

– لم نتوقع هذه الطريقة .

«يعنى لو نفرض ان دوبوف اوقف سيارته عند «مغيمو» وذهب للقاء اولغا لكى يرى احد رجال التجسس الاشارة ، عابرا جسر كريمسكى – وهو طريق اعتيادى لا شكوك فيه ، بل لا حاجة الى

* مجموع الحروف الروسية الاولى «معهد العلاقات الدولية فى موسكو التابع للدولة» . **المعرب** .

الدوس على الفرملة ، فأنظر الى الجانبين فقط ، عندئذ يعنى ان تبادل المعلومات يجرى غالبا ، اربع مرات فى الشهر تقريبا . هذا اذا كنت على صواب . واذا لم اكن ؟» .

– ارفعوا المراقبة عن السيارة الثانية ، اخرجوا رجالكم من الجادة ، حتى لا يلحظونا . انتهيت .

وضع قسطنطينوف كلتا السماعتين ، وشعر بالعرق يتصبب على جبينه .

بعد خمس عشرة دقيقة ، اتصل الرجال الذين كانوا يتعقبون دوبوف بقسطنطينوف :

– عاد «الخشاب» الى محطة الباص ، وفى يده جريدة كالمعتاد ، ولكن غير ملفوف بها شىء ، كما يبدو .

تأوه درونوف :

– يجب القبض على لونس عنده كل شىء .

– سيرمي اللفة من السيارة ، ويقول اننا ننتهك حصانته .

– لتذهب حصانته الى الشيطان !

– لا تمس حصانته . . .

خرج لونس من منتزه «بوبيدا» عند قوس النصر ، وانطلق الى السفارة بسرعة هائلة . كان ذلك فى الواحدة والنصف بعد منتصف الليل .

عاد دوبوف فى الباص الاخير ، ومرة اخرى وقف طويلا على عتبة غرفته يتلفت ، ثم القى الجريدة على الارض ، وتقدم من المكتب ، واخرج من جيبه غصنا ، وفتحه ، واخرج منه بطارية .

– تعال ، انظر – قال قسطنطينوف للملازم درونوف – هل معقول انها علبة فيها معلومات ؟

– البطارية رقم ٤٣٧ ، ايها الرفيق الجنرال . والمخازن مملوءة بها .

. . . جلس دوبوف عند المكتب ، وفك قعر البطارية الاعتيادية رقم ٤٣٧ لمصباح يدوى . ان هذه البطاريات يمكن ، بالفعل ، شراؤها من المخازن ، هى وحدها ، اما الانواع الاخرى فلا تباع

الا فى مخازن «بريوزكا»* . اوه ، شطار فتيان وكالة المخابرات المركزية ، فكروا فى كل شىء !

اخرج دوبوف من البطارية شريطا ، ووضعه على المكتب ، وزفر زفرة ثقيلة ، ونهض ببطء ، وتقدم من رف الكتب شاحطا بحذائه ، وتناول من الصندوق الاسفل نظارة ، وعاد الى المكتب ، وبحركة معتادة عدل الشريط ، واخذ يقرأ ببطء محركا شفتيه قليلا .

«لم يعر درونوف التفاتا الى النظارة — لاحظ قسطنطينوف مع نفسه — انها ليست نظارة ، بل هما عدستان مكبرتان صنعوهما له» .

ظل دوبوف يقرأ وقتا طويلا التعليمات التى تلقاها من لونس لتوه ، ثم خبأه فى البطارية ، وحشر البطارية فى مصباح صينى موضوع على المكتب ، تحقق هل يشتعل . اشتعل بصورة طبيعية ثم اخرج من المكتب ورقة ، وخطط عليها شيئا ، واحرقها . وفرك الرماد فى يده ، واحرق ورقة اخرى ، ثم ثالثة — رسم بقلم جاف ، خشي ان تبقى آثار ، نهض ، وسار ببطء نحو الباب ، وعاد بعد دقيقة ، وجلس الى المكتب ، بعد ان امسك رأسه بيديه .

— خبز الجاسوس يابس — والتفت قسطنطينوف الى درونوف — يمكن ان يعجن منه تمثال : «الهلع واليأس» .

«دلت المراقبة :

فى الساعة ٧,٣٠ خرج «الخشاب» من بيته فى بدلة رياضية ، وخلال اربعين دقيقة ركض الركض الخفيف الى منتزه «بوبيدا» والعودة منه . فى منتزه «بوبيدا» لم يتصل بأحد ، ركض حول المسلة ، وعاد الى البيت ، ونزل الى السيارة فى الساعة ٨,٤٥ ، وذهب الى العمل» .

فى الساعة ٩ تماما ، فتحت جماعة نيكوديموف المخبأ السرى المخفي فى البطارية .

كانت اول التعليمات تقول :

* مخازن تبيع بالعملات الاجنبية . **المعرب** .

«نحدد مكانا جديدا . من مخرج مترو «سبارتيفنيا» (القريب من لوجنيكى) سر على الجانب الايمن لشارع «فرونزنسكى فال» ، الموازى لخط السكة الحديد ، باتجاه مقبرة «نوفو-ديفيتشى» . وعند الاقتراب من النهر تجد جسرا كبيرا للسكة الحديدية . المشاة مسموح لهم بالسير على هذا الجسر . هناك دروب ودرج تؤدى الى الجسر من كلا الجانبين ، وكلا طرفى الجسر . على الجسر اربعة ابراج ، على كل جانب برجان . اصعد الدرج المؤدى الى الجسر من شارع «فرونزنسكى فال» ، مقابل محطة البنزين ، اى من الجانب القريب من مركز المدينة . وحين تبدأ بعبور النهر سيمر الدرب الذى تسلكه عبر احد الابراج . وسيكون ظرفنا داخل البرج على افريز النافذة الحجرية العميقة الى يسارك على بعد ٣٠-٤٠ سنتمترا من الحافة . وسيكون مموها على شكل قطعة من الحجر الرمادى بحجم ١٥×٢٠ سنتمترا تقريبا . والاشارة على تسلمك له هى ان تضع علبة حليب كارتونية مدعوكة داخلها ثقل ، للتأكد من ان الريح لا تجرفها . واذا اردت ان تنقل لنا مواد ، فضعها فى تلك العلبة . تؤكد على ان تضع علبة الحليب المثقلة على الحافة ، فى المكان الذى وجدت فيه ظرفنا لك . ثم تابع سيرك على الجسر ، وانزل من الدرج الى الكورنيش فى جهة النهر ، حيث محطة كييف للقطارات . فى العادة يقف رجل ميليشيا على هذا الجانب من النهر عند شارة المرور الضوئية . الا انه لا يستطيع ان يرى لا المكان ولا اياك فى الوقت الذى تعبر فيه الجسر . وهو فى العادة يترك الخفارة ما بين الساعة ٢٢,٣٠ و٢٣,٣٠ . وظرفنا سيكون فى مكان التبادل فى الساعة ٢٣,٠٠ ، ويجب عليك ان تأخذه فى الساعة ٢٣,١٥ ، واضعا فى مكانه اشارة التسلم ، اى ان تترك علبة حليب مدعوكة فارغة مثقلة فيها المواد المرسلة لنا . وفى حالة تركك ظرفا لنا سنترك لك علبة حليب مدعوكة عند محطة الباص فى كورنيش بريجشكوفسكيا . وفى هذه الحال ستكون اشارة التسلم علبة صفيح فارغة مدعوكة من علب البازلاء فى زاوية ، فى العمق ، فى الجانب القريب من الشارع . يمكنك ان تجد اشارة التسلم فى الساعة ٢٤,٠٠ . اسمع الى برامجنا الاذاعية كالعادة فى نفس الوقت . المفتاح الجديد لفك الشفرة ستجده فى رواية بيتشر ستاو ، طبعة عام

١٩٦٥ ، «دار للاطفال» ، صفحة ٨٢ ، وهى التى اعطيت لك اثناء اللقاء الماضى . وللتحوط سنعيد برامجنا من الساعة ٧,٠٠ الى ٧,٣٠ ، اثناء ممارستك الرياضية قبل الركض فى منتزه «بوبيدا» . نرجو الا تترك الركض الخفيف ، اذ يجب ان تكون لنا امكانية دائمية لرؤيتك ، حين يكون ذلك ضروريا لنا» .

اشارت ورقة التعليمات الثانية :

«الصديق العزيز ! نحن نشكرك على صور الوثائق التى ارسلتها فى المرة الماضية . الا ان نوعية التصوير تجعلنا نرجو الافضل . الظاهر انك تمسك بالقلم المزود بكاميرا فائقة الحساسية ليس افقيا كليا ، بل تميل به قليلا الى اليسار . نرجو ان تهتم بان يكون القلم يقع افقيا على اوراق المعلومات المهمة لنا للغاية . اخصائيونا الان يعملون ليركبوا لك نموذجا ثانيا للقلم المزود بكاميرا تلتقط «رقعة» واسعة . الا ان هذهالآلة نستطيع ان نزودك بها اما بعد شهر ، واما هنا ، فى الغرب ، حين تسافر فى ايفاد خدمة .

فى الطرد التالى نرسل لك اضافيا الامبولات التى طلبتها ، ولكننا نفعل ذلك عن غير ما رغبة ، لاننا واثقون فى امانتك التامة ، لا سيما بعد ان بدأنا هنا عملية التغطية التى تسير بنجاح .

كما نبعث لك راتبك بالروبلات لشهرين ، وتلك المصوغات التى حددتها فى الكتالوج .

نود ان نبادلك – بصراحة تامة – تصوراتنا عن مستقبلك . نحن نفهم رغبتك فى السفر الى هنا فى ايفاد . ونقدر تقديرا عاليا ولاءك لمُثل الديموقراطية الغربية ، غير ان عملك فى موسكو يجلب فائدة لا تقدر بثمن لقضيتنا ، وبودنا ان نرجو التروي فى مسألة امكانية تأجيل السفر ولو لعام واحد . وخلال هذه المدة سيكون فى حسابك ٥٧٧٢١ دولارا و٥٢ سنتا ، مما يتيح لك امكانية مزاولة «بزنس» .

بخصوص الشقة التعاونية . رغم اننا نرسل لك مبلغ ٤٠٠٠ روبل للدفعة الاولى للتسجيل ، ولا نقتطع اياه من راتبك ، حاسبين اياه على باب مصروفات «الشقة السرية» ، ومع ذلك لا يسعنا الا ان نعرب عن مخاوفنا من ان هذا النوع من الشراء يثير تساؤلات

المعارف وزملاء الخدمة ، كما يجلب انتباه الجيران ، لان القصة التى اخترعناها لك تقول : «موارد مالية محدودة للغاية ، واقتصاد فى كل شىء» قد تثير الشبهة . واقرباؤك هم اول الذين سيعربون عن حيرتهم فى هذا الخصوص . نحن الآن نفكر فى مسألة تجهيز غرفتك – كما قد طلبت انت – بجهاز خاص للتنبيه فى حالة دخول احد اليها سرا فى غيابك . ولهذا وفى التبادل التالى للمعلومات يجب عليك ان تقدم لنا وصفا كاملا مسهبا لجهازك الراديو الذى سيكون مركز «التنبيه» فى غرفتك المتصل برجالنا العاملين فى شارع تشايكوفسكى . ان مثل هذا «التحوط» يتيح لك ان تحتفظ مطمئنا برسائلك فى البيت ، لا ان تحفظها فى الكراج .

نرجو ان ترسل لنا كل المعطيات عن صاحبتك الجديدة بما فى ذلك طبع اصابعها ، وكذلك لقب عائلة الام والجدة قبل زواجهما . انها لفاجعة جدا خاتمة علاقتك مع صاحبتك السابقة التى حلت لغزك . كان ذلك درسا طيبا لك ، ولنا بشكل خاص . لقد فقدنا الحذر . اذ لم يكن يجوز ، فى كل الاحوال ، استئجار مثل تلك الغرفة التى كنتم تلتقون بها . فى المستقبل ينبغى استئجار شقة فى بيوت ملك لاشخاص ، حيث بدلا من البرنامج الاذاعى للفندق يمكن تماما نصب «ستريوفونيك» للصوت المجسم يوّلد نفس المزاج الذى يولده «هيلتون» بغرفه المزودة بالراديو .

نحب ان ننقل لك تحية فاتنتنا «ب» . انها كالسابق ، تنتظر لقاء معك بلهفة . اعمالها واعمالك تسير سيرا حسنا فى «البزنس» ، وفى القريب وعدت «ب» ان تعد لك حسابا كاملا عن التوظيفات ، والارباح المحتملة» .

وكانت ورقة التعليمات الثالثة تقول :

«الصديق العزيز ، نرجوك جدا ان تصور كل الوثائق السرية التى تقع بيديك ، وليس اختيارا ، كما انت تفعل الآن . ونحن اذ لا نشك قط فى تضلعك ، نود ، مع ذلك ، ان ندرس كل الانعطافات ، والتلاوين الدقيقة والمقولات التى تحتويها . نحن على ثقة من انه حتى قلم التصوير الذى تستخدمه الآن يوفر لك امكانية تصوير ما بين عشرين الى اربعين صفحة فى اليوم . ونرجو ايضا ان ترسل لنا تسجيلاتك للاحاديث مع المسؤولين الذين التقيتهم اثناء

فترة راحتك فى بتسوندا . نرجوك ان تسعى الى ان تتبّع نفس مجموعة الاسئلة التى اطلعناك عليها . ان ذلك يخفف علينا دراسة معلوماتك لرفعها الى القادة من اعلى المستوى فى حكومتنا . وكما فى السابق اعط الحد الاقصى من اهتمامك الى ناغونيا ، لانك فى القريب العاجل ، ستقرأ فى الصحف عن انتصار القضية التى نخدمها سوية معك . الشيء الذى فكرنا به حظي بأعلى موافقة ، والآن كل شيء ستقرره ايام وليست شهورا . وبعد ان يتحقق الذى وضعت انت فيه الكثير من الطاقة سيتعين عليك ان تستريح ، على ما يبدو . وسنكون على استعداد لان نعتبرك «معزولا عن العمل» ثلاثة اشهر ، وخلال هذه المدة قوِّ جهازك العصبى ، واقض فصل الصيف بشكل طيب ، وبعد ذلك نعيد صلتنا ، بنفس الطريقة التى قمنا بها قبل نصف سنة . نذكر ان اللقاء التالى سيكون بعد غد فى ٢٣,٣٠ فى الموقع «منتزه» فى المكان المعروف لك . اشارة السر من الساعة ١٨,٠٠ الى ١٨,٣٠ عند موقف سيارتك «الفولغا» فى الموقع «بارك بلاتس» : معلوماتنا ستكون موضوعة فى «غصن» . اصدقاؤك» .

اطلع الفريق فيدوروف على جميـــع الوثائق التى جلبهـــا قسطنطينوف ، وتمشى فى غرفة المكتب ، وتوقف عند النافذة :

– ماذا يحفظ دوبوف فى الكراج ؟

رد قسطنطينوف :

– دفتر يوميات ، رسائل ، صور . انا لم اتم فحصها بعد ، صورناها ، وستجف .

– هل تريد ان نبدأ معه لعبة ؟

– سيقبل ، يا بيتر غيورغيفتش .

– فى مكان ما فى ارشيفي زمن الحرب يوجد جدول طريف : من بين عملاء المخابرات العسكرية الالمانية الذين كنا نغريهم فى لعب اللاسلكى قبل معظمهم فى الحال العمل الى جانبنا . ولكن هل لنا الحق فى اللعب فى الحال الراهنة ؟ المعلومات التى يرسلها الى لنكـــلى حقيقية . الهدف ناغونيا . وحتى موعد الانقلاب لم تتبق الا اسابيع ، والادق ايام . وبالعبارة الصريحة نحن لا نلحق ان نعدّ معلومات يوثق بها ، سيفهمون لعبتنا ، وينقلون الموعد ، ويبدأون فى وقت

ابكر . اما الآن فنحن نملك اوراقا رابحة ، ونحن على حق فى اعلان هذه المسألة – عاد بيتر غيورغيفيتش الى المكتب ، واشار بأصبعه الى صور التعليمات – يبدو ان ذلك يولد انطباع الرجّة ، ستضطر واشنطون إلى ان يتراجع .

– انهم يرفضون كل شيء ، يا بيتر غيورغيفيتش . اذا نحن لم نقبض على جاسوس وكالة المخابرات المركزية هنا وهو يضع معلومات فى المخبأ ، فانهم يرفضون .

– اين تنوون القبض على دوبوف ؟

– فى البيت ، بعد العمل مباشرة ، اليوم بالذات . فلا يجوز التأخير . فاذا احرق التعليمات فسنكون عراة .

– نعم ، اذن ، الافضل ان لا نكون عراة . كيف يقال : – «لا يفهموننا» ؟ ها ؟ لا يفهموننا ، اذا بقينا بدون دليل اثبات ؟ انا لا افهمكم على اية حال . ماذا من سلافين ؟

– اليوم لم يظهر على خط الاتصال .

– هل كررتم السؤال ؟

– لا احد يعرف اين هو ، يا بيتر غيورغيفيتش .

سلافين

– اسمعني – كرر هليب متعبـــا – اذا كانوا لا يصدقون بجرائدنا ، فانهم لا يصدقون على الاطلاق بمقالاتك الفاضحة . نحن لا نتأثر بفضحكم ، مثلما انتم لا تتأثرون بفضحنا .

– مستر هليب ، انهم يتأثرون بفضح ألمحت به وطلبتَ مني ان أموّهه قليلا . الادميرال لا يريد ان يكون فى دائرته رجل له علاقة قربى بالنازيين ، أخفى عن البوليس الدولى عميلة تحمل جواز سفر مزورا . لننزل ، غير لطيف . فان بول طال انتظاره لنا .

– نظمت لبول مقابلة صحفية جديدة مع مستر لورنس وقد سافر ، فلا تقلق فاننا وحدنا . يا بيلار ، الا تحبين ان تعدي لنا كوكتيلا ، يا غفابينيا ؟

– بكل سرور . ماذا سيشرب صديقنا ؟

– ما لا يموت الانسان منه – وابتسم سلافين – على ذوقك .

هزت المرأة كتفيها قائلة :

– من قرأ روايات مغامرات اكثر ؟ – اعتقد انت لا انا .

نزلت الدرج الى الاسفل ، وسمع سلافين باب البيت الخارجي يطبق بخفة . لقد بقيا وحيدين .

لاحظ سلافين قائلا :

– الوثائق التى تحطمك لا تُحفظ فى غرفتى . انها مخفية فى امان تام .

– قلت ذلك خائفا اننى انوى القضاء عليك ؟ يا الهى ، الى اى حد انتم مريبون جميعا ، يا فيت . طيب ، تعال نتكلم بصراحة ، اوكي ؟

– اوكي .

– سيكون غير مريح لى ان يكتسب ما قلتَه لبول شكل وثيقة بالاسماء والصور والوقائع . صحيح ان الفضيحة التى تحدثت عنها تلفها مجموعة من الاقاويل الفنطازية فيها من الاختلاق اكثر مما فيها من حقيقة ، ولكننى لا اريد ذلك . ما هى شروطك ؟

– انا ، مثل بول ، تهمنى اسماء «الاصدقاء الطيبين» لشركة مستر لورنس ، لا اكثر .

– من اى قومية ؟

– من مواطنينا ، امر مفهوم .

– وماذا يقدم ذلك لك ؟

– ما يقدمه لبول – الاثارة .

– اعطيك الاسماء ، وانت بدورك ، اعطنى الوثائق المتعلقة بهونغ كونغ .

– وبالنازية ؟ وبالمرأة التى تحمل جوازا اجنبيا . هذا لا يقلقك ؟

– احدد بـ«هونغ كونغ» كل تشكيلة معلوماتك .

– طيب ، نؤجل اللقاء الى غد ؟

– ولكن الآن غد .

نظر سلافين الى ساعته : الساعة الثانية والنصف صباحا . سأل :

– هل لديك اقتراح ؟

– اكتب لى اسماء المشتركين فى قضية هونغ كونغ ، وانا اكتب لك اسماء اصدقاء لورنس المعروفين لى .

– اتفقنا . . . اين يمكن ان نجلس ؟ فى الاسفل ؟ ام هناك ضيوف ؟

– لماذا ؟ لننزل الى الاسفل .

عندما نزل سلافين وهليب كانت بيلار وحدها فى الصالة . كانت تقف عند نافذة هائلة على كل الجدار ، ضاغطة جبينها الى الزجاج .

قال هليب :

– اتفقت مع مستر سلافين ، يا غفابينيا . فافرحى بنا .

التفتت المرأة ، كان وجهها شاحبا . قالت :

– هذا فظيع . لتكن لنا منغصات ، وفى نهاية الامر سنجتازها ، وماذا سيكون للروسى الموجود فى المستشفى اذا يسلم الى موسكو ؟

سأل سلافين متقدما الى الامام :

– تقصدين زوتوف ؟

كان صادقا فى تمثيل اندهاش سعيد .

– انا لا اعرف اسمه ، لم اتعرف عليه . مجرد اننى اقرأ الجرائد . . .

ضحك جون ضحكته المتخشبة ، وقد القى نظرة سريعة الى سلافين ، وفكر هذا فى انهما يضربان على وتر واحد بشكل لا بأس به ، يضربان بمهارة ، ويدخلان عنصر العاطفة المفهومة للمرأة – لم تضبط نفسها ، المسكينة ، اما هو فقد تقمّص الضراوة بذلك الشكل الصارم المعتاد لسلافين (ضحكة مقصودة فى مواقف معقدة) حتى من المستحيل تماما عدم التصديق بخيانة زوتوف .

سأل سلافين من جديد منضما الى اللعبة :

– هل معقول ان زوتوف رجلكم ؟

– بهذه السهولة تصدق المرأة ؟ بالطبع من حقك ان تأخذ كلماتها مأخذ الصدق ، ولا تكتب لى بشأن هونغ كونغ . – ونظر الى بيلار من جديد – قبل حين اتفقنا على هذا اتفاق جنتلمان .

– سأكتب ، يا جون . ولكن بيلار ذكرت اسما ، بينا انت كررت مرتين اسمين .

– الاسم الثانى استطيع الا اكتبه لك ، فهى لا يهددها شىء .

– هى ؟ ولماذا هى ؟ لماذا لا يهددهـــا ؟ – فهم سلافين الاختبار ، وردّ عليه بالضبط ، وقد راى ذلك فى عيني بيلار – لم تكن صديقة جيدة للورنس مثل زوتوف هذا ؟

اجاب جون :

– كانت صديقة جيدة جدا ، سوى انها لم تعد فى الوجود ، لن يستطيعوا ان يفعلوا لها شيئا ، فقد توفيت ، يا فيت .

– انها زوجة زوتوف ، على ما يبدو ؟

– نعم – اجابت بيلار ، وقدمت لسلافين قدح جن – هل تريد ان أشرب جرعة ؟

– انت لا تشربين الا النبيذ الاحمر ، غفابينيا – اجاب سلافين – بالمناسبة ، لماذا غفابينيا ؟

قال هليب موضحا :

– انها من غاليسيا . واسم التصغير من «عوآبا» – وتعنى الحسناء – ينطق غفابينيا – الحُسيناء وانا يعجبنى هذا اكثر .

فكر سلافين مع نفسه وجرع الجن :

«انهما يظنان انهما استطاعا ان يقوما بدعم «عمليتهم للتغطية» . قاما بها بشكل لا بأس به ، ظننت انها ستخرج اكثر رعونة ، اعطونا فينتر الميتة ، وزوتوف الذين سوّدوا صفحته بانفسهم ، وهم يظنون اننا سنتتبع الان هذا الاثر . لطيف جدا . هذا يرضينى ، ويرضينى جدا جدا ، ولكن لا يرضينى اطلاقا انكم تضعون تحت الحراسة زوتوف ، السيىء الحظ ، الاشيب ، الرجل الطيب . ذلك ما لا يرضينى ، يا هليب ، وانت تفعل بان يطلق سراحه ، اقســـم بالشرف بأنك تفعل ذلك» .

– ما دمت قد سميت لى اسمي صديقيك فا . . .

قاطعه هليب :

– صديقي مستر لورنس . انا وهو شخصان مختلفان ، انا اكافح فى سبيل حبى وفى سبيل عملى التجارى ، اما هو فلديه مهمات اخرى ، يا فيت .

– طيب ، انا فاهم . هذا موقف . . . مجرد اننى اردت ان اقول ما دمت قد سميت لى الاسمين ، فانا لا اكتب ، بل اسمي الاسماء التى أعرفها . مقبول ؟

نظر جون الى بيلار ، فهزت هذه رأسها .

– اذن ، مستر لاو ، مستر ليم ، مس فيرناندس ، هير شانتس ، المرحوم مستر جو سكرتير مستر لاو ، مفتش الكمرك البريطانى . انظر انا اعدد لك من الاسماء اكثر بكثير مما ذكرت لى . لقد سلكت سلوك جنتلمان ، أليس كذلك ؟

قال هليب :

– نعم ، كليا .

«لماذا تستعجل ؟ فانا لم اسمّ لك تلك الاسماء التى لا تستطيع ان لا تحدسها – هل معقول ان لك ذاكرة سيئة ؟ – فكر سلافين باجهاد – ام ان اهم كل شىء لك هو ان تغرس فى رأسى اسماءك ؟ هيا ، اغرسها ، أ'نظر كيف أنتظر بتوتر ؟»

قالت بيلار بهدوء :

– كلا . انت لم تسم بعد اسما واحدا آخر .

ضحك هليب ضحكة تهكم مقتضبة ، وقال بلا ابطاء لاعبا دوره :

– لا احد يصدقها . انها مجنونة .

– انت تقصدين ايما ؟ – سأل سلافين – أليس كذلك ، بيلار ؟

– نعم .

– لم اغفل احدا الان ؟

قالت بيلار :

– لا .

اكمل سلافين شرب قدحه من الجن ، ووضع القدح على مرمر الموقد ، وابتسم :

– وانت ؟

«الى المركز .

لم اتصل لاننى اجريت حديثا مع هليب . أن «الشريك» الذى يتخذ حرف «ب» هو ، فى رأيي ، بيلار سوارس ، وهى فيرناندس نفسها . سمّى هليب وبيلار اسمى فينتر وزوتوف «كصديقين» للورنس بالتبادل مع معلوماتى عن هونغ كونغ . وقد اقنعته ، كما يتراءى لى ، باننى مصدق بخيانة زوتوف . وهليب واثق بانه «بعد

ان اعطانا» فينتر وزوتوف فقد قام بعملية التغطية بنجاح . انه يتوقع ان رد فعل لانكلى سيكون متحفظا فى حالة ظهور مادة فاضحة عنه وعن بيلار . الا انه يجهل ان صورة بيلار وزوتوف فى الشرفة عشية الهجوم عليه موجودة فى حيازتى .

سلافين» .

التحرى رقم ٩
(تروخين ، بروسكورين)

دخل دوبوف الى مكتب رئيس القسم فى الساعة الثانية عشرة .

– مرحبا ، يا فيدور اندرييفيتش ، جئت لك برجاء .

– تفضل .

– الا تسمح لى بالتغيب اليوم من الساعة الثانية حتى الساعة الثالثة ؟

– هل انتهيت من معالجة المواد عن ناغونيا ؟

– سأفرغ منها فى نحو الساعة الواحدة . سابقى بلا غداء ، ولكن سأتمها . اريد ان اذهب الى دائرة تسجيل عقود الزواج . . .

– آه ، هكذا ؟ اذن ؟ اهنؤك ، من كل قلبى اهنؤك . من حبيبة القلب ؟

– انسانة حلوة لطيفة من عائلة عمالية ، بحيث لا اظن أنها ستلاقى تعقيدات فى وثائق السفر . هل طلبتم تأشيرة خروج لى ؟

– ننتظر .

– الوقت كاف ، بالطبع . يعنى ، انت تسمح لى ؟

– بالطبع ، بالطبع ، سيرغى دميتروفيتش .

عاد دوبوف الى مكانه ، بعد ان مرّ على القسم السرى ، ونشر على المكتب ملفات المواد عن ناغونيا ، واخرج قلم الحبر ، واخذ يلتهم السطور . الآن صار يمسك قلم الحبر افقيا تماما ، مراعيا ملاحظة وكالة المخابرات المركزية ، اللقطات كانت تطلع مقطوعة من الاعلى والاسفل ، وفى لنكلى كانوا لا يقدرون السطر فقط ، بل الفارزة ايضا .

فى الساعة الثانيـــــة نزل الى موقف السيارات ، وجلس فى «الفولغا» ، وذهب الى اولغا . قال :

– مرحبا ، يا حلوتى . هل جوازك معك ؟

– نعم ، ماذا هناك ؟

– لا شيء . اريد ان اقدم لك مفاجأة سارة .

اوقف السيارة عند دائرة تسجيل عقود الزواج ، وصعد مع الفتاة الى الطابق الثانى . كانت اولغا معلقة على ذراعه ، والتصقت به ، تقبله فى اذنه . همس دوبوف :

– لا حاجة الى جلب الانظار . سيطري على عواطفك ، مـــن فضلك .

– واذا لا تمكن السيطرة عليها ؟

– لا يحصل هذا . السيطرة قبل كل شيء . هل تريدين كثيرا ان تكونى زوجة ؟

– كثيرا .

– لماذا انتن جميعا متلهفات الى الزواج بهذا الشكل ؟

– لاننا نحب ، كما اظن .

ضحك دوبوف ضحكة مقتضبة ساخرة :

– وما هو الحب ؟ هل يمكنك ان تعرفيه ؟ طيب ، هذه فلسفة . املىء الاستمارة ، يا حلوة . وبعد شهرين ستسافرين معى الى الغرب . وهناك سنستوضح انا وانت هذه المسألة الفلسفية . اتريدين ان تسافرى معى ؟ للعمل . هل تريدين ؟

– ما اقواك واذكاك ، يا سيريوجا ! كم يبهجنى ان اكون معك !

ملأ دوبوف الاستمارة بسرعة ، وساعد اولغا ، واستمع ساهيا الى كلمات مسجل عقود الزواج :

– من كل قلوبنا نهنؤكما بقراركما . ننتظركما بعد ثلاثة اشهر ، وفى وسعكما التوصية على سيارة العرس فى الطابق الاول . وبخصوص خاتمى الزواج راجعوا الغرفة رقم ٨ . هناك سيوضحون لكما كل شيء .

قال دوبوف :

– شكرا على الخواتم والسيارة . ولكن ثلاثة اشهر لا تلائمنا مطلقا . نحن فى القريب العاجل سنسافر الى الخارج للعمل هناك

فهل تستطيعون المساعدة على تعجيل اجراءات الزواج ؟ سأعد التوصية اللازمة . طيب ؟

. . . وبعد ذلك اوصل دوبوف اولغا الى عملها ، وقدم له نفسه لتقبله .

— فقط الا تكون قبلاتك فى الاذن . اذ اشعر بدغدغة .

فى الساعة الخامسة اعطى جميع الملفات الى القسم السرى ، وتأكد من ان السكرتيرة سجلت الوقت بالضبط ، وذهب الى اجتماع نقابى .

كان تروخين وبروسكورين يراقبانه من نقطتين مختلفتين وقد لفت نظرهما ان دوبوف ، خلاف الآخرين ، يولي انتباها مبالغا به . وحين كان احد المتكلمين يطرح مسألة حادة ، كان يمعن النظر فى الجالسين فى منصة الرئاسة ، ويتصرف تبعا لرد الفعل هناك بالطريقة المناسبة : كان وجهه يتغير ، وكأنه رجل يقيس اقنعة الممثلين فى الزمن القديم — حيرة ، فرح ، استياء ، تلطف ، اهتمام . . .

بعد الاجتماع ذهب دوبوف الى بيته . صعد فى المصعد الى الطابق الرابع ، وفتح الباب ، وشعر بيدين على كتفيـــه . كان بروسكورين وغميريا يقفان الى جانبه وبالقرب من الباب ثلاثة من لجنة امن الدولة . والشهود امرأتان ورجل ذو لحية غريبة بدت لدوبوف ذات مربعات واضحة : الشيب فى الاسفل ، ثم خصلات شعر اسود ، وظل لون اصهب قرب الاذنين . سأل دوبوف شاعرا بوجهه يحمر ، وحنجرته تجف ، وانسداد ثقيل يعيق تنفسه :

— ما الخبر ، يا رفاق ؟

قال غميريا :

— سندخل معك ، وهناك نشرح لك كل شيء . افتح الباب بمفتاحك .

لم يستطع دوبوف ان يكبت الرجفة فى يده ، وتعصى عليه ان يضع المفتاح فى ثقبه .

— دخل احد غرفتى — قال لنفسه — اشعر ان احدا كان هنا .

فى الغرفة عرضوا عليه ان يجلس ، بعد ان فتشوا ملابسه . صار وجهه شاحبا ، وفى الحال لاح ازرقاقان تحت عينيه . قال غميريا :

— اطلع على أمر التفتيش .

لم يستطع دوبوف ان يقرأ ، فقد كانت السطور تزدوج . قال :

— تستطيعون ان تفتشوا ، ولكن ماذا فقط ؟ يبدو لى ان هناك خطأ . او انتم تخرقون قواعد التشريع الاشتراكى .

قرّب المحقق النقيب اغيبالوف مقعدا لنفسه ، وجلس مقابل دوبوف :

— لا تريد ان تعترف بكل شيء بصراحة ؟

— باى شيء ؟

— فكر . فالاعتراف الصريح دائما يؤخذ بعين الاعتبار .

سأل دوبوف متلجلجا بشدة :

— بأيـي شى عليّ ان أعتر-تر-ف ؟

قال غميريا :

— قدرت ان تتلطخ ، فاقدر ان تجيب ، يا دوبوف .

— ليس لى ما اعترف به . ومن العبث ان يأخذ رجالكـــم سيارتى .

نظر بروسكورين الى غميريا . بالفعل اخذوا سيارته ، كان يجب تفتيشها بسرعة ، فلعل المخبأ فيها .

— طيب ، ابدأوا بالتفتيش — قال المحقق اغيبالوف — اما نحن فننتظر الآن . . .

وبينما كان اغيبالوف يراقب رجال لجنة امن الدولة يشرعون فى التفتيش تناول ، عن سهو ، المصباح الموضوع على المائدة ، واخرج البطاريات . وضع اثنتين منها جانبا ، واخذ يدير الثالثة فى يديه باهتمام .

راقب دوبوف اصابعه مثبتا بصره فيها . احمر وجهه مرة اخرى ، وجف لسانه ، وبدا له ثقيلا بشكل لا يصدق .

وضع المحقق البطارية ، واشعل سيكارة ، وقرب منه نفاضـــة سيكائر ، ووضع عود الثقاب المحترق بعناية ، ونظر الى دوبوف . كان هذا يجلس متوترا دافعا رأسه قليلا الى الوراء ، وشفتاه ترتجفان مبيضتين .

تناول اغيبالوف البطارية مرة اخرى ، وفتح القعر ، ووضع على المكتب كبسولة فيها الشريط ، ونظر الى دوبوف .

– يعنى ، تعر-ر-فون . . .

– نعرف – اجاب اغيبالوف ، واخرج من حقيبته حجرا . زلطة اعتيادية ، سوى انها خفيفة ، اضغط على زر غير مرئى فستنفتح . ان هذا المخبأ قد اكتشف قبل جيى فى الكراج . . .

نظر دوبوف الى غميريا وبروسكورين اللذين كانا جالسين الى جانبه على ذراعى المقعد ، بحيث لا يكون قادرا على النهوض ، ثم حول بصره الى اغيبالوف :

– اذا كنتم تريدون ان تستخدمونى لعملكم فقولوا لرجالكم ان يعيدوا السيارة الى مكانها حالا . فان كل موقف يشرف عليه رجال من السفارة ، قد تفشلون اللقاء التالى . . .

نهض بروسكورين ، وخرج من الغرفة ، وجلس تروخين فى مكانه .

تابع دوبوف قوله :

– ولكن الامر لايقتصر على السيارة . انا ايضا هدف مراقبة دائمية من قبل رجال من السفارة ، وبالتالى ، فان لحياتى قيمة بضائعية . هل تضمنون حياتى ؟ عندئذ سنقوم بكل شيء فى احسن شكل .

اجاب غميريا :

– دوبوف ، فيما يخص حياتك ، المحكمة ستقرر .

– الا يمكن من غير محاكمة ؟

– لا – قال اغيبالوف – غير ممكن .

– مع الا-سف . استطيع ان اقدم الكثير جدا ، وما استطيع ان اقدمه لا يستطيع غيرى ان يقدمه . . .

– اذن ، هيا – قال غميريا – قل وسنستمع .

– الافضل ان اكتب-تب ت-تريدون ؟

ونهض ، واخرج قلم الحبر من جيب سترته بخفة ، وكانت معلقة على مقعد آخر ، ومدّ يده الى الورق الذى كانت توجد منه اضبارة قرب المصباح ، وكتب بخط عريض :

«انا ، دوبوف سيرغى دميتروفيتش ، ارى واجبى ان اعلن ما يلى فى المسائل المتعلقة بعملى فى وكالة المخابرات المركزية . . .»

وفكر برهة ، ورفع القلم الى فمه ، كمَن يفكر ، وبعد ذلك هز راسه هزا سريعا ، وقضم طرف القلم . لم يلحق غميريا ان يفعل شيئا . سقط دوبوف على الارض ، وصار وجهه يزرق . و«الاسعاف العاجل» الذى استدعى من مستشفى سكليفوسوفسكى شخّص حالته بالاوديميا الرئوية . وخلال ثلاث ساعات جاهدوا لانقاذ دوبوف . وفى الساعة العاشرة توفي . واظهر تشريح الجثة وجود السم الذى ماتت به اولغا فينتر ، وهو ، «الذكى» ، عميل وكالة المخابرات المركزية . والدكتور الذى قام بتشريح دوبوف فقد الوعي ، بعد ان استنشق بخار السم . فاشتغل الفريق الثانى بكمامات المضادة للغازات .

قسطنطينوف

ادار بصره فى المجتمعين ، وتنحنح ، ولكنه لم يبدأ بالكلام . كان يشعل السيغار طويلا ، ويصمت حتى بعد ان نفث نفثة قوية من الدخان الازرق الخفيف امامه تماما ، وكأنما كان يطرد فى الصيد الخريفى البعوض الاخير واكثر البعوض مضايقة وخبثا .

– طيب ، يا جماعة – قال اخيرا وهو يسعل – باى شيء نذهب الى القيادة ؟

– بجثة – وتنهد غميريا – فشل ذريع لا شك فيه .

– ما كنت ساطرح المسألة بهذه الحدة – قال بروسكورين – فى الحساب الاخير اكتشف العميل ، وتوقف تسرب المعلومات ، وتعليمات وكالة المخابرات المركزية فى حوزتنا . هل معقول ان هذا قليل ؟

– ولماذا نطمئن انفسنا ؟ – وهزّ كونوفالوف كتفيه ، مستمعا الى دقات ساعة الكريملين – دقت دقتين . الساعة الثانية بعد منتصف الليل – ان ما قاله المقدم شيء طبيعى تماما ، ولكننا لم ننفذ الشيء الرئيسى : ليس لدينا جواسيس قبضنا عليهم متلبسين .

– صحيح – قال قسطنطينوف موافقا – فشل مرة اخرى ، ولكن يتعيَّن علينا ان نكتشفهم .

سأل بروسكورين :

– كيف سنمسك بهم الآن ، بدون دوبوف ؟ لا ينبغـــى الاغترار ، بل نكتفى بما هو موجود .

قال قسطنطينوف :

– تعالوا نحلل ما فى حوزتنا . ابدا ، يا رفيق غميريا .

نهض هذا :

– قليل فى حوزتنا . فى ايدينا التعليمات . بعد غد كان على دوبوف ان يلتقى بدبلوماسى مجهول ، وعلى الاغلب ، بلونس او كاربوفيتش . مكان كلمة السر المتفق عليها لسيارة دوبوف هو موقف «بارك بلاتس» ونحن نجهل اين يقع هذا الموقف . كما نجهل مكان اللقاء فى المنتزه ، والمنتزه واسع . ولكى نضبط رجال وكالة المخابرات المركزية فى لقائهم مع دوبوف عند الهدف «منتزه» يجب ان نحدد اين يقع «بارك بلاتس» . هذا كل ما لدينا الآن .

– وانت ؟

توجه قسطنطينوف الى بروسكورين :

– متفق مع غميريا .

– يا رفيق كونوفالوف . . .

– اذا كنا نريد ان نخرج بعد غد الى «المنتزه» يتوجب علينا ان نفكر فى قصة لاختفاء دوبوف الفجائى جدا : رجال السفارة لا يراقبون سيارته فقط ، بل ويراقبونه ايضا .

– هل انتهيت ؟ – سأل قسطنطينوف – شكرا . اذن ، اولا . على مجموعة الرفيق غميريا ان تضع وتؤمن مسألة «الايفاد المستعجل» لدوبوف الى الشرق الاقصى ، لحضور مؤتمر القضايا المتعلقة بمنطقة المحيط الهادى . ثانيا . تتابع مجموعة بروسكورين العمـــل فى استفسار منتظم من جميع معارف دوبوف عن : الطرق التى يسلكها ، الوقت ، الاماكن المعتادة لوقوف سيارته . ثالثا . تعد مجموعة كونوفالوف جميع المعلومات عن الطريق التى يسلكهـــا الرجال المكشوفون لوكالة المخابرات المركزية ، وهل هناك تسجيـــل الاشارات فى اماكن وقوف سيارة دوبوف ، كذلك الموقف عند معهد العلاقات الدولية فى موسكو ، انه ، على ما يبدو ، الاشارة السرية التى تلقاها فى التعليمات السابقة ، شبيهة بذلك جدا : فقد اوقف

السيارة هناك اكثر من نصف ساعة بقليل ، والتقى باولغا ، وفى اليوم التالى ذهب للاتصال فى منتزه «بوبيدا» .

– وكيف سنحـــدد «بارك بلاتس» ؟ – سأل بروسكورين متنهدا – ليس لنا ما نتشبث به .

قال قسطنطينوف :

– استدعوا اولغا فرونسكيا فى الساعة التاسعة صباحا . حاولنا التحادث معها . ادعوا بارامونوف . فهو الذى صنع الجهاز الوقائى فى سيارة دوبوف .

فى الساعة الرابعـــة صباحا ارسل قسطنطينوف شفرة الى سلافين :

«اطلب من هليب المساعدة على استدعاء زوتوف الى الاتحاد السوفييتى . اجعله يفهم ان ذلك مطلوب منك ، وبهذه الطريقة تؤكد مرة اخرى نجاح «عمليته للتغطية» . لا ارى من الملائم ان تدخل صورة زوتوف مع بيلار فى العملية . ارى ان هذه الوثيقة ستنفعنا فيما بعد» .

فى الخامســـة صادق قسطنطينوف على نموذج مصغر لمنتزه «بوبيدا» الذى استغرق صنعه يوما كاملا . وكان يجب التفكير فى كيفية توزيع الرجال ، لانه كان ينبغى تطويق منطقة هائلة ، ولم تذكر المعلومات المكان المضبوط للقاء . وطوال اليوم كان يجب نقل الرجال الى هناك ، ونصب كاميرات تلفزيونية خاصة ، وجهاز الرؤية الليلية ، وتهيئة مقر اركان لعملية القبض على جاسوس وكالة المخابرات المركزية .

فى التاسعة صباحا دخلت اولغا فرونسكيا مكتب قسطنطينوف ، وابتسمت له ، ولم يكن على وجهها ظل من الحيرة ، بل كانت هادئة تماما .

– مرحبا ، قالوا لى ان اذهب الى المدخل الرابع . . .

– مرحبا ، اجلسى من فضلك . هل لحقت ان تتناولى فطورك ؟

– اليوم لا آكل شيئا قطعا ، اشرب ماء باردا فقط .

– تراعين ايام الصوم ؟

– المرة الثالثة فى حياتى .

– هل تشاورت مع الطبيب ؟ يقال هذا لا يصلح لكل انسان .
– صديقى يعرف اليوغا معرفة ممتازة ، وهو واثق ان يوم الصوم ضرورى – ونظرت اولغا الى ساعتها . فسأل قسطنطينوف :
– احسست بالجوع الآن ؟ تنتظرين المساء ؟
– لا ، بل يجب ان اتلفن الى مكان عملي .
– ماذا تظنين ، لماذا دعوك اليّ ؟
– اظن له علاقة بالسفر الى الخارج . . .
– تنوين السفر الى الخارج ؟
– نعم ، مع سيرغى . . . مع زوجى المقبل .
– مفهوم . لا ، ليس هذا سبب دعوتى اليك ، مع ان . . . اريد ان اسألك كيف تنظرين الى رجل نحن نشك فى انه جاسوس ؟
– مثلما تنظر انت اليه – اجابت اولغا ببساطة – جاسوس يعنى شيء منفرٌ .
– لماذا ؟ – استفسر قسطنطينوف – فهذا عمل ايضا ، على اية حال . هناك نجارون ، وهناك طيارون ، وهناك جواسيس .
ضحكت اولغا قائلة :
– عمل بديع !
– اجرته عالية جدا . فى اوقاتنا الراهنة يدفعون جيدا للجاسوس «مقابل عمله الضار» .
– اتذكر ان امى قرأت لى شعرا فى طفولتى : «مأجور العصابات المعادية ، اجتاز العدو الحدود ، هو جاسوس ومخرب» . وبعد ذلك صرت اخاف ان اتمشى مع الجدة فى الغابة . كنت اتصور جاسوسا ومخربا وراء كل شجيرة .
– هل تحبين جدتك ؟
– اعبدها .
– اكثر من امك ؟
– لا يصح مثل هذا السؤال
– لماذا ؟
– لاننى ساضطر الى ان اجيب بما يكدر ، او كذبا ، وانا لا اريد لا هذا ولا ذلك .

– مفهوم . اولغا ، اعذرينى على هذا السؤال الصريح : هل تحبين سيرغى دميتروفيتش دوبوف ؟
– جدا جدا .
– ليس فقط بل «جدا جدا» ؟
– نعم .
– هل يعجبك عملك ؟
– لا .
– لاى سبب ؟
– مضجر . انا اعرف اننى استطيع ان اقدم اكثر ، والظاهر ان احدا لا يحتاج الى ذلك .
– هل اقترحتِ ؟
– ماذا ؟
– ان تقدمى اكثر واحسن ؟
– هذا لا يليق . . . وكأنما تفرض نفسك .
– تفرضين نفسك حين تطلبين . اما حين تقترحين فذلك شيء آخر تماما . اى كاتب تحبين ؟
– اوه . . . كثيرين . . غوركى . . مياكوفسكى ، بالطبع .
– ما احسن ما يعجبك من مياكوفسكى ؟
– كيف ما احسن ؟ «اشعار عن الجواز السوفييتى» .
– ومن غوركى ؟
– «اغنية عن بشير العاصفة» .
ضحك قسطنطينوف ضحكة مقتضبة خفيفة ، وتنهد .
– لسيرغى دميتروفيتش ولع فى الكتب الطبية ، الم يجذبك بعد ؟
– كان يحدثنى عن اليوغات . ممتع جدا .
– وهو الذى حدثك عن يوم الصوم ؟
– بالطبع .
– طيب ، انا افهم ، انه يحتاج لذلك . اما انت فما حاجتك بقوامك هذا ؟ ما زال الوقت مبكرا .
– يرى سيريوجا انه ينبغى منذ الصبا التهيئة للشيخوخة . فاذا اغفلت نفسك الآن ، فمن الصعب فيما بعد ان يكون لك قوام .

– صحيح على العموم . سؤال اخر : لاى شيء احببت سيرغى دميتروفيتش ؟

– انه ذكى جدا ، قوى . وجيلنـــا يميل الى الرجال فى سن الاربعين . يبدو لى ابناء سنى حمقى مأفونين ، مدللين . ولكن لماذا تسأل عن هذا ؟

– انت نفسك عيّنت السبب فى استدعائى لك . هل انت متعرفة به منذ وقت طويل ؟

– لا ، رغم انه الآن يبدو منذ الابد . انا فى العمل انظر طوال الوقت فى النافذة حتى لا يعيقنى زملائى فى العمل الرائحين فى ذهاب واياب دائميين من ان اتصور وجهه .

– متى التقيت به ؟

– مصادفة تماما . اضعت صديقتى ، وكنا قد اتفقنا على السفر للراحة سوية . الا انها لم تصل . دعانى هو الى قضاء يوم معه . فتناولنا فطورا جميلا ، ولم اكن اعرف ان الفطور يمكن ان يكون ممتعا كالعشاء ، احتفاليا ومعتبرا .

– وعلى الفطور احببته ؟

– هذا غير مفهوم لك ، رغم اننى اعرف لماذا انت تسأل بهذا الشكل . . . طيب ، وبعد ذلك البحر والشمس . . .

– البحر والشمس شيء ، والحب شيء آخر .

– ربما . . .

– ولماذا يبدو لك ابناء سنك حمقى مأفونين ؟

– لا اعرف . . . من الصعب شرح ذلك . انهم كسالى ، لا يقدمون لنا الزهور ابدا ، ولا يحسنون الكلام الممتع ، وهم يبوحون بعواطفهم بتهيب ، اما عيونهم فتكشف فى الحال ماذا يريدون .

– هل معقول انهم كسالى ؟

– اوه ، واى كسل ! اسأل مَنْ منهم يستطيع ان يكوي بنطلونه او يغسل قميصه ، اسأل ! وسيقولون : «وماذا ستفعل امي ؟»

– من المحتمل ان الحظ لم يسعدك ، وهذا كل ما فى الامر يا اولغا .

– لا شيء من هذا القبيل . حاولت ان اجد شابا طيبا . . .

– هذا يتوقف اين بحثت . طيب ، ليست عندى زيادة فى الوقت : هل توافقين ان تساعدينا فى قضيتنا ؟

– بالطبع .

– الا تريدين ان تسألى «فى اى قضية بالذات» ؟

– انا اثق بك ، فانت لا تدعونى الى قضية سيئة .

– نحن نريد ان تساعدينى فى فضح جاسوس .

– انا موافقة .

– هل فكرت ؟

– لا حاجة للتفكير . هذا واجبي . ماذا عليّ ان افعل ؟

– فى البداية يجب ان تتذكرى كل الاماكن التى ذهبت اليها مع سيرغى دميتروفيتش ، واين توقفت سيارته ، واين ذهبتمـــا للتنزه .

– اسأله هو ، فانه يعرف هذا احسن منى . . .

– بالتأكيد . ولكن حاولى انت فى البداية ان تتذكرى . موافقة ؟

– نعم . طيب ، اذن . . . ذهبنا الى «تلال لينين» * . وهناك توقفنا وتمشينا . . . ثم ذهبنا الى منتزه «بوبيدا» .

– ساعتين ، لا اكثر ؛ ها ؟

– لا ، نصف ساعة ، اكثر ما يكون .

– هل تشكى من ان سيارته صارت مختلة ، ان شيئا حصل للموصلات . ها ؟

– نعم ، احيانا . ولكنه يخرج ويحرك موصلات ، ويصلّح الخلل .

– وهذا غالبا ما يحصل . انا ايضا يعذبنى الموصل . اسمعى ، يا اولغا ، ماذا لو جلست معك الآن فى سيارة ، لتريني الاماكن التى تتنزهان فيها ؟ موافقة ؟

– انا لا افهمك تماما . لماذا لا تطلب ذلك من سيرغى ؟

– بعد ان ترينى جميع الاماكن ، يا اولغا ، سيأخذونك الى المطار ، لتسافرى مع احد زملائنا الى ادلر . وانزلى فى بتسوندا ، واستريحى ، وتدفئ فى الشمس ، واسبحى . . .

---

* بقعة مشهورة عند جامعة موسكو على ضفة نهر موسكو . **المعرب** .

— اوى ، ما امتع ذلك ! فقط عليّ ان اتلفن لسيرجى ولماما ، واخبرهما . ثم كيف مع العمل ؟

— رتبنا الامر مع العمل ، ولا حاجة لك حتى التلفنة اليهم . اما امك فماذا ستقولين لها ؟

— يجب ان اقول لها شيئا ما ، مجرد ابلاغهـا — وتنهدت اولغا — مجرد الشكليات اللازمة .

قدّم قسطنطينوف اليها تلفون الاتصال بالمدينة :

— تلفنى .

ادارت اولغا الرقم . لاحظ قسطنطينوف انها تلفنت الى عمل دوبوف فى البداية :

— هل ممكن ان اتكلم مع سيرغى دميترفيتش ؟ احدى معارفه ، اولغا فرونسكيـا . كيف سافر ؟ — ونظرت الى قسطنطينوف ساهمة — الى اين ؟ ومتى سيعود ؟ شكرا . . .

قالت لقسطنطينوف مندهشة :

— سافر فى ايفاد عاجل . . . من المحتمل انه تلفن لى ، بينما انا هنا عندكم . سيىء ، وقد يطرأ على فكره شىء آخر ، — وادارت رقم تلفون البيت بسرعة — ماما ، ألم يتلفن سيريوجا ؟ اوى ، تلفن ! صحيح ؟ ! ماذا قال ؟ اها . . . وعد متى يعود ؟

«شاطر غميريا — فكر قسطنطينوف — حتى هذه النقطة فطن اليها ، شاطر» .

— ماما ، تعرفين ، ساطير على وجه السرعة . لا ، ليس لالحق به . ساشرح لك فيما بعد .

لقنها قسطنطينوف همسا :

— بعد ان اعود .

— بعد ان اعود ، — كررت اولغا — هذا ايفاد خدمة . لا ، يا ماما ، ماذا تقولين ، كيف يمكن ان تفكرى بذلك ؟ ! اذن ، الى اللقاء . قبلى جدتى .

وضعت السماعة ، ونظرت الى قسطنطينوف : أهذا ما كان ينبغى ان اقوله ؟

ولبرهة من الوقت طاف فى ذهنه : هل يستأهل ان يكشف لها عن كل شىء ، ثم قرر بعدها ان يرجىء ذلك الى وقت آخر ، رغم انه

الآن كان موقنا كل اليقين ان اولغا لم تعرف شيئا عن حقيقة دوبوف . كذبت على امها بشكل لا مهارة فيه ، واجابت على الاسئلة بصراحة ، ودون تأمل ، ولم تتميز بافكار عميقة ، وفكرت بسذاجة ، بصيغ جاهزة ، ولكن حاسة ما أوحت له : «انتظر ، يجب الانتظار» .

صاحب قسطنطينوف اولغا فى خروجها من غرفة المكتب ، وتركها دقيقة فى غرفة الاستقبال ، واطل على الغرفة التى كان يجلس فيها ميخائيل ميخائيلوفيتش بارامونوف . فلما رأى هذا الرجل الجنرال اسرع بالنهوض ، ورفع جذعه ، ودفعه الى الامام بهيئة مَنْ يستعد ان يقدم خدمة .

— الآن سيتحدث معك احد رجالنا — قال قسطنطينوف ، واشار الى غميريا — وقتى لا يسعفنى .

ثم قال للمقدم :

— كان الاحرى ان اذهب انا بنفسى معها . مفهوم ؟

— بالطبع — وافق غميريا — ربما سأذهب انا مع ميخائيل ميخائيلوفيتش ايضا ؟

— ليتذكر فى البداية . يا بارامونوف ، هل كنت تخرج مع فينتر ودوبوف فى نزهات فى السيارات ؟

— نعم ، بالضبط ! * .

— انت رجل معفى عن الجندية ، فلا تجب بصيغة الجنود . تكلم اعتياديا . فتذكر متى تخرجون بالسيارة ، لاى سبب كنتم تتوقفون . نحن نريد ان نساعد اناسا وقعوا فى الوضع مثل وضعك . مفهوم ؟ ولا تتحدث لاحد عن هذه المحادثة ، اتفقنا ؟

اجلس قسطنطينوف اولغا الى جانبه ، وتذكر ما جاء فى ثالث تعليمات وكالة المخابرات المركزية : «ارسل المعطيات عن صاحبتك الجديدة بما فى ذلك لقب عائلة الام والجدة قبل زواجهما» . ولماذا لم يطلبوا منه ارسال صورتها ؟ التقطوها بانفسهم ؟ اين ؟ متى ؟

— اولغا ، هل لامك لقب عائلة آخر ؟

— نعم . انها حملت لقب عائلة زوجها الثانى . بينما كان لقبها العائلى قبل الزواج شفيتسوفا .

* هذه صيغة الجنود عند الاجابة ، عادة . المعرب .

— مفهوم . طيب ، والآن هيا ، تذكرى . الى اين نتجه ؟ عندنا ساعتان فقط لكل شيء . الم تمرا بجسر عبر نهر موسكو عند ملعب لوجنيكى ؟

— لا ، ولا مرة . هل تريد ان أريـــك اين سرنا فى منتزه «بوبيدا» ؟ من هناك نبدأ .

— ارينى المكان الذى ابقاك فيـــه لوحدك . ثم ان الاعمام والعمات ألم يصوروك ، وهم يمتعون النظر فيك ؟

ضحكت اولغا .

— من اين تعرف ؟ لم يصورنى الا رجل واحد ، حين ذهب سيرغى لشراء تذاكر من السيرك .

— متى كان هذا ؟ فى يوم عودتكما ؟

— لا ، فى صباح اليوم التالى . . .

بعد عودة قسطنطينوف من جولته فى موسكو سلمّ اولغـــا للملازم الاول كريوكوفا ، بينما توجه هو الى شقة دوبوف . وفيها عاين جميع الكتب ، ووجد بسرعة الكتاب الذى كان يبحث عنـــه «دليل فنادق هيلتون» . تصفح الاوراق ، ووجد ورقة مطوية : «تمتاز الغرفة الفاخرة المكونة من حجرتين فى «هيلتون» بوسائل راحة خاصة : تلفزيون ملوّن ، جهاز راديو ، برنامج موسيقى تبثه محطة الارسال التابعة للفندق ، حمام فاخر بماء البحر ، ثلاجة ، وطاقم اوان لستة اشخاص . السعر ٩٥ دولارا . وقت المغادرة او حساب يوم جديد ١٤,٠٠» .

اغلق قسطنطينوف الكتاب بحذر ، ولفّه فى ورقة ، وسأل الرجل الذى كان يحرس غرفة دوبوف :

— ما رأيك هل من الممكن اخذ آثار الاصابع من صفحة صقيلة ؟

ولم ينتظر الجواب ، على اية حال ، فقد صار واضحا له الآن لماذا تخلص دوبوف من اولغا فينتر : حين ينتهى زمن العشق تبرز اسئلة ، ويجب ان يجيب عنها ، فكيف تجيب عن الغرفة الفاخرة فى «هيلتون» ؟

وفكر قسطنطينوف مع نفسه : «مأساة للرجـــل الضعيف والبائس ، ظهور إمراة شريفة الى جانبه ، شريفة وقوية ، ليست

متأملة ، بل صاحبة فعل وعمل . بالطبع ، سألت اولغا عن «هيلتون» حينما بقيا وحدهما ، فكذب كذبا غير بارع ، وهى اكثر منه ذكاء ، فادركت ، وأخذت قرطيه الى صديقتها ، فهى بكل بساطة لم تجرأ ان تسمع ما سيقوله السعّارون . وحتى الانسان القوى يماطل فى لحظة الحقيقة ، لان الحقيقة تفترض الفعل . اما هى التى عملت فى الخارج ، وعرفت جيدا كل ما فى الامر ، فلم يكن لها غير مخرج واحد : ان تأتى الينا . وكان هو يفهم ذلك . ماذا كان فى وسعه ان يكذب عليها ؟ ان لا يقول لها السعر الحقيقى ؟ ولنفرض . لا احد من رجالنا فى الخارج يفقه شيئا فى اسعار الفنادق . فانهم يفهمون انها ليست على قَدّ الجيب ، بل ولا يسألون ، فالكبرياء لا تبيح لهم . وبالطبع ، حين كان العشق ، هناك فى لويسبورغ ، وهنا لبعض الوقت لم تفكر اولغا بهذه الدولارات الخمسة والتسعين اللعينة من اجل الحب فى غرفة فاخرة ، فالفلوس والحب ليسا من معدن واحد . ولكن لماذا قررت ان توضح هذا الآن ؟ حدست وجهه الثانى ؟ ولكن كيف ؟ لقد كانت تدافع عنه امام الجميع ، وصاحبنا المرحوم لم يكن يحبه الناس كثيرا : كان متعجرفا ، متعاليا . الظاهر انها ادركت عندما كانت فى بيت نيازميتوفا ، حين سكب النبيذ عليها ، واخرجها الى الحمام ، وطلب منهـــا ، كما يبدو ، ان تصمت فى حضور صاحبتها . وكان ذلك مناقضا لطبيعتها ، فعرفت قيمة القرطين عندئذ . وروّعها الامر . وذهبت لتجلب دليل «هيلتون» ثم عادت اليه ، وقالت له عن كل شيء . فأحس بالفزع ، فقد فهم انـــه هالك» .

وفجأة ضبط قسطنطينوف نفسه بانه يشفق على دوبوف . ولم يأته رأسا حتى ان يفطن على نفسه : الشفقة على خائن ، أهذا ممكن حقا ؟

وفكر قسطنطينوف : من المحتمل انها قابلة للتفسير . لم يذهب الى هناك وهو خائن . ولكن باى شيء حطموه ؟ لانه كان شاذا . ولكن فى الدنيا غير قليل من الناس يعيشون شاذين عن القواعد . ربما ، كنت غير محق ، حين تحدثت مع ستيبانوف ؟ لا ، محق . لا يجوز عدم التصديق بأى انسان شاذ عن الاصول فى شيء ما . ان ذلك يؤدى الى وهم التجسس ، انه ، فى الحساب الاخير ، يساعد

الخصم على تحطيم الناس بالخوف . كم من رجالنا الآن يعملون فى الخارج ؟ ! عشرات الالاف . على ما يبدو بينما الحياة هناك ايضا تسير سيرها الطبيعى . ان اى شىء جائز ، اى شىء يمكن ان يحل بالانسان – مصادفة او عن حماقة أو عن جهل . ولكن الخصم منتبه ، وهو يحسن ان يزن الانسان ، ويحلله الى اطيافه اللونية . الغرور ، البخل ، السكر – اجل ، تلك ادوات ، ومثلما يستخدمها الخصم ، سيستخدمها فى المستقبل ايضا . ولكن هل من المعقول ان رجلا سليم العقل بهذه الدرجة او باخرى يقدم على الانحياز الى العدو ، يصير جاسوسا ، بعد ان ينام مع بيلار وضعوها له فى فراشه هناك ؟ يعنى شذوذ ، على اية حال ؟ ولكن شذوذا عن شذوذ يختلف . كيف نخط الحد الفاصل بينهما ؟ وكيف يمكن تصوره ، هذا الحد الفاصل المبهم ؟ بعد ان نحدده ، ونفهمه نستطيع ان ننقذ انسانا عن السقوط . ونستطيع ايضا ان ننقذ الانسان بايماننا به . يجب ان يعلم كل انسان انه موضع ثقة . ان ذلك يمنح القوة . ان الانسان المختل فى خلقه اختلالا مرضيا يستطيع وحده ان يكون جاسوسا – فكر قسطنطينوف بذلك يقنع نفسه بنفسه – ومثل هذا الرجل كان دوبوف ، هذا صحيح ، ولهذا كان من الممكن معه فقط ان يستفيدوا من بيلار ، ومن جشعه ، وغروره المستفحل النيتشوى» .

دخل قسطنطينوف فى غرفة مكتبه ، وتناول ثلاثة اقراص فيتامين «س» ، اذ يقال انه يبعث على الحيوية . انه لم ينم ليلا ، لم ينم ولا دقيقة واحدة . خلع سترته ، ولبس قميصا صوفيا كان معلقا فى دولابه . كان يحس بقشعريرة ، رغم ان اليوم كان يبشر بأن يكون دافئا . انقطع المطر ، وفاحت من الشوارع رائحة اشجار الزيزفون المزهرة .

وقال قسطنطينوف مع نفسه : «غريب . ان انتهى ازدهار اشجار الزيزفون . او لربما اريد ان اتحسس هذه الرائحة لانها صيفية ، وتنطوى على الكثير من السعادة والامل ؟ من الذى قال : «الشىء المهم ان تتمنى بثقة ، وعندئذ فقط يتحقق المتمنى» . سذاجة ، بالطبع ، ولكنها صادقة تشعر فيها بالصبا» .

مسح جبينه وجفنيه وصدغيه ، وقرّب منه كراسة دوبوف ، وقلب بعض الاوراق ، ووقع على هذه الاسطر :

«الانسان يقف فوق كل انسان منفرد» .

«الاخلاقى لا بد ان يؤول الى ان يكون له عدو غير اللااخلاقى . وبالعكس» .

«الانانى الذى يستفظعه كثيرا «الانسانيون من الناس» هو كالشبح ، كالشيطان ، لا يوجد الا فى مخيلتهم ، مثل شخصية خيالية مهيبة» .

«لا تسم الناس آثمين ، وانانيين ، فانت لن تجدهم ! انظر لى نفسك اكثر سلطة مما يقال عنك ، وستكون لك سلطة اكبر ! عتبر نفسك اكثر عظمة ، وسيكون لك منها اكثر !»

– ايها الرفيق الجنرال ، هل تسمح لى بالدخول ؟

– نعم – اجاب قسطنطينوف ، وهو يفكر : «اين قرات هذا ؟ اعتقد عند شتيرنر مؤسس الفردية الفوضوية . كان هتلر كثيرا ما يقراه – الحق فى الاستثناء ، فى السيطرة ، واعتبار نفسه سوبرمانا» .

انتظر قسطنطينوف جلوس العاملين الى الطاولة بعد ان استدعاهم المساعد ، وقال :

– يبدو لى ان كلمة السر «بارك بلاتس» هى موقف السيارات فى مكان عمل دوبوف . فكان يوقف سيارته دائما فى مكان واحد ، ومصابيحها نحو مخزن بيع المأكولات . اولغا لم تر سيارته قط فى وضع آخر . وكان فى العادة يجلسها فى الساعة ١٨,٣٠ – وهذا بناء على التعليمات هو بالضبط الوقت الذى كان يجب ان تسجل فيه وكالة المخابرات المركزية اشارة «سيارة» . ولكن فى الوقت الذى يكون فيها وراء الدقة ، ام بدونه ؟ هذه هى مسألة . ام ربما يجب ان يكون الاثنان معاً ، دوبوف واولغا فى السيارة ؟ نعم ، نعم ، وانا اقصد باولغا فينتر وفرونسكيا .

هليب

تلفن لورنس لهليب فى المساء ، بعد العشاء :

– جون ، سيكون رائعا ان تجد لى من وقتك نصف ساعة .

– هل حصل شىء ، يا ريس ؟
– مجرد اننى اريد ان اتطلع اليك ، فانت تشحننى بالتفاؤل .
حين وصل هليب ، كان لورنس جالسا عند التلفزيون يستمع الى تعليق ألفاريش الصحفى اليسارى . فى الآونة الاخيرة كان هذا كثيرا جدا وبقسوة يتحدث عن قوات اوهانو المرابطة على حدود لويسبورغ . قال لورنس :
– اسمع الى هذا الشاب – انه يحسن الضرب .
اختتم ألفاريش تعليقه قائلا :
– نحن ، مع الاسف ، لم نترجم مقالة الصحفى الروسى دميترى ستيبانوف . انه الآن فى ناغونيا ، يستخدم مواد قدمها له رئيس الوزراء غريسو . والوثائق لا تكون وثائق الا حين تدعمها الصور والتصريحات والبيانات الرسمية . وقد اورد ستيبانوف تصريح الجنرال اوهانو . وانا اقتبس هذا التصريح ، واوهانو حتى الآن لم يتملص منه ، والظاهر ان عمل ذلك صعب : «انا لن احاسب رجالى الذين يعلقون على الاعمدة الروس الذين قدموا الى ناغونيا . فانا جندى ، وانا افهم شعور الكراهية» . الى ناغونيا جاء اربعمائة اخصائى روسى ، من بينهم مائة طبيب ، واربعون مهندسا زراعيا ، وخمسة عشر مدرس جامعة ، وتسعون جيولوجيا ، وستون اخصائيا بالاوبئة . اجل لقد جاء اخصائيون من مختلف المهن . وهذه حقيقة .

ويواصل ستيبانوف : «وكيف كان من الممكن الا يجيئوا اذا كان اوهانو قد صرح لمراسل «كرونيكل» قبل شهر : «رجالى يتهيأون للمعركة الاخيرة . رجالى يعرفون كيف يرمون وبنادقهم على البطون ، وكيف يضربون بالسكين على الترقوة ، وبالتالى ، فان رجالى يعرفون كيف ينتصرون . لقد حصلنا على احدث تكنيك ، ونحس بظهر قوى لنا فى لويسبورغ . وكل ذلك يجعلنا واثقين فى نتيجة المعركة القادمة» . احب ان اوجه نظر حكومتنا الى كلمات الجنرال اوهانو بخصوص «الظهر القوى» له فى لويسبورغ . هل من المعقول ان رئيس جمهوريتنا يعتقد ان لهيب الحرب التى ستندلع على بعد سبعين كيلومترا من عاصمتنا ستكون موجهة باتجاه واحد فقط ؟ ان ريح الحرب لا يمكن ان تخضع للتوجيه . واذا هبّت ففى وسعها ان

تنتشر لا فى الاتجاه الذى كان قد خططت لها الاركان العامة ووكالات الاستخبارات . وشكرا ، ايتها السيدات والسادة . . .
اطفأ لورنس التلفزيون ، ونظر الى هليب متسائلا :
– ما رأيك ؟
– هذا يخيفك ؟
– انا لا اخاف الا حين يمرض احفادى . شىء آخر يدهشنى بعض الشىء . منذ حين فقط قرأت هذا الخطاب لألفاريش لقد نقله لى المدير العام للتلفزيون . وقال ان مسألة الخطاب تناقشها الحكومة . هل يعنى انه رجحت وجهة نظر الوسط ، اذا ما خرج ألفاريش الى الشاشة ؟ الا تبالغ انت فى الرهان على طرف واحد فقط ؟ الا تبالغ فى تقدير امكانية ستاو ؟
اجاب هليب ملاحظا :
– الادق ، يا روبرت ، ان تقول «نحن» . فان ستاو رهاننا المشترك .
تعبس لورنس وقال :
– لا تتشبث بالضمائر . «انا» «نحن» لا فرق بينهما فى آخر المطاف . اننا نقوم بعمل واحد ، ونحن ملزمان بان نقوم به خير قيام . وباختصار ، السفير يتردد ، يبدو له ان اللحظة الراهنة ليست بالوقت المناسب لاعطاء اوهانو طائرات عمودية ، ويرى انهم يملكون التكنيك الكافى . وهو ، كما هو معروف لك ، على صلة خاصة بالبنتاغون .
– ارسل برقية الى لنكلى ، واقترح الغاء عملية «مشعل» وهذا كل ما فى الامر ، يا روبرت .
– لماذا انت عصبى بهذا الشكل ؟ لا ينبغى ذلك ، يا جون . لقد استدعيتك كصديق لك ، وليس كرئيسك . اردت ان نفكر بكل العوامل الممكنة فى القتال . فى الحقيقة قتال الاهل اشجى قتال ، وفى نفس الوقت اخطر قتال .
– صحيح .
– ربما يجدر ان نصحح خطنا قليلا ؟
– يعنى ؟
– جون ، انا اعرف الروس بهذا القدر او ذاك – وعلى كل حال

بدأت اختلط بهم فى ذلك الوقت الذى كنا نقوم باتصالات معينة معهم ، وكانت تلك اتصالات ودية ، الى ان بدأ دالاس عمليته مع النازيين فى سويسرا . وانا اخشى من شىء واحد ، وهو ان يرتعب هؤلاء الاخساء المحليون الموالون لنا . يمكن ان يتراجعوا ، يا جون .
— وماذا بعد ؟
— لا تتخابث . الجميع يعرفون ان عملية «مشعل» من اعدادك . ومعروف للجميع التقييم الرفيع الذى اعطاه لها الادميرال وكل الذين يؤيدونه . ولكن عُهِد اليّ ان انتهج خطا سياسيا ، فانا هنا ، على اية حال ، كما تقول انت ، ريّس ، واذا كان يستطيع الروس ان يستفيدوا من عذر ما ويحرجوا وزارة الخارجية ، فان المنغصات ستنهال ليس عليك ، ولكن عليَّ ايضا .
ضحك هليب دون ان يفتح فمه ، وهذا دليل على الغيظ .
— طيب لا بأس . فانا لا اخاف المنغصات ، فقد تعودت عليها . ولكننى اعتقد ان ستاو هذا الذى كففت عن الثقة به ، سيقوم ، على اية حال ، بالعملية التى من بنات افكارى ، وهذا سيحول رجال الوسط المحليين مع رئيس الجمهورية الى الاتجاه اللازم .
— والى هذا اسعى انا ايضا ، يا جون . هل هناك حاجة الى التحرش بالروس بهذا الشكل المكشوف ؟ ربما اكثر رجاحة عقل ان نضع الرهان الرئيسى على اللعبة ؟ ربما يجدر ان ننقح قليلا خطب جماعتنا الميترنيخيين * ، وندفعهم قليلا الى احضان ضبط النفس ؟
— هذا امر يخصك ، يا روبرت . تصرف كما تراه ضروريا . ان مهمتى ان اجلس فى الطائرة العمودية المرسلة من ناغونيا و . . .
— اعذرنى على سؤالى ، يا جون . . . لمحت فى مكان ما خبرا يقول ان لك مصالح شخصية فى ناغونيا ، ويزعم انك فقدت هناك اموالا موظفة ، وما الى ذلك . . . انا لا اعترض على المصلحة الشخصية الموحّدة بقضيتنا العامة ، بالمصلحة المشتركة . مجرد اننى اردت ان اعرف : أهذا صحيح ؟

* ميترنيخ (١٧٧٣ — ١٨٥٩) — شخصية دولة نمساوية مستشار النمسا (١٨٢١—١٨٤٨) احد مؤسسى الحلف المقدس . كان يسعى الى عرقلة توطيد موقف روسيا فى اوروبا . **المعرب** .

— هراء . اين لمحت مثل هذا الخبر ؟ فى روسيا ؟ هل انت تصدق بهم ؟
— انا لا اصدق بهم . والخبر ، على اية حال ، لم المحه عندهم ، بل فى اوروبا .
— هل هو عندك ؟
— سيكون .
— لا تحب ان تكشف مصدرك للخبر ؟
— امهلنى لاتثبت من هذا المصدر ، بعد يومين او ثلاثة سأكون مستعدا الى حديث مطول ، وبالطبع انت على حق فى ان تعتمد على مساندتى . انا لا اصدق بأنك تتجاوز حدود القانون ولو فى الصغائر ، ومن اجل مصالحك تخلط قضايا البلاد بقضاياك الشخصية . انا اريد ان يتحدث العالم عنّا ، كما يتحدث عن اولئك الذين يخدمون قضية النضال فى سبيل الديموقراطية فى صدارات بيض ، وايديهم بيض فى عين القانون .
— شكرا على الكلمات الطيبة ، روبرت . ولكن عندى سؤالا : هل انت واثق من اننا ، انت وانا ، سنوفق فى القضية ، ونحن نراعى حدود القانون ؟
— انا اعتقد اننا نعمل فى نطاق القانون ، جون . وهذا ما اريد ان اعتبره . اللعبة ملزمة ان تكون قانونية . حتى مع الروس . عندما نحرص نحن على «الذكى» فنحن نتصرف قانونيا ، نحن نفكر فى خير العميل ، هل معقول غير ذلك ؟
— من تريد ان تخدع ، يا روبرت ، نفسك ام تخدعنى ؟
— انا لا افهمك تماما ، يا جون . . .
نهض هليب ، وضحك ثانية ، ولكنها ضحكة عريضة رنانة .
— ياريس ، لقد فهمت فكرتك . امهلنى لاجد لها الدافع ، وساضع على الطاولة خطة تطوير العملية . ثق اننى ، مثلك ، احترم القانون ، واعيش وفق القانون .
نظر هليب الى ساعته ، وهو خارج من لورنس . بقيت ساعة على موعد الكوكتيل التى نظمته بيلار . جلس وراء المقود ، وانطلق الى السفارة . وصعد هناك الى الغرف التى يحرسها جنود البحر — الاتصال بالشفرة .

«ابلغونى شخصيا وعلى عجل بالمعلومات عن الاشخاص الذين ينشرون مواد عن «مصالحي» فى ناغونيا . من المحتمل مصدر روسى . هليب» .

كانت الشفرة معنونة للوكيل المقيم لوكالة المخابرات المركزية فى الجمهورية الاتحادية . وكان فى حينه يعمل مساعدا لهليب فى هونغ كونغ . ولم تكن الصداقة وحدها تربطهما ، بل والمصلحة المشتركة فى القضية .

ملاحظة عن «المجمع الصناع العسكرى» (٢)

فى هذه المرة اقام نيلسون غرين الغداء فى مقر عمله : بالقرب من غرفة مكتبه ، الصغيرة جدا ، والمتواضعة (الترف الوحيد فيها لوحات شاغال وبيكاسو وسالفادور دالى فى اطارات بيضاء ضيقة) كانت ثمة قاعة . اثاث ابيض من القرن الثامن عشر ، تكوينات من الزجاج الملوّن ، مرسل من الاديرة الايطالية ، الكثير من الزهور فى مزهريات فخارية طويلة – هدية من فاروق ملك مصر .

لم يكن يجلس الى المائدة الضخمة غير ضيف واحد ، هو مايكل فيلش . قال غرين :

– طلبتُ من زوجتى ان تجلب لنا الكفيار القزوينى ، فجرّب اى اعجوبة هو . جاء فى الطائرة الصباحية من طهران .

قال فيلش :

– اطلب ان يدفنوا الخبز الاسود . فى مطعم «الكفيار الاسود» فى باريس لا يقدم البيض . غير قطع الخبز الاسود المحمص . انهم يشترونه من الروس .

– انا ايضا اشترى منهم ، فالخبز الاسود الروسى هو اعجوبة . طيب ، مايكل ، ما عندك من جديد ؟

– بعد اسبوع يمكن ان توجه اخصائييك الى ناغونيا .

– لا تنس ان تضرب على الخشب .

– والرأس لاى شىء ؟ وانـــا اقول ان رأسى احسن انواع الخشب .

– احسن انواع الخشب هو رأس فورد ، لانه فى صباه كان يلعب الركبى بلا خوذة . طيب ، عندى اخبار ، بعيدة عن ان تكون سارة .

– لنأكل الكافيار الاسود – وابتسم فيلش – معه كل الاخبار تصير بناءة .

– حسب معلوماتى سجلت بنوك زوريخ ولندن اهتمام اوربا نحو نظام غريسو . ان احدا من الناس ، لم نستوضح بعد من هو بالضبط ، قد وظف فى انماء ناغونيا حوالى خمسين مليون مارك . وهذا ، مفهوم ، ليس مالا ، ولكنه خطوة ، يا مايكل . اوربا تبدأ بالتكشير عن اسنانها .

– وليكن .

– كل ذلك ليس بالهيِّن البسيط . انا لحد الآن اعمـــل فى تشيلى ، خلسة ، وهذا لا يحتمل فى البزنس .

– انا فاهم .

دخل رئيس الخدم ، فى سترة فراك وقفازين ابيضين ، طويلا صموتا من اهل الملايا . وضع امام فيلش قائمة الطعام فى غلاف جلدى احمر ثقيل . قال غرين :

– اشير عليك بان تطلب شوربة الحجل وسمك السلمون ، فهؤلاء يحسنون اعدادهما هنا .

– المعذرة ، سير – لاحظ رئيس الخدم – ما كنت سأشير عليه بسمك السلمون ، نظرت الى السمكة التى جلبوها من تبريز ، فكانت تفتقر الى ذلك السمن الذى يجعلها من اطايب الطعام . بودى لو اشير عليكـــم بـ«سكياكي» ، جلبوا من طوكيو ذبيحتى ثورين صغيرين مسقيين بالبيرة ، وقد دلك لهما باستمرار منذ ولادتهما ، ولحمهما ، باعتقادى ، يلبى ارفع المستويات .

– المستويات متساوية – ضحك غرين ضحكة قصيرة – ولهذا السبب صارت مستويات . ولكن اذا كنت تعتقد ان «السكياكي» افضل ، فلنأكل «السكياكي» .

– اعذرنى ، نيلسون – قال فيلش متعبسا – انا لا استطيع ان آكل لحم العجل ، فأنا اشفق على العجول ، فأنا استمتع بمنظرها فى المزرعة ، واغذيها بيدى الحليب من المصاصة .

— اذن ، سير — قال رئيس الخدم ، وقد اقترب من فيلش بحركة انسيابية — بودى لو اقترح عليكم «انغولاس» فهو يرفع الحيوية ، وطباخنا بابلو يحضر هذا الطبق بشكل رائع ، لا يقل عما فى سنتياغو دى كومبوستيلا .

— رائع ، انغولاس طيب جدا ، ما ازال اتذكر مذاقه بعد تشيلى ، فى بويرتو مونت هناك سوق للسمك مذهلة ، وما أروع تحضيرهم للانغولاس !

خرج رئيس الخدم غير مسموع الصوت ، وهو يطأ البساط الابيض السميك بحذر ، وكأنه صيّاد يتربص لحيوان .

— الوضع فى ناغونيا يختلف عن تشيلي ، يا نيلسون — تابع فيلش كلامه ، بعد ان اجال نظرة مستغرقة فى ظهر الملاوى المستقيم — رجال ايان سميت اعدوا مواد تصويرية رائعة عن فظائع الافارقة ضد الاقلية البيضاء . شىء يحرك النفس . وهناك تسجيلات لمحادثات مع المنكوبين ، مصنوعة بشكل جيد ، لا احد يجرأ على دحضها ، صنع عملها كما ينبغى . ولهذا فان عوننا سيكون فى ناغونيا عملا انسانيا رفيعا ، ضروريا ، هل تفهم ؟ بالمناسبة انا افكر فى جملة من الخطوات الطريفة : مستر اوهانو . . .

— من هو ؟

— فى اى عالم انت تعيش ، يا نيلسون ؟

— فى هذا العالم .

— اوهانو زعيم القوميين ، وسيدخل فى ناغونيا ، وقد عملنا معه ثلاث سنوات الآن . حسنا اوهانو هذا يتعرض لنا بنقد ساحق . فاهم ؟

— غير فاهم . تكفينا اللعنة المنصبة علينا من العالم كله الآن ، يكفى ، لقد سئمنا .

— اعتمد فى التكتيك عليّ ، يا نيلسون . لو كنا قد عملنا حتى النهاية مع بينتشيت ، ولو كان لنا آنذاك فى موسكو الرجل الذى لدينا الآن ، لكان تجب الاطاحة بألندي تحت شعار الثورة القومية ، والنضال فى سبيل الديموقراطية والكفاءة . فكان بينتشيت ملزما على مهاجمتنا على الحصار الاقتصادى : هؤلاء انتم الاميركيين الملعونين لم تعطوا ألندي السيارات وقطع الغيار لها ! هؤلاء انتم ،

اليانكيين الملعونين لم تقدموا لنا معدات المناجم ! هؤلاء انتم ، حولتم البلاد ، بهذه الطريقة الى فوضى اقتصادية ، وحطمتم فخرنا — دكتور ألندي ! فاضطررتم الى ارسال السيارات والمعدات الى هناك ، ولم تكن حاجة آنذاك الى ان تعمل خلسة ، يا نيلسون . وقد اخذنا الدرس بعين الاعتبار . والمخطط فى ناغونيا اكثر مرونة .

— الا تتصور ، ونحن نبيح لهم القاء اللوم علينا ، ونحصل على ارباح محددة فى الحاضر ، اننا سنخسر اكثر بكثير فى المستقبل ؟

— ما رأيك ؟

— نشرب حساء الحجل .

التفت فيلش : كان نادلان واقفين وراء ظهره ، وعلى مقربة رئيس الخدم كأبى الهول .

حين وضعت السلطانيتان (كانت حركات النادلين كحركات راقصى الباليه لقد تدربا جيدا) اخذ غرين يلتهم الحساء ، وكأنه كان يوم امس صائما . وشرح قائلا :

— يجب ان يؤكل حساء الحجل ساخنا . هو اكثر الحساء فائدة . ويقى من امراض البنكرياس لانه يحتوى على كمية كبيرة من البنكرياتين .

اتى على الحساء بهمة ، ووضع السلطانية جانبا («على اية حال يتراءى فى شخصه مزارع الغرب الاوسط — لاحظ فيلش مع نفسه — حمدا لله لم يعلق به شىء من محدثى الغنى . بهذا الشكل بالضبط يدفع اصحابنا رعاة البقر الصحن ، وعلى الاغلب ، السلطانية») وسقط بصدره على المائدة :

— مايكل ، سيفعل البنتاغون ما طلبته منى ، ولكن ذلك سيكون فى آخر لحظة . ينبغى ان يلعبوا بالاستقلالية ، وهذا يحصل للوزراء الشبان . الطائرات العمودية قد نقلت الى الاسطول ، الا انهم لا يعطونها الى ذلك الشخص . . .

— اوهانو .

— نعم ، صحيح . البنتاغون يريد ان تطلب باكبر قدر ممكن من الالحاح . فاهم ؟ يبدو لى انهم يشعرون بأنهم كدّروا : فانت تعطيهم قطعة من الكعك ، ومع ذلك فان العجينة تعملها حسب وصفتك . اطلعهم ولو على المعالم العامة للعملية . انا انصحك بأن

تحترم طموحاتهم المتعالية . حقا انك لا تخسر شيئا . والآن نأتى على الشيء الثانى : كيف سيكون رد فعل اوربا ؟ هل انت تسيطر على الموقف هناك ؟ سيكون قليلا اذا سكتت بون وباريس ، آخذين بنظر الاعتبار علاقاتهما الخاصة بموسكو . يجب العمل على ان تساندنا اوربا .

– انت تطلب منى الكثير ، يا نيلسون . ان باريس تعلم ان لشركاتنا فى الكونغو وحدها توظيفات تكاد تبلغ الثلاثين مليار دولار . من بينها ملياران لك . واوربا كلها لم توظف هناك اكثر من سبعة مليارات . وتريدهم يساندون انتصارنا بالاجماع ؟

– امم منحطة ، راحوا فى داهية ! هل معقول يصعب ان يفهموا اذا انتصر السود هناك فانهم سيطردون الاوربيين بضربات على عجيزاتهم ، مثلما يطرد بحار سكران من خمارة ميناء ؟ ! والامل الوحيد للابقاء على جنوب افريقيا ، ولو كان جنوبا ، هو مساندة غوغانو . . .

– اوهانو .

– لا فرق .

– ومع ذلك فان رد فعل اوربا سيكون مزدوجا ، يا نيلسون ، ولكنه على اية حال سيكون الى جانبنا ، على ما اتصور .

تناول نيلسون عودا لتخليل الاسنان ، وغطى فمه بكفه ، وراح يقعور فى سنه ، وتمتم :

– مزدوج ، بالرغم من ان بكين تحرص على صاحبك اوهانو هذا ؟

– اهوه ! تجسسك الشخصى يعمل بشكل لا بأس !

– والا كيف ؟ لو اسمح لك ان تطلق العنان لنفسك . . .

– ما عداي لا يعرف عن اتصالاتنا ببكين غير شخص واحد ، هو انت ، يا نيلسون .

– غير صحيح . ما عداي يعرف عن ذلك صاحبك لورنس ، وهو ، لورنس هذا ، مرتبط بـ«شل» الهولندية . ويخيل اليّ انه يتطلع الى اوربا «السليمة الادراك» ، التى ، باختصار ، تريد ان تعيش فى احضان موسكو .

– هذا «ما يخيل اليك» ام انت واثق منه ؟

– اذا يخيل اليّ ، فمعنى ذلك اننى واثق ، مايكل . والشيء الاخير : كيف سيكون رد فعل موسكو ؟

– حسب معلومات رجلنا انهم متهيئون لتقديم معونة عسكرية . ولهذا فان مهمتنا فى ان يحدث الانقلاب خلال نصف ساعة ، عندئذ سنسقط كل الاوراق الرابحة . موسكو تحترم المعاهدات الدولية . . .

– فيه شك !

– من الواضح ، يا نيلسون ، انك تشاهد تلفزيوننا كثيرا جدا . فلا تتأثر بالترهات الدعائية . انهم يحترمون المعاهدات الدولية ، صدقنى ، يحترمونها . وفى ذلك قوتهم ، واحسرتاه !

سلافين

مرّ على جلوسه فى السيارة ثمانى ساعات ، وقد رأى مرتين كيف بدلت سيارات المراقبة – فى البداية كانت تقف بالقرب من سيارته «الفيات» سيارة «مرسيدس» سوداء ، ثم جاءت «شفروليه» الزرقاء . الظاهر انهم كفوا عن التمسك بالرسميات ، وجرت اللعبة على المكشوف .

كان سلافين لا يصرف بصره عن نافذة الردهة التى كان يرقد فيها زوتوف . كانت النافذة مسدلة بسدالة شرائطية من الالمنيوم ، ولكن كان من الممكن ، فى بعض الاحيان ، ان يرى ، من خلال الخصاص ، خيال شخص ، شرطى ، فى الظاهر ، يقترب ليستنشق الريح الطليقة الهابة من المحيط ، فى الايام الاخيرة ، ورؤوس النخيل كانت تبدو ذات ابر شائكة ، مستطيلة . وضبط سلافين نفسه يفكر فى ان هذا السعف السهمى الاوراق يذكره بالرسم اليابانى فى القرون الوسطى – نفس الاندفاع ، مع فرق واحد فقط ، هو البامبو هناك ، والنخيل الكثيف الهائل هنا .

. . . جاء بول ديك راكبا سيارة اجرة ، ولما رأى سلافين لوح له بذراعه ، مشيرا الى ان يذهبا سوية ، الا ان سلافين هز رأسه رفضا .

صاح بول :

– لماذا ؟ ! سيجئ الجنرال ستاو ليزوره !
اجاب سلافين :
– لا يسمحون لى بالدخول الى هناك . ولك ايضا .
– لا تقلق عليّ !
– حين يطردونك تعال عليّ ، وسأفتح مكيف الهواء ! فهو احيانا يعمل .
بعد خمس دقائق جاءت سيارة «كاديلاك» هائلة هى سيارة سنيور ستاو مدير الشرطة العام .
ادرك سلافين :
«لم يسمح لصحفييهم بالمجئ . ادخل فى اللعبة بول الخائب يعتمدون على حديثنا . على العموم صحيح ان يعتمدوا عليه» .
دخل ستاو المستشفى محاطا بثلاثة من الفتيان رجال الحراسة كان يتحرك بحيوية وقد دفع رأسه قليلا الى الامام ، وبدلته البيضاء مفصلة على قده ، والفتحات على السترة كانت تجعل حركاته خفيفة ، حتى لبدا وكأنه يطير فى كل خطوة ، وفى اللحظة التالية سيرتفع فى الهواء .
وفكر سلافين مع نفسه : «على اية حال انهم لدنون جدا . لا احد من البيض يتحرك كما يتحرك الزنوج . اظنهم الدن الناس على الارض . كم يحصل ستاو هذا من كل رشوة ؟ خمسة بالمائة ؟ والرشوة تدفع لكل شرطى فى الطريق ، لكل مفتش فى المكتب . رجل ثري» .

– سيد زوتوف ، هل تسمعنى ؟
– نعم .
– انا ستاو مدير الشرطة .
قال زوتوف وهو يحرك شفتيه بصعوبة :
– رجالك لا يدعوننى انام ، انهم يطبطبون باحذيتهم الثقيلة عن عمد .
– سيؤمرون بالسير بهدوء . ارجو المعذرة . اود ان اطرح بعض الاسئلة ، لو تسمح .
– اسمح .

– سيد زوتوف ، انت تصر على ان اناسا مجهولين هم الذين دسوا جهاز الارسال ؟
– نعم .
– وتسجيلات الشفرة ايضا ؟
– نعم .
– فى هذه الحال ، يا سيد زوتوف ، كيف تفسر اكتشاف طبعات اصابعك على التسجيلات ؟
– لا اعرف .
– هذا ليس جوابا لمحكمة المحلفين ، يا سيد زوتوف . على العموم اذا اظهر فك الشفرة ان فى التسجيلات اسرارا عسكرية ، فانك ستقدم الى محكمة عسكرية .
– ماذا تريدون منى ؟
– اذا اعترفت بانك كنت تعمل لصالح مخابرات الولايات المتحدة فاننا فى هذه الحال سنخرجك ، حالما تسمح حالتك الصحية .
– واذا لا اعترف ؟
كان زوتوف يتكلم بصوت بطئ لا يكاد يسمع ، وكانت عيناه لا تتحركان مصوبتين الى نقطة واحدة على السقف .
– يعنى كنت من هواة الراديو ؟
– لم اكن .
– ولكن من اين جاء جهاز الارسال ؟
– دسوه .
– من ؟
– لا اعرف .
– ولم دسوه عليك ؟
– استوضحوا .
مال ستاو على زوتوف ، وهمس :
– لقد استوضحت . كل الصحف الموالية لامريكا هنا – وانا اعرف من يدفع لمن وكم يدفع – اثارت حملة للدفاع عنك ، يا سيد زوتوف . وقد جلبت لك هذه الصحف . ام انت تخاف من مواطنيك ؟ هناك سيارتان للروس تقفان قرب المستشفى باستمرار . وهما الآن ايضا موجودتان .

– لماذا لا يسمحون لهم بالدخول ؟
– لانك تحت التحقيق . كما انهم ليسوا متشوقين اليك جدا . والظاهر انهم يخافون ان يخرجك اصدقاؤك من هنا . . .
– لقد حاربت . . .
انحنى ستاو اكثر خائفا من ان يفوت ولو كلمة واحدة من كلمات زوتوف . وكان زوتوف يتكلم ببطء شديد ، اخفت من ذى قبل .
– تكلم ، انا هنا . . .
– انا اعرف انك هنا . . . ولكننى حاربت ، وتعرضت لاطلاق النار ، ووقعت فى الاسر . وهربت . حتى انذاك لم . . . هل تفهم ؟ لماذا عليّ الآن ان اكون ابن كلبة ؟
– ماذا ، ماذا ؟ !
– لماذا عليّ الآن اكون بهيمة ؟
– انا لا افهمك تماما ، يا سيد زوتوف . ام لم تسمعنى جيدا . نحن لن نحاكمك فى حالة اعترافك . المخابرات . عمل جدى ، وانا احترم هذه المهنة . سنسلمك لاصدقائك ، ولو الآن هل تفهمنى ؟ ربما تريد ان تقابل سنيور لورنس ؟
– من هذا ؟
– ممثل «انترنشنال تلفونيك» .
– لم أتعرف عليه .
اخرج ستاو من جيبه صورة فوتوغرافية تصور زوتوف وهو يصافح لورنس .
– انظر الى هنا . هذا لورنس .
– انا لا اعرف هذا الرجل .
– يا سيد زوتوف ، فى موسكو من السهولة ان يدققوا هل هذه الصورة حقيقية ام معمولة . ماذا سترد عليهم ، اذا كانت الصورة حقيقية ؟ ثم سيتعين عليك ان ترد على هذا السؤال : هل حقيقى الشريط الذى سجل فيه حديثك مع لورنس وهليب . انه معى ، فى جيبى . هل تريد ان نديره ؟
ودون ان ينتظر ستاو جواب زوتوف فتح شيئا فى جيب سترته ، وظهرت اصوات فى الحال : صوت لورنس فى البداية ، ثم زوتوف ، وبعده هليب .

«لورنس : هل تريد ان تعيد على جهاز كسيروكس طبع المعلومات عن الارساليات ؟
زوتوف : عندنا كسيروكس سيى ، والظاهر اننى سآخذ نسخا بآلة تصوير .
هليب : هل حصلت البارحة على ما اردت حصوله منا ؟ لقد اخذته بهدوء ؟
زوتوف : شكرا ، جون ، انا مدين لك ، حقا .
هليب : نحن المدينون لك ، يا اندريه ، مدينون بالصداقة .
لورنس : ما رأيك ، يا مستر زوتوف ، هل ستقدم حكومتكم المساعدة العسكرية لناغونيا فى حالة حدوث صدام ؟
زوتوف : بلا جدال» .
واوقف ستاو المسجل فى جيبه ، وران الهدوء على الردهة ، والسكون شدد عليه بشكل خاص طنين مضجر لذبابة كانت تضرب الزجاج .
– اذن ؟ – سأل ستاو – كيف تفسر ذلك ؟ لا حاجة لواشنطن الى تفسير ذلك ، انا اقصد موسكو ، يا سيد زوتوف . لو كنت فى مكان لجنة امن الدولة فى موسكو لما صدقت باية كلمة من كلماتك . يجب ان تفهم ان الوثائق التى سرقت من سنيور لورنس موجودة فى ايد قوية ، فى ايد قوية جدا .
– اريد ان اتحدث الى الصحافة .
– تفضل . ساكتب الآن تصريحك . المراسلون الامريكيون هنا الآن .
– لا ، اريد ان تدعوهم يدخلون هنا .
– سيدخلون هنا حالما تدلي بتصريحك ، ويستطيع اصدقاؤك الاوفياء ان يدافعوا عنك علانية .
– اسمع ، اود كثيرا ان اموت بهدوء . فاخرج عنى . مفهوم ؟
– اذا لم تجبنى بالمعنى الايجابى ، يا سيد زوتوف ، فساضطر الى اعطاء الصحافة مواد حصل عليها رجالى . وهذه المواد تطعنك كعميل للمخابرات الامريكية ، وستصير العملية غير قابلة للسيطرة عليها ، ولا مفر لك من المحاكمة .
اغمض زوتوف عينيه ، ويسيل العرق خطوطا على وجهه ، وتدبب

انفه ، واكتسى جبينه وخداه فى الكدمات لون الارض ، وجفناه مزرقان سوداوان .
قال ستاو :
— سآتى اليك غدا . استرح ، ولا تفكر فى شىء ، ولن ندعك فى ضائقة . سوى اننى لا استطيع ان افهمك : اذا خسر انسان وجب الاعتراف بهزيمته ، لاسيما اذا كانت هذه الهزيمة وهمية . فستحصل على الحرية بدلا من العبودية الدائمية .
— سمعت — همس زوتوف — كان احدهم قد حدثنى عن ذلك ، ولكن بصوت آخر . . .
— اشفق عليّ ، يا سيد زوتوف . لقد وقعت فى وضع معقد ، وانا ملزم على ان ابرهن على جرمك ، وسابرهن عليه ، اذا لم تظهر حصافتك .

توجه بول ديك الى ستاو ، حين خرج هذا من القسم الذى يضم ردهة زوتوف — كان الممر محجوزا ايضا ، وعند الباب الزجاجى وقف مخبران سريان فى مريولين ابيضين ، وقال له :
— مستر ستاو ، انا بول ديك من جريدة «بوست» . كيف حالة الروسى ؟
— توجه بهذا السؤال الى الاطباء . انا شرطى ولست جراحا — اجاب ستاو ، دون ان يتوقف .
— الروسى مثبوت عليه كجاسوس ؟
— نعم .
— لمن كان يعمل ؟
— ستحصل على جواب هذا السؤال ، حين تنتهى المحاكمة .
— متى يمكن ان اتحدث مع الروسى ؟
— اسأل قانونييكم : متى يمكن للرجل المتهم بالجاسوسية ان يجيب على اسئلة الصحفيين على اسس قانونية ؟
— هل يمكن ان تعلق على التصريح المنشور فى الصحيفـــة المحلية «نيوز» عن خرق شرطتكم للتشريع ، وعن عدم ثبوت تهمة مستر زوتوف ؟
— ان عاجلا او اجلا ستعقد وكالة المخابرات المركزية ولجنة

امن الدولة القِران — وضحك ستاو عاضا على شفتيه — لعبة معقدة تجرى ، سير ، ولكننا لسنا مقامرين ، بل خدام القانون . هذا هو تعليقى على سؤالك .
— هل «نيوز» ، فى رأيك ، ابنة وكالة المخابرات المركزية ؟
— وهل معقول اننى قلت شيئا من هذا القبيل ؟ تعلم المزاح ! رجل الشرطة ايضا يملك الحق فى حرية الكلام . هذا كل شىء ، الى اللقاء ، يا مستر ديك .

جلس بول فى سيارة سلافين ، بصق بصقة طويلة خلال النافذة ، واغلقها ، وقال :
— هل وعدت بمكيف الهواء ؟
— تفضل .
اجاب سلافين ، وداس على زر اسود تحت لوحة المفاتيح . وفى الحال ظهرت طراوة فى صالون السيارة ، رغم ان الطراوة كانت مخلوطة برائحة بنزين .
— هل تفهم شيئا ، يا فيت ؟
— افهم . وانت ؟
— لا افهم شيئا . آنذاك عند بيلار ، لم يتسن الوقت لى لاودعك لان لورنس تلفن ، ذلك الفتى من المخابرات ، اقصد «انترنشنال تلفونيك» . قال ان زوتوف هو صديقه . يعنى انه فتانا ؟ لماذا اذن يضعونه تحت الحراسة ؟
— اطرح السؤال على لورنس .
— هل تظن اننى لم اطرحه ؟
— قدّر لباقتى ، فانا لن اسأل ماذا رد .
— لقد كتبت عن ذلـــك ، فالموضوع مكشوف . ومعروف للجميع . انه يفترض ان بيليو وزوتوف حلقة فى سلسلة واحدة ، ولكن لورنس شاب ماكر ، يحسن التمويه وهو يقول : «انا تاجر اعتيادى ، ولى اصدقاء فى اكثر المجالات تنوعا ، ومن المكدر جدا حين الناس الذين تصادقهم يضربون على رووسهم لمجرد اننا ولدنا فى طرفين مختلفين من الكرة الارضية» .
— تفترض انه يمكن ان يقول : «يضربون زوتوف الذى كان

ينقل المعلومات لنا» . هل تريد منه مثل هذا النوع من الاعتراف ؟ — وحمّ سلافين مفكرا : «اعذرنى ، يا بول ، ليس لى الحق ان اقول لك الحقيقة ، انا ملزم على تأييد رواية لورنس ، انا قطعاً لا استطيع غير ذلك ، يا عزيزي ، رغم انك رجل طيب ، ساذج ، ونزيــــه ، ولهذا السبب انت تشرب» .

— لماذا انت تتلكأ هنا ، يا فيت ؟

— وانت ؟

— هذا جواب جيد .

وتنهد بول .

— فقط اننى لا استطيع ان افهم لماذا يستعجلون ؟ — تساءل سلافين مفكرا ، عارفا ان بول ديك لن ينسى مناقشة تلميحه هذا مع هليب ، ولا مجال للشك فى ان هليب يحاصر بول الآن ، كصديق قديم لسلافين .

— باى شىء ؟

— ستاو يزوره ، والصحافة تثير ضجة . . . بينما مــــن مصلحتهم تطويل هذا الأمر ، ومعالجة زوتوف قليلا ، وجميـــع الاطراف ذات المصلحة يبقونها فى جهل من الامر . ان الورقة الرابحة فى سياستهم هى جعل الجميع لا يعرفون شيئا .

— هل معقول ان جماعتك لا تخاف ؟ ها هو قنصلكم قـــد وصل . كالحدأة . . .

— ماذا يخيفنا الآن ، يا بول ؟ لا شىء يخيفنا الآن . — ركز سلافين على تلميحه — كان يجب التفكير من قبل . هيًا لنذهب لاحتساء البيرة .

— فيت ، لماذا يهمك هذا الأمر ؟ ها ؟

— عندما تهتم انت يكون كل شىء مفهومـــا ، اى حريـــة الاستعلامات وكل ما شاكلها ، بينما اذا ابدى الروسي اهتمامه فمعناه التجسس واختطاف خائن . اين المساواة ، يا بول ؟

أدار سلافين المحرك ، وحرّك السيارة من مكانها ، وفى الحال كانت «المرسيدس» السوداء وراءه . ذهبت «الشفرولية» الزرقاء للغداء ، فالفترة فتره غداء . والمخبرون يتمسكون بنظام اليوم . لا حاجة للشرطة السرية بالمصابين بقرح المعدة — حمل زائد .

قال بول ديك :

— بالفعل انهم يلاحقونك ، باستمرار . أنقل مواد عن حادث التجسس ، واطير الى اوهانو ، واشاهد ناغونيا المتحررة ، واطير ، عليّ اللعنة ، الى الولايات المتحدة . الاعصاب تنهار من الدربكة هنا .

— طيب . هل ستكف عن الشراب بسهولة ؟

— مؤلم . كوابيس ، والرأس يتصدع ، والاحساس بفقدان الزمن ، والاشفاق على النفس والانسانية التى اعتبر نفسى ابنا من ابنائها .

— اسمع ، يا بول ، طرأت عليّ فكرة .

— ما هى ؟

— ماذا لو ذهبنا سوية الى لورنس ؟

— ونوقعه فى كماشة ؟ «وكالة المخابرات المركزيـــة بين نارين — عميل الرأسمال المحتقر ونصير الشيوعية العالمية يجريان حوارا مهنيا مع رجل «انترنشنال تلفونيك» الذى تحول من تشيلي الى لويسبورغ !» عنوان رائع ، أليس كذلك ؟ فكرة جيدة ، يا فيت ، لنذهب !

— الا تخاف المنغصات ؟

— اخاف .

— اذن ربما لا تجازف ؟

— الحياة بلا مجازفة كاللحم بلا خردل . لنذهب .

. . . تلفن بول الى شقة لورنس من الاسفل ، من قاعة الانتظار فى «هيلتون» :

— هالو ، مستر لورنس . انا بول ديك . نود زيارتك مع الروسى مستر سلافين ، بضع كلمات لا اكثر . . .

سمع ردا :

— يمكنكما الصعود .

ورن التلفون رنات قصيرة .

قال بول :

— عنده زائر ، ليس هو الذى اجاب . ولكن لنذهب ، عليه اللعنة .

قرب المصعد نادى خادم بول ديك :
– سير ، دعوك الى التلفون ثلاث مرات ، وقد ارسلوني لأجلك ، شيء مستعجل جدا .
– اصعد ، يا فيت . سآتي بسرعة .
صعد سلافين الى الطابق الخامس عشر ، ودق شقة لورنس . لم يجب احد ، رغم ان موسيقى كانت تسمع وراء الباب . دق سلافين مرة اخرى . كانت الموسيقى مرحة ، زنوج من نيو اورليان ، الا انه لم يتلق ردا ، كالسابق .
هزّ سلافين كتفيه ، ونزل الى غرفة الصحافة – اجهزة التيلتايب ، والخطوط الدولية المباشرة . ولم يكن بول ديك موجودا .
– اين صاحبي ؟
سأل سلافين الصبي الذى التقى بهما قبل لحظة فى المدخل .
– تلفن الى مكان ما ، سير ، وخرج فى الحال . يبدو لى انه ذهب الى السفارة .
– هل تحدث عن هذا ؟
– لا ، بل هذا ما يبدو لي ، سير .
– يجب ان ترسم علامة الصليب ، حين يبدو لك .
– حسنا ، سير ، سأرسم علامة الصليب ، بالتأكيد .
حمّ سلافين ، ونظر فى النشرات الصحفية الجديدة . لم يكن هناك من جديد . ولكن سلافين كان يحس بان هذا السكون هو سكون يسبق العاصفة .
عاد الى البهو ليأخذ المفتاح . فأحس من ظهره بعدم ارتياح . شخص كان واقفا وراءه ، ينظر اليه فى قفاه .
التفت سلافين . كان جون هليب يواصل تحديقته فيه ، ولم تكن الابتسامة على وجهه ، فكان الوجه ثقيلا ، وكأنما قد تحجر .
– ما الذى حصل ، يا جون ؟
– لا شيء يذكر – اجاب هليب ببطء – اذا اغفلنا ان لورنس قد قتل الآن .

فى الساعة الثالثة بعد الظهر نزل قسطنطينوف الى الصالة ، حيث اجتمع كل المشاركين فى العملية . على طاولة كبيرة فى الوسط ، وضع غميريا نموذجا مصغرا لمنتزه «بو بيدا» .
قال قسطنطينوف :
– ايها الرفاق ، العملية التى نقوم بها غير اعتيادية . وعلى نجاح عملية اليوم يتوقف لا مصير انسان سوفييتى نزيه وقع فى محنة ، هو زوتوف ، بل – وبقدر ما – مستقبل دولة صديقة . واريد ان يكون ذلك فى بالكم دائما .
نهض غميريا وأخذ يقول :
– تفضلوا الى النموذج المصغر ، يا رفاق . نحن نتصور ان الجاسوس الامريكى سيأتى من جهة شارع لينينسكى ، من بيت السفارة ، مارا بالجامعة . قبيل الخروج الى طريق موجايسكويه العام سيستدير يمينا ، الى طريق ضيق تؤدى عبر المنتزه ، وسيفرمل قليلا قرب المكان الذى سيبنى فيه النصب التذكارى ، ويتوقف جزءا من دقيقة ، ويرمى– او ربما يضع ، وسيكون ذلك رائعا على وجه العموم – المخبأ ، الوعاء ، المصنوع على شكل غصن . وسنقبض عليه متلبسا . ولهذا تجب مراعاة اقصى الحذر . لن نستخدم محطات منقولة للارسال والاستقبال . فمن المحتمل جدا ان سيارة السفارة الثانية مزودة بجهاز انصات الكترونى . وبعد ساعة نبدأ بمحاصرة المنطقة . والمسافة بينكم يجب ان لا تتجاوز عشرين مترا ، فالمنتزه مظلم فى الليل . والمصابيح موضوعة على طول الطريق فقط ، فلهذا اقول لكم : الانتباه ، والانتباه مرة اخرى .
ولاحظ قسطنطينوف قائلا :
– المسألة هى ان المكان الدقيق لمبادلة الاوعية السرية لم نثبته بعد ، يا رفاق . وهناك احتمالان لكل منهما منطقة . ان هذا «الغصن» من الاروح رميه عند الانعطاف الى جادة ضيقة ، ففى هذه النقطة تختفى سيارة وكالة المخابرات المركزية عن الانظار لمحة من الوقت . هناك منحدر الانعطاف . كما من الممكن تخفيف السرعة عند المسلة ايضا ، وهو تخفيف له ما يبرره كليا : فالرجل يريد

ان يتمتع بمنظر انشاءات موسكو الجديدة . ولهذا يجب علينا ان نحاصر منطقة ضخمة منعاً لكل المفاجآت ، ولهذا يدعوكـــم المقدم غميريا الى اقصى الحذر . هل هناك اسئلة ؟

سألت الملازمة الثانية جوخوفا :

– ايها الرفيق الجنرال ، اليوم ليلا هو فرصتنا الوحيدة ؟

دسّ قسطنطينوف يده ليتناول سيغارا ، واجاب بثقل :

– نعم ، بقدر معرفتنا ، الفرصة الاخيرة .

فى الساعة السادسة طلع كونوفالوف على خط الاتصال :

– ايها الرفيق ايفانوف ، خرجت من السفارة خمس سيارات . ولونس ليس من بينهم . والسيارات تسير فى شارع سادوفويه باتجاه جسر كريمسكى .

– مَنْ من وكالة المخابرات المركزية ؟

– جيكوبس وكاربوفيتش .

– كيف يتصرفان ؟

– بهدوء . . . لا ، جيكوبس تحول بحدة الى خط السيـــر الايسر ، والظاهر انه يريد ان يتلقى الاشارة من سيارة «فولغا» .

– كاربوفيتش يحرسه ؟

– لا ، بل يسير بهدوء فى خط السير الثالث . . . لا ينظر الى الجانبين . . جيكوبس تلقى الاشارة ، وتحول بحدة الى خط السير الايمن ، يستدير ، وينزل الى الكورنيش ، طلع الى الكورنيش . . . مرّ ببيت دوبوف . . . ينظر الى موقف سيارته المعتاد . . .

سأل قسطنطينوف غميريا وبروسكورين باستغراق ، وكان الاثنان جالسين الى جانبه :

– ربما كلمة السر «بارك بلاتس» – هى الموقف عند البيت ؟ لماذا مرّ ببيته ؟

وخلال ذلك كان كونوفالوف يبلغ :

– يصعد الزقاق الى الاعلى ، توقف قرب السفارة . ركض فى الفناء ،دون ان يغلق السيارة . . . خرج . . . فى يده حزمـــة مجلات . . . جلس فى السيارة . . . خرج بها الى الشارع سادوفويه

كولتسو . يسير فى خط السير الثانى . يتحول بحدة الى خط السير الأيسر . يترقب ما حوله .

– هل يراك ؟

– لا ادرى .

قال قسطنطينوف :

– ارفع المراقبة .

– سمعاً . من جديد انتقل الى خط السير الثانى ، واتجه نحو جسر كريمسكى .

– هل راقبتموه من السيارة الثانية ؟

– لا ، بل الخبر من السيارة الاولى ، ما يزال فى مجال الرؤية .

– جدد مراقبتك له فى ساحة زوبوفسكايا .

– سمعا .

فى الساعة السادسة وخمس واربعين دقيقة اوقف جيكوبس السيارة فى موقف قرب البيت الذى يقيم فيه موظفو السفارة ، وصعد الى شقته .

فى الساعة السابعة خرج قسطنطينوف الى منتزه «بوبيدا» .

فى الساعة الواحدة ليلا رفع رجال كونوفالوف من اماكنهم . كان المطر ينهمر . تبللوا جميعا حتى العظام . لم تخرج وكالة المخابرات المركزية للقاء . فشل .

سلافين

«مرحبا ، يا عزيزي !

ابتكرت قاعدة فلسفية ، وهى رائعة . النفاق يهتز كالستارة المشدودة بين قضيبين ، وفى الوسط يقف التافه الضيق الافـــق منتصرا ! التقاني جارنا فاليرى نيقولايفيتش عند المصعد يوم امس ، وسأل : «صعب على امرأة شابة جميلة ان تحس بوحدة مستديمة ام ان حرية الحب يقيها من هذا الاحساس ؟» . اردت ان اقول له انه

وغد عجوز ولكنك علمتني ضبط النفس ، وقد اجبته جوابا د لمانيا تماما .

هكذا .

فكيف تنقصني ، يا فيتالي ! لا لانني سيدة ضعيفة ، واحتاج الى حماية رجل ذى عضلات ، ولا لانني خلقت من ضلعك ، وافخر بانك سيدي . والعالم بكل نفائسه ضعيف بالمواهب ، اما كونك صاحب موهبة فواضح بالنسبة لي تماما .

نعم ، بالمناسبة ، اشترت عائلة ايلين جروا مذهلا عمره شهر واحد ، ولكن – تصوّر ! – انه لا يبول فى البيت ، ويولول قرب الباب ، كالدب ، رقيق بشكل لا يصدق . ماذا لو اشتريت مثله تيمناً لعودتك ؟ آمل انك ستعود ان عاجلا او آجلا ، أليس كذلك ؟ !

وبخصوص الموهبة ، هل تعرف ماذا فهمت ؟ فهمت ان المرأة يجذبها الى الموهوب تفرده . كل تفرد لا يخضع لقانون ، والمساس بما هو غير الاعتيادى يثير اهتمام المرأة كثيرا ، وعن هذا تنطق ببلاغة حقيقة خيانة حواء لزوجها ، ولو اخذوا يبرهنون لى على ان آدم ، قد ارغمها على هذا ، لصرت اضحك عالياً . بالمناسبة ، الى اين سنذهب للاستجمام ؟ فتحت دار للكتّاب فى بتسوندا ، والبارات تعمل حتى الثانية عشرة ، وهو بحد ذاتــه شيء لا يصدق ، لان المستجم يجب ان يكون فى نوم عميق فى الساعة الحادية عشرة ، مهيئا نفسه الى برنامج الغد «صباح الخير» * . والغرف مترفة فيها شرفات كالمقاصير . ما رأيك ؟ ام نذهب الى صيد السمك ؟ ولكن عندئذ لا استطيع ان البس تنورتي الطويلة ، وقد خطتها من قماش الكتان ، وستعجبك كثيرا .

عُدْ باقرب وقت . غدا ساذهب الى العرّافة . توجد هنا عمياء تحدس بشكل رائع ، وتعالج بالحديث داء الذئب الاحمرارى .

هكذا .

وعلى العموم ، أظن ان قلب الانسان غير قادر على التأثير على العقل . القلب أطيب . لقد أصبحت حانقة . والعادة يمكن ان تتكون . العادة على التدخين ، العادة على اخفاء التثاؤب ، العادة على الاصغاء

* برنامج غنائى فكاهى مرح يذاع من محطة موسكو فى الساعة السابعة صباحا لكل يوم . **المعرب** .

الى الحماقات ، العادة على تهدئة ليليا . وغير ممكن فقط ان تعلم نفسك التعود على الانتظار .

ولكن بعض الناس يستطيعون . بينما انا لم استطع منـــذ الطفولة – نفاد صبر لعين دائم . اظن انك تتحملني بصعوبة . صحيح ؟ كم لطيف ان يحب الرجل امرأة هادئة ، كالعجلة ، قعّادة مثلها . كلمة غريبة ؟ اذن كان هناك «الذين لا يستقرون فى مكان» فما هي الكلمة المضادة لهم : القعّادون ؟

على العموم ، هل تفهم لماذا اتأفف طوال الوقت ؟ لانني اصرفك عن عملك ، اريد ان تحنق عليّ ، عندئذ ستفكر مع نفسك بطريقة افضل . حريّ ان أعد وأطرح للمناقشة اطروحة مرشح علوم بعنوان «نظرية الانصراف عن مشاغل العمل عن طريق مؤجج حب» . عندئذ سيمزقني النسوة .

اما عن الاخبار ، فقد تلفن قسطـ . ايف . وليدا . كلاهما كان يتكلم بمرح مفرط ، اى شاطر انت ، وانك عائد بين عشيـــة وضحاها ، وان الايفاد هذا ، خلافا للايفادات الاخرى ، يتسم بطابع النزهة تماما . ومن هذا استخلصت انهما يسريان عني . وقد قلت ذلك . ضحك قسطـ . ايف . ، واجاب : على العموم أنتِ على حق ، ولكن ليس هناك اى اساس جدى للقلق .

تلفنت ناديا ستيبانوفا . ورغم انهما منفصلان ، الا انها تسأل عن ديميتري . انها تتكلم معي بجفاف ، لانني لست زوجة ، بل صديقة زوجة ، ولكن يجب التخوف من هؤلاء الصديقات . فالمثل السيئ معدٍ .

قلت لها انك مسافر ، ولهذا لا اعرف شيئا عن ديميتري ، سوى انني اقرأ مراسلاته فى الجرائد . ارسل لك رسالة ديميتري فى نفس الظرف هذا ، كنت شديدة الرغبة فى ان أفضها ، ولكن اذا نظرت المرأة ، ولو مرة واحدة ، فى رسالة معنونة الى رجل ، او دست أنفها فى مذكرته الشخصية ، فمعنى ذلك ان الحب قد انتهى ، وبدأت الشكوك ووجب الطلاق . غريب ان يتطلق الزوجان فقط اذا كانا متحابين ، اما اللذان ينتهي الحب بينهما فيبدأ أحدهمـــا بالتشبث بالاخر ، ولا يقدمان على الطلاق ، ويتخاصمان ، ويذهبان للتشكي الى المنظمات الاجتماعية .

الطقس عندنا مخيف : مرة برد ، ومرة حر . ويتوارد مرضى بنوبات ضغط الدم . هل تذكر كيف نصح خلدوف المرضى بالقلب بأن يسكنوا فى السراديب فى اشهر النشاط الشمسى ؟ ربما هو على حق ؟ ما رأيك ؟

عزيزي ، بالأمس ، عندما كنت عائدة من العيادة رأيت حمامات تتعارك فى المنتزه . لم اتصور قط ان هذه الطيور تقدر ان تتعارك . بيكاسو ، ورمز السلام ، وما الى ذلك . ولكننى ادركت فيما بعد انها كانت تعارك بسبب الحب . فهل يمكن ان يعتبر مثل هذا النوع من العراك عراكا ؟

ارجو ، لو تستطيع ، ان تشترى لى كتاب آيرس عن علم الرضوض والكسور عند الاطفال من السن المتوسطة . يرسلون الينا الكثير جدا من المصابين بالكسور ، لا سيما الفتيات ، يتساقطن من النوافذ . ربيبات البيوت الصغيرات يغسلن زجاجات النوافذ ، حين لا تكون امهاتهن او جداتهن فى البيت . فى البداية — وهذا صحيح حسب منطقهن — يفككن المزلاج العمودى الاسفل لان الوصول اليه أسهل ، وبعد ان يغسلن القسم الاسفل ، يفككن المزلاج الأعلى ويسقطن . من قبل ، عندما كنت صغيرة لم يكونوا يسمحون للوالدين بالدخول الى المستشفى ، اما الآن فنسمح للامهات والجدات بالجلوس طول النهار . نبدى طيبة . عدد العاملات فى شؤون التنظيف قليل جداً . وانا الاخصائية بالاشعة ، انظر اليهن باعجاب من تحت الى فوق .

هكذا .

رغبت كثيرا ، قبل عودتك ، ان يلبسوا جدران مكتبك بخشب البلوط . ذلك يعجبك ، ولكننى فهمت ان كوكبنا قليل العدة للمرح ، ماياكوفسكى محق مائة مرة . فقد قيل لى ان الطلب سينفذ بعد سنة ، فى احسن الاحوال . دعنا عنهم . أليس صحيحا ؟ لا ارجو الا ان تعود فى اسرع وقت ، وان نكون سوية ولو فى يومى السبت والأحد بعد عودتك ، والاحسن من ذلك فى مساء الجمعة .

اقبلك ، يا حبى

ايرينا» .

«فيتالى ، مرحبا !

نقلوا لى خبرك . بدأت استعلم شيئا عن هليب . انتظر اخبارا من بون . هناك تتشكل تركيبة مهمة جدا . انت شاطر فى انك دفعتنى الى هذا الموضوع . يتبين — ولكن هذا ما يزال فى طور التدقيق — ان زيب شانتس صاحب أسهم فى شركات كانت لها علاقة بناغونيا . ولهذا يساعد فى ارسال السفاحين من فصائل الصاعقة الى اوهانو .

عندى صديق ، هو كورت كاشكه ، فتى نبيه جدا كان يعمل فى «شبيغل» ، صديق فالراف ، ويهمه هذا الموضوع . فى حينها اعطيت له موادي عن رجال ماو فى برلين الغربية ، ولهذا فانه ، بالتأكيد ، سيساعدنى فى امر زيب شانتس . لحد الآن ، كما يكتب كورت ، شيء واحد واضح : سفاحو زيب يطيرون الى لويسبورغ لا على طائرات «لوفتهانزا» بل ينقلونسراً بطائرات نقل امريكية ، وهو امر محظور بموجب أوامر ما من البنتاغون ، فهم يخافون الافتضاح ، وما الى ذلك . وكورت يراقب ، وهو يجيد ذلك ، حتى يصرخ ، بعد ذلك ، بكل صوته ، عندئذ تنكشف السلسلة : من سمح بنقلهم ؟ وماذا لو ان البنتاغون يخادع ، وكل ذلك يجري بأمر منه للتغطية ؟ يرى كورت ان الفضيحة ستكون ساحقة ، وهو ، بالمناسبة ، يحوم هناك حول العميل المقيم لوكالة المخابرات المركزية ، يتقصى شيئا ضده ، فان هذا متورط فى شيء ، على ما يبدو ، ولكن كورت قليل الكلام عن هذه المسألة . وعلى العموم انه فتى شاطر . ارسلت له برقية بالتلكس ، فاجابنى بعد خمس ساعات فى برقية عادية ، لم يرد ، على ما يبدو ، ان يقرأ البرقية مَنْ لا يثق بهم . والذين لا يثق بهم كثيرون .

هذه هى الاخبار ، يا شيخ . كيف انت فى موسكو ؟ ما هو الشيء المُسر ؟ اما عندى هنا فحر ، بالمعنى الحقيقى والمجازى . اضطر الى العراك قليلا : السفير ، والحمد لله ، ذكى ، وهو يفهم ان مشاعر الاديب تختلف عن مشاعر الانسان من المهن الاخرى (ليس هذه عبادة النُخبة ، بل مجرد حقيقة ثابتة) . ولهذا يؤيد مراسلاتى ، وآخرون يعارضونها ، ويرون اننى اكثف الالوان . بينما انا لا اكثفها ، والصحفيون اناس محصورون بحدود مهنتهم . ونحن — هم

وجماعتي – متفقون على شيء واحد : بين لحظة واخرى سيبدأ القتال . ان اوهانو يصعد الهستيريا الى حد مطلق ، ليس بعده من عمل غير اطلاق النار . فى الليالى تلعلع الرشاشات الاوتوماتيكية فى الشوارع ، والدوريات العسكرية تدور فى السيارات ولولا ذلك لعاث الارهاب فى المدينة . وغريسو رفض إعلان منع التجول ، وهذا ، واقولها باخلاص ، جعلنى على حذر : كنت فى تشيلى عشية التمرد . الحقيقة لا يمكننى ان اقول ان الثورة هنا لا تتسلح . انهم يتسلحون ، ويتعلمون فن النضال من اجل الثورة : القيام بها صعب كالدفاع عنها . ولينين ، كما يبدو لى ، كان يؤكد ان الدفاع عنها أصعب .

يوم أمس عاتبنى احد الرفاق قائلا : «هناك فى ريبورتاجاتك كثير جدا من الحوار . الكتاب شيء ، والكتابة الصحفية شيء آخر» . شرحت له لماذا أحب الحوار : الحوار بالذات يسمح بالابتعاد او الاقتراب من هذا الموضوع او ذاك ، يضيق أُطر المسألة ، او بالعكس ، يوسعها ؛ يترك المشكلة ، ويعود اليها ، والشيء الرئيسى : يجعل القارئ يسير وراءه ؛ فالتعليمية مضجرة جدا .

فاعترضوا عليَّ قائلين : «هذا ليس من تقاليد الفن الصحفى الروسى» .

فرددت على ذلك قائلا : «ان احسن وانبغ شاعر فى عصرنا مات ، لأنه كان خارج تقاليد الشعر . ولكننى لا انوي اطلاق الرصاص على نفسي ، رغم انني لا اجرؤ ان اقارن نفسى بماياكوفسكى» .

والآن لنعد الى موضوع حديثنا . على العموم انا ، على الارجح ، نموذج الاديب الذى يسوق للدفاع عن فكره حججا تناقض الفكر من الوهلة الاولى . وما وجه الغرابة ؟ ان احسن برهان على اولوية الخير على الارض ، هو وصف جيد ناصع لقوى الشر . وهذا يقلق بعض الناس ، فيريدونه بلون واحد ، ولكن هذا لا ينجح ، ولا يُصدَّق . الناس صاروا اذكياء ، واذا كانت قد حدثت ثورة ثقافية فى بقعة من الارض ، فهى عندنا بالذات . لماذا اقول هذا ؟ لسبب واحد : يجب ان تقرأ ما اكتبه حتى النهاية لتخرج بانطباع مترابط . انا لا اكتب كلمات بل قوالب ، وبكلمة اخرى ، افكارا – إخلع قبعتك ، يا ريس ، انا متواضع !

اذن : عرض كورت توحيد المواد عن العم شانتس النازى الذى نبحث عنه بابن الأخ الذى يشغله . ورفع الصوت بمادة واحدة . وبالاضافة الى ذلك يقول كورت بتلميحات ان قرابة هذين ابنى الكلبة تمتد الى ثالث . لا يكشف عنه ، يعنى ، استخلص انا ، انه ينبش عن شيء مهم جدا.

يعدونى بأن يأخذونى غدا الى حدود المنطقة التى تقف فيها عصابات اوهانو . هل تعرف ماذا فعل هذا الفتى ؟ انه اوصى على لوحات للرماية عليها صورة غريسو . وكان هو اول من اطلق الصلية على الصورة . ومن الطريف ان لوحة الرماية هذه طبعت فى الولايات المتحدة ، عليها ختم المصدر ، ولكن الذى رسم جورج غريسو هو صينى ، فانهم لا يستطيعون ان يرسموا افريقياً او اوربياً الا باضفاء المسحة القومية على وجهيهما . آمل ان لا تتهمنى بالنزعة القومية ؟

فى بار الصحفيين هنا تشاجرت مع بريطانى . قال لى :

«لقد تحدثنا لكم عن الخطر الاصفر منذ عام ١٩٤٥ ، بينما انتم كنتم ترسلون السيارات الى بكين ، حين كان رجالكم يعيشون فى المخابئ الترابية» . فاستشطت غضبا . قلت له : «انا شحنت عربات القطار تلك بيدى . وسارت هذه العربات عبر بيلوروسيا التى كانت ، حقا ، تعيش بالمخابئ . ولكننا تصرفنا تصرفا صائبا ، لانني لا اعرف اى شيء هم «الصفر» ، بل اعرف الصينيين وأحبهم ، لانني عشت عندهم ، وأكلت معهم من طاسة واحدة . وسيزول ماو وهوا بينما الصينيون ، كأمة عظيمة ، سيبقون ، ولا ينسون – ملزمون الا ينسوا مَنْ كانوا يساعدونهم ، وفى سنوات ضيق مستقطعين من انفسهم ، من أهاليهم ، اكثر الاشياء ضرورة . ولا يمكن ان لا يتذكروا – انا موافق على هذه الصيغة ايضا : «سيئ هو ذلك السياسى الذى يفكر بيومه فقط» ، ينبغى التفكير الى الامام . السياسى بنّاء . وبالمناسبة لو كان فى الغرب ولو بناء واحد فى السياسة ، وليس حقوقيين وحدهم ، لسَهُل عليهم كثيرا ان يفهموا مقاصدنا . فمن السهل فهم ما نبنيه ، وما نريد ان نبنيه . وعلى العموم ، «رغم ان «المغولية الشاملة» كلمة وحشية ، الا أنها تدغدغ سمعي» . لم يفهمنا احد أفضل من المثقف النابه العظيم بلوك :

«نعم ، نحن سكيثيون * ، نعم ، نحن آسيويون ذو عيون ضيقة ونهمة» . وقصيدة «السكيثيون» قصيدة مدح **للروسى** اعظم بكثير من الاقوال الحلوة لهؤلاء الذين يعجبون بالاحذية الليفية عندنا . ولكن ، بالمناسبة ، اريد ان اقول شيئا عن هذه الاحذية . لو شغلت منصب رئيس التعاونية الحرفية لجنيت الذهب من حرفة صنع الاحذية الليفية ، لا أروح واكثر صحية منها ، ولكن البلدان الرأسمالية تجاوزتنا ، وهى تبيع فى كل مكان الاحذية الليفية ، المستحدثة ، حقا ، بعض الشىء . هذا ليس من قبيل المزاح بل كلام جدى .

يا شيخنا ، حان الوقت . ثرثرت معك . ان لك صفة خصوصية ، فانت تحسن الاصغاء . وانا تحت مغناطيسيتك حتى هنا ، فى ناغونيا .

عانق ايرينا ، انها رفيق حقيقى لك . انا احسد الرجال الذين لهم زوجات صديقات . وهن قليلات . ولهذا يجب الحرص عليهن ، دون المبالغة فى تقييمهن . كتاب «قواعد النظام المنزلى» ليس سيئا . أليس كذلك ؟

سلاما ، يا شيخ ، عانق جميع اصدقائنا ، وقل لهم انا مشتاق لهم جدا .

ديميترى ستيبانوف» .

. . . الا ان سلافين لم يتسلم هذه الرسالة . فقد كان معتقلا من قبل دائرة الجنرال ستاو .

هليب

طار هليب الى الادغال ، على الحدود ، فى الساعة العاشرة مساء ، حين صار الظلام حالكا . ومع ذلك فحين وصل هليب الى المطار العسكرى اخرج من حقيبته لحية وشاربين ، ولصقها بعجينة لاصقة ، فتغير وجهه فى الحال تغيرا لا يعرف به .

* تسمية عامة تطلق على قبائل مترحلة مختلفة كانت تقطن السواحل الشمالية للبحر الاسود فى القرن السابع قبل الميلاد حتى القرن الثالث بعد الميلاد . **المعرب .**

بعد اربعين دقيقة حطت الطائرة العمودية على ساحل المحيط . كان اوهانو يقف عند الدرج . وكانت اسنانه تلمع كالسكر .

– مسرور برؤياك ، يا جون – قال اوهانو وهو يضغط بيده الضخمة الناعمة يد هليب الباردة – كم لديك من الوقت ؟ ساعتان لا اكثر ؟

– وأقل من ذلك ، يا ماريو .

– لنذهب . سلقوا لنا زعانف سمك القرش . سنتحدث على الغداء .

– منذ زمان لم آكل قرشا – وتنهد هليب – انا احب هذا الاكل الى حد الرعشة . مَنْ اعده ؟ طباخي ؟ فان ؟

– الطباخ فان جيد بالفعل ، شكرا على توصيتك به

– انا لا اوصى باناس سيئين . كان فان يوفر لى اسباب الراحة فى هونغ كونغ لا يضارعه احد .

اعدت المائدة على لوحة خشبية تحت نخلة ، وكانت المشاعل تشتعل قرب ثلاثة مقاعد وثيرة تضيئ فى الظلام ، بشكل مفزع ، اشباح حراس مسلحين ببنادق اوتوماتيكية اسرائيلية صغيرة كاللُعب .

– اين لاو ؟

– انا هنا – اجاب لاو من الظلام – احب ان اكون فى الظل .

التفت هليب . تقدم من الظلام نحو اللوحة المستشار العسكرى لاو ، العميل المقيم السابق لبكين فى هونغ كونغ . كان وجهه شاحبا وكان قد نحل كثيراً وشاخ بالمقارنة بالزمن الذى كان فيه «يعمل» فى الشركة المالية لمستر ليم . وكانت الغضون العميقة تشق جبينه .

– هل تشعر بتوعك ؟ – سأل هليب وهو يصافحه – ام متوتر الاعصاب قبيل بداية القتال ؟

– ليس لى حق لا فى الاول ولا فى الثانى .

– بموجب أمر ام ثقة بالنصر ؟

– هذا وذاك .

التفت هليب .

– هنا الكثير من الزائدين ، ماريو . سيكون الحديث مهما للغاية .

– حرّاسي لا يعرفون الانجليزية ، لا يفهمون اى شيء . انهم وحوش قوية موثوقة .

قال لاو :

– مع ذلك فان جون على حق . أقترح التمشى على الساحل ، وبعد ذلك نجلس لنأكل القرش .

تأبط هليب قائلا :

– اكثر ما اخشاه الآن هو ان لنكلي ترسل الى هنا عميلا مقيما جديدا ، على اية حال .

– قبل عشرة ايام من بدء «المشعل» سيكونون حمقى من كل بد .

وضحك هليب ضحكة استهزاء قصيرة .

– وتظنهم عباقرة ؟ بالطبع سيكونون حمقى من كل بد ، ولكننى اخشى هذا كثيرا .

سأل اوهانو :

– ربما عليّ ان ارسل برقية الى الادميرال ؟ بواسطة شفرتى ؟

ضحك لاو مستهزئا :

– وكيف ستكون ؟

– «تكونت اتصالات جيدة جدا بينى وبين مستر هليب ، ارجو . . .»

هز لاو كتفيه مستثارا ، واختتم :

– «ان لا ترسلوا مقيما جديدا !» واكتب ايضا ، والا فان رجالى سيضطرون الى اطلاق النار على الغريب الجديد . بهذا الشكل ام كيف ؟

قال هليب :

– سيقتضى قتل واحد او اثنين من جماعتك . والقاء جثتهما ، ونشر خبر فى الصحافة : «اثناء مناوشة قُتل ارهابيان من «جيش العمل الاحمر» . . . »

اعترض لاو قائلا :

– لا ، فى كل الاحوال . تدهشنى انت ، يا جون . «جيش العمل الاحمر» يربطونه بنا . وحسب روايتنا انا وانت لم يقتل لورنس الا اليساريون . الروس ، او الكوبيون . رجالى منشغلون فى وضع تعليل لعلاقة قَتَلة لورنس بناغونيا ، وعملهم يجرى بشكل رائع ،

سيتعين التدقيق قليلاً ، وبعد ذلك تنشره فى الجرائد . ولكننى رجوتك ان تطير الينا ، يا جون ، لا بخصوص هذه الامور فقط . لقد نفذنا رجاواتك فى الحال ، وها انت توقعنا فى حرج .

– باى شيء ؟

– قبل اسبوعين وعدت بارسال دفعة جديدة من الطائرات العمودية . فاين هى ؟

– هل تتصور بهذه السهولة انسق كل التفاصيل مع البنتاغون ؟

– ولكن انا لا اشير الى التنسيق مع وزارتى للدفاع ؟ انت ترسل برقية انذار باللاسلكى ، وبعد ساعة يصفي رجالى بيليو . وتطلب عزل لورنس وبعد ساعتين نلعب لعبة ويُصفى لورنس . هذه مسألة تخصنى ان اتصل ببكين ام لا . فان هذا الامر لا يهمك . صحيح ؟ فلماذا يجب ان تهمنى علاقاتك بالبنتاغون ؟

قال هليب :

– ستكون الطائرات العمودية . انا اعد بذلك بقوة .

– متى ؟

– يجب ان آخذ معى خطة العملية التى نقحتها انت ، مع مراعاة الملاحظات التى ارسلتها لك . انا اطالب بان ترسل الطائرات العمودية من الاسطول بلا ابطاء .

– حسنا ، شكرا . نحن نأمل كثيرا ، يا جون . والآن المسألة الثانية . لقد وعدت بان تقلص ارساليات الروس الى ناغونيا ولكنها بالعكس ، تزداد .

– اعتقد انك لو اعددت مواد عن مقتل لورنس ، على ان تكون مواد جيدة ، فاننا سنحصر الروس فى زاوية ، الجرائد تطالب باغلاق الموانئ فى وجه بواخرهم . انا شديد الانتظار لموادك .

– هل انت تثق بستاو ثقة حقيقية ؟

– نعم .

سأل اوهانو :

– هل تدفع له ؟

ابتسم هليب :

– هو صديق لى . انا واثق من هذا الشخص .

– مَنْ الذى سيهتم بالروسى الذى تنوي ان تسند له قتل لورنس ؟

– ستاو . انه يحتاج الى جثة ، او زوجين من الجثث . وتسريب معلومات : كان الروسى مستر سلافين يقيم صلات ، ويموّل «جيش العمل الاحمر» الذى قتل بوحشية تاجرا امريكيا .

تجهم لاو :

– كثير جدا من المؤثرات ، يا جون . منذ هونغ كونغ وانت تنجذب الى المؤثرات . لا تمس «الجيش الاحمر» ايضا . سنطرح رواية اخرى اكثر طرافة . سبق وقلت هذا . يا ماريو ، لقد كان عندك سؤال .

– جون ، الفتيان من مجموعاتنا الصاعقة يجب ان يعطوا شيئا من المخدرات ، قبيل الهجوم على ناغونيا . يجب استثارة الرجال .

– لا يجوز عمل ذلك ، يا ماريو .

– الواضح ان الفتيان يقدمون على موت . من المستبعد ان يسلم أحد منهم .

لاحظ لاو قائلا :

– يمكننا السيطرة على العملية ، يا جون . اذا بدأوا يدخنون بعد اتمام العملية ، بعد دخول ماريو الى ناغونيا ، فسنرمى عشرين من الجنود بالرصاص على الملأ ، وسيفعل ذلك فعل المُصحي .

كرر هليب :

– ما كنت ساقدم على ذلك . ولكن اذا كنتما ، انتما الاثنين ، تصران ، فساقدم الى رجالكم غدا اربعين غراما لا اكثر .

قال لاو :

– لا تبخل ، يا جون . اذا كنت محتاجا الى شحنة جديدة من الهيروين ، فانا اساند طلبك . شانتس يحصل على بضاعة جيدة فى هونغ كونغ ، وانا لم أمنعك من القيام بهذه التجارة .

تنهد هليب قائلا :

– المبالغة هى كذب الانسان النزيه . انت دائما تضع اصابعك على خناقي ، لاو . هل انت متفق معى ، يا ماريو ؟

ضحك هذا :

– لا ، على الاطلاق . انا اؤيد لاو فى كل شىء ، فنحن ملونون ، بينما انتم اليانكيين الملعونين ، لا تحبون الملونين . . .

تأبط لاو هليب ، وقاده الى المائدة :

– جون ، لا يوجد لديك انطباع فى ان احدا ما فى واشنطون ضد مساعدتنا مساعدة حقيقية ؟ . .

– يوجد . «السياسيون الواقعيون» ، ابناء الكلبة ، صناع سلام ، ذكرى كندى لا تدعهم فى سكينة . ذكرى كندى وروزفلت بشكل خاص .

– ولكن الادميرال سيكون صلبا ؟ ولن يخضع لسياسيكم «الواقعيين» ؟

– لا ، اعتقد لا . فقط ان تبدأ العملية باقرب وقت ، يا لاو . حين يضرب ماريو ، وحين يدخل رجاله الكوماندوس الى ناغونيا ، سيتوجب على الجميع ان يقدموا المساعدة بشكل حقيقى ، ويتوجب توجيه الطائرات الى هنا ، ويتوجب ارسال جنود الانزال . فقط ان تبدأ .

– ما رأيك لو اننا بدأنا الهجوم قبل ثلاثة ايام من الموعد المقرر ؟

– لست متهيئا للاجابة . . . نحن ننتظر آخر المعلومات . . .

– من اين ؟

– من رجلنا الموثوق .

– كقاعدة يقدم المعلومات اناس غير موثوقين ، يا جون .

– يجب ان يكون لكل قاعدة استثناء .

– اى نوع من المعلومات ينقلها ؟

– نحن ننتظر منه جوابا بلا او بنعم : هل سيتدخل الروس ام لا فى حالة دخول ماريو الى ناغونيا .

ردّ اوهانو :

– سيكون الوقت متأخرا ، يا جون . بعد ثلاث ساعات من بدئنا العملية لن يستطيع الروس التحرك . سيتعين عليهم ان يستشيروا حكومتى . ارجوكم ، ايها الاصدقاء ، ان تأخذوا اماكنكم ، يجب ان يؤكل القرش قبل ان يسلق زيادة عن اللازم .

سأل هليب :

– اين خطة الهجوم ، يا ماريو؟ انا اقصد الاخيرة التى نقحها لاو .

– هناك – قال اوهانو ، وقد مسّ باصبعه جيب سترتـــه الميدانية .

سأل هليب :

– ماريو ، هل ابلغت شيئا من عندك الى لنكلى ؟

– ولماذا ؟ – وهزّ لاو كتفيه – مصلحتنا فى ان تصبح انت بالذات عميلا مقيما . وما مصلحتنا فى ان نتجاوزك ؟ لقد اعددنا الخطة ، ونحن نتبّع هذه الخطة ، يا جون . والآن النقطة الاخيرة : هل تستطيع ان تساعدنا عن طريق امكانياتك فى موسكو ؟

بسط هليب فوطة على ركبتيه ، وادار القدح فى يديه ، ونظر الى اوهانو . فسأل هذا :

– هل تريد ويسكى ام جن ؟

– اريد فودكا روسية .

قال لاو :

– انا انتظر جوابا ، يا جون .

– لا فائدة من الانتظار .

– جون ، صداقتنا تمتد عشرة اعوام ، لقد انتشلتك من الوحل فى هونغ كونغ ، ورفعتك هنا ، بعد ان صفيتُ لورنس . فلا تعرقل نفسك بنفسك فى الصعود فى السلم .

– سأجيبك ، حين يدخل ماريو ناغونيا ، يا لاو ، طيب ؟

هزّ لاو رأسه :

– لا تعق نفسك من التسلق الى مستقبل ، يا جون . انا لست بحاجة الى اسماء والقاب عملائك . لست بحاجة لهم الآن . ولكن اذا اخذتُ بنظر الاعتبار خطواتك النابهة جدا يمكننى القول ان لك احداً فى موسكو . وانا مستعد – بتبادل معلوماتك من موسكو – ان اساعدهم فى عملهم . لصالحك . هل عملاؤك يراعون السرية بشكل موثوق ؟ وهل انت واثق من انهم غير معرضين للافتضاح ؟

شرب هليب الفودكا التى صبها اوهانو له ، وزفر زفرة صاخبة ، واجاب :

– لا تقلق على رجالنا ، يا لاو . انهم مخفيون هناك بشكـــل

موثوق به ، بحيث لا يهددهم شيء ، على الاقل خلال نصف السنـــة القادم .

– هذا راجع لك . لقد رأيت واجبى كصديق ان اشاطرك مخاوفى . فالتزم الحذر . ان الالمان خسروا لانهم بالغوا فى احترام انفسهم ، ولم يقدروا الخصم حق قدره . ولكنك اذا كررت خطأ اقربائك فستدفع رأسك ثمنا لذلك . انا غير واثق من انك ستنجح مع زوتوف . الازدواجية ليست طريقة فى السياسة ، بينما انت تريد ان تنتقل من قسم **التجارة** الى رابطة السياسيين ، يا جون . انت تريد ذلك بوضوح شديد . . .

– عزيزي لاو ، انا اقدر صداقتك . حقا . ولكنك تتمسك بجانب واحد فى تراكيبك . سيتعين على زوتوف ان يبرئ نفسه . هل تفهم ؟ سيحتاج الى **البرهنة** على براءته . ولكن هذا سيستغرق شهورا كثيرة ، وانا وانت ندرك جيدا ان العميل لا يستطيع ان يعمل عملا منتجا اكثر من عام ، وانا لا اعوّل على اكثر من ذلك فى كل الاحوال . انا بحاجة الى ان يكون رجالى الموثوقون فى موسكو فى أمان من الانهيار خلال سنة . وبعد ذلك وليكن الطوفان ، اعتقد ان ماريو سيأخذنى فيما بعد مستشارا له فى الاقتصاد والمالية ، ولا أطمع الى اكثر . اعطيني الخطة بملاحظاتـــك ، يا ماريو ، حان وقت رجوعي . . .

«وكالة المخابرات المركزية
قسم الخطط الاستراتيجية .
سرى للغاية .
٢٨/١٠–٤٥–٧٨ .

دققت خطة «المشعل» بمراعاة ملاحظات رئيس وكالة المخابرات المركزية ، وهى – فى صيغتها النهائية – كالآتى :

١ – يوم البدء «. . .» هو السبت ، ٧,٠٠ صباحا .

٢ – الاستيلاء على قصر الرئاسة سيتم لا بقوات الانزال المدرعة وحدها ، بل ومن الجو ايضا . ستصل عشرون طائرة عمودية الى نقطة «س» بعد غد .

٣ – سيقترح على جورج غريسو ان يتوجه الى الشعب بخطاب عن الانتقال الطوعى للسلطة الى الجنرال اوهانو .

٤ – فى حالة امتناعه سيقضى على نفسه بالانتحار .

٥ – ستتكفل حكومة اوهانو بمراسيم تشييع جورج غريسو وستعلن الحداد الوطنى .

٦ – سيتوجه اوهانو بطلب المساعدة لا منا ، بل من بكين ، وفضلا عن ذلك سيدين بندائه – المرفق هنا نصه المدقق – تدخل مشاة البحرية الامريكية .

القائم باعمال العميل المقيم لوكالة المخابرات المركزية – جون هليب» .

«نص نداء الجنرال اوهانو الى شعب ناغونيا

ابناء وطني الاعزاء !

تقبلوا تهانئ القلبية بمناسبة التحرر . لقد انتهت بالنصر الانتفاضة ضد نير الاغراب . لقد دعوتمونى فجئت اليكم ، لأهب نفسى لخدمة الامة .

اننا نأسى لنهاية جورج غريسو الفاجعة ، ولم يكن مهيئا للدور الذى اعده القدر له ، ولكن هذا ليس ذنبه ، انها فاجعة الامة ، التى القت عنها العبودية الاستعمارية قبل وقت قصير .

اعتقد ان حركتنا القومية التى جلبت النصر ستحظى بالقبول من جانب الاصدقاء فى جميع العالم بغاية البهجة .

ويجب ان اقول ان يد المساعدة الاخوية قد مدت الينا بالفعل من بكين .

ويجب ان استنكر فى غاية الحزم نزول جنود الانزال لمشاة البحرية الامريكية .

واود ان اكرر باننى سأظل اخدم قضية ثورتنا القومية الى النهاية !

والله معنا والنصر !»

. . . كان المخرج اوخوف يتلفن لقسطنطينوف كل يوم : لقد انتهى اختبار الممثلين ، بينما المستشار لم يشاهدهم حتى الآن ، والمجلس الفنى لا يريد ان يتخذ قرارا قبل ان يعرف رأى الاخصائى .

– طيب ، ماذا لو جئت اليكم فى نحو العاشرة مساء ؟ – سأل قسطنطينوف . – هذا مقبول ؟

– نعم ، وحتى فى الثانية عشرة ! – قال اوخوف متحمسا – ستكون انت والمخرج جينيا كارلوف الذى يقول انه متعارف معك ، وانا ! لا اشكال حتى لو جئت فى الواحدة بعد منتصف الليل !

سأل قسطنطينوف :

– هل من الممكن اذا دعوت زوجتى ؟

– على الرحب والسعة ، سأكون مسرورا جدا .

. . . ترك قسطنطينوف لمساعده تلفون فريق التصوير والمونتاج ، وقال : فى حالة الضرورة المستعجلة ، الطريق من «موسفيلم» يستغرق عشرا او خمس عشرة دقيقة ، وتلفن الى ليدا ، ونبهها الى انه سينتظرها عند المدخل فى الساعة التاسعة وخمس وخمسين دقيقة .

– ولا تستطيع ان تقول فى العاشرة الا خمس دقائق ؟

وابتسمت ليدا ، فردّ قسطنطينوف :

– استطيع ، ولكننى لا احب «الا» . انها تنطوى على نوع من الضجر .

. . . كان الجو فى صالة العرض خانقا ، لم تكن التهوية تعمل . كانت ليدا تنظر الى وجه زوجها بحذر . لقد نحف . كان يتكلم مع اوخوف وكارلوف بمرح ، ويمزح مع صاحبة المونتاج ماشا ، ويتشكى من جنون الطقس – لا وجود للصيف على الاطلاق ، والامطار متواصلة ، ويقصّ نكتة مضحكة ، وطلب اذنا بخلع سترته ، وانتهى الى القول :

– لنبدأ ، اذا لا تعترضون . ها ؟

وكان قد عكف على سيناريو فيلم عن رجال مكافحة التجسس – منذ مستهل العمل – اسبوعين تقريبا . فملأ الاوراق بالملاحظات ، وعندما رأى اوخوف ذلك ، لم يملك الا ان يتأوه :

– ولكن السيناريو قـــد صودق عليـــــه ، يا قسطنطين ايفانوفيتش !

– اذن ، ما حاجتكم اليّ ؟

– كيف ما حاجتكم ؟ ! يجب ان تنقحه من وجهة نظر مهنية وان يكون صادقا فى هذا المجال .

– هذا ما فعلت . الملاحظة الرئيسية ان السيناريو يحتوى على الكثير من الاكاذيب . رغم ان المؤلف ينطلق من احسن النوايا ، وهى جعل شخصية رجل يعمل فى قسم مكافحة التجسس جذابة . فانت ترى الزوجة التى تنتظر زوجها فى الليالى ، وانت ترى الرائد يقع فى حب مغنية فى مطعم لها علاقة بالمضاربين ، وانت ترى الجنرال يعرف مقدمـــــا كل شيء عن العدو . . . يجب ان يكتب المؤلف الحقيقة ، واذا كان لا يراها ، ينبغى ان يجلس معنا ، ونتبادل الحديث ، وسنساعده بسرور . ثم ان هناك شيئا آخر : الجواسيس عندكم يقبض عليهم بالحفنات ، ولكن هذا غير حقيقى . الجاسوس نادر فى ايامنا هذه ، والجاسوس الخطير هو عمل من اعمال السياسة الخارجية للعدو غاية فى التعقيد . وشراء سوفييتى فى ايامنا مهمة معقدة بشكل لا يصدق . وجوهر مجتمعنا ذاته يناقض ذلك . والانسان الذى يرفض طوعا او حتى تحت التأثير ، ما تقدمه له الحياة فى مجتمعنا هو شذوذ .

واقسم اوخوف بأن مـــن غير الممكن تغيير شيء الآن مـــن السيناريو . فان الفيلم قد صيغ ، ومن المستحيل تهشيم بنائه .

قال قسطنطينوف ملاحظا :

– لا اطلب شيئا . واقول لك ما عليّ ان اقوله . اما انت فمن حقك ان لا توافق على رأيي وتجد لك مستشارا آخر .

(فى عالم السينما ينقسم المخرجون الى صنفين : «المتصلبون» الذين يرفضون اى تعديل ، حتى من زملائهم ، و«الاستراتيجيون» الذين يهدمون البناء بدون خوف ، اذا وجدوا فى ملاحظات الرفاق افكارا معقولة . ورغم ان اوخوف كان «استراتيجيا» الا انه كان

يخوف الجميع بـ«التصلب» . فى المراحل الاولى ، قبل ان يوقع امر انتاج الفيلم ، كان مستعدا لكل شيء ، ويتقبل اى ملاحظات مفيدة برحابة صدر . وبعد ذلك ، حين تم تعيين موعد الفيلم ، واعطيت النقود لتصويره ، ظهر اوخوف جديد ، دكتاتور ، يرفض اية كلمة نقد ، ويرد على كل الملاحظات : «ولكننى بهذا الشكل أرى» .

وعندما ذكر قسطنطينوف دعوة مستشار جديد ، هدأ اوخوف ، وبدأ يناقش عن سرعة انجراح الفنان ، والقى خطابا على شرف رجال مكافحة التجسس ، وفى آخر المطاف ، قبل ملاحظات قسطنطينوف) .

كان الشريط الاول مناظر طبيعية : الممثل يسير على شاطئ نهر ، ثم يركض ، ويقفز من الشاطئ – بجمال ولدانة ، وفجأة استشعر قسطنطينوف بوضوح طعم الماء الداكن ، الدافئ ، الناعم .

– اريد ان أرى كيف يتحرك – شرح اوخوف – مرونة الممثل مهمة جدا .

«حاول الآن واسترجع فى ذهنك كيف كان دوبوف يتحرك – دار ذلك فى ذهن قسطنطينوف بشكل آلى – وكان يتحاشى التصوير . لماذا ؟ بموجب تعليمات اصدروها له ؟ ولكن ذلك لا يدل على ذكاء : فالانسان الذى يخشى باستمرار شيئا ما انحراف عن القاعدة ، ونحن ندخل فورا هذا الانحراف فى «قائمة الادلة» .

همس اوخوف :

– والآن انظر بعناية ، لقد اعطينا الدور الرئيسى الايجابى لبرونيفوى وسنتشاجر بصدده مع المجلس الفنى .

– لاى سبب ؟ – سأل قسطنطينوف مندهشا .

– نمط من تفكير الكليشيهات : يخافون ان يتراءى فيه ميولر * .

– اى هراء هذا ؟ ! الممثل معبر عن شخصيات ، وكلما كان تجسيده لها اكثر كان نبوغه اعظم .

– آه ، ليتك كنت عضو المجلس الفنى – قال المخرج يفغينى كارلوف – لكانت حياتنا أخف .

كان برونيفوى جيدا صادقا ، ولكن شيئا ما كان يعيقه ، فقد

* فى الفيلم التلفزيونى «سبع عشرة لحظة من الربيع» من سيناريو يوليان سيميونوف يظهر الممثـــل برونيفوى بدور ميولـــر – احد رجال الجستابو . **الناشر** .

كان ثمة احساس بالتقييد الوجل . وادرك قسطنطينوف : إن الممثل لم تعجبه الكلمات . وبالفعل هناك ثلاثة ابعاد : فى البداية السيناريو ، ثم معالجة المخرج ، وبعد ذلك الوجه الثالث للسينما ، وذلك حين يظهر صاحب الجلالة الممثل . كان برونيفوى يقول نصا لم يكن يعجبه ، وكأن شيئا ما كان يعيقه ، وفى الموضع الذى فيه علامة تعجب فى السيناريو انتقل الى الهمس ، وادّى السؤال الكثير الدلالات بضحكة ، محاولا ، باختصار ، ان يساعد كاتب السيناريو ، ولكن لم يوفق كثيرا . والاساس الاول للفن السينمائى هو الحوار ، فاذا كانت هناك مناظرات جيدة مشبعة بفكرة محورية ينجح الفيلم ، واذا لم تكن لا شيء يسعفه ، ولا اية طرائق اخراجية .

فى الشريط التالى طلع ممثل فى دور الجاسوس . وفى الحال لم يرق لقسطنطينوف تمثيله ، فمنذ اللقطة الاولى ابدى هلعا وكراهية .

– حتى لا رغبة فى القبض على مثل هذا – لاحظ قسطنطينوف – انه يُرى من بعيد .

– يعنى نقدم على اضفاء الصفات البطولية على عدو ؟ – قال اوخوف متعجبا – سيقصون هذه اللقطة منى ، اذا صورتها .

– مَنْ ؟ – سألت ليدا ، وقد وضعت يدها على اصابع زوجها الباردة – مَنْ سيقطع ؟

– اخشى ان يكون زوجك الاول من سيفعل .

– هراء – وتعبس قسطنطينوف – لو تذكر ، كنت طوال الوقت الفت نظرك الى ان العدو فى السيناريو مباشر واحمق . بينما هو ماكر ونابه ، بالضبط نابه .

– هل يمكن ان استند اليك ، حين سأتكلم مع المجلس الفنى ؟

– لماذا ؟ انا نفسى مستعد الى ان اقول كل ذلك . انا لا آسف على المتفرج بقدر ما آسف على الممثل الموهوب . من المهين ان يجبر انسان على ان يقول كذبا ،مضفيا عليه طابع الحقيقة .

وشاهد قسطنطينوف بقية المشاهد صامتا . كان يشعر بالنظرات تصوّب اليه من الجانبين : اوخوف ينظر متوترا مترقبا ، وليدا تنظر برقة وحزن .

وقبل لحظة من اضاءة الانوار سحبت ليدا يدها من كف زوجها ، وتنحت قليلا .

اشعل اوخوف سيكارة ، وفرك يديه ، وقال بمرح مصطنع واضح :

– طيب ، قل لى رايك بصراحة .

سأل قسطنطينوف :

– عن صدق تريد رايي بصراحة ؟

ضحك كارلوف ضحكة مقتضبة ساخرة ، وقال :

– لا حاجة الى صراحة كلية ، اترك الفرصة للمخرج ، يا قسطنطين ايفانوفيتش .

– لم يعجبنى كثيرا كل هذا – قال قسطنطينوف – لا تزعل ، ارجوك .

– عندك كلمة مفضلة ، يا قسطنطين ايفانوفيتش – «التعليل» . ما هو تعليلك ؟

– افهمنى ، ان كل ذلك فيه شيء من الميوعة . **لا فكرة فيه** . بينما عمل رجل مكافحة التجسس هو فكرة بالدرجة **الاولى** . والفكرة لا تتقبل الكليشهات . وفى ذلك جوهر المسألة . رئيسي الجنرال فيدوروف كان فى زمن الحرب يرأس القسم الذى كان يغوي الجواسيس الالمان . وقد روى لى حكاية مذهلة : وجّه عميل كسبناه الى جانبنا برقية الى كاناريس رئيس المخابرات العسكرية الالمانية . ويطلب فى البرقية – وهى مكتوبة من عندنا – ان يرسلوا له مساعدين واسلحة ومحطة ارسال ثانية . وهذه الحكاية كانت تشبه القصة الرائعة التى كتبها بوغومولوف• فى رواية «آب ١٩٤٤» . وكان الفشل مستحيلا تماما ، والنصر لازما . ولكن هذا العميل المكسوب بعد ان ارسل البرقية مات بنوبة القلب . بينما تأتينا من مخابرات كاناريس برقية بالشفرة تطلب تحديد التفاصيل بدقة . ولكل عميل نقرته الخاصة فى ارسال البرقيات ، ومن الصعب خداع العدو فى هذا الشأن ، بل ومن المستحيل تقريبا . فما العمل ؟ ارسلنا جوابا : «ادق البرقية باليد اليسرى ، لأن يمناي اصيبت اثناء

• ف . بوغومولوف (مواليد ١٩٢٦) – كاتب سوفييتى . **الناشر** .

القصف . واذا بسؤال فورى يصلنا : «كيف صحة ايغور ؟» وكان العميل قد قصَّ علينا ان هذه العبارة هى اشارة الخطر . فنجيب بهدوء : «غادر ايغور المستشفى العسكرى الى عمتـــه لودا فى خاركوف» . ولكن حتى هذا لم يطمئن كاناريس . فارسلوا برقية بالشفرة الى عميل آخر لهم يطلبون منه ان يجتاز خط الجبهة بعد ان يلتقى بالذى مات ، ويتأكد من ان يده اليمنى مصابة بالفعل . فما العمل ؟ كيف ستتصرف ؟

اجاب اوخوف :

– لا اعرف .

– فكّر ، ولا تستعجل . بالمناسبـــة ، العميل الذى كانوا يطلبونه كان ايضا عند فيدورروف . كيف كنت ستتصرف ؟

– اُبَلّغ بأن اجتياز خط الجبهة غير ممكن .

– هذا ليس جوابا لكاناريس .

قال كارلوف :

– اذا كان ليس جوابا ، فمعنى ذلك ان العملية قد فشلت .

– ليس جوابا ايضا . العملية – كما سبق وقلت – لم يكن يحق لها ان تفشل . لو فشلت تلك العملية آنذاك لما كان فيدورروف اليوم رئيسي .

قال كارلوف :

– طيب ، لا تعذبنا .

– قضى فيدورروف اسبوعا مع العميل الذى استدعاه كاناريس . وهو روسى وقع فى الأسر ، وانهار ، وانضم الى فلاسوف ، ومن هناك اخذوه الى مدرسة الجواسيس التابعة للمخابرات العسكرية . وكان فيدورروف يكاد يعيش فى غرفة واحدة معه ، يتفحصه ، وكان واثقا بان من الممكن ايجاد انسان فى العدو ايضا . وكان رجال فيدورروف طوال ذلك الوقت يبحثون – فى البلاد التى اربكها الجلاء – عن اقارب هذا العميل . ووجدوا اخاه الصغير . وجدوه فى الجبهة . وجلبوه بالطائرة الى ضواحى موسكو . ونظم فيدورروف لقاء بين الاخوين ، واطلقهما فى موسكو . وعادا فى مساء اليوم التالى ، وبعد اسبوع طار العميل الى كاناريس ، وعادَ فيمابعد ، ونجحت العملية . أليس هذا موضوعا حقا للمؤلف ؟ إطلاق سراح عدو ؟ أليس ممتعا للمؤلف

ان يصف احاسيس فيدورروف قبل اليوم الذى جاءت فيه من جديد برقية بالشفرة من كاناريس الى الذي «اصيب فى يده» ؟

قال كارلوف :

– انه موضوع لفيلم .

– ماذا اعمل مع كاتب السيناريو لفيلمى ؟ – وزفر اوخوف – اخنقه ؟ انه لا يدرك . فاهم ؟

نصح قسطنطينوف :

– ادعُ مؤلف الحوار . فى الغرب يعمـــل فى السينما رجال اذكياء ، لاحظوا كم غالبا ما يدعون الكتّاب لكتابة الحوار ، والكتّاب الجيدين بالمناسبة .

قال اوخوف :

– كتّاب جيدون ويدفعون لهم بشكل جيد .

– ثم هناك شيء آخر : رغم ان طريقة جاسوسكم صادقة ، الا انه لا يوفق ، حقا .

التفت اوخوف الى صانعة المونتاج ماشا :

– ارينا صور الممثلين الآخرين . من ناحية الطريقة افركين مشابه له جدا ، هل هو موجود فى الفيلم ؟

– نعم .

– بديل تماما ، ولكنه ردىء من حيث اللدانة – شرح اوخوف . ضجت الكاميرا ، وقلّص قسطنطينوف عينيه دهشـــة ، فان الممثل الذى كانوا يعرضونه له الآن ، كان بالفعل يشبه شبه قطرة ماء باخرى ، ذلك الذى كان يمثل الجاسوس بشكل أهوج جدا .

سأل قسطنطينوف :

– يبدو انكم عملتم المكياج له ؟

رد كارلوف :

– نعم ، ريموتشكا صانعة المكياج عندنا عبقرية . انها تحسن ان تصل الى التشابه المطلق .

– شيء لا يصدق – قال قسطنطينوف شاعرا بقلق غريب غير مفسَّر – شيء لا يصدق تماما .

ضحك كارلوف فجأة :

– السينما هى مركّب ما لا يصدق . قبل فترة قصيرة مات لي

ممثل كان يمثل الدور الاول ، بينما عندنا ثلاثة مشاهد معه ، هل تتصور ؟ هل نعيد تصوير الفيلم كله ؟ مستحيل ، لا احد يعطى نقودا لذلك . عندئذ وجدت بديلا له ، فالتقطت له من الظهر ، واحيانا من صفحة الوجه الجانبية هذه المشاهد الثلاثة ، فلم يلحظ احد ، حتى المحترفون ، البدائل .

ضحك قسطنطينوف ، ثم نهض فجأة ، ولبس سترته ، واخرج سيغارا ساهما .

— ايها الرفاق ، اعذرونى ، يجب ان اغادر .

حين عاد قسطنطينوف الى لجنة أمن الدولة لم ينتظر مجىء المصعد ، وصعد الى مكتبه فى الطابق الخامس ، واستدعى غميريا وبروسكورين .

— يلزم مثيل . فى اليوم هذا . نحتاج الى مثيل ، وغداً سيجلس وراء مقود سيارة دوبوف . نحن ملزمون على ان نجد مثـــل هذا الشخص ، وسيتعين عليه ان يركب كل صباح سيارة دوبوف من بيته ، من شارع الكورنيش ، ويذهب الى المعهد ، ويدخل الى البهو ، ويخرج من الباب الخلفى ، ويعود الينا ، وبعد ذلك ، فى السادسة ، يأخذ السيارة ،ويجلس اولغا معه ، ويذهب معها الى بيت دوبوف . هذه هى الطريقة الوحيدة . ولا نشرك اولغا الا بعد ان نجد المثيل .

اعترض بروسكورين قائلا :

-- انها لن تقدم على ذلك . انها عاشقة له .

— سأحاول اقناعها — اجاب قسطنطينوف — فى البداية يجب ايجاد المثيل . لسبب ما يبدو لى اننا ، بعد ان نجد البديل ، سندفع وكالة المخابرات المركزية على الاتصال . يبدو انهم يسكتون عن عدم رؤيتهم لدوبوف ، فقد كان يقول انه مراقب من مسافة دائما . . .

— يمكن ان يحدسوا انه مثيل — قال غميريا — وعندئـــذ سيكون الفشل تاما ، ولن ندفع احدا .

— هذا راجع الى كيفية عمل المثيل — قال قسطنطينوف — سنجد له هيئات معينة ، وندربه على طريقة التصرف . والآن عندى شىء آخر . . . حللت تلك المواضع التى كانت وكالة المخابرات

المركزية تحددها لدوبوف كاشارات المراقبة . ويتبين انهم كانوا يدعونه الى خط السير التالى : شارع سادوفيه كالسو ، منتزه غوركى ، جادة لينينسكى . هذا خط سير واحد . والثانى عبر جسر دروغوميلوفسكى ، عبر شارع الكورنيش ، مارا بموسفيلم ، عبر شارع الجامعة ، الى جادة لينينسكى . صحيح ؟ خط السير الثالث : طريق موجايسكويـــه العمومى ، الاستدارة الى الطريق الدائرى الصغير ، عبر منتزه «بوبيـــدا» عبر شارع فرنادسكى ، جادة لينينسكى .

قال غميريا بصوت عميق :

— صحيح .

— قالت لى اولغا : اكثر الاحيان كانا يتوقفان قرب منتزه فى شارع الجامعة ؛ وبعدها عند اعمدة منتزه غوركى . كان يجلسها فى السيارة دائما فى مكان واحد لا يتغير ، قرب المعهد ، المفترض ان يكون ذلك اشارة «بارك بلاتس» . وكانا يصلان الى هذين المكانين كليهما فى وقت واحد دائما : من السادسة ونصف حتى السابعة . وكانت سيارات عملاء وكالة المخابرات المركزية تمر من هناك بالذات .

كان غميريا وبروسكورين يتابعان بتوتر افكار قسطنطينوف .

— اولغا تتذكر انهما فى ايام الثلاثاء كانا يذهبان بالسيارة الى اعمدة منتزه غوركى ، وفى ايام الجمعة الى منتزه الجامعة . اليوم يوم اثنين . . .

— ومَنْ نجلسه وراء المقود ؟ — وتنهد بروسكورين — فليس عندنا مثيل ، يا قسطنطين ايفانوفيتش ، بم نُطمئن انفسنا ؟

نظر الى سيغار قسطنطينوف مفتونا ، معتمدا على ان فى الامكان ان يدخن حالما يبدأ الجنرال بنفث الدخان الازرق الجاف .

— دخّن — قال قسطنطينوف وقد حدس ما يدور فى ذهن بروسكورين — انت متوتر الاعصاب بدون سيكارة . بالمناسبة ، اين غافريكوف ؟

تبادل غميريا وبروسكورين النظرات .

— فكرة — قال غميريا بصوت عميق — يشبهه ، بالفعل . سوى انه يتحرك بسرعة كبيرة ، وحاد ، بينما كان دوبوف يتخلق

بالرصانة . الرؤساء يحبون ، حين يكون مرؤوسهم رصينا ، ثقة فى الكلام والحركة .

– وانا ايضا ، بالمناسبة – لاحظ بروسكورين – يعجبنى المرؤوسين الرصينين . ولكن هذا لا يعنى ان جميع الرصينين جواسيس .

ردّ غميريا :

– كما ان سرعة الحركة والحدة ليست الصفة الرئيسية المحددة للثرثار . غافريكوف ، بالفعل ، شبيه ، غير انه فى المستشفى ، ايها الرفيق الجنرال .

ذهب قسطنطينوف الى المستشفى العسكرى ، حيث كان تحتضر صاهر الصلب ابا عن جد ، فاسيلى فيوفانوفيتش غافريكوف العامل فى مصنع «المنجل والمطرقة» ووالد الملازم الاول دميترى غافريكوف . كان العجوز يحرك بصعوبة يديه الضخمتين المعروقتين ، وكانت عيناه تنفتحان ببطء ، وغالبا ما يسقط فى غيبوبة ، ولكنه حين يفيق يهمس فى الحال :

– ديمكا * ، اين انت ؟

– انا هنا ، بابا .

تناول العجوز يد ابنه باصابعه الباردة ، ووضعها على صدره ، وجمد بهذه الصورة ، وظهرت على وجهه ابتسامة . من قبل كانت يدا الاب متشبعتين بثبات الوثوق . وما هو اجمل من الوثوق الابوى الذى يصاحبك فى الحياة ؟ ! اما الآن فكان العجوز يبحث عن يد ابنه ، ولم يهدأ الا فى اللحظة التى كانت اصابعهما تحس بعضها ببعض .

وحين كان الاب يسقط فى غيبوبة ، كان دميترى يخرج الى الممر ليدخن ، ويبكى . وكان يمنع على نفسه البكاء حتى لا تحمر عيناه ، فالاب يلاحظ كل شىء ، لانه اب ، وسأل فى الحال : «لماذا تبكى ، يا ولدى ؟» فبماذا يجيب ؟ وظل يقول للعجوز منذ ثلاثة اسابيع ان العملية جرت بشكل طيب ، وعن قريب سيخرجونه من المستشفى الى البيت ، فكان الاب يتقبل كذب ابنه ، سوى انه طوال الوقت كان يبحث عن اصابعه .

فى الممر بالذات رأى قسطنطينوف غافريكوف . كان هذا واقفا

* صيغة التحبب من دميترى . **المعرب** .

21*

عند النافذة ، مسندا جبهته على معدن اطارها البارد ، ينظر الى المنتزه المتفتح الازهار ، ويفكر بفزع كيف سينقل من هنا اباه ، عبر الازهار والخضرة ، جامد الانفاس ، ضخما ، الى مقبرة فاغانكوفو ، وكيف سيدق الدفانون المسامير بعجالة ، ناظرين الى الساعة . فان العمل لديهم كثير . ويفكر كيف استعجلوا حين دفنوا امه قبل سنتين ، كيف استعجلوا بمظهر من له عمل كثير ، وكيف فاحت منهم رائحة الفودكا والبصل ، وكم كان زائفا تعاطفهم المصطنع . . .

قال قسطنطينوف بخفوت ، وقد وضع يده على كتف غافريكوف :

– ديما ، مرحبا . اعذرونى ، لاننى جئت فى وقت غير مناسب .

التفت غافريكوف ، وعرف الجنرال ، ولم يندهش كثيرا من مجيئه ، مسح عينيه ، وقال :

– ما يزال ابى حيا .

– ديما ، جئت اليك برجاء . يخجلنى ان اسألك ذلك ، ولكن لا احد غيرك يمكن ان اوجه له رجائى . ولو كان فى امكانى ان لا الجأ اليك ، ولو كنت املك خيارا آخر مماثلا بعض الشىء ، لما تجرأت على المجىء حقا .

– هل حدث شىء ؟

– نعم ، هل تستطيع ان تسمعنى ؟

– استطيع .

. . . اخذ قسطنطينوف غافريكوف الى قسم المكياج فى ستوديو «موسفيلم» . كان غميريا بانتظارهما هنا منذ اربعين دقيقة . وفى الحقيبة كانت بدلتان لدوبوف ، وقمصانه ، واربطة عنقه .

عرف المخرج كارلوف (كان اوخوف خارجا للتصوير الحى) غافريكوف بريما نيوستروبفا . قال :

– ريموشكا ، اجعلى من هذا الشاب الجميل رجلا آخر . الم تصور قبل هذا ، يا ديما ؟ اين الصورة ؟

اخرج غميريا من ملف اوراق صورة لدوبوف .

– كان فى بتسوندا ، حين كنت استريح هناك – قالت ريما فجأة – رجل طيب جدا ، نسيت فقط اسمه .

– ايغور – قال غميريا ، بعد ان نظر الى قسطنطينوف نظرة هالعة . السرية كلها ذهبت ادراج الرياح – ايغور بافلوفيتش .

– لا – اجابت المرأة – كل شىء الا ايغور . سأتذكر . انا اتذكر الاسماء بصعوبة شديدة . لقب العائلة اتذكره بسهولة . هذا دوبوف .

– انت مخطئة – قال قسطنطينوف – مخطئة بالتأكيد . لقب عائلة هذا الشخص ليسنيكوف – ايغور ليسنيكوف .

– غريب – قالت المرأة ، ووضعت رأس غافريكوف على ظهر الكرسى – وليكن ما يكون اسمه . . . ارخ وجهك ، من فضلك ، اغمض عينيك . لماذا انت متوتر بهذا الشكل ؟

نظر قسطنطينوف الى كارلوف متضرعا ، ففهم هذا ، وقال لريما :

– يا عصفورتى ، نود ان تسرعى قدر الامكان .

– اذا اسرعت ، لن يشبه ليسنيكوف . لماذا عيناك منفوختان ؟ – سألت غافريكوف – هل شربت البارحة كثيرا ؟

– انه لا يشرب – قال قسطنطينوف – عنده مصاب ، يا ريموتشكا .

– وكيف سيطلع امام الكاميرا ؟ لا يمكنك ان تخفى مصابك امامها . انا اتذكر كيف عملت للوبوف بتروفنا . . .

– اورلوفا – اوضح كارلوف – لوبوف اورلوفا . . .

– بالضبط – تابعت ريما ، وهى تضع صبغة على وجه غافريكوف – بينما قد بدأت الالام عندها ، آخر مرحلة للسرطان ، وكانت ، وهى المرأة العظيمة ، الفنانة الاصيلة ، تخشى اكثرما تخشى ان يشعر المتفرج بعذابها . فنحن ، النساء ، فظيعات ، لا نستطيع ان نخفى مزاجنا ، فكيف ألمنا . بينما نحن نقول : «انتم ، يا رجال ، لا تستطيعون تحمل الالم» . انتم بالذات تستطيعون تحمل الالم ، وتخفون حالتكم المزاجية . انا اكره النساء ، طيب ، اضحك – قالت ذلك لغافريكوف – اضحك اضحك . . .

سأل قسطنطينوف :

– غير ممكن بلا ضحك ؟

– غير ممكن . الضحك يعرى الوجه ، وعندئـــذ يسهل علىّ العمل .

ضحك غافريكوف بصعوبة .

فك قسطنطينوف سيغارا ، ونفث دخانا ازرق ، ونظر فى المرأة :

– اظن اننا الآن لا نميز بين ديما وليسنيكوف . ما رأيك يا ريما ؟

– انا لم ابدأ العمل بعد . هل الصق شعرا ، ام ارفع شعر صاحبكم ديما بمجففة الشعر ؟

– ما هو الاسرع ؟

– الاحسن هو الاسرع . فاذا استعجلت صرت ضحكة للناس . هل انت مساعد جديد لكارلوف لاختيار الممثلين ؟

اجاب كارلوف :

– مستشار . انه مستشارى .

– انت لست ممثلا – قالت ريما ، وهى تضع درجات خفيفة من اللون الازرق فوق حاجبى ديما غافريكوف – انت منكمش كليا ، سيصعب عليك الوقوف امام الكاميرا .

«آه منك ! – فكر قسطنطينوف بأسى – ولا يجوز ان اقول لها شيئا . انها تمزق قلب الشاب» .

– عزيزتى ريما – قال كارلوف من جديد ، وكأنه احس بحالة قسطنطينوف – حاولى ، وانت العبقرية فى وضع المكياج ، ان تهيئى ديما لنا خلال عشر دقائق . طيب ؟

– لا ، يا جينيا ، عشر دقائق هذه طوباوية . خدمة الفن لا تحتمل الاستعجال . . . اسمع ، مهما يكن مضحكا فان دوبوف ذاك ، الذى يشبه جدا ليسنيكوف ، كان يعجبنى على اية حال ، له وجه حسن القسمات ، اما الآن ، حين امعن النظر فيه ، فتاخذنى الدهشة ، فيه شىء من الخلل . . .

سأل قسطنطينوف :

– ولماذا ؟

– شىء لا يفسر . كنا نعتبر علم ملامح الوجه كذبا ، ككل شىء غير مفهوم . اما الآن . . . فلا استطيع التفسير ، احساس لا يفسر .

– فمه رخو – قال غميريا بصوته العميق – يجب ان يكون فم الرجل واضح الخطوط ، بينما هنا رخاوة .

– صحيح – وافقت ريما – وعيناه غريبتان . . . عندما تنظر فى عينى انسان عن قرب تعرف جوهره . فقط يجب ان تحسن النظر . نقطة ما بين الحدقة والبياض ، تضم كل شىء ، كل المجهول . . .

نظر قسطنطينوف الى ساعته : اولغا الآن فى موسكو ، ويجب اللحاق لتهيئتها ، الدقائق الاخيرة ، كل شىء يبدأ بالانهيار . دائما بهذا الشكل ، فقط لاحاجة الى الذعر ، كل شىء يسير على ما يرام ، كل شىء سيتم ، وسنكتشفهم ، فقط لو تتم مكياج ديما الآن ، باسرع وقت ، فقط ان تكف عن تعذيب قلب الفتى .

. . . عاد المقدم المتقاعد سيدورينكو من المصح الى شقته ، وفتح الباب ، فرأى غافريكوف فى بدلـــة دوبوف ، وقسطنطينوف وغميريا . قال :

– مرحبا ، سيريوجا . لماذا نحفت بهذا الشكل ؟

قال قسطنطينوف :

– هذا ليس سيريوجا . مرحبا ، يا مقدم ، شكرا على مجيئك فى الوقت المناسب . هذا ليس دوبوف – كرر لسيدورينكـــو المذهول .هذا من رجالنا ، تعارفا .

نظر نافريكوف الى قسطنطينوف متسائلا : هل يسمى له اسمه ؟ أسعفه غميريا قائلا :

– الملازم الاول غافريكوف . من رجال مكافحة التجسس .

– ولكن اين . . . – بدأ سيدورينكو القول ، وبعدها دخل الممر ، ودعا الرجال الى غرفته ، الشبيهة اكثر بمسكن امراة : الكثير من الاوانى الجميلة ، والوسادة مغطاة بالمخرمات .

قال قسطنطينوف :

– نود ، يا مقدم ، ان تساعد الرفيق غافريكوف . تريه كيف كان يسير دوبوف ، وينهض من المقعد ، ويشعل سيكارة ، وربما تتذكر حركاته المميزة . . . الطبع ، مثل السن ، لا يتحدد بالطريقة التى يأكل فيها الانسان ، ويستلقى ، ويسير ، بل بالكيفية التى يجلس فيها على المقعد ، او ينهض منه .

– السن نعم ، ولكن الطبع يستبعد . . . سيريوجا كان يعتنى كثيرا بالحركات والكلام .

– ايها الرفيق الجنرال – قال غافريكوف بخفوت – هلا سمحت لى بان اتلفن الى المستشفى ؟

– اعذرنى ، ديما ، بالطبع . . .

عندما خرج غافريكوف الى الممر سأل سيدورينكو :

– هل اعتقلتم دوبوف ؟

– نعم .

– ولا تستطيعون ان تعرضوا الشخص الاصــــلى عـــلى البديل ؟

نزع قسطنطينوف ورق سيغار ، واشعله ونفث دخانا ازرق واجاب :

– انتحر عند اعتقاله ، يا مقدم ، وما عدانا لا احد يعرف عن ذلك الا انت . انا لا اجسر على الكذب عليك . هل تفهمنــــى ؟ لا اجسر .

قال سيدورنكو :

– سيرى . . . دوبوف كان ابدن . عليكم ان تغذوا البديل جيدا رغم انه يشبه كثيرا .

عاد غافريكوف ، وجلس على حافة الكرسى ، وسأل :

– اسمح لى ان ادخن ، ايها الرفيق الجنرال ؟

– تفضل . ديما ، كيف والدك ؟

– يسأل اين انا . . .

– ستعود بعد اربع ساعات .

– انا متهيئ ، ايها الرفيق الجنرال .

سأل سيدورينكو :

– باى شىء مصاب والدك ؟

– سرطان البنكرياس . . . سابدأ بالمشى والنهوض والتدخين ، وانت صحح لى .

فقال سيدورينكو :

– كان سيرى . . . دوبوف يشعل سيكارة بطريقة طريفـــة جدا . . . كان يدفع السيكارة من العلبة بخفة ، ويمسكها باصبعه ،

وياخذها فى فمه ، فى الزاوية اليسرى منه حتما ، ويمص نفسا عميقا جدا .

سأل غميريا :

– اية سيكائر كان يدخن ؟

– «ابولو – سيوز» .

– لن تحصل عليهـــا – اجاب غميريـــا نظرة قسطنطينوف المتسائله – الا من مخازن «بيريوزكا» .

– يعنى احصل عليها من «بيريوزكا» – قال قسطنطينوف – ويجب ان تقوم بذلك على عجل .

انصرف غميريا . دفع غافريكوف سيكارة ، وضغطها فى الزاوية اليسرى من فمه ، واشعلها ، ومص نفسا عميقا .

– مثله – قال سيدورنكو – مثله كثيرا .

قال غافريكوف :

– بهذه الطريقة يدخن عمداء الشرطة فى امريكا . كنا نمثل هذه الطريقة ونحن تلاميذ . ثم لا بد انه كان يسند كفيه على ركبتيه ، حين ينهض من الكرسى .

– بالضبط – قال سيدورنكو – عجيب فى نفاذك اليه . . .

– اولغا ، مرحبا – قال قسطنطينوف ، وهو يفسح الطريق لدخول اولغا الى مكتبه – تعرفى ، ارجوك .

نظرت الفتاة الى غافريكوف مذهولة ، ولكنه لم يكن فى الظل ، كما كان فى ممر شقة سيدورنكو ، بل جالسا فى الشمس ، وهى – العين النسائية المتدربة – رأت المكياج فى الحال .

– سيريوجا ؟ – قالت بشىء مـــن الغرابـــة – لا ، ليس سيريوجا . وهو لم يقل قط ان له تواما .

– ليس له توأم ، يا اولغا . . . اين ، فى اى مكان ، فى اى شارع توقفمحرك سيارة دوبوف فى آخر مرة ؟ هيا ، حاولى ان تتذكرى مرة اخرى .

– ماذا ؟ – الظاهر ان الفتاة لم تفهم السؤال ، وظلت كالسابق تنظر الى غافريكوف – عم تسأل ؟

– تذكرى ، لقد كنت تقولين ان محرك سيارته توقف فجلست

فى مكانه ، وادرت الاشعال ، وحرك هو الموصلات ، ثم ذهبتمـــا للتنزه .

– نعم ، صحيح .

– هل تذكرين بالضبط ان المحرك توقف يوم الثلاثاء الماضى عند الاعمدة ، عند مدخل منتزه غوركى ؟

– نعم ، نعم ، هناك بالضبط ! توقف محركه مرتين هناك . فقال مازحا : «كل مرة فى نفس المكان» . اين سيريوجا ؟

– سيريوجا اعتقلناه .

– ماذا ؟ !

قلصت الفتاة عينيها ، وامسكت صدغيها باصابعها .

– سيريوجا هذا جاسوس .

– لا !

– هل كان يحدثك عن اولغا فينتر ؟

– عمن ؟ ! من هى ؟

– المرأة التى قتلها ، حين حدست . وبعد يوم من دفنها دعاك الى بار . نعم ، نعم ، فى بتسوندا . اظن انك تفهمين ان مثل هذه الكلمات لا يلعب بها : نحن معتمدون على مساعدتك ، يا اولغا . . .

– يعنى ، فى تلك المرة لم تعتمدوا على مساعدتى ؟ فى تلك المرة لم تثقوا بى ، والآن قررتم ان تثقوا ؟

– اذا لم نكن نثق بك ، اذا كان عندنا شك فيك ، فلما تحدثت معك .

قالت الفتاة بقسوة ، وتقلصت عيناها ، وصارت باردتين :

– جيد انكم تثقون بى . انا شاكرة جدا لكم على الثقة . ولكن فقط انا لا اثق بكم .

نظر قسطنطينوف فى الساعة : بقيت ساعـــة على الخروج الى الاعمدة ، وكان على غافريكوف ان يتدرب على سيارة دوبوف . كانت له اجازة سياقة ، ولكن لم يسق غير سيارة مدرسة تعليم سياقة السيارة ، وليس له اى مران .

سأل غافريكوف بخفوت :

– ما الذى يجعلك تثقين ؟

– لينظموا لى لقاء مع دوبوف . وسألقى انا عليـــه سؤالا وليجبنى عليه . وعندئذ سانفذ اى طلب لكم .
قال قسطنطينوف :
– يعجبنى موقفك ، يا اولغا . يحق لك ان تغتاظى . فانت الآن تعاركين من اجلك ، كما يبدو لى ، فى سبيل عاطفتك .
– لا يهم من اجل اى شىء اعارك . هذا شأنى . لقد قلت شرطى ، وهذا كل شىء .
قال غافريكوف :
– لنذهب الى السيارة . ستقتنعين اننا كنا نقول لك الحقيقة . بعد ساعة ستحصلين على البرهان .
سألت اولغا ، ورف على شفتيها ما يشبه البسمة الجافة :
– هل سيأتون بسيريوجا فى السيارة ؟ واغلال على رجليه ؟
قال غافريكوف :
– لا ، مجرد انك سترين لماذا كان دوبوف يطلب منك ان تجلسى فى مكانه عند الاعمدة .
– يعنى ؟
– ستقتنعين بذلك بعد ساعة . ستمر بك ببطء شديد سيارة تحمل رقما دبلوماسيا ما بين الساعة ١٨,٣٠ و١٩,٠٠ .
– السيارات ذات الارقام الدبلوماسية تسير فى كل موسكو .
– ولكننى سميت لك بالضبط الوقت الذى ستمر بك السيارة ، يا اولغا . هذه ليست مصادفة ، بل نظام . وقد كنت دمية ، حين كان دوبوف ينقلك معه .
– لم اكن دمية !
قال قسطنطينوف ، واخرج سيغارا جديدا :
– ستخجلين جدا من النظر فى عيون الناس ، يا اولغا ، اذا رفضت رجاءنا – ان تذهبى الآن مع الرفيق غافريكوف الى الاعمدة ، وتعودى منها . ولا نسألك شيئا آخر .
– لا اذهب .
– اى سؤال تريدين ان تلقيه على دوبوف ؟
– سانظر فى عينيه واسأله : «اهذا صحيح ، يا سيريوجا ؟» وهذا كل شىء . وسيجيبنى : كل ذلك كذب .

– وستصدقين بكلامه ، ولا تصدقين بادلتنا ؟
– هذا يتوقف على ما هى هذه الادلة .
– برقيات لاسلكية من مركز التجسس ، مثلا .
– ارنى .
اخرج قسطنطينوف من المكتب ملفا ، ووجد وسط البرقيات المحلولة الشفرة تلك البرقية التى طلبوا فيها من دوبوف معلومات عن اولغا ، وقدم لها الورقة :
– هذا عنك . اظن ان السؤال عن قلب ام وجدة الفتاة قبل زواجهما لم اكن انا اول من طرحه عليك ، بل دوبوف . سوى انه فعل ذلك بطريقة امهر ، دعاك الى دائرة تسجيل عقود الزواج .
فى الساعة ١٨,٣٠ مر لونس بـ«دوبوف» الذى كان ينبش محرك «الفولغا» عند اعمدة منتزه غوركى . نظرت اولغا فى ساعتها ببطء ، ثم الى رقم السيارة ، واخذت تبكى . كان جسدهـــا ووجهها لا يتحركان ، ليس غير قطرات الدموع تدحرجت من عينيها ، كبيرة كدموع الاطفال .

فى الثلاثاء ، صباحا ، فى الساعة ٧,١٥ طلعت وكالة المخابرات المركزية الى الاتصال . والبرقية الموجهة الى «الذكى» كانت تعلن :
«الصديق العزيز . نحن مسرورون لرؤيتنـــا لك فى المكان المحدد . يعنى ان كل شىء عندك على ما يرام . نوضح اننا لم نخرج الى الموقع «منتزه» لاننا لم نرك فى السيارة فى «بارك بلاتس» . الى جانب ذلك تصورنا ان فى «المنتزه» كان متفرجون . حددت لنبادل المعلومات يوم الخميس فى الوقت المتفق عليه عند الموقع «جسر» . نود ان نقرأ اشارتك المؤكدة استعدادك للقاء عند موقع المراقبة «اطفال» – شريط احمر شفاه على عمود من ١٨,٣٠ الى ١٩,٠٠ .
صديقك «د» .

رفع قسطنطينوف عينيه الى غميريا .
– اذا قصدنا الاستدراج ، فقد استدرجناهم ، ولكن اين هذا الموقع اللعين «اطفال» ؟

لم تستطع اولغا فرونسكيا ان تجيب عن هذا السؤال ، مهما جاب بها غافريكوف انحاء موسكو .

– اذا لم نحدد هذه الليلة ونهار الغد هذا الموقع اللعين – قال قسطنطينوف وقد جمع فى مكتبه رجاله فى منتصف الليل – فلن نساوى شروى نقير . سنهلك زوتوف ، وكذلـــك فيتالى من باب اولى . . .

سلافين

«مضت ستون ساعة كما اظن – فكر ، وهو راقد على سرير ضيق فى زنزانة مظلمة – يعنى سواء اكان هذا او ذاك فسياخذوننى للاستجواب بعد حوالى اثنتى عشرة ساعة ، لا يستطيعون ان يحجزونى اكثر ، فستكون فضيحة اكثر من اللازم» .

حرك اصابعه – لم تنتفخ بعد ، رغم ان الاصفاد الدقيقة الضيقة كانت تتغرز فى جلد يديه .

فكر سلافين فى غير عجالة :

«تجاوز هليب اكثر من اللازم . تجاوز مرتين : مع زوتوف ، حين دس له فى بيته جهاز ارسال ، وجدول شفرة ، ومعى ، حين ينسب اليّ مقتل لورنس . هل من المعقول ان بول ديك متواطئ معه ؟ ممكن ، كل شيء ممكن ،انه يشرب ، والذين يشربون من الناس يفقدون الحد بين النقاوة والوحل ، والعبقرى وحده يستطيـــع ان يسيطر ، ولا يتحول الى حيوان . وبول ليس عبقريا ، ام جعلوا منه شخصا للديكور ؟ حسنا ، لنتركه ، فقط ان ينجـــح كل شيء فى موسكو ، عندئذ سيكون كل شيء على ما يرام ، عندئذ سيحصلون على لطمة تجعلهم يترنحون . بالطبع ، عهدوا دوبوف الى بيلار . الظاهر انها تعمل جيدا ، توهن العزيمة ، وتغوى ، الى جانب كونها ذكية . حرى بها ان تكون على المسرح ، ولكن المسرح لا يطعم هنا ، فاقة تامة . هليب هو الذى قتل لورنس ، يريد ان يأخذ اكاليل الغار له وحده ، ويبقى دوبوف له وحده . لا ، انه شخص غير ذكى على اية حال . انه المحترف فيعمل بدقة وجسارة ، ولكنه يفرط . مثل الاعلان عندهم . يفرط دائما . رغم انه يفعل فعله ، فقـــد تكيفوا ، تعودوا ، خلال مائة عام . طريف ماذا سيعرضون على ؟ فانهم ملزمون بان يعرضوا . ان انتقل الى جانبهم ؟ سذاجة . ادلة على قتل

لورنس ؟ ليست موجودة . كنت واقفا قرب الباب ؟ نعم . طرقت الباب ؟ نعم . ولكن بصمات اصابعى لا وجود لها على مقبض الباب . رغم ان هليب يستطيع ان يغير المقابض . يخلع مقبض بابى ، ويضعه فى محل مقبض الباب فى شقة لورنس . طريف من سيدفع اجرة غرفتى ؟ – بل ضحك سلافين من هذه الفكرة – ساقدم هليب الى المحاكمة . فلتدفع وكالة المخابرات المركزيـــة اجرة غرفتى . اسمح بان يستفيد من ذلك صحفيوهم . طريف ، كيف سينظر هليب الى صورة بيلار مع زوتوف ؟ سيفزع ، ويقرر اننى استطعت ان اسجل كل حديثهما ، رغم انهم فتشوا شقة زوتوف مرتين ، ودسوا له اجهزتهم . ولكنهم لن يفرجوا عن زوتوف قبل ان يتوضح كل شيء فى موسكو . واذا قبض رجالنا على وكالة المخابرات المركزيـــة متلبسة ، فسيتقلبون كالسناجيب . يجب ضبط النفس . فظيع ما افكر فيه الآن ، ولكن ، حمدا لله ، ان زوتوف ما يزال فى حالة سيئة . ولو كان احسن حالا ، لاقاموا استعراضا ، بينمـــا هو لا يعرف كيف يقدرون على ان يفعلوا ذلك ، ولاسمعوه حديثـــا يذكر فيه انه هو وحده هنا كان يعرف عن ارسالياتنا ، فماذا كان يرد ؟ انا لا اعرف اى كلام حاد سيقـــول . لماذا لا ياخذوننى للاستجواب ، فقد آن الاوان . ماذا يدبرون ؟» .

. . . لم ياخذوه الى الاستجواب . دخل ستاو الزنزانة .

– السيد سلافين ، سيكون لحديثنا طابع مهنى .

– وكيف يفهم ذلك ؟

– يفهم على انك تعى نفســـك احسن من الاخرين : اللعبـــة خسرت .

– اية لعبة بالضبط ؟

– لعبتك .

– اسمع ، انا لن اتحدث معـــك . ساتصارح معك بحضور قنصلنا .

– هل انت مقتنع بانك تتصرف التصرف الصائب ؟

– كليا .

— حسنا ، القنصل ينتظر فى غرفة الانتظار . لنذهب . اسألك للمرة الاخيرة : هل لديك رغبة فى ان تتوجه اليّ برجاء ؟ انا اضمن تنفيذ اية رغبة لك ، لان اصدقائى يعتبرونك على درجة عالية من الجدية . ومثل هؤلاء الناس يقدرون ، اليس كذلك ؟

— بالضبط ، لنذهب .

كانت ممرات السجن مضاءة اضاءة ساطعة جداً إلى حد أنها اوجعت عينى سلافين بعد الحبس فى زنزانة نصف مظلمة .

قال ستاو :

— حقيقة الاعتقال تقضى على مستقبلك . الا تعى ذلك ؟

— لماذا ؟ السجن وسيلة لا بأس بها لقضاء الوقت بالنسبة لرجل يكتب . سيكون له ما يتأمل فيه عندما يطلق سراحه .

— السيد سلافين ، انتهى مستقبلك . نحن نعرف كيف تنظر لجنة أمن الدولة الى الذى قضى وقتاً عندنا . . .

— وكيف ؟

— انا اقدر طريقتك فى التصرف ، ولهذا اقترح مرة اخرى بان لا تقابل القنصل ، بل احداً من معارفك الاذكياء النشطين .

— كم يعرضون عليَّ ؟

— ارجو المعذرة ؟

— كم ساحصل من نقود على التصريح الذى ينتظرونه منى ؟

— اولاً إنك لا تعرف بعد اى تصريح ينتظرونه منك . ادلة الاثبات قوية جداً ، يا سيد سلافين ، والاجدى لنا صمتك . مفهوم ؟ كلما كان صمتك مطبقاً ، سهل علينا القيام بما ننوى القيام به . صعب جداً اخراجك من اللعبة . سيكلفك ذلك ذاكراتك ، يا سيد سلافين ، عندئذ سيخرجونك من هنا ، ويعرضون لك ، كما تفضلت وقلت ، ما يدفعونه لرجل قدم خدمة مهمة .

— تقريباً ؟ مائة الف ؟

— هل يمكن ان انقل كلماتك هذه كشرط ؟

— السيد ستاو ، حتى ولو سجلت كلماتى هذه ، فلا تستعجل وتنقلها لهم كشرط . فقد تعرض نفسك لضربة .

— يعنى ؟

— قلت كل ما استطيع ان اقوله .

لم يكن القنصل وحده فى الغرفة ، كان يجلس الى جانبه ممثل الادعاء العام ، وموظف من وزارة الخارجية . قال القنصل :

— مرحباً ، فيتالى فسفولودوفيتش . لقد قدمنا احتجاجاً بشأن احتجازك غير القانونى . وسمحت وزارة الخارجية لنا باللقاء معك بحضور ممثل الادعاء العام . ماذا تستطيع ان تقول بخصوص ما وقع ؟

— الآن ليس لدى ما اعلنه .

— يعنى ؟ ! — سأل القنصل مندهشاً .

فكر سلافين مع نفسه :

— لا تستعجل ، يا صديق ، لا تستعجل . حاول ان تفهمنى . لا تستعجل فى تفكيرك ، بل جاهد ان تتذكر ما عندى . عندئذ سيكون الامر فى ايدينا .

اجاب سلافين ببطء :

— انا غير موافق على الاعتقال .

— فى عدد من الجرائد هنا ، ولا سيما فى «بوست» ظهرت مقالات عن ان الشرطة تملك ادلة على تورطك فى عمل جماعة تجسسية سوفييتية . فماذا يمكنك ان تقول فى هذا الخصوص ؟

— دعهم يثبتون .

نظر المدعى العام الى ممثل وزارة الخارجية ، واشعل سيكارة ، ومد رجليه ، وسأل :

— هل تريد أن تعلن احتجاجك على اعتقالك ؟

— لا أحد ارانى أمر الاعتقال . بل اعلنوا لى عن احتجازى . اظن هذين شيئين مختلفين . هل عندكم ادلة اثبات ؟ شهود ؟ ربما استجوب ، بصفة شاهد ، بول ديك مواطن الولايات المتحدة ؟ أم جون هليب ؟

قاطعه ممثل الادعاء العام :

— نحن لا نتعمق فى تفاصيل مناقشة قضيتك . انت متهم فى خرق قوانيننا ، وفى التجسس ، وفى جرائم أخرى . وهذا يكفى .

— هذا يتوقف لاى شىء يكفى ؟ انا لا أفهم الى الآخر ماذا يريد رجال الشرطة من كل هذه القضية ، واعتقد ، على ايـة حال ، أن

مصالحهم لا تطابق فى القضية الراهنة ، مصالح حلقات اخرى من الجهاز الحكومى ، مصالح وزارة الخارجية مثلاً .

قاطعه ممثل الادعاء العام مرة اخرى :

— نحن نبتعد عن الموضوع . أراد قنصلكم لقاء معك ، وحصل عليه . انت لم تتعرض للضرب ، ويعاملونك معاملة انسانية .

قال القنصل ملاحظاً :

— اذا صرفنا النظر عن قيد اليدين .

قال ستاو مدققاً :

— المحابس .

— ولهذا أعتقد اننا ننهى اللقاء بهذا — قال ممثل الادعاء العام — ستقدم لك التهمة فى غضون الايام الخمسة القادمة .

«يجب ان تكون قبل — فكر سلافين — لماذا اجّلوها خمسة ايام ؟ اذا كانوا يريدون فضيحة كبيرة وجب أن يتهمونى بسرعة ، ويطردوا رجالنا . ربما هناك احد فى الحكومة يريد ان ينتظر بداية هجوم اوهانو ؟» .

— السيد المدعى العام — قال سلافين ، وهو ينهض من المقعد الخالى من المساند ، والمثبت بالارضية وسط غرفة المقابلات — متى استطيع ان أقدم لرجالكم ادلتى ؟ اذ ان لى أدلة ، وهى مخفية فى مكان مأمون . وادلتى تلقى بعض الضوء على هذه القضية كلها . كل قضية يجب أن توصل إلى مطلقها ، ايها السيد المدعى العام ، حتى الاستفزاز . اما مستشاريكم الاجانب ، أقصد اصدقاؤكم فلم يكملوا العمل فى اشياء كثيرة . وبما أن قضيتى تتعلق بقضية زوتوف على نحو غير قابل للفصل ، أود ان ينظر فى المشكله كلها بمجموعها . كل شىء منحاز جداً ، وذو منحى واحد . الا تجدون ذلك ؟ هذا كل ما اردت ان اضيفه . . .

«دعهم يقلقون — فكر سلافين ، حين انغلق باب الزنزانة وراءه — دعهم يجلسون ، ويفكرون فى كلماتى ، فذلك يعطينا شيئا من الوقت . ولتقلق وزارة الخارجية عندهم . فانها ستضطر الى ان تعلن القرار الذى اتخذه هليب ، ولكن ليس الجميع يريدون ان يكونوا قروداً تخرج الكستناء من النار . حسن أن رجالنا حصلوا على لقاء من هذا النوع ، والمسألة تحل فى موسكو ، فقط لو تحل . . .» .

فى المساء طلعت «بوست» بمقالة تقول فيها : «الى متى سنصبر على جاسوسية الروس الشاملة ؟ الى متى سيظل العملاء الروس يترصدون المهندس الجريح زوتوف ؟ لماذا لم تكشف للصحافة تفاصيل قضية سلافين الذى كان ، كما يفترض ، احد المنظمين لمقتل التاجر الامريكى لورنس ؟ مَنْ يجيب على كل هذه الاسئلة ؟ ولماذا لا تقول الحكومة صراحة ودون مواربة «يا سادة الكريملين إما ان تحترموا سيادتنا كلياً ، وإما ان تبعدوا رجالكم عنا . فنحن لا نريد أن نصبر على الذين يخرقون قوانيننا» .

فى الليل تكلم بول ديك من شاشة التلفزيون . كان وجهه بلون الرماد ، وصوته متقطعاً :

— سمعت لتوى عن التهمة السخيفة الموجهة ضد فيتالى سلافين .

اود ان يعرف الحقيقة الجميع : أنا بالذات كنت الشخص الذى عرضت عليه زيارة لورنس . أنا بالذات كنت الشخص الذى تلفن للورنس . وأنا بالذات كان من المفروض أن اذهب معه إلى المتوفى .

ولكن خادماً دعانى إلى «التيليتايب» ، وأنا الآن لا استطيع ان أجده . وفى غرفة التيليتايب سلمنى الخفير برقية من السفارة : «السفير يدعوك على عجل فى قضية مهمة جداً» .

انطلقت الى السفارة . فعرفت ان السفير لم يدعنى ، ولم تكن هناك اية قضية مهمة جداً .

انا اصر على ان هناك مَنْ كان ، بحاجة الى أن يدخل مستر سلافين الى غرفة المرحوم روبرت لورنس . وأصر على أن سلافين ليست له اية علاقة بالتهمة التى توجه ضده .

انا لا اتفق مع الايديولوجية التى ينادى بها سلافين ، وقد كنت دائماً خصماً له ، وأنا اقول «دائما» لأعنى بها اعوام ما بعد الحرب ، وفى عام ١٩٤٥ كنا حلفاء فى الحرب ، ولكننى أصر على أننا فى مجابهتنا الحالية كنا نراعى قواعد اللعبة . اقول ذلك ، انا بول ديك ، المراسل الخاص المستعد لأن يكرر هذه الاقوال بعد القَسَم .

فى باكر الصباح جاء هليب الى غرفة بول .

– بول ، لا تفقد عقلك – قال هليب حتى دون ان يسلم عليه – فى اشتباك صرع شابان من ناغونيا . وقد جاءا للاتصال بسلافين ومعهما وثائق سرية ، انهما عميلان له . حتى الآن لا اعرف التفاصيل ، ولكن يبدو أنهما جلبا له تقريرا عن تلك المواد التى سرقت من لورنس . لابأس انك قلت كل ما قلته ، عندنا حرية الكلمة وكل ما يندرج فى هذا الباب ، ولكن ما الحاجة هنا الى تكرار الاقوال بعد القسم ؟

ستيبانوف

«قبل بضعة ايام اعتقلت شرطة ناغونيا الشعبية ثلاثة من العاملين فى محطة كهرباء المدينة : فنيين ومصلحاً .

واليوم ليلا جُلب المعتقلون الى مبنى النيابة العامة ، حيث عقد مؤتمر صحفى دعى اليه ممثلو الصحف : جيمى ريفز من نيويورك ، وغالب الراود من مراكش ، ومراسلكم .

بعد المؤتمر الصحفى توجهنا الى فندق «كونتيننتال» ، وارسلنا رسائلنا المفصلة فى وقت واحد . نشرت رسالة غالب الراود مع بعض الاختصارات . ورسالة جيمى ريفز ، كما توقع هو مسبقاً ، اختزلوها الى عشرة اسطر ، ونشروها بحرف صغير فى الصفحة الخامسة عشرة : «فى ناغونيا استمرار الاعتقالات بين الذين لا يؤيدون نظام غريسو» ولهذا ارى من واجبى تقديم تقرير مفصل عن مؤتمرنا الصحفى .

«**ريفز** : لماذا اعتقلوكم ؟

فيلاسكو (مركب المحطة الكهربائية) : امسكونى لاننى كنت على اتصال مع هانس كريوهر .

كريستوفورو (فنى فى المحطة الكهربائية) : اعتقلونى اثناء ارسال لاسلكى من مركز التجسس التابع لوكالة المخابرات المركزية فى لويسبورغ .

دياش (فنى فى المحطة الكهربائية) : اعتقلت لاننى كنت على اتصال بالملحق الصحفى فى السفارة الصينية هو اينيا .

الراود : اى نوع من الاتصال كنت تقيم مع هو اينيا ؟

دياش : امسكونى ، عندما كنت اسلمه معلومات عن مصادر الطاقة فى ناغونيا .

ستيبانوف : مَنْ اعطاك مهمة جمع مثل هذا النوع من المعلومات ؟

دياش : هو اينيا . كان يهمه ان يعرف كم من الوقت نستطيع أن نصمد ، إذا قطع الروس معونتهم .

ريفز : منذ كم من الوقت وانت على اتصال بهو اينيا ؟

دياش : منذ شهرين .

ريفز : هل كانوا يدفعون لك ؟

دياش : ارفض الاجابة عن هذا السؤال .

الراود : سيد كريستوفورو : اية معطيات نقلتها إلى مركز التجسس لوكالة المخابرات المركزية فى لويسبورغ ؟

كريستوفورو : لم انقل لهم شيئاً بعد . وضعوا امامى الأسئلة التالية : باية طريقة نجهز محطة الاذاعة والمركز التلفزيونى وثكنات الجنود بالطاقة الكهربائية ؟

ريفز : لماذا كانت وكالة المخابرات المركزية تهتم فى هذا السؤال ؟

كريستوفورو : لا ادرى .

ستيبانوف : متى اسبتمالوك الى جانبهم ؟

كريستوفورو : كنت اعمل لهم قبل انتصار النظام الحالى . لقد ساعدونى فى الحصول على تعليم ، اعطونى تذكرة مجانية الى بلاتيمور ، فدرست هناك سنة فى المحطة الكهربائية لشركة « ولدز دايموندس» .

الراود : مَنْ جنَّدك ؟

كريستوفورو : جنَّدنى جون هليب فى لويسبورغ . وكان صاحب اسهم فى شركتنا الكهربائية حتى انتصار النظام الحالى . عرفته عندما كان يأتى الى ناغونيا فى شؤون الشركة . وكان يجلب الى هنا واضعى التصاميم ، لأنه كان يريد توظيف الاموال فى بناء محطة كهربائية ثانية كانت ستعمل كلياً لمناجم الالماس . كانت شركة «ورلدز دايموندس» تريد ان تواصل التنقيب عن الالماس بمحاذاة الحدود مع لويسبورغ . فكان هليب يأخذ الى هناك المهندسين من واضعى التصاميم . كنتُ أصاحبهم فى هذه الرحلة .

ريفز : هل كان مستر هليب يجبرك على التعاون مع وكالة المخابرات المركزية ؟

كريستوفورو : لا ، بل مجرد انه عرض عليّ ان اساعده . وقال انه سيردّ الجميل لى على مساعدتى واننى سأحصل على تعليم .

ستيبانوف : اود ان اسأل الفنى فيلاسكو : هل تعرف من هو كريوهر ؟

فيلاسكو : إنه مهندس .

ستيبانوف : وماذا تعرف عنه غير ذلك ؟

فيلاسكو : كان يقول إنه يمثل هنا زيب شانتس ، الذى يجلب رجاله لنا الحرية .

الراود : مَنْ هو زيب شانتس ؟

فيلاسكو : الرجل الذى يجلب الى ماريو اوهانو المرتزقين من اوربا . وزيب هذا حسب اقوال كريوهر له صداقة مع وكالة المخابرات المركزية . وكان يقول لى إن «شانتس رجل جبار ، وعنده قريب ، امريكى ، وهو مسؤول كبير فى وكالة المخابرات المركزية ، وفى القريب العاجل سيأتى الى هنا» .

ستيبانوف : هل تعرف لقب عائلة قريب شانتس ؟

دياش : كريوهر لم يسمه باسمه .

ستيبانوف : ولكنه يعرفه ؟

دياش : ليس لى علم بذلك .

ريفز : على اى اساس جنّدك كريوهر ؟

دياش : اخى الصغير يعمل فى مصنع «ورلدز دايموندس» فى مونيخ . فان لهم فرعاً هناك . وقد قال كريوهر إنهم يتهمون اخاك باغتصاب إمراة بيضاء . وقال : اذا اردت انقاذ اخيك وجب عليك ان تبدأ بجمع المعلومات . . .

الراود : اية معلومات ؟

دياش : كان كريوهر يهتم بكل شيء يتعلق بالمطارات العسكرية وبآليات الجيش . كما اعطانى مهمة استيضاح من يصمم بناء الميناء البحرى ، وباى طريق يأتى الى هنا خط نقل التيار الكهربائى .

ريفز : الم تتلق مهمات اخرى غير جمع المعلومات ؟

دياش : قال يجب ان استعد للأعمال .

ريفز : اية اعمال يجب ان تستعد لها ؟

دياش : قال كريوهر خلال لقائنا الأخير : ان ثلاثة سيأتون اليك بعد غد من اوهانو ، ومعهم ديناميت . وكان عليّ ان اخفيهم فى بيتى . لم يكن يقدم لى شخصياً مهمات متعلقة بالتخريب والارهاب . وقد رفضت هذه التهمة كلياً اثناء التحقيق الأولى .

الراود : هل استخدم التعذيب معك اثناء التحقيق ؟

دياش : لا .

ريفز : لماذا اعترفت بذنبك ؟

دياش : وكيف لا اعترف به ، اذا كانوا قد وجدوا فى جيبى تعليمات كريوهر ؟

ستيبانوف : كم من الوقت كان يجب ان تخفى رجال اوهانو فى بيتك ؟

دياش : لا اعرف . كريوهر قال ليس لمدة كبيرة «بضعة ايام سيعيشون فى بيتك» . هذا كلما قاله لى .

ريفز : هل تسلمت فلوساً من كريوهر ؟

دياش : نعم .

ريفز : كم ؟

دياش : عند اعتقالى اخذوا منى ثلثمائة مارك . لم الحق حتى لعدها . كانت فى ظرف» .

. . . وهكذا لم تنشر فى اية صحيفة امريكية رسالة جيمى ريفز . لماذا ؟

لأن مثل هذا النوع من المواد يثبت بكل جلاء نشاط وكالة المخابرات المركزية المشتد اكثر فأكثر ضد ناغونيا .

وفيما يتعلق بزيب شانتس ، فان له ، بالفعل قريباً . إنه يدعى جون هليب . وهناك مراسل سينمائى امريكى يعد مادة تفصيلية عن هذه القرابة الغريبة . وستظهر المادة فى المستقبل القريب ، ان لم يكن فى الولايات المتحدة ، ففى تلك الاقطار الاوربية التى تجازف فى نشر الحقيقة عن روابط موظف وكالة المخابرات المركزية بالنازى الجديد .

وزّع المكتب الصحفى للولايات المتحدة فى ناغونيا نشرة يؤكد فيها على ان المعلومات عن تأييد وكالة المخابرات المركزية وبكين لعصابات اوهانو «من تلفيق الروس والكوبيين» .

فكيف التوفيق بين اقوال العملاء المعتقلين وبين الوثيقة الرسمية للمكتب الصحفى لسفارة الولايات المتحدة ؟

تحاول وكالة المخابرات المركزية جعل القارة الافريقية ساحة معركة ، وتخترع وصفات جديدة للقيام بـ«الحرب الباردة» ، ويُسلّح رجال اوهانو ، وتحضر اعمال تخريب .

مَنْ يبذر الريح يحصد العاصفة .

دميترى ستيبانوف
مراسل خاص»

ملاحظة عن «المجمع الصناعى العسكرى» (٣)

كان سايمون تشو يعرف ان هيرالد ويلكى نائب رئيس شركة «ب . ل . ب » مرتبط بمايكل فيلش بصداقة تمتد سنين عديدة . فقد حاربا سوية فى كوريا ، وبعد ذلك دخل ويلكى معترك التجارة ، وصار فيلش يعمل لدى دالاس .

ولهذا حين تلقى سايمون تشو دعوة الى حفلة كوكتيل عند ويلكى ، وقام بعدة نداءات تلفونية للتدقيق ، عرف ، وهو المحامى والمرشد الخفى للوبى الصينى ، عم يمكن ان يجرى الحديث ، بالخطوط العامة بالطبع .

ولم يخطئ .

وعندما تفرق الضيوف إلى جماعات حسب الاهتمامات (البناؤن — الماليون — المعماريون ؛ صانعو الطائرات — العسكريون — الدبلوماسيون ؛ اصحاب المزارع — وعلماء التنبؤ بالمستقبل — ورجال من الدوائر القريبة من الحكومة) . وحين سارت حفلة الكوكتيل سيرها الطبيعى طاف ويلكى فى جميع المدعوين ، وتأبط تشو ، وقاده إلى تعريشة — كان قد اقام حفلة الاستقبال فى شقته فى نيويورك مقابل سنترال بارك . وكان يفخر كثيراً بأن بيته يجاور حديقة اكبر مرتين من حديقة هاريسون سولسبرى .

سأل ويلكى :

— اسمعنى ، يا سايمون ، هل لديك رغبة فى ان تقوم برحلة سريعة إلى البر الصينى ؟

— هذا يتوقف على ما يمكننى ان اعرضه لهم . . .

ضحك ويلكى قائلا :

— على العموم ، الصفات القومية لا يمكن أن يقضى عليها . نحن سنمسك الثور من قرنه راساً . وانتم تحذرون .

— من «نحن» هذه ، هيرالد ؟

— الامريكيون .

— و«انتم» ؟

— الصينيون ، سايمون ، الصينيون .

— وددت لو ادخل تعديلاً — لاحظ تشو — إذن ، لقلت بتعبير آخر : «المواطنون الامريكيون من أصل صينى» .

— ولكن هذا للصحافة ، يا سايمون . انا وانت رجال عمل ، ولا حاجة لنا ان نطلى نفوسنا بأصباغ وردية . الكلام يتعلق بناغونيا ، بموقف ابناء وطنك .

— انا وابى طوال حياتنا جاهدنا على ان نصبح امريكيين ، بينما أنت ، تعيّرنى بابناء الوطن . هذا يكدر ، يا هيرالد .

— كفاك . . . يمكن التعيير بالادمان على الخمور ، بالسيلان ، ولكن لا تعير القومية ، فالقومية هى القومية .

سأل تشو بحمحمة تهكمية غريبة :

— ماذا اجلب الى بكين ؟ اذا كان لك ان تقترح ينبغى ان تقترح ما يعود بالنفع الى شركتى .

— احسنت القول . احب ازدواجية المغزى . هذا حسب القواعد . إن هذا سيجلب المنفعة لشركتك فى المستقبل القريب . الكلام يتعلق بموقف بكين — فى أوسع معنى . من رد فعلها على اخبار الصحافة بأن فى ناغونيا بدأ العمل رجل صبى مرتبط بنازيين ، الى خطب السفير الصينى فى الامم المتحدة بخصوص الاشتباكات المحتملة على الحدود مع لويسبورغ .

— يبدو ان ما يهمك ، قبل كل شيء ، الموقف من الصبى ، يا هيرالد . إن زيب شانتس — وكنت تعنيه ، كما يبدو لى — هو ،

بالفعل شخصية بغيضة ، ويثير الانزعاج فى اوربا ، فما يزال هناك من يتذكر هتلر . . . أما ما يتعلق بخطاب سفير جمهورية الصين الشعبية فى الامم المتحدة ، فاظن ان لنا قنوات أخرى للتنسيق مع بكين فى هذه المسألة .

– إنك اجبت الجواب الصحيح . تتقدم فى النقاط ، سايمون .

– شكرا ، هيرالد . باى شىء اذهب الى بكين ؟ أنا اقصد الحجة الشكلية .

– وهل هى ضرورية ؟ – وضحك ويلكى – أظن انك تستطيع التردد الى هناك فى اى وقت . اصدقائى واثقون من انك هناك تفتح الباب بسهولة كبيرة .

– وليكن ، ولكن علىّ أن أدفع مرتباً للمستخدمين .

– اوه ، هذا على الطريقة الامريكية . طيب ، أنا اقترح عليك ان تحمل الى بكين عقداً . إن عدسة تقرب اربعين مرة ضرورية جداً للحدود الشمالية . والروس يقدرون ذلك فى الحال .

– متى ألتقى برجالكم لنتفق على تفاصيل العقد ؟

– العقد فى الملف ، والملف هنا فى خزنتى . وفيها ايضاً تذكرة للطائرة . انها تقلع اليوم ليلاً ، سايمون . والتفاصيل نتفق عليها بعد عودتك ، والفائدة المئوية من الصفقة لك ، رغم أنه كان ينبغى ان آخذ منك اثنين بالمائة ، لأن بكين تدفع لك بقدر ما تطلب . وقد وزنا بدقة ما نقترحه عليك .

. . . بعد ثلاث وعشرين ساعة وصل سايمون تشو الى بكين . وكانت فى انتظاره ، فى المطار ، سيارة «مرسيديس» العائدة لنائب وزير التجارة الخارجية هو ليوبو . كان هذا الجنرال من مصلحة المخابرات ، والنائب الجديد لوزير التجارة الخارجية يشتغل بقضايا تغلغل الصين فى الغرب .

استمع الجنرال هو الى تشو ، واشعل سيكارة «سالم» بنكهتها المنتولية ، وهز كتفيه :

– يرتكبون الحماقة فى كل خطوة ، حقاً . لماذا كان عليك ان تنجر الى قضية ويلكى هذا ؟ إنه بغيض حارب فى كوريا ، وقد تعرضنا له بالنقد . لماذا كان عليه بالذات ان يساومك على زيب ؟

يدهشنى فيلش احيانا . رجل ذكى ، ولكنه يخطىء ، مثل قرصان فتى . . .

وجه الجنرال هو ملف العقد الى الاخصائيين ، وعرض على سايمون تشو أن يسجل على المسجل كل الاعتبارات التى تبدو له جديدة (كان الجنرال يقدر اكثر من كل شىء ، حدس الميل ، فقد كان هذا يهمه اكثر من الحقائق ، فالحقائق كان ينشغل بها رجال المخابرات فى المستوى الاسفل ، لا سيما المدمنون على قراءة الصحف) . الغى هو الغداء مع ممثل «بريتيش بتروليوم» ، وتوجه الى اللجنة المركزية ، وابلغ مسبقا عن موضوع الحادثة المقبلة وزير الامن القومى ، الابن البار للقائد الحكيم ، ورفيق السلاح المقرب للرئيس هوا ، والاستراتيجى البارز .

وفى مساء نفس اليوم استدعى الى قسم الصحافة فى اللجنة المركزية محررو الصحف الرئيسية فى جمهورية الصين الشعبية ، ورؤساء اقسام الراديو والتلفزيون .

كانت التعليمات قصيرة :

– علينا ان نطلب من حلفاء الولايات المتحدة الاوربيين جواباً : هل صحيح حقاً أن النازيين الجدد يؤيدون الكفاح التحررى للرفيق ماريو اوهانو ؟ وإذا لا تثبت حقائق من هذا النوع – وهى فى الوقت الحاضر لا تحصل ، كما يبدو ، على إثبات قاطع – ستكون لنا امكانية الشروع بحملة ضد موسكو وهافانا ، فى هذا الاتجاه : إنهما يفتريان على زعماء الحركة التحررية ، وعلى الرفيق اوهانو ، المقاتل الوفى ضد الاستعمار وهيمنة بعض الدول الكبرى . وفى الوقت ذاته ينبغى جمع كل المعلومات عن زيب شانتس ، ورجاله ، لكى نوجه ضربة للادارة الامريكية فى اللحظة اللازمة لنا . اللحظة اللازمة ، نؤكد نحن ، عند ذاك ، على ما يبدو ، عندما يأتى الوقت الذى نقذف فيه من افريقيا الاميركيين مع توابعهم الاوربيين ، عندما تأتى الساعة التى ترفرف فيها راية القائد العظيم الحكيم على القارة السوداء . هل هناك اسئلة ؟

فى الليل ، رافق الجنرال هو سايمون تشو الى المطار – كان تشو يعود الى الولايات المتحدة عن طريق اليابان ، فان خطوط الطيران فيها تلتقى بشكل جيد – وكان هو ، دون ان يلقى سيكارة

«سالم» من فمه ، يتكلم بنرفزة ، محاولاً ، فى الوقت ذاته ، ان يكتم نرفزته :

– يجب ان نفهم بدقة مَنْ يقف وراء تلك الجماعات من السياسيين ورجال الاعمال الذين يخوفون امريكا من تقلبنا الخرافى ، والهيمنة الصينية المحتملة – فى المستقبل غير البعيد ، حسب اقوالهم ؟ من ؟ اسماء الاشخاص ، والشركات ، وهيئات الاعلام الجماهيرى التى يشرفون عليها . هذا ما يهمنى بالدرجة الأولى ، يا رفيق تشو .

– هل التقلب خرافى بالفعل ، يا رفيق هو ؟

– لقد القيت السؤال بطريقة وكأنك لست صينياً ، يا رفيق تشو . أستغرب ان اسمع السؤال منك . إتق من الذوبان ، احذر ذلك كما تحذر النار . عندما كنت اعمل فى باريس – وانت تعرف على اى مطعم كنت اشرف هناك ، – هو من اعلى درجة – عملت فى شقتى مقصورة ، وعشت فيها كصينى – يا رفيق تشو .

– اذا عشت فى الولايات المتحدة كصينى ، يا رفيق هو ، لا ويلكى ولا غيره يتوجه الىَّ بعرض . . .

– انت تقصد عقده ؟ نحن نرفض هذا العقد ، انقل له اننا عقدنا بالفعل صفقة للعدسيات . . . لا تقل له فقط – وهمَّ هو بابتسامة مقتضبة – أننا اشترينا عدسيات من الشركة التى تموّل زيب شانتس وحركته . قل له إننا لن نتعامل معه . فليشكل شركة اخرى ، ويضع شخصاً آخر . نحن مستعدون أن نوقع عقداً بحوالى خمسمائة مليون ، اذا كان قادراً على ان يعرض لنا بناء وتجهيز مصنع الات التنشين الالكترونية . اما عن موقفنا فى هيئة الامم المتحدة فقل له إن كل شيء سيتوقف على تلك الضمانات التى نوقشت خلال القنوات الدبلوماسية . اوضح له اننا لم نتلق رداً مقبولاً لنا . وسيفهم ما أقصد . نحن مستعدون الى التنازل ، ولكن مصالح الصين فى افريقيا لا يمكن ، فى الوقت ذاته ، ان تمس باية حال من الاحوال . يجب ان تنقل كلماتى بدقة . فالفروق الدقيقة مهمة هنا . مفهوم ؟ أعد ما قلته مرة آخرى ، أم علق فى ذاكرتك ؟

– انت تقصد جملتين : «كل شيء سيتوقف على تلك الضمانات التى نوقشت خلال القنوات الدبلوماسية» و«نحن مستعدون» . . .

– صحيح – قاطعه الجنرال – هذا كل شيء ، على الطائر الميمون . . .

قسطنطينوف

لم يستطع ان ينام . وكان من غير الجائز ان يتناول منوماً ، فقد كان من الممكن ، فى كل لحظة ، ان ينشأ الموقف . تقلب على الاريكة فى غرفة مكتبه الى الفجر ، ونهض فى الساعة الرابعة ، وخرج الى الشارع .

كان السكون محسوساً . تذكر سلافين ، وحديثهما الاخير عن السكينة . وسلافين فى السجن ، يا لها من سكينة طيبة ، وهو ، قسطنطينوف ، يسير فى المدينة المحبوبة ، الى حد جيشان الألم فى القلب ، ولا يستطيع ان يفعل شيئاً ليخرج فيتالى من السجن . وكالة المخابرات المركزية لن تأتى إلى «الجسر» ، لأنه لن تكون اشارة عند ذلك الموقع اللعين «اطفال» . ما هو «اطفال» ؟ واين ؟

سار فى لوبيانكا نحو بولفارنويه كالتسو ، وكان قوس قزح يلوح فى الماء الذى رشت به السيارات الاسفلت . شعر قسطنطينوف على وجهه بقطرات الرطوبة ، فنزل من الرصيف إلى جادة السيارات . رشت السيارة الثانية الماء اكثر قرباً منه . قلّص قسطنطينوف عينيه ، وانكمش مقشعراً . غلفت البرودة وجهه ، وكانت القطرات واخزة ، وكأنما «طرطش» دوش .

فكر قسطنطينوف فجأة :

«لا بأس . لا بأس . حتى لو لم اوصل هذه القضية الى نهايتها ، وعلىَّ أن اترك عملى ، سيبقى فتياننا . . . سيبقى فولوديا غريتشايف ، جاء من معهد تكنيكى ، وتفتحت موهبته عندنا ، وسيبقى ايغور تروخين ، طالب الاسطول الشمالى ، والآن فارس مهنته ، فارس حقيقى فى مكافحة التجسس . وسيبقى سترلتسوف ، ابن البطل ، الانسان الاصيل ، رغم أنه ما يزال فى مقتبل العمر تماماً . وسيبقى كونوفالوف ، بدأ الحرب كجندى انزال ، وتثقب جسده كله بالرصاص ، ولكنه يعمل كالشاب ، يعمل بحماسة تثير الاعجاب وسيبقى غميريا ، ونيكوديموف . سيبقى رجال

جيدون . لا خوف من ترك العمل الا حين لا يكون فى مكانك آخرون . فنان بلا مدرسة ، مخرج بلا اتباع . . . عندئذ يأتى الخوف من ترك العمل . ولكن إذا كنت واثقاً من ان هناك رجالاً يستطيعون مواصلة الدرب – عندئذ لا خوف ، عندئذ لا خوف فى الحياة . . . » .

نودى : – يا رفيق !

فتح قسطنطينوف عينيه ، فى الجانب الآخر من الشارع كانت تقف سيارة ميليشيا «فولغا» . مسح الملازم وجهه بمنديل كبير ، وهزّ رأسه :

– لا يجوز ان تقف فى عرض الشارع . وعيناك مغمضتان ، علاوة على ذلك . اى مشاة عندنا ، ها ؟ كالاطفال ، كلمة شرف . اولئك معذورون ، فإنهم لا يزالون لا يفهمون اشارات السير . اما انت ؟

صعد قسطنطينوف الى الرصيف قائلا :

– اعذرنى ،ارجوك .

– اذا دهست ، فمن سيكون المذنب ؟

كرر قسطنطينوف مرة اخرى :

– اعذرنى . . .

وهنا لاحظ اشارة مرور مثلثة مشدودة على عمود : صبى وصبية يركضان عبر الشارع واحدهما يمسك بيد الآخر . فكر قسطنطينوف : «اطفال» . هذه الاشارة تسمى «اطفال» . مشدودة على عمود . ربما الموقع «اطفال» هو هذه العلامة بالذات ؟ اين ؟»

عاد قسطنطينوف الى لجنة امن الدولة ، وطلب سيارة ، وسار بها فى خطوط السير الثلاثة التى كانت اولغا تشير له الى الأماكن التى كان دوبوف يتوقف عندها . عدّ ثمانى اشارات مرور «اطفال» .

على اى عمود يجب أن يُرسم خط باحمر شفاه ؟ وبالطول ام بالعرض ؟

– هيا ، ارجع بسرعة – طلب قسطنطينوف من السائق ، وتناول سماعة التلفون ، وادار رقم كونوفالوف .

كان هذا – حسب ما دل صوته – متيقظاً ايضاً لم ينم .

قال قسطنطينوف :

– يجب أن تأخذ من الارشيف الصور التى التقطها الرقيب غريتشايف .

سعل كونوفالوف مندهشاً ، لم يفهم ، فى الظاهر ، عم يجرى الحديث .

– هل تذكر انك قبل سنتين عنّفت غريتشايف على ارتيابه الزائد ؟

اجاب كونوفالوف :

– عنفته فيما بعد ايضاً . على الطيبة الزائدة ايضاً . ذكرنى من فضلك ما المقصود ؟

– كان يرافق كراغر وويلسون . وكانوا قد صوّروا كثيراً ، كانا قد وصلا من طوكيو وكانت موسكو نقطة ترانزيت لهما ، وكلاهما من قسم التخطيط فى وكالة المخابرات المركزية . هل معقول أنهما غابا عن ذاكرتك .

. . . عندما عاد قسطنطينوف كانت الصور الفوتوغرافية فى مكتبه . بسطها على منضدة الاجتماعات الكبيرة بصف طويل مستقيم ، وأخذ يصنفها ببطء وتمعن ، وكأنه لاعب ورق : الساحة الحمراء ، الجامعة ، فندق «روسيا» ، مخزن «كوم» . ساحة المانيج .

وبعدها وضع فى الملف ثلاث وعشرين صورة ، ونظر الى كونوفالوف :

– اى فتى شاطر صاحبنا غريتشايف ؟ ها ؟ ! كرر – بنفس الهيئة – كل اللقطات التى التقطها السيدان ! شاطر . يعنى إنهم اعدوا عملية الاتصال بدوبوف عن طريق المخابىء منذ سنتين – وضرب قسطنطينوف باصابعه صورة الجسر على نهر موسكو . الابراج تبدو بشكل واضح ، ورجل الميليشيا فى شارع الكورنيش ، الذى «ينصرف فى العادة بعد الساعة ٢٢,٣٠» ، والنصب التذكارى فى منتزه بوبيدا ، حيث ذهب دوبوف فى عشية الحادث ، نفس المكان الذى كان يفرمل فيه لونتس ، واخيراً اشارة المرور «اطفال» على سعة الصورة ، صبى وصبية يركضان ، يا سائق ، انتبه !

قلب قسطنطينوف الصورة ، وقرأ :

– «شارع كروبسكيا ، ممر عند اشارة المرور» . هذه هى ، وأنا واثق ، اشارة السر «اطفال» . المبرر جيد ، فعبر شارع

كروبسكيا بالذات يمتد الطريق الى بيت السفارة فى جادة لينينسكى .
مدّ يده الى التلفون ، وأدار رقم بروسكورين :
– الا ترغب فى التنزه معى فى السيارة ؟ ها ؟

. . . مرّ بالعمود مرتين . كانت حركاته غير مقيدة . رجل يريح نفسه ، فى الساعة السابعة صباحاً ، وقت مناسب تماماً للتمشى النشيط .

فى المرة الأولى التى مر بها قسطنطينوف بالعمود الذى شدّت عليه اشارة «اطفال» مرر اصبعه عُرْضاً .

لاحظ بينه وبين نفسه :

«غير مسوّغ . إن حركة من هذا النوع سيلحظها عابر السبيل ، يجب ان اجرب بشكل آخر» .

عاد فعمل بيده حركة اخرى ، طولانية ، كانت أقرب الى التسويغ ، رجل يسير ، ويعبث . – بهذا الشكل بالضبط .

قال بروسكورين الذى كان يراقب قسطنطينوف من السيارة .

وعندما جلس قسطنطينوف الى جانبه هزّ بروسكورين رأسه ، وهو الذى يتشكك بكل شيء دائماً .

– ولكن لماذا انت واثق من ان أحمر الشفاه لا بد ان يكون نفس أحمر الشفاه وجدناه عند تفتيشنا غرفة دوبوف ؟

– ولماذا آخر ؟

– ربما أحمر الشفاه هذا كانت اولغا تصبغ به شفتيها . بينما للاشارة المتفق عليها كان يشترى كل مرة اصبعاً جديدة .

– صحيح ان اولغا كانت تصبغ شفتيها ، ولكنهما ليستا من السمنت – واخرج قسطنطينوف من جيبه أصبع احمر الشفاه الذى اكتشف عند التفتيش – أما هذا فمحكوك وواضح انه قد استعمل للخط .

– لا ادرى – اعترض بروسكورين كالعادة متجهماً – أنا كففت عن التصديق بكل شيء .

– الاعصاب مشدودة – وافقه قسطنطينوف – ولكننا على أ حال ، ملزمون بالتصديق بالنجاح .

فى الساعة ١٧,٣٠ خرج غافريكوف من مركز المدينة باتجاه شارع كروبسكيا . اوقف السيارة قرب مخزن ، وفتح الباب ، واطلع من علبة «ابولو» سيكارة ، وأشعلها ، وفكر بفزع ان أباه من المؤكد سيموت قبل عودته ؛ اليوم صباحاً بكى ، لم تعد المخدرات تساعده ، كان الألم دائمياً ، وكان يسأل همساً : «اين ولدى ، ولدى اين ، يا الهى» . . .

تقدم غافريكوف من برميل بيع الكفاس . فقد اعتبر قسطنطينوف ذلك احسن من الدخول فى المخزن ، فى الساعات الاخيرة كان رجال كونافالوف يراقبون المنطقة ، التى ظهر فيها «دوبوف» ، فان الخبرة من الفشل فى المنتزه ، علمتهم الحذر الشديد . كان قسطنطينوف يفترض أن من الممكن جداً أن يوجد رجل وكالة المخابرات المركزية فى شارع كروبسكيا ، فى اللحظات التى يجب أن يضع فيها دوبوف العلامة على العمود ، ولهذا اعطوا لغافريكوف جهاز ارسال صغيراً – فيما إذا لاحظ رجال كونوفالوف رجلاً غريباً يراقبه ، على الاخص اذا كان هذا يحمل آلة تصوير على غافريكوف ان يدخن باستمرار ، اذ ان السيكارة فى فمه تغير وجهه ، ويقلد بدقة مشية دوبوف الشبيهة بمشية عمداء الشرطة فى امريكا .

توقف غافريكوف قرب العمود للحظة ، وخط باحمر الشفاه خطاً ، وفى الحال سمع وراءه صوتاً صارماً :

– هيا ، امسحه !

التفت فرأى عجوزاً فى قبعة قش واقفاً بالقرب منه . كانت فى يده حقيبة .

– اقول أمسح الصبغ – كرر العجوز ، ومد يده فى جيبه .

وفى تلك اللحظة هسهس صوت بعيد فى الجهاز الصغير المخبأ فى جيبه :

– «الاول» – اترك الشارع فى الحال ، أبعد «الفولغا» ، هناك سيارة قادمة باتجاهك من «الاستثمارة» .

و«الاستثمارة» هى السفارة . حسب قواعد التجسس غير المكتوبة ، لا يحق للعميل أن يرى مَنْ يأتى ليسجل اشارته . فلو رأى أحدهما الآخر ، فذلك النذير ، واللقاء سيلغى ، ذلك اللقاء الذى ينتظره الجميع بفارغ الصبر ، افٍ منه ثلاث مرات !

– «الأول» هل تسمعنى ، اجب فوراً !
وخلال ذلك اخرج العجوز صفارة من جيبه ، وملأ الصفير الهازج الشارع . التفت الفضوليون ، لا سيما الذين كانوا عند برميـــل الكفاس .
قال غافريكوف همسا لسبب ما :
– يا جد ، يا عزيزى ، انا اقيس .
– ساريك كيف تقيس !
صاح العجوز وأنشب اصابعه العظمية فى ردن سترة غافريكوف .
«الاول» ، «الاول» خرجت السيارة من جادة اونيفرستى ، إنهم قادمون ليسجلوا اشارتك ابتعد بسرعة !
– يا أب – قال غافريكوف – انا أقيس للطوبوغرافيين ، هذه سيارتى تقف هناك ، ومحرك لم يوقف .
– سيارة خصوصية – صاح العجوز – أنا اعرفكم ، اصحاب السيارات الخصوصية لا يقيسون شيئا .
– هذه سيارة مهندسنا ، وليست سيارتى ، يا أب ، لنذهب فقط أن اطفئ المحرك !
– لا ، امسح الصبغ من العمود اولاً ، وبعد ذلك اطفئ المحرك !
. . . كان العجوز غوسكوف قد استيقظ اليوم بمزاج عكر . البارحة قعد الى ساعـــة متأخرة من المساء ، فى مجلس العاملين القدامى ، كانوا يصادقون على الخطط ، وتخاصموا الى ان بحت اصواتهم . نطق شوبين كثيرا عن تنشيط العمل وسط المراهقين ، ولم يرد ، الوغد ، ان يصادق على انتخابات رئيس قسم العمـــل الثقافى ، يحتفظ بالمنصب لأوتين ، وأوتين هذا يلازم المستشفى ، حصلت له جلطتان فى القلب ، وما يزال يريد ان يترأس الثقافة ، وهو لم يفهمها قط . وكان يشتغل بالتغذية العامة ، ومع ذلك يطمع بالرئاسة ، وطوال الوقت يريد ان يقدم التعليمات الى الرسام فينكا . ولهذا فقد كان العجوز غوسكوف الآن ميالا الى العراك ، ولا ينوي الاستسلام . «النهج هو الشيء الرئيسى – كان يقول فى الاحيان الكثيرة – فاذا ابديت ضعفا ، ولم تدخل القضية فى عقول الشباب ، فلن تستطيع السيطرة عليهم ، فقد طلع شباب جسورون جدا» .

– «الاول» ، «الاول» . نحن لا نفهم ، ماذا يحدث ، يا «اول» !
– لنذهب الى الميلشيا ، يا جد – قال غافريكوف ، وجر العجوز وراءه – لنذهب الى الميلشيا ، ودعهم هناك يحققون !
– لنذهب الى الميلشيـــا – وافق العجوز – ولكن لا تسرع كثيرا .
اجلس غافريكوف العجـــوز فى السيارة ، وهرع ليجلس وراء المقود ، واطلق السرعة ، واجتاز الخط المحورى ، لأن فى اذنيه كان يرن صوت ساخط لضابط من جماعة كونوفالوف ، ودخل فناء عليه اشارة «ممنوع الدخول» واستدار وراء منعطف ، وقفز من السيارة ، وطوى جذعه الى النصف . وتقيأ .
– سكران يسوق سيارة ! – صاح العجوز خلال ذلك منتصرا ، وصفر بصفارته – ميلشيا ! سكران يسوق سيارة !
كان رجل ميلشيا الى جانبه . ركض نحو غافريكوف ، وأخذه من يده ، والتفت الى العجوز :
– شكرا لك ، غوسكوف ، على انك امسكت مثل هذا المخلوق . ها ؟ !
مرت سيارة نائب قنصل السفارة الامريكية بالعمود ، المشدودة عليه اشارة «اطفال» ، وهدات السرعة ، والتقطت العلامة .
قال قسطنطينوف :
– لا تضعوا مراقبة عليها . لتذهب حيث تشاء ، وسننتظر عند «الجسر» .

فى الساعة الثالثة والعشرين وخمس وعشرين دقيقة القي القبض على عميل وكالة المخابرات المركزية الذى يعمل فى السفارة حاملا جوازا دبلوماسيا ، وقد تم القبض عليه عند وضعه المخبأ فى برج الجسر على نهر موسكو ، وأُخذ الى لجنة امن الدولـــة فى شارع كوزنتسكى موست . وقد وجد فى المخبأ الذى فتحوه ، الى جانب انبولات سم ، تعليمات والاسئلة الاخيرة **الحاسمة** قبل بداية عملية «المشعل» .

ملاحظة عن «المجمع الصناعى العسكرى» (٤)

التقى مايكل فيلش بسفير المهمات الخاصة فى منتصف الليل . حتى الساعة الثالثة والعشرين كان يدير اجتماعا اخيرا متعلقا ببدء عملية «المشعل» . كان الحديث مع العاملين فى البنتاغون صعبا جدا .

وكانت قد حجزت مائدة صغيرة فى مطعم ملاوى غير بعيد عن السفارة السوفييتية . كان هذا يمد فيلش بسرور خاص يوحى بالسكينة .

كان السفير بانتظاره دافنا فى قائمة الطعام أنفه المفلطح الشبيه بأنف ملاكم .

قال فيلش :

— انا مسرور برؤياك ، سير . اعذرنى على اضطرارنا الى ان نلتقى فى منتصف الليل ، ولكننى قبل هذا كنت ايضا مشغولا بقضيتنا المشتركة .

التفت السفير ، واجال بصره فى الجالسين على الموائد المجاورة .

«متآمر — فكر فيلش بازدراء — يخاف ان يسمعونا . ترى كيف سيتصرف لو قلت له ان جميع الموائد الثلاث المجاورة بسيداتها وسادتها الوجهاء قد حجزناها نحن ايضا ، والوجهاء هؤلاء يخدمون فى قسمنا «صيانة الاحاديث» .

وتابع فيلتش قوله :

— حسنا ، سير ، لقد اعددت نصوص خطب ثلاثة سفراء فى المجلس . سيكون سفير تشيلي اول المتكلمين ، اذ يبدو لى ان عاطفيته الرهيفة ستعطي شحنة جيدة لاجتماع المنظمة . وسارسل لك نص خطابه مع مساعدى بعد غد ، فى عشية بدء العملية .

— لا حاجة ، سير . ساشعر بنفسى مقيدا بمعرفة كبيرة للغاية . انا احب الارتجال .

— الارتجال المهيأ جيداً انه خطبة مدروسة من قبل — وابتسم فيلتش — على العموم ، كما تحب . بالمناسبة ، طلبت ان يعدوا لنا مائدة مالاوية حقا . هل تحب مطبخهم ؟

— اي ، نعم ! رائع لذيذ محشو بمختلف الاطايب .

— مسرور جدا — واتكأ فيلتش على ظهر الكرسى ، مراقبا النادل الصموت يصف الصحون الصغيرة بالمشهيات الغريبة .

— مع الأسف ، منعنى الاطباء من الكحول — وتنهد السفير — كل مرحلة من حياتنا — بعد ان نكمل السبعين — تعتبر عن حق «مرحلة خسارة» .

— بدأت هذه المرحلة عندى فى الاربعين من العمر — قال فيلتش — مرض قرحة المعدة . . . اذن ، سير ، بعد ان يلقي سفير تشيلي كلمته ، ستكون كلمة سفير اسرائيل الضربة الثانية . بلا اية عواطف ، حقائق فقط . يجب ان لا نتيح للكتلة السوفييتية والعالم الثالث ان يأخذا المبادرة . نحن سنهاجم . وبعد سفير اسرائيل يأتى مندوب بارغواى : «العدوان الروسى والكوبى فى افريقيا تهديد لقضية السلام فى جميع العالم ! ان ادارة كارتر الجبانة تقود الانسانية الى كارثة نووية . ومن الضرورى الاسراع فورا فى تشكيل القوات المسلحة لعموم افريقيا» . وسيؤيده ممثل الاتحاد الجنوبى الافريقى ، ويطالب بوضع حد لاراقة الدماء فى ناغونيا ، مبررا ذلك بان شرر العنف تطاير الآن الى بلاده : ويقدم للوفود والسفراء صورا فوتوغرافية واقوال النازحين الذين يطلبون اللجوء . وبعد هذا ، على ما يبدو ، يتعين اعطاء الكلمة لسفراء من الكتلة السوفييتية ، دعهم يقدمون قراراتهم . . .

— واوربا ؟ ماذا سيكون رد فعل سفراء اوربا ؟

— يظهر ان ما يعنيك ، بالدرجة الاولى ، موقف الجمهورية الاتحادية ؟

— بلا جدال .

— حسب التقديرات الاولى ، سيكون رد فعل بون سلبيا . وسنحاول القيام بخطوات ما ، ولكننى لا اريد ان اؤملك . المهم ان يمضى الزمن ، فالزمن يشفى كل الجراح ، سير . طلبت من سفير تشيلي ان يكتب اكثر ما يمكن . يجب ان ننهك المندوبين ، سير . وحسب السيناريو الذى اعده فتياني ، يجب ان يكون خطابك فى اليوم الثانى لا قبل ذلك . نعم ، سير ، نعم ، هكذا بالضبط . وخلال هذا الوقت يقوم اوهانو بتطهير فى بيته ، وسيحتل رجاله —

كما نفترض – كل المواقع الرئيسية ، وستكون ادارة البلاد فى ايديهم . ويقدم سفير الصين القارية قرارا بادانة دور الولايات المتحدة فى ناغونيا ، ولكن لهجة خطابه ستكون متحفظة . وبعده ، كما نتصور ، ينبغى ان تخطب انت .

– لا اعتراض . اعتقد ان الخطة جيدة . . . كيف ستتصرف فرنسا ؟

– سير ، انا افهم ان ما يقلقك هو موقف اوربا ، ولكننا وضعنا التركيبة كلها كهزّة : فى البداية القضية ، قضيتنا ، وبعد ذلك نتفاهم . ونحن اعددنا بعض المواد لك . . .

– شكرا ، فانا ، اعترف لك ، اخاف المخطط ، ولكن . . .

– صحيح ما تفعل . نحن اعددنا لك مواد حقائقية على اساس وثائق لا تنشر لا فى الصحافة ولا فى نشرات الوكالات الصحفية . . .

– ممتع جدا .

– هل لديك اعتراض اذا سيوصلها مساعدى الى مكتبك فى صباح الغد ؟

– لى شخصيا ، يسلمها بيدى .

– فحوى افتراضاتنا المبنية على الحقائق يتلخص فى انك ، بعد ان تثبت الطابع القومى الحق لحركة مستر اوهانو ، وتعبّر عن المواساة لعائلة جورج غريسو ، تبرهن على ان المأساة التى وقعت فى ناغونيا ما هى الا نتيجة السياسة التوسعية للكرملين الذى يحاول ان يحول افريقيا الى فيتنام جديدة ، ويجر الولايات المتحدة الى صدام مسلح . ولهذا تقترح ارسال مفارز من الوحدات المسلحة لاقطار حلف شمال الاطلسى ، الاوربية فى المقام الاول ، الى ناغونيا ، وتوافق على الخروج الفورى لاسطولنا من مياه ناغونيا الاقليمية .

– ممتاز ! بهذه الطريقة نجبر اوربا على ان تتخذ موقفا ! جميل جدا ، سير ! انا ، كاى دبلوماسى ، لا احب الناس من شركتكم ، ولكننى فى الحالة الراهنة وددت لو اشرب جرعة من الجن تكريما لعقول فتيانكم الذين اعدوا مثل هذا السيناريو الجيد . هل يعرف نيلسون غرين بهذا الآن ؟

هزّ فيلش راسه :

– بما اني – بالعكس منك – لست صاحب اسهم فى «وولدز

دايموندس» أود فى البداية ان اقلّب الخطة معك ، لا سيما وانك لا تحب شركتى بهذه الصراحة . . .

ضحك سفير المهمات الخاصة ، ووضع كفه السميكة الطرية على يد فيلش الصغيرة القوية .

ليست النهاية . . .

. . . فى الصباح استدعى سفير الولايات المتحدة الى وزارة الخارجية السوفييتية .

كان قسطنطينوف يجلس الى جانب الدبلوماسى السوفييتى . عيناه غائرتان كامدتان من الارق . وكان ، على اية حال ، وكما هو دائما ، حليق الوجه حلاقة ناعمة ، وربطة عنقه مشدودة شدة انيقة خاصة . خلال الاسبوع الاخير نحف خمسة كيلوغرامات ، ولهذا كان عنقه يبرز من ياقة القميص الذى بدا اكبر من قياسه .

عندما قدر السفير ان يصرف عينيه عن امبول السم ، فتح الدبلوماسى السوفييتى ملفا كان امامه :

– فى هذا الملف ، ايها السيد السفير ، صور فوتوغرافية لاسئلة كانت وكالة المخابرات المركزية قد طرحتها على عميلها . وتدل هذه الاسئلة على ان عدوانا على ناغونيا سيبدأ فى الايام القريبة جدا . اذا نشرنا فى الصحافة حقيقة ارسال وكالة المخابرات المركزية للسموم ، واذا نشرنا اسئلة وكالة المخابرات المركزية عن ناغونيا عندئذ . . .

قال السفير مستغلا التوقف :

– ان حكومتى ستقدر بالطريقة المناسبة قرار حكومتكم فى عدم الاعلان عن هذه القضية . . .

– هل يمكن ان نأمل ، ايها السيد السفير ، بان حكومتكم ستتخذ الخطوات المناسبة لا لاطلاق سراح المواطنين السوفييتيين زوتوف وسلافين فقط ، بل ولمنع العدوان على ناغونيا ؟

. . . من خطاب سفير المهمات الخاصة :

– ان الحملة الصاخبة التى تشنها اقطار الكتلة السوفييتية عن عدوان مزعوم يُعد ضد ناغونيا لم تثبت صحتها . لقد انقضت

المواعيد التى حددت ، ولم تخرق السكون صليات الرشاشات . ان جماعات الراديكالى اليسارى اوهانو تحولت اليوم عن حدود ناغونيا ، واعلن مستر اوهانو ان رجاله كانوا يشتغلون هناك فى معسكرات زراعية ، وليس فى ثكنات عسكرية تحت قيادة مدربين موهومين من وكالة المخابرات المركزية . واريد ان اكرر مرة اخرى من هذا المنبر الرفيع : حتى وان كانت لا تعجبنا طريقة الحكم فى هذا القطر او ذاك فاننا لم نتدخل ولا ننوى ان نتدخل فى الحياة الداخلية للدول الاخرى . واعتقد اننى بتصريحى هذا اختم تلك الحملة الدعائية التى كان غرضها الوحيد الرغبة فى تشويه سمعة حكومتى فى عيون شعب ناغونيا ، وحكومتها ، وقائدها .

خرج سلافين من السجن ، وتوجه ، دون ان يمر فى الفندق ، الى المستشفى العسكرى ، وكان كالطائر السعيد ، فقد كانت تتراءى له بوضوح واستمرار حقول ضواحى موسكو الخضراء المرصعة بزهور زرق حين ستحط طائرة «ايل» فى مطار شيرميتوفو . وقد تبين فى المستشفى ان زوتوف أُخذ الى المطار . اقترحت سلطات لويسبورغ ان يصاحبه طبيب اخصائى بالكسور . قبل سفير الاتحاد السوفييتى هذا الاقتراح بعد ان قال :

– أُبلغت ان طبيبا سوفييتيا كفوءا تماما قد طار على طائرة الصليب الاحمر ومعه مساعدوه ، ولكن اعتقد ان طبيبكم سيساعد اطباءنا بان يوضح كيف عولج الرفيق زوتوف ، ويقدم ملخصا لتاريخ مرضه . . .

عندما وصل سلافين الى السفارة سلموه برقية غريبة من قسطنطينوف : «إشرب» .

ولا اكثر .

ضحك ، وطلب من دولوف ان يحجز تذكرة على اول طائرة الى موسكو ، واستمع الى رجائه بان لا يعود الى «هيلتون» ، فقد يحصل كل شىء ، وهليب لا يغفر ذلك ، وذهب الى الفندق .

عندما اغلق الباب ، ودخل الحمام ، رنّ جرس التلفون :

– مرحبا ، ايها الصديق العزيز – هدر صوت هليب فى

السماعة – هل لديك رغبة فى الالتقاء بامريكى عاطل عن العمل ؟ ها ؟ قد تكون المحادثة ممتعة حقا .

اجاب سلافين :

– طيب ، اتفقنا . هل ستصنع لنا بيلار كوكتيل ؟ ام نترع الفودكا الروسية ؟

. . . بعد ان اعد قسطنطينوف رسالة توصية بمنح غميريا ، وغريشايف ، ودرونوف ، ونيكوديموف ، وكونوفالوف ، وبانوف ، وبروسكورين ، وستريلتسوف ، وسلافين ميداليات «الخدمات القتالية» لم يستدع سيارة ، وقرر التمشي – فان توتر الايام الاخيرة ، لم يزل بعد . فى جادة كالينينسكى صعد الى سيارة باص . كان شاب صغير يجلس عند الشباك ، يقرأ الطبعة المسائية «ازفيستيا» ، وكان يتدلى من رقبته ترانزستور صغير . كانت آلا بوغاتشيفا تغنى اغنيتها عن «ارلكين» .

نظر قسطنطينوف من وراء كتف الشاب فى عمود فى الزاوية اليمنى فى الاسفل نُشر فيه ما يلى :

«تاس مخوّلة ان تعلن ان رجال مكافحة التجسس السوفييتيين كشفوا قبل ايام ، واحبطوا عملية لوكالة المخابرات المركزية كانت موجهة ضد الاتحاد السوفييتى وضد ناغونيا التى تربطها مع بلادنا معاهدة صداقة وتعاون . ان كامل المسؤولية عن محاولة الاستمرار فى عمليات كهذه مأخوذة من ترسانة «الحرب الباردة» يقع على عاتق اولئك الذين يعيقون عن قصد تطوير وتعزيز علاقات حسن الجوار بين الشعبين السوفييتى والامريكى» .

قرأ قسطنطينوف تصريح تاس ، وتراءت له بوضوح وجوه زملائه .

فكر قسطنطينوف :

«عدم اشارة الى اسماء ، على اية حال ، يعجبنى فى شىء ما . مثل لقب رفيع ، او كالاحساس بمعيار المسؤولية . ولكننى ، على كل حال ، اود كثيرا ان اجلس الى جانب هذا الشاب ، واقول له : «هل تعرف ان رفاقى وانا عملنا شيئا ما لتصريح «تاس» هذا . فاقرأه بتمعن اكثر ، ارجوك ، إقرأه ، طيب ؟» .

من الناشر

ولد يوليان سيميونوف فى موسكـــو عام ١٩٣١ ، وهـــو فى تحصيله العلمى مستشرق . وقد عمـــــل سنوات عديدة مراسلا لجريدتى «برافدا» و«ليتراتورنايا غازيتا» («الجريدة الادبيـــة») فى اقطار اوربا وآسيا وافريقيا .

كتب قصته الطويلة الاولى «الوكيل الدبلوماسى» فى عام ١٩٥٩ ، وبعد ذلك ، بعد زيارته للمحطتين العائمتين القطب الشمالى – ٨ ، والقطب الشمالى – ٩ كتب قصة «عند اداء الواجب» (١٩٦١) . وفى عام ١٩٦٣ ينشر سيميونوف قصته الطويلة «بتروفكا – ٣٨» ، عن عمل مصلحة التحقيقات الجنائية فى موسكو .

فى عام ١٩٦٥ بدأ سلسلة روايات بعنوان موحد هو «الخيار» . وتدخل ضمن هذه السلسلة روايات «كلمة السر غير لازمـــة» ، «الماس لدكتاتورية البروليتاريا» ، «الخيار» ، «الربيع الثالث» ، «الرائد فيخر» ، «سبع عشرة لحظة من لحظات الربيع» ، «قنبلـــة للرئيس» . وتغطى هذه الروايات ، من الناحية التاريخية ، الحقبة من الحرب الاهلية وحتى ايامنا هذه . ويستنـــــد كل منها على احداث تأريخية تجرى فى الاتحاد السوفييتى وفى كثير من الاقطار الاجنبية ومختلف القارات . وفى جميع الروايات يبرز مكسيم ايسايف العامل فى مكافحة التجسس ، وقد تمثلت فى شخصيته ملامح رجال مكافحة التجسس السوفييتيين . ويوجد فى روايات يوليان سيميونوف ، الى جانب الشخصيات المتخيلة ، غير قليل من الشخصيات التاريخية الواقعية . لقد كتبت صحيفة «برافدا» عن هذه السلسلة : «فى هذه السلسلة من الروايات يبرز الموضوع كتركيز للواقع ، رافعـــا الرواية البوليسية الى مستوى الملحمة البطولية» .

وقد اقتبست افلام تلفزيونية عديدة الحلقات فى روايات «كلمة السر غير لازمة» و«الرائد فيخر» و«سبع عشرة لحظـــة من لحظات الربيع» . وحصـــــل سيميونوف على جائزة الدولـــــة فى حقل الفن السينمائى ، على السيناريو الذى كتبه لفيلم «سبع عشرة لحظة من لحظات الربيع» .

وكتب يوليان سيميونوف منشورة فى العديد من اقطار اوربا ، وآسيا ، واميركا .

يتطور موضوع «تاس مخولة ان تصرّح . . .» بشكل سريع ، ومثل وتائر الحياة العصرية السريعة يستحوذ على القارئ منذ الصفحة الاولى ، ولا يتركه حتى الصفحة الاخيرة .

تجري احداث هذه القصة فى موسكو وناغونيا . وهى واحدة من البلدان النامية ، القت عنها لتوها ربقة الكولونيالية ، وصارت امام خطر الوقوع تحت نير احدى احتكارات ما وراء المحيط . ورغم ان مثل هذه الدولة لا وجود لها فى خارطة افريقيا الجغرافية ، فاننا مقتنعون بواقعية الاحداث التى جرت فيها ، مقتنعون بواقعية الوضع التى تطورت فيها هذه الاحداث . فى مركز القصة العمل الصعب الخطير لرجال مكافحة التجسس السوفييتيين ، الذين يحققون مأثرة حقيقية ، مأثرة باسم السلام ، باسم الطمأنينة على الارض ، ولكى لا تهدر الطلقات ، ويراق الدم . ولكى يعيش قطر افريقى صغير ويتطور باستقلال .

والقارئ ، حين يطلع على القصة ، سيتأكد كم تطابق الاحداث الموصوفة فيها يومنا الراهن ، وما يجري فى بعض نقاط كوكبنا «الساخنة» .

الى القراء

ان دار «رادوغا» تكون شاكرة لكم اذا تفضلتم وابديتم لها ملاحظاتكم حول موضوع الكتاب وترجمته ، وشكل عرضه ، واعربتم لها عن رغباتكم .

العنوان : زوبوفسكي بولفار ١٧ ،
موسكو ، الاتحاد السوفييتي

طبع فى الاتحاد السوفييتى



يوليان سيميونوف (مواليد ۱۹۳۱) كاتب سوفييتي شهير حاصل على جائزة الدولة ، وقد كسب شعبية في بلادنا وفي خارجها كمؤلف لروايات حادة المواضيع عن عمل رجال مكافحة التجسس السوفييتيين . وروايته «سبع عشرة لحظة من لحظات الربيع» صدرت في العديد من اقطار اوربا وآسيا وامريكا . وترجمت في دار «التقدم» الى اللغات الانكليزية والفرنسية والسويدية والدنماركية والى لغات اخرى .

وقصة يوليان سيميونوف الجديدة تروي كيف نجح رجال مكافحة التجسس السوفييتيين في احباط احدى العمليات الكبرى ضد استقلال دولة افريقية فتية .